THE NEW **MUSLIM BROTHERHOOD** IN THE WEST
LORENZO VIDINO

الإخوان المسلمون
الجـــدد فـــي الغـــرب

لورينزو فيدينو
ترجمة: ب. ا. الوكيل

المسبار

THE NEW **MUSLIM BROTHERHOOD** IN THE WEST
LORENZO VIDINO

الإخوان المسلمون
الجـــدد في الغـــرب

لورينزو فيدينو

ترجمة: ب. ا. الوكيل

المسبار

الكتاب: الإخوان المسلمون الجدد في الغرب
المؤلف: لورينزو فيدينو
الناشر: مركز المسبار للدراسات والبحوث
ترجمة: ب. ا. الوكيل

التصنيف: الديني والسياسي، تاريخ معاصر، الجماعات والأحزاب

الطبعة الأولى أغسطس (آب) 2011
الرقم الدولي المتسلسل للكتاب: ISBN 978-9948-443-64-3

This Arabic-language edition is a complete translation of the U.S. edition, specially authorized by the original publisher, Columbia University Press.

طبعت في مطابع المتحدة للطباعة والنشر United Printing & Publishing

مركز المسبار للدراسات والبحوث
Al Mesbar Studies & Research Centre

www.almesbar.net
ص.ب: 333577 دبي، الإمارات العربية المتحدة
هاتف: +971 4 380 4774
فاكس: +971 4 380 5977
info@almesbar.net

مركز المسبار للدراسات والبحوث هو مركز مستقل متخصص في دراسة الحركات الإسلامية والظاهرة الثقافية عموما، ببعديها الفكري والاجتماعي السياسي، يولي المركز اهتماماً خاصاً بالحركات الإسلامية المعاصرة، فكراً وممارسة، رموزاً وأفكاراً، كما يهتم بدراسة الحركات ذات الطابع التاريخي متى ظل تأثيرها حاضرا في الواقع المعيش.
يضم مركز المسبار مجموعة مختارة من الباحثين المتخصصين في الحركات الإسلامية المعاصرة والتاريخية والظواهر الثقافية والاستراتيجية، ويتعاون المركز في هذا الاتجاه مع الباحثين والمراكز والمؤسسات المختلفة التي تتقاطع اهتماماتها مع اهتمامه، وهو ما يضمن تبادل الخبرات وتطوير المهارات الذي يتم عبر تنشيط الحوار بين المتخصصين وتدوير الأفكار بين مختلف الآراء والاتجاهات.

الدراسات والبحوث التي يحويها الكتاب تعبر عن آراء كتابها لا عن رأي المركز بالضرورة.

كلمة الناشر

يسعدنا أن نقدم هذا الكتاب لقرائنا وللباحثين، وكل من يهمه حاضر ومستقبل الإسلام السياسي.

وقد سعى مركز المسبار للدراسات والبحوث إلى الحصول على حقوق نشر كتاب (الإخوان المسلمون الجدد في الغرب) باللغة العربية قبل طباعته بلغته الإنجليزية، لأهميته وفرادته وللجهد الكبير الذي بذله مؤلفه طوال تسع سنوات من البحث والتنقيب.

ولعل من حسن الحظ أن يجد الكتاب طريقه إلى المكتبة العربية في هذا العام، الذي تشهد فيه منطقتنا العربية اضطرابات واحتجاجات ساعدت في صعود نجم الإخوان المسلمين من جديد.

نرجو أن يساعد هذا الكتاب في تقديم صورة متوازنة، تتجاوز منطق العواطف والتأثيرات المباشرة للإعلام، والشعارات التي تشوّش الرؤية، والمناورات والصفقات السياسية، التي نجح الكتاب في تسليط الضوء عليها، وكشفها، وطرح أسئلته المهمة حولها.

رئيس المركز

تركي الدخيل

www.turkid.net

1/أغسطس 2011

شكر وعرفان وإهداء

هذا الكتاب، ثمرة تسع سنوات من البحث المضني، وعشرات الرحلات التي أوصلتني إلى ست عشرة (16) دولة، في أربع قارات، إضافة إلى أكثر من مائتي مقابلة مع مسؤولين حكوميين، وعلماء، ومثقفين، وصحافيين، وناشطين تفضلوا مشكورين باستقطاع جزء من وقتهم وتبادلوا معي أفكارهم. ففضلاً عن كثير من الأشخاص الذين ساعدوني، ممن لا أستطيع أن أشكرهم علناً، يطيب لي أن أخص بالذكر الأشخاص الآتية أسماؤهم: بيرنيل أمتيزبل، وجيفري بيل، وإبراهيم برزاوي، ودانيل وديفيد بيران، وديفيد درابر، وريان إيفانس، وأليس فولك، ودوغ فرح، ودين جودسون، وحسين حقاني، وإيفان كولمان، وجوش لفكويز، وروبيرت ليكن، وستيفان مِيننج، وستيفن ميرلي، وهيربيرت مولر، ورفائيلو بانتوسي، وجوناثان باريس، وأنجل راباسا، وإبراهيم رمضان، وديف ريتش،وأودي روسن، ورونالد ساندي، وساينثيا ساندرز، ومورتن سكجولداجر، وتامار تسلر، وإدوارد فالا، وناصر ودادي، ومايكل وايلدز، وبربارا زولنر. كما أود أيضاً أن أعرب عن امتناني لعدد من قيادات الإخوان المسلمين والمجموعات الأخرى في الغرب، الذين وافقوا على التحدث إليَّ؛ ومن بينهم أود أن أخص بالشكر كلاً من: كمال الهلباوي، ويوسف ندا، اللذين

كانت آراؤهما ووجهات نظرهما لا تقدر بثمن.

لقد تم دعم بحثي بعدة طرق من قبل كثير من الأفراد والمؤسسات. ومن بين الداعمين، أجد نفسي عاجزاً عن تقديم الشكر بما يكفي لبعض الأشخاص والأعضاء بهيئة كليّة فلتشر للقانون والدبلوماسية (Fletcher School of Law and Diplomacy) الآتية أسماؤهم: أندرو هس، وويليام مارتل، وآنا سيليني، وفالي نصر، وليندا باتيسا، وبيرني كيلي ليسيس، وجنيفر بيركت بيكر. أما وروبرت بفالتزجراف وأفراد معهد تحليل السياسة الخارجية (IFPA) فقد كانوا بالمثل رائعين واستثنائيين. أود كذلك أن أعرب عن بالغ العرفان وعظيم الامتنان لكل من: نادية سكادلو، ومارين سترمكي، بمؤسسة سميث ريتشاردسون (Smith Richardson Foundation) لثقتهما في هذا المشروع. وأما الدعم المقدم من مركز بلفر بجامعة هارفارد (بصفة خاصة من مونيكا دوفي توفت، وستيفن ميلر، وسوزان لينك) ومعهد الولايات المتحدة للسلام (بفضل كل من تشانتال دو جونج أودارات، وليلي كول، وشيرا لوينجر)، فقد كان بالغ الأهمية في المراحل النهائية والأخيرة من عملي. وأود أيضاً أن أشيد بكل من آن روتون، وليسلي كرسيل بمطبعة جامعة كولومبيا لجليل دعمهما وجميل صبرهما. وأخيراً وليس آخراً الشكر موصول من سويداء القلب إلى الشخصين اللذين لولاهما لما رأى هذا الكتاب النور – إنهما الاستشاريان الاستثنائيان اللذان أعتز بصداقتهما أيَّ اعتزاز: بروس هوفمان، وريتشارد تشولتز.

أهدي هذا الكتاب إلى أفراد أسرتي. إلى إيلي، وماركو،

وجوناثان،وروث، وجاك، وأورنا، ونايك لما تحلّوا به من صبر، وما أبدوه من تشجيع. الإهداء إلى الوالد والوالدة؛ لمعين حبهما الذي لا ينضب، ودعمهما الذي لا تحده حدود، وإلى جيسيكا حبيبة العمر: أهديه إليها لأنها جيسيكا.

الفصل الأول

من يتحدث باسم مسلمي الغرب؟

ما من قيادي إسلامي أمريكي تيسّرت له سبل التواصل مع المؤسسة السياسية في الولايات المتحدة بأفضل مما أتيح أمام عبد الرحمن العمودي، المولود في أرتيريا، والمتخصص في الكيمياء الحيوية. بعد أن قدم العمودي إلى الولايات المتحدة طالباً العلم في عام 1980م، لم يتوان عن الانخراط في مختلف المنظمات الإسلامية الأمريكية؛ مضطلعاً بأدوار قيادية في عدد منها[1]. وبنهاية السنوات العشر الأولى من وصوله، استقر به المقام في واشنطن، حيث شرع في تطوير شبكة اتصالات مثيرة ومؤثرة، تمكن من خلالها من إقامة صلات مع المستويات العليا للمؤسسة السياسية الأمريكية. ففي عام 1990م، شارك العمودي في تأسيس المجلس الإسلامي الأمريكي (AMC)؛ ثم سرعان ما أصبح زائراً منتظماً للبيت الأبيض، كما أفلح في إقامة علاقات ودية مع الإدارتين الجمهورية والديمقراطية على حد سواء. وعقد اجتماعات مع أعضاء الهيئة التشريعية العليا في الولايات المتحدة (الكونجرس)، بل وتمكن من

(1) السيرة الذاتية للعمودي، قدمت ضمن أدلة الاتهام في قضية «حكومة الولايات المتحدة ضد عبد الرحمن محمد العمودي»، محكمة شرق فرجينيا، قضية رقم 03-1009M، قبل تشكيل المجلس الإسلامي الأمريكي، تولى العمودي مناصب قيادية باتحاد الطلاب المسلمين (MSA) والجمعية الإسلامية لأمريكا الشمالية (ISNA).

التأثير في الكونجرس لينجح في استضافة احتفالية افتتاحية ليتم ذلك لأول مرة في التاريخ من قبل قيادي إسلامي[2].

في منتصف تسعينات القرن المنصرم، أصبح العمودي محوراً للحياة السياسية في واشنطن[3] ؛ وقد خططت منظمته لإقامة المناسبات مع المجموعات العقدية المختلفة، وتعاملت مع زعماء البروتستانت والكاثوليك واليهود على أعلى المستويات. وكان النواب وأعضاء مجلس الشيوخ والأساقفة والمطارنة والإعلاميون المرموقون يحضرون المناسبات التي يقيمها المجلس الإسلامي الأمريكي، يحدوهم الحماس وتدفعهم الرغبة في إقامة علاقات مع المسلمين الأمريكيين؛ حيث كانت تلك المناسبات تقام في أرقى فنادق واشنطن وأفخمها[4]. وإثر اجتماعات مكثفة، أوكلت وزارة الدفاع إلى العمودي مهمة كبرى تتمثل في اختيار الأئمة وتدريبهم وتأهيلهم، للنهوض بأعباء الوفاء بالمتطلبات الدينية للمسلمين الأمريكيين العاملين في السلك العسكري[5]. أما منظمة عبد الرحمن العمودي (المجلس الإسلامي الأمريكي)، فقد حظيت بالإطراء من قبل مكتب التحقيقات الفيدرالي، إذ وصفها المكتب بأنها «الجماعة الإسلامية الرئيسة الأولى في الولايات المتّحدة»، بل إن وزارة الخارجية ذهبت إلى

---

(2) المجلس الإسلامي الأمريكي: الخمس سنوات الأولى، تقرير صادر عن المجلس الإسلامي الأمريكي (AMC)، 1996، 5.

(3) Mohamed Nimer, “Muslims in American Public Life,” in Yvonne Yazbeck Haddad, Muslims in West: From Sojourners to Citizens (Oxford: Oxford University Press, 2001), 176-77.

(4) See, for example, “AMC Hosts Interfaith Heritage Banquet,” The AMC Report6, no. 1 (January 1996).

(5) “Arrested Muslim Activist Helped Pick Chaplains for U. S. Military,” Washington Times, September 30,2003.

أبعد من ذلك عندما عيّنت العمودي سفيراً للنوايا الحسنة، كما درجت على أن تطلب منه تارة تلو أخرى ومن حين إلى آخر أن يشدّ الرحال للسفر حول العالم، فيجوب أرجاء المعمورة ممثلاً للمسلمين الأمريكيين[6]. وأما مؤسسة واشنطن، فقد جعلت من العمودي عميد الجالية الإسلامية المحلية واعتبرته قيادياً إسلامياً ناجحاً ومعتدلاً، على نحو يمكنه من أن يكون بمثابة المثال الذي يحتذى للقيادي الإسلامي النموذجي، وأن يصير متحدثاً باسم المجتمع الإسلامي الأمريكي.

بيد أن عام 2003م شهد حدثاً غير متوقع أثناء تفتيش جمركي عادي خضع له العمودي في مطار هيثرو بمدينة لندن - ما أدى إلى نسف منجزات العمودي وتبديدها. فقد اتضح أنه كان يخبئ في حقيبته مبلغ 340 ألف دولار أمريكي؛ وأماطت التحقيقات اللثام عن حيازة العمودي بطريقة غير مشروعة أموالاً مشبوهة دأب على تهريبها من ليبيا منذ عام 1995م، وأن جزءاً من هذه الأموال له علاقة بدعم مؤامرة من تدبير الحكومة الليبية واثنين من المنشقين السعوديين يقيمان في لندن ويرتبطان بتنظيم القاعدة،لاغتيال ولي العهد السعودي آنذاك، الأمير عبد الله بن عبد العزيز. وبعد عام، اعترف العمودي وأقرّ بالتهم الموجهة إليه جميعها وصدر بحقه حكم يقضي بسجنه لمدة ثلاثة وعشرين عاماً[7]. وكشفت التحقيقات النقاب أيضاً عن صفقات ومعاملات مالية للعمودي مع منظمات تصنفها الولايات المتحدة وتصفها بأنها منظمات إرهابية، مثل

(6) Joseph Braude, "Moderate Muslims and Their Radical Leaders," The New Republic, February 27,2006, Ahmed Yousef, American Muslims: A Community Under Siege (Springfield, VA, UASR Publishing Group, 2004).

(7) النشرة الصحفية لوزارة العدل الأمريكية حول الحكم في قضية العمودي، 15 أكتوبر 2004.

حماس والقاعدة؛ حيث وجهت إليه وزارة الخزانة الأمريكية اتهاماً بجمع التبرعات في الولايات المتحدة لتلك المنظمات(8).

لم تثر صلات العمودي وارتباطاته صدمةً كبيرة لكثيرين في واشنطن، ولم تكن مفاجئة تماماً بالنسبة إليهم، ذلك أنه منذ تسعينات القرن الفائت ظلت الوكالات المعنية بفرض النظام وتطبيق القانون، ترصد وتراقب بهدوء ارتباطاته بعناصر يشتبه في أن لها صلات بإرهابيين(9). فضلاً عما تقدم، دأب العمودي على مر السنين على إطلاق التعليقات التي كانت تدل بوضوح على تعاطفه مع المجموعات الإسلامية المحظورة في الولايات المتحدة. وذات مرة، اعترضت السلطات المختصة مكالمة هاتفية أخبر فيها العمودي محدثه على الطرف الآخر من الخط الهاتفي بأن الهجمات التي شنّتها القاعدة في عام 1998م، ضد سفارات أمريكية في شرقي أفريقيا كانت «خاطئة»؛ ولكن فقط لأن «عدداً من المسلمين الأفارقة لقوا حتفهم فيها ولم يمت ولو أمريكي واحد»(10). وفوق هذا وذاك كان العمودي يعبر أيضاً عن آرائه السياسية ويجهر بها في المحافل والمنابر العامة. ففي شهر أكتوبر من عام 2000م، خاطب العمودي اجتماعاً حاشداً في حديقة لافايت، التي تقع على مرمى حجر من البيت الأبيض، حيث صرح بآرائه مفاخراً فأعلنها مدويةً بقوله: «اسمع هذا يا

(8) النشرة الصحفية لوزارة الخزانة الأمريكية في 14 يوليو 2005، على الموقع:
http://www. treas. gov/press/releases/js632. htm

(9) مقابلة مع مسؤول بإدارة الأمن الوطني، واشنطون دي سي، مايو 2008.

(10) كما ورد في إفادة العميل الخاص لوكالة الهجرة والجمارك الأمريكية بريت جينترب في قضية «حكومة الولايات المتحدة ضد عبد الرحمن محمد العمودي»، محكمة شرق فرجينيا، قضية رقم 03-M1009، 30 سبتمبر 2003. في الواقع توفي 12 مواطن أمريكي في ذلك اليوم، حيث كان معظم الضحايا البالغ عددهم 224 من مواطني كينيا وتنزانيا.

بيل كلينتون، نحن جميعاً أنصار حماس! وودت لو أنهم أضافوا أنني أيضاً من أنصار حزب الله!»[11].

تطرح قضية العمودي والمجلس الإسلامي الأمريكي جملة من الأسئلة. ففي عام 1996م، زعم المجلس أنه يضم خمسة آلاف عضو من إجمالي المسلمين الأمريكيين، الذين قدرت المجموعة نفسها عددهم بنحو سبعة ملايين بصفة عامة[12]؛ فكيف إذاً لرئيس مجموعة تشير تقديراتها نفسها إلى أنها لا تمثل أكثر من 0.07٪ من إجمالي عدد المسلمين الأمريكيين - الذين لم يسبق لهم قط أن انتخبوا أي زعيم لهم بأي حال من الأحوال – أن ينصّب نفسه متحدثاً باسم المسلمين الأمريكيين بحكم الواقع، ويدلي بشهاداته وإفاداته أمام الكونجرس، ويعرب عن الآراء، ويعبِّر عن وجهات النظر في وسائل الإعلام باسم جميع المسلمين الأمريكيين؟ إن الأحكام المبسترة والمعيبة بصورة غير عادية، لقطاعات عريضة من المؤسسة السياسية الأمريكية تتطلب التوضيح وتستوجب التفسير. فما يا تُرَى الدواعي الموجبة لتبني عبد الرحمن العمودي وأعضاء منظمته واعتمادهم من قبل السلطات الأمريكية أنموذجاً يحتذى للمسلمين الأمريكيين مع أن تلك السلطات على علم ودراية، أو يفترض أن تكون على علم ودراية بآراء العمودي وارتباطاته بالمجموعات المشبوهة؟.

لئن كان السقوط المريع للعمودي قد جعل قضيته فريدة ونادرة، فإن تداعياتها والمسائل التي أثارتها تلك القضية قلّما تقتصر عليه

(11) الحديث الأصلي متاح على الموقع:
http://www. investigativeproject. org/article/218

(12) American Muslim Council, 9.

وحده، أو على الولايات المتحدة من دون سواها؛ وإنما من الأحرى أنها تلقي الضوء على أوضاع شائعة ومعروفة حقاً لدى جميع الدول الغربية، التي ظلت حكوماتها تواصل حثيث مساعيها طوال العقدين المنصرمين للتعرف إلى ممثلين للمسلمين بتلك الدول يكونون معتدلين حسب رأيها لتحديدهم متحدثين باسم هؤلاء المسلمين. ومع أن الظروف والتجارب تتفاوت من دولة إلى أخرى، إلا أن أغلبها تشترك في أنماط متماثلة، وتعترضها مصاعب متشابهة. وقد ظل الجدال مستعراً أواره – لا سيما عقب أحداث الحادي عشر من سبتمبر تحديداً– ويبدو أنه سيستمر إلى ما لا نهاية، حول من ينبغي أن تختاره الحكومات الغربية من أفراد وجماعات لتمثيل الجاليات الإسلامية المحلية بدول تلك الحكومات. ولعل ما تشير إليه قصة العمودي بصورة مثيرة أن خيارات من هذا القبيل ليست سهلة على الإطلاق، ويعزى ذلك إلى أسباب تكمن في صميم آليات التفاعلات الداخلية واعتبارات القوى الدافعة للحراك الداخلي للمجتمعات الإسلامية الغربية، وكذا التعقيدات التي تستبطنها أساليب تعاطي الحكومات الغربية وتعاملها مع مسائل على غرار ما تقدم.

بزوغ فجر الإسلام في الغرب

شهد عام 710م أول اتصال بين أوروبا والعالم الإسلامي، الذي كان وقتها لا يزال فتيّاً[13]. فقد عبر المسلمون المنضوون تحت راية القائد الأسطوري طارق بن زياد من شمال أفريقيا إلى شبه جزيرة إيبيريا، ومن

(13) Bernard Lewis, Islam and the West (New York and Oxford: Oxford University Press, 1993), 3-25.

ثم بدأ القائد طارق وجنوده يتوغلون في قلب القارة، إلى أن تراجعوا بعد واحد وعشرين عاماً على يد تشارلس مارتل في بوتييرز. أما القرون الثلاثة عشر التالية فقد اتصفت بالتوترات المستمرة والصراعات المتواصلة بين أوروبا والعالم الإسلامي. ففي القرون الوسطى عندما كانت أوروبا تعاني أزمة ثقافة واقتصادية طاحنة، كانت الحضارة الإسلامية في أوج حضورها وتوهجها، بدا أن للمسلمين اليد العليا والقدح المُعلّى. وبرغم أنهم لم يتوغلوا إلى قلب القارة الأوروبية، فقد تمكنوا من احتلال الأصقاع الجنوبية والجنوبية الغربية من القارة، أو من خوض معارك في تلك الأصقاع النائية. وبحلول القرن السابع عشر بدت الحظوظ تتخذ منحىً مغايراً، حيث بدأ نفوذ المسلمين في الخبو والاضمحلال بفعل معاهدة كارلوفيتز، التي أُبرمت في عام 1699م من قبل العثمانيين عقب إخفاق حصارهم الثاني لمدينة فيينا. وبدأت القوى الأوروبية رويداً رويداً تبزّ نظيرتها في العالم الإسلامي في المجالات الاقتصادية والعلمية والمنجزات العسكرية، كما أنها بدأت تتوسع في أراضي المسلمين. وبنهاية الحرب العالمية الأولى لم تفلت من السيطرة المباشرة أو غير المباشرة إلا حفنة من الجيوب بتلك الأراضي.

أما نهاية الحرب العالمية الثانية فقد دشنت عهداً جديداً في العلاقات بين العالم الإسلامي وأوروبا؛ ذلك أن الدول الأوروبية بدأت تدرك شيئاً فشيئاً أنه لم يعد بمقدورها الاحتفاظ بالإمبراطوريات. وبعد تردد كثير أو قليل بدأت تلك الدول تمنح الاستقلال لمستعمراتها في العالم الإسلامي. علاوةً على ما تقدم فإن الطفرة الاقتصادية التي حدثت، بعد أن وضعت الحرب أوزارها، أسفرت عن حاجة الدول الأوروبية إلى الأيدي

العاملة غير الماهرة زهيدة التكلفة، إذ اكتفت تلك الدول بالمهاجرين الذين وفدوا إليها،وقدم معظمهم من الدول الإسلامية. وهكذا حصلت أعداد كبيرة من الجزائريين والتونسيين والمغاربة على فرص العمل في فرنسا، التي تربطهم بها صلات تاريخية. وقل مثل هذا عند الفلسطينيين والهنود مع بريطانيا العظمى، والأتراك في ألمانيا. أما بلجيكا وهولندا والدول الأسكندنافية فقد كانت كذلك وجهة مقصودة للأيدي العاملة المسلمة. كلا الطرفين (الدول الأوروبية والأيدي العاملة من المسلمين) كان ينظر إلى حركة الهجرة تلك بحسبانها مرحلة مؤقتة، كما أنها تمثل حلاً يحقق المصلحة ويعود بالنفع عليهما كليهما، بما يمكنهما من التصدي للمشكلات الاقتصادية الطاحنة. لقد كان الأوروبيون يفترضون أن العمال المهاجرين سوف لن يطول بهم المقام أكثر من سنوات قليلة، يسهمون خلالها في دفع عجلة النمو الاقتصادي قدماً في المنطقة ثم يعودون أدراجهم إلى بلدانهم الأصلية. وإلى مثل هذا أيضاً كان يسعى العمال المهاجرون، الذين كانوا يخططون في الأصل لجني ثمار عملهم المضني الدؤوب، لأجل اختطاط نهج حياتي جديد، يمنّون به النفس في بلدانهم الأم. لذا فإن الحكومات الأوروبية لم تستشعر الحاجة لصياغة سياسات للدمج والاستيعاب لأفراد قد يعودون سريعاً إلى أوطانهم الأصلية. وبالمقابل، اكتفى المسلمون في حياتهم الدينية بعدد قليل من المساجد المؤقتة وهذا ما دفع بعض الخبراء إلى التحدث عما أسموه «إسلام السراديب (جمع سرداب/ «سيلار إسلام» /Cellar Islam)»[14].

وبالتالي صار للإسلام والمسلمين في واقع الأمر «ظهور خفي» أو «حضور

(14) Joel S. Fetzer and J. Christopher Soper, Muslims and the State in Britain, France and Germany (New York: Cambridge University Press, 2005), 64.

غير ظاهر» فأصبحوا بمثابة الحاضر الغائب في المشهد الأوروبي[15].

لقد تغير المشهد بصورة ملحوظة في حقبة الثمانينات من القرن الماضي. ففي غمرة الانكماش في النشاط الاقتصادي من جرّاء الأزمة النفطية في عام 1974م، عمدت معظم الدول الأوروبية إلى تقييد الهجرة[16]. بيد أنه وعلى الرغم من أن الضوابط التنظيمية المفروضة حدَّت من تدفق مهاجرين جدد من العمال، إلا أن الأنظمة والتشريعات التي جرى سنُّها لجمع شتات الأسر ولمِّ شملها على نطاق القارة الأوروبية أتاحت الفرصة أمام العمال المهاجرين لكي يضمُّوا إليهم زوجاتهم وأطفالهم. وعوضاً عن العودة إلى أرض الوطن، حسمت الغالبية العظمى من العمال قرارها لمصلحة خيار الإقامة الدائمة في أوروبا مع أسرهم الممتدة. ومنذ ذلك الحين، ظل المسلمون في أوروبا في ازدياد مستمر. فقد أضيف إلى الموجة الأولى من المهاجرين جيل ثانٍ، بل وجيل ثالث من المسلمين المولودين في أوروبا، وأغلبهم من مواطني الدول التي شهدت مسقط رأسهم. وبالتحاق عدد كبير من طالبي اللجوء بالمهاجرين بطريقة قانونية، أو غير قانونية، امتد نطاق الحضور الإسلامي وتمدد في المشهد الأوروبي، حتى وصل إلى مناطق في جنوبي أوروبا لم يكن له فيها موطئ قدم من قبل. ففي يوم الناس هذا، توجد أقليات مسلمة في جميع الدول الأوروبية؛ حيث يراوح عدد المسلمين الذين يعيشون في أوروبا بين (15) و (20) مليون نسمة وفقاً لأعلى التقديرات؛ وبالتالي، أصبح الإسلام يحتل

(15) Jorgen Nielsen, Muslims in Western Europe (Edinburgh: Edinburgh University Press, 2004) vii, 8-21, 24-27, 40-44.

(16) Jocelyne Cesari, When Islam and Democracy Meet: Muslims in Europe and in the United States (New York: Palgrave MacMillan, 2004), 11-16.

المرتبة الثانية على قائمة الأديان في القارة الأوروبية[17].

بوصول النساء والأطفال، بدأ التفاعل بين المسلمين وغيرهم، ليس في المصانع فحسب، وإنما أيضاً في المدارس والمستشفيات ومشاريع الإسكان؛ وذلك في سياق التواصل مع الجهات المعنية بإدارة الشأن العام ومع المؤسسات المحلية سواءً بسواء[18]. بدأ المسلمون يعبّرون عن حاجتهم لإنشاء المساجد وإدراج عقيدتهم في مقررات الدراسة بمدارس التعليم العام، فضلاً عن تمكينهم من إقامة أفراحهم وأتراحهم طبقاً للتقاليد الإسلامية، والحصول على لحوم الذبائح وفقاً للشريعة الإسلامية،تحرّياً للحلال،واجتناباً للحرام،وهكذا ومع تحول المسلمين من عمال معينين لفترة مؤقتة إلى مقيمين بصورة مستديمة ثم إلى مواطنين، خرج الإسلام من خلفيات المشهد إلى الواجهة، وأضحى أكثر ظهوراً[19]؛ إذ صار للمسلمين حضور راسخ في أوروبا، ومن ثم أصبحوا أعلى صوتاً في المطالبة بدمج معتقداتهم الدينية في تيار المجتمعات الأوروبية، وفي أن يحصلوا على ذات الحقوق التي تحظى بها المجموعات الدينية الأخرى.

يختلف تاريخ الإسلام بأمريكا الشمالية عنه بأوروبا، في بعض

---

(17) أثير الكثير من اللغط حول العدد الفعلي ولم يتم التثبت من الإحصاءات الصادرة، فقد قدر عددهم بخمسة عشر مليون حسب التقرير الصادر في 2004 عن إدارة حرية الأديان الأمريكية ، وكما جاء بالدراسة التي أجراها في العام 2005 مركز بيو للأبحاث بعنوان:

An American Road: “Muslims and Future of Europe”

(18) Nielsen, Muslims in Western Europe, 121

(19) هذه التطورات تم وصفها بطريقة واضحة من قبل فيليب لويس في دراسته التي أجراها وسط الجالية المسلمة في برادفورد. للمزيد من المعلومات أنظر:

Philip Lewis, Islamic Britain: Religion, Politics and Identity Among British Muslims (London: I. B. Tauris, 1994).

الأوجه. فقد ظل هنالك على الدوام وجود محدود للمسلمين في الولايات المتحدة، ذلك أن بعض العبيد من غرب أفريقيا كانت لديهم بعض الممارسات الإسلامية التي ظلوا محتفظين بها طوال فترة عبوديتهم[20]. ومنذ أواخر القرن التاسع عشر حتى الوقت الحاضر، توافد المهاجرون المسلمون من الشرق الأوسط وجنوبي آسيا ومنطقة البلقان في موجات ظلت تترى تباعاً، للاستقرار في الولايات المتحدة، رغم قدومهم بأعداد أقل نسبياً مقارنة مع من قدموا إلى معظم الدول الأوروبية. نتيجةً لما تقدم، صار التنوع الشديد هو السمة المميزة للمسلمين الأمريكيين الذين يقدّر عددهم حالياً بما يراوح بين (3) و (5) ملايين؛ حيث لا تسود بينهم مجموعة عرقية، أو وطنية بعينها، بحيث تكون لها الغلبة والهيمنة والهيلمان الطاغي. ولعل ما يجدر ملاحظته بصفة خاصة هو ارتفاع عدد المتحولين إلى الإسلام، والذين تقدّر نسبتهم بأكثر من 40% من إجمالي المسلمين بالدولة[21]. يمثل الأمريكيون المنحدرون من أصول أفريقية نسبة عالية من المتحولين إلى الإسلام بصفة عامّة؛ وهم يلتزمون في كثير من الأحيان أشكالاً ذات خصوصية معينة من أشكال الانتماء إلى الإسلام مثل من يطلق عليهم اسم «أمة الإسلام».

تمتد الفوارق المميزة بين الإسلام في أوروبا والإسلام في الولايات المتحدة إلى أبعد من أنماط الهجرة والأبعاد العرقية؛ ففي حين أن المسلمين المهاجرين إلى أوروبا كانوا - ولا يزالون إلى حد بعيد -

(20) Aslam Abdullah and Casser Hathout, The American Muslim Identity: Speaking for Ourselves (Pasadena, CA: Dawn, 2003), 25-27.

(21) Cesari, When Islam and Democracy Meet, 16.

يندرجون تحت فئة العمال غير المهرة وغير المتعلمين، فإن الغالبية العظمى من المسلمين، الذين استقر بهم المقام في الولايات المتحدة وكندا، هم عبارة عن مهنيين نالوا قسطاً طيباً من التعليم، إذ غادر كثيرون منهم بلدانهم الأصلية يلتمسون سبل الاستزادة من العلم والدراسة في الجامعات الأمريكية. وينتمي أغلبهم إلى الطبقتين الوسطى والوسطى العليا، على نقيض المسلمين الأوروبيين الذين يندرجون بصفة عامة تحت فئة المستويات الدنيا، من حيث الاندماج والتكامل الاقتصادي. ويبلغ متوسط دخل الأسرة الأمريكية المسلمة ما يعادل إن لم يكن أعلى من متوسط دخل الأسرة غير المسلمة؛ كما أن نسبة خريجي الجامعات من المسلمين تزيد على ضعف النسبة المئوية على مستوى الوطن[22]. وفي حين أن قطاعات كبيرة من المجتمعات الإسلامية الأوروبية تعاني الفقر وتكابد شظف العيش وقساوة التهميش، فإن المسلمين الأمريكيين بصفة عامة اندمجوا بطريقة أسهل مع تيار الثقافة العامة في المجالين الاجتماعي والاقتصادي على حد سواء. فضلاً عما تقدم، تفضي التقاليد الأمريكية السائدة في مجال حرية التدين ومراعاة التنوع إلى إيجاد بيئة يواجه فيها استيعاب الإسلام واندماجه في التيار العام مشكلات أقل مما يواجهه في أوروبا.

ومع الفروق والاختلافات التي جرى التطرق لها آنفاً، شهد الإسلام في أوروبا وأمريكا الشمالية انفجاراً ملحوظاً في أعداد معتنقيه،ومن ثم في

(22) Muslim Americans: Middle Class and Mostly Mainstream, Pew Research Center, May 22,2007, 24-25, Western Muslim Minorities: Integration and Disenfranchisement, CAIR Policy Bulletin, Aril 2006.

مستوى ظهوره خلال السنوات الثلاثين الماضية. وبما أن مجتمعات كبيرة تكونت في معظم الدول الغربية كان لابد لصناع القرار السياسي وراسمي السياسات من معالجة مشكلة الضبط الإداري والمؤسسي للإسلام[23]. تعترف جميع الدول الغربية بحريّة التدين، ولكن توجد بينها اختلافات جوهرية في سبل استيعاب وتيرة الممارسة الدينية وضبطها ؛ وقد تبلورت معظم تلك السبل عبر القرون، وتخلّقت في رحم الحراك والتفاعلات التي طالما كانت تتسم في أغلب الأحيان بالتوتر بين أغلب الكنائس ومؤسسات الدولة[24]. وقد تم التعرف إلى حقوق الطرفين وواجباتهما بطريقة تدريجية، إذ تم تعريف تلك الحقوق والواجبات من خلال تشكيلها في قوالب وصيغ تراوح بين كنائس الدولة في انجلترا والدول الأسكندنافية والفصل الصارم (الذي يدور محوره حول الخصومة والتنافر) بين الدين والدولة، على غرار ما يتصف به النظام الفرنسي. ولمّا كان لزاماً على الإسلام كقادم للتو إلى الفروق والاختلافات والأنماط الراسخة، فإن إخضاعه للضبط المؤسسي يتفاوت بشكل ملحوظ من دولة إلى أخرى[25].

(23) استعمل لفظ «حوكمة الإسلام» من قبل مارسيل موسين لوصف «الطرق والأنماط المختلفة لحوكمة وتوجيه وتمكين الإسلام في أوروبا الغربية» وينطبق نفس المفهوم على أمريكا الشمالية. أنظر:
Marcel Maussen, The Governance of Islam in Western Europe: A State of the Art Report, IMISCOE, working paper No. 16, December 2006, 5.

(24) See, for example, Matthias Koenig, "Incorporating Muslim Migrants in Western Nation States: A Comparison of the United Kingdom, France and Germany," Journal of International Migration and Integration 6(2), 219-34, Silvio Ferrari, "The Security of the State and the Shaping of Muslim Representative Organizations in Western Europe," in Jocelyne Cesari and Sean McLoughlin, eds. , European Muslims and the Secular State (Aldershot: Ashgate, 2005).

(25) Fetzer and Soper, Muslims and the State in Britain, France and Germany, 1-21

مجتمع بلا قيادة

لعل مشكلة الوضع القانوني للإسلام هي إحدى المشكلات الرئيسة التي كانت تواجه عدداً من الدول الغربية [26] ذلك أن جميع الدول تكفل تماماً الحرية الشخصية للتدين، بيد أنها قد تتخذ أساليب متغايرة للتصدي إلى التدين المنظّم. ففي دول مثل الولايات المتحدة، أو بريطانيا العظمى، أو هولندا يمكن للمجموعات الدينية أن تكوّن نفسها وتمارس أنشطتها دونما أدنى حاجة لأي ترخيص أو تصريح حكومي؛ إلا أنه في عدد من الدول الأوروبية لا يكون بمقدور المجموعات أن تستفيد من مختلف المزايا القانونية والمالية، إلا إذا كانت تحظى باعتراف الحكومة. تندرج كل من ألمانيا، وإيطاليا، وأسبانيا، وبلجيكا، تحت قائمة الدول التي تعتمد على نظام المواثيق، أو الاتفاقيات البابوية، كتلك التي تنعقد بين البابا والحكومة لتنظيم الشؤون الكنسية؛ حيث ينبغي للمجموعات الدينية أن تخضع لعملية فرز وتمحيص، يتسنى من خلالها التأكد من التطابق مع القيم المرعية في الدولة، كما يتوجب على تلك المجموعات إبرام اتفاقيات مع الدولة لتحصيل الفوائد والحصول على الحقوق التي جرت العادة على منحها بصورة تقليدية للكنائس النصرانية. قلة من الأساليب المختلفة للحصول على الاعتراف القانوني بالإسلام هي التي ظلت خالية من المصاعب والتعقيدات والجدال.

إن معظم الجوانب الأخرى لحوكمة الإسلام، وإخضاعه للرقابة

---

(26) للاطلاع على نظرة شاملة لمختلف الأساليب التي اتبعتها كل دولة أوروبية، أنظر:
Brigitte Marechal, "Dealing with European States," in Brigitte Marechal, Stefano Allievi, Felice Dassetto, and Jorgen Nielen, Muslims in the Enlarged Europe (Leiden/Boston: Brill, 2003), 153-80.

المؤسسية في الغرب، وبصفة خاصة في أوروبا، قد تعرضت أيضاً لمشكلات خطيرة، أو تسببت فيها. مع استثناءات قليلة، ما فتئت الدول الغربية تكافح في تحديد كيفية تدريس مادة التربية الإسلامية لأطفال المسلمين في مدارس التعليم العام، بل وتحديد ما إذا كان من الممكن تدريس تلك المادة في تلك المدارس ابتداءً. أما بناء المساجد والمدافن الإسلامية فقد كان في الغالب يشعل فتيل المواجهات السياسية عطفاً على عدم وضوح القوانين ذات العلاقة. ومع كل الجهود المبذولة في بعض الدول فإن المؤهلات والأوضاع القانونية لمعظم الدعاة والأئمة، الذين يلقون المواعظ في المساجد بالدول الغربية، لا تخضع لنظام ضابط أو ضوابط تنظيمية معينة ما يؤدي إلى مشكلات عدم العدالة والمساواة في معاملة علماء الإسلام، ويسمح بفرز الأصوليين المتشددين.

هنالك عدة أسباب لما تقدم، فهنالك الزيادة الهائلة في عدد المسلمين المقيمين في الغرب خلال فترة زمنية وجيزة نسبياً؛ نشوب أي نزاع أو جدال يتعلق بالإسلام يتحول إلى قضية سياسية، ويجرى تسييسه ونبذه بطريقة غير معهودة، بصفة خاصة في عالم ما بعد الحادي عشر من سبتمبر؛ ومناهضة مختلف القوى السياسية ومقاومتها لتقديم عدد من التنازلات للإسلام، إن لم يكن كل التنازلات؛ حيث لعبت جميعها دوراً في ذلك. وثمة عامل حاسم آخر ربما كان أقل وضوحاً يتمثل في أن المجتمعات الإسلامية الغربية، بأكملها تقريباً، تفتقر إلى القيادة الموحدة. لقد تمكنت معظم المجموعات الدينية الأخرى، من كنائس الأقلية المسيحية، إلى المجموعات اليهودية، والبوذية، من تحديد قياداتها التي تنضوي في الغالب تحت مظلة المنظمات، ويمكن تصنيفها بصورة مشروعة كجهات

تمثيلية لتلك المجموعات، ويمكنها أن تقوم مقامها، وتتحدث باسمها مخاطبةً صنّاع القرار السياسي، وتسعى في تزويدها بالمزايا القانونية والمالية، التي جرت العادة على منحها الكنائس الرئيسة.

وبالمقابل ظلت مهمة إيجاد متحدثين باسم مختلف الجاليات الإسلامية في الغرب تتصف بالصعوبة البالغة. فقد تعامل كثير من الحكومات مع تشكيلة واسعة من المنظمات التي تكافح لكي يتم تعيينها، لتمثيل المجتمعات الإسلامية التي لا ترغب في التعاون مع المنظمات المنافسة لها. فأي من هذه المنظمات هي التي ينبغي أن تجلس على طاولة الحوار مع الحكومة، لمناقشة مسائل من قبيل تنظيم عملية نحر الذبائح وفقاً للطريقة الإسلامية، أو استصدار تشريع يجيز للمسلمين عدم الذهاب إلى العمل في يوم الجمعة؟ وأي من هذه المنظمات ينبغي أن تشارك مع الحكومة في صياغة برامج لتدريس الإسلام في مدارس التعليم العام، أو تدريب الأئمة والدعاة ؟ وكما قال أحد المعلقين: «عندما يبحث المسؤولون الحكوميون عن متحدث مسؤول، يجدون أن صوت المسلمين صوت متنافر النغمات بدلاً عن أن يكون متناغماً»[27].

إن هذا النشاز والتنافر في النغمات هو نتاج إفراز مباشر للتنوع الشديد في الجاليات الإسلامية في الغرب، التي تشهد انقساماً عميقاً من حيث الأصول العرقية، والوطنية، والفروق اللغوية، والطائفية، والآراء السياسية[28]. وفي واقع الأمر يتساءل كثيرون، في دهشة وتعجب، عما

(27) Jytte Klausen, The Islamic Challenge: Politics and Religion in Western Europe (New York: Oxford University Press, 2005), 81.

(28) Carolyne M. Warner and Manfred W. Wenner, “Religion and the Political Or-

إذا كان من الأنسب أن يتم التحدث عن «الجاليات الإسلامية» بدلاً عن جالية إسلامية واحدة موحدة»[29]. وبرغم أن بعض الفوارق -تحديداً تلك التي تمتد على طول الخط العرقي واللغوي- قد بدأت تذوب ببطء مع ظهور الجيل الجديد من المسلمين المولودين في الغرب، فإنها تنعكس في العدد المرتفع من المنظمات المتمايزة، التي تكونت على مر العقود القليلة الماضية.

لأجل التصفح المأمون لهذا المشهد بالغ التعقيد، يجمل أولاً أن يتم تمييز، ومن ثم تصنيف هذا العدد الضخم من المنظمات الإسلامية العاملة في الغرب، حتى وإن كانت هذه المهمة تنزع بطبيعة الحال، وعلى نحو لا يمكن تفاديه، إلى ما يمكن وصفه بالتبسيط المخل. هنالك سمة مميزة رئيسة يمكن الوقوف عليها بين المنظمات ذات الطابع الديني، والمنظمات غير الدينية. خلال المرحلة الأولى لهجرات المسلمين، تم تأسيس معظم المنظمات، في المقام الأول، على أساس الروابط الثقافية والعرقية؛ بينما كان العامل الديني ثانوياً. لقد تم تكوين اتحادات العمال، والدوائر الثقافية، وما أطلق عليه مسمى «الصداقات (amicales)» بصفة رئيسة من قبل المهاجرين الأتراك، ومهاجري شمالي أفريقيا لتقديم الخدمات للأعضاء، والحفاظ على التقاليد الثقافية لتلك المجموعات. ولما كانت تلك الاتحادات والدوائر وما في حكمها مصنفة في العادة على

---

ganization of Muslims in Europe," Perspectives on Politics 4, no. 3 (September 2006), 457-79.

(29) Jan Rath, Rinnus Pennix, Kees Groendendijk, and Astrid Meyer, "The Politics of Recognizing Religious Diversity in Europe: Social Reactions to the Institutionalization of Islam in the Netherlands, Belgium and Great Britain," Netherlands Journal of Social Sciences 35 (1), 53-70, Philip Lewis, Islamic Britain, 52.

أساس الجنسية، وترتبط بروابط وثيقة مع الموطن الأصلي، أو الوطن الأم، فقد كانت تعمل في الغالب تحت رعاية سفاراتها.

كانت تلك المنظمات على وجه ما تسمى «إسلامية» فقط من باب الوصف. فأعضاؤها مسلمون ولكن مرتكزاتها ليست دينية بحال. ومع أن أفراد الأجيال الشابة أقل ارتباطاً بالاتحادات وثيقة الارتباط بأوطان آبائهم التي تمثل مسقط رأس هؤلاء الآباء إلا أنَّ تلك المجموعات ما فتئت تمثل شريحة مهمة من شرائح منظمات المسلمين في الغرب. أما المجموعات الأخرى فهي تركز في الغالب في موضوعات وقضايا محددة، مثل: حقوق المرأة، أو الأحوال في منطقة بعينها. ومع هذا فقد ازداد عدد المنظمات الدينية الإسلامية بصورة ملحوظة خلال العقدين المنصرمين، في تطور رفدته عدة عوامل. ففي الدول الإسلامية جاء الانحسار في موجة التأميم، التي تعود بصفة عامة إلى حقبة السبعينات من القرن المنصرم، متزامناً مع عودة صيغ مختلفة من التدين الإسلامي في سياق الصحوة الإسلامية. وفي الغرب فإن الجيل الأول والجيل الثاني والجيل الثالث من المهاجرين المسلمين، الذين يناضلون لأجل التكيف والتأقلم مع إيقاع الحياة في الغرب، وجدوا أيضاً ضالتهم المنشودة في الإسلام كمصدر للهوية الثقافية.

إن المنظمات الدينية أكثر تنوعاً من نظيراتها غير الدينية. ولعل أول سمة فارقة مهمة هي التي تمتد على طول الخطوط الطائفية مع أنها ليست بين السنّة والشيعة - كما هو الشأن في أجزاء من العالم الإسلامي. وباستثناء بعض تجمعات الشيعة اللبنانيين والباكستانيين والإيرانيين

(الإيرانيون يمثلون بصفة خاصة مجتمعاً له حجمه في الولايات المتحدة)، فإن الغالبية العظمى من المسلمين المقيمين في الغرب هم من السنّة، ولكنهم قلّما يشكلون كتلة متراصّة ومتناغمة بشكل كلّي. وفي واقع الحال، وبما أن الإسلام السنّي يرفض قبول سلطة مركزية (خلافاً لما هو الحال لدى الكاثوليك وبدرجة أقل لدى الإسلام الشيعي) فإنه في صميم طبيعته يشجع المنظمات على أن تستشري وأن تتكاثر كما الفطر، أو أن تتنافس فيما بينها لجذب المناصرين واستقطاب المؤيدين[30].

ثمة مبدأ ثان للتمييز، وهو على ذات القدر من الأهمية في تفسير التشظي الذي يعانيه التنظيم الإسلامي في الغرب – ألا وهو المبدأ العرقي (الإثني) أو بتحديد أكثر، الوطن أو الجنسية[31]. تكاد المنظمات الدينية أن تكون على الدرجة ذاتها من التقيد الصارم من حيث النزوع إلى التمايز، لا سيما على طول الخطوط الوطنية، وذلك على نحو يفوق ما ينطبق على المجموعات العرقية الرئيسة الأربع أي (العرب، والأتراك، والهنود / الباكستانيون، والأفارقة من شبه الصحراء). أما المجموعات العرقية الأخرى كالأمريكيين المنحدرين من أصول أفريقية، والأكراد والألبان والصوماليين، فإنهم بصفة عامة لديهم أيضاً مساجدهم ومنظماتهم الخاصة بهم. إن التقسيم القائم على أساس الموطن الأصلي والبعد العرقي أصبح أقل حدة، بعدما ترعرع أفراد الجيلين الثاني والثالث من المهاجرين المسلمين وشبّوا عن الطوق؛ ولكن هذه التصنيفات لا تزال

---

(30) Cesari, When Islam and Democracy Meet, 154.

(31) Warner and Manfred W. Wenner, "Religion and the Political Organization of Muslims in Europe,"

موجودة وقائمة، وهي تمثل عقبة كؤود تعترض سبيل إيجاد قيادة موحدة للمسلمين.

أخيراً فإن الانقسامات بين المنظمات الدينية تنشأ عن ارتباطات تلك المنظمات بالجهات الأجنبية والحركات الانتقالية. ومنذ المراحل المبكرة من هجرة المسلمين إلى الغرب سعت القوى الخارجية، بلا هوادة، إلى أن تجد لها موطئ قدم للتأثير في مسار تطور الإسلام في الغرب، من خلال توظيف نفوذها المالي وزخمها الأيديولوجي على حد سواء. أما القوَّتان اللتان كانتا ناشطتين وأحرزتا نجاحاً في هذا المضمار، مع أنهما كانتا متنافستين في الوقت نفسه، تنافساً شرساً ومحموماً في أغلب الأحوال، فهما ما يسمى إسلام السفارات، والحركة الإسلامية العالمية.

إن عبارة إسلام السفارات «Embassy Islam» هي العبارة التي تستخدم في كثير من الأحيان لتوصيف الشبكات التي تقيمها حكومات حفنة من الدول الإسلامية، التي شاهدت الملايين من مواطنيها يشدون الرحال منها ميممين صوب الغرب. وبدافع من حماس له دوافعه السياسية والمالية، فضلاً عن الدواعي الأمنية لمواصلة إحكام السيطرة على مجتمعات مواطنيها المهاجرين، أقدمت حكومات كل من تركيا والجزائر والمغرب، وبدرجة أقل تونس ومصر، على إقامة مؤسسات ومنظمات تفي بالاحتياجات الثقافية والتعليمية والدينية لمواطنيها الذين يعيشون في أوروبا. وبحسبان هذه المؤسسات والمنظمات و «إدراك» أنها لسان حال الحكومات، فإن تلك المؤسسات والمنظمات تروج وتدعو بصفة عامة إلى ما جرت العادة على عده إلى حد بعيد، تفسيراً معتدلاً للإسلام، ومحاولة

لتعزيز روابط معتنقيه، وترسيخ أواصر ارتباطهم بأوطانهم الأم. وتنشط بصورة مكثفة بصفة خاصة الشبكة التي أقامتها الدولة التركية في أوروبا، حيث تنهض وزارة الشؤون الدينية في تركيا بأعباء التسيير والإشراف على المئات من المساجد، كما يوجد لديها أكثر من 1200 إمام مسجد في جميع الدول الأوروبية، التي تستضيف مجموعة كبيرة من المهاجرين الأتراك[32].

لقد سعت الحركة الإسلامية العالمية أيضاً إلى التماس النفوذ والتأثير في الإسلام بالغرب. فقد بدأت الحركات الانتقالية مثل حركة الإخوان المسلمين، والجماعة الإسلامية، التي تتخذ من جنوبي آسيا مقراً لها في تأسيس مجموعات صغيرة، وفي أغلب الأحيان غير رسمية، من الشبكات في أوروبا وأمريكا الشمالية في خمسينات القرن الماضي، من خلال مجرد استغلال الغرب درعاً واقياً من التعرض للمساءلة القانونية والمحاكمات التي كانوا يتعرضون لها، ويعانون أيّما معاناة في أغلب دولهم بالعالم الإسلامي. ومع مرور الوقت أصبحت هذه الشبكات جزءاً من خطة أكثر طموحاً كانت تستهدف بقية المسلمين في الغرب، لنشر رؤيتهم عن الإسلام بوصفه نظاماً شاملاً للحياة. إن المنظمات التي تنتمي إلى هذه الحركة الأيديولوجية الفضفاضة والمتنوعة، والتي تمثل الموضوع الأساسي لهذا الكتاب قد حققت نجاحاً ملموساً خلال السنوات العشرين الماضية، حيث كانت في الغالب تحقق حضوراً لافتاً من خلال نشاطها الحركي.

---

(32) Interview with Turkish Government official, Istanbul June 2008, Ali Bardakoglu, “Moderate Perception of Islam and the Turkish Model of the Diyanet: The President’s Statement,” Journal of Muslim Minority Affairs 24, no. 2 (October 2004).

يكتنف التعقيد آليات القوى المحركة للعلاقات بين تلك المجموعات المتنوعة، التي تزداد يوماً بعد يوم كمجموعات غير دينية ودينية ويراوح ذلك بين التعاون العرضي والمواجهة الصريحة مع أن المنافسة أمر عادي. يمثل الغرب سوقاً دينياً جديداً للبضاعة الإسلامية وتتنافس المنظمات للتأثير والنفوذ داخل المجتمعات الإسلامية والمؤسسات الغربية على حد سواء. وهذا المشهد المتنوع يتغير من يوم إلى آخر مع تغير أهمية حضور المؤسسات صعوداً وهبوطاً، بما يعكس، ليس بالضرورة أعداد الملتزمين بخطها، وإنما وسائل التأثير التي في حوزتها.

في واقع الأمر لا يرتبط أغلبية المسلمين في الغرب بأي تنظيم. فقد ظلت الدراسات التي أجريت في عدة دول تشير، على الدوام إلى أن المسلمين المنخرطين في الأنشطة، أو حتى المنتمين إلى المجموعات الإسلامية لا يزيدون على ما تراوح نسبته بين 10% و 12% من المسلمين بالغرب، ما يدل بدوره على وجود أغلبية صامتة لا يخالجها أي شعور بأن هنالك من يمثلها من بين أي من التنظيمات المتنافسة[33]. علاوة على ما تقدم ومع أن تحديد الأرقام والنسب المئوية الدقيقة ضرب من المحال

---

(33) Brigitte Marechal, "The Question of Belonging," in Brigitte Marechal, Stefano Allievi, Felice Dassetto, and Jorgen Nielen, Muslims in the Enlarged Europe (Leiden/ Boston: Brill, 2003), 100, Bernard Godard and Sylvie Taussig, Les Musulmans en France (Paris: Robert Laffont, 2007), 35.

أظهر مسح أجري في الدنمارك في عام 2007 بأن 5٪ فقط من المسلمين الدنماركيين يذهبون إلى المساجد أو يتحدثون إلى إمام المسجد مرة واحدة على الأقل في الشهر، ونادرا ما يشاركون في الاحتفالات الدينية

(Kirsten Nilson, "Imamers indflydelse er begraenset," Politiken, March 12,2007).

وفي دراسة أخرى أجريت في العام 2008 ثبت بأن 72٪ المسلمين الهولنديين من ذوي الأصول المغربية نادرا أو لا يذهبون بتاتاً إلى المسجد

("Marokkaanse jongeren willen soepeler geloof," Een Vandaag, September 29,2008).

فإن الدراسات تشير،أو تشي، إلى أن معظم المسلمين يمكن تصنيفهم ضمن فئات المسلمين وفق أسس «ثقافية» أو «اجتماعية» [34] فهم إنما يفسرون عقيدتهم تماماً كما يفعل معظم الغربيين المعاصرين، وبصفة خاصة أغلب الأوروبيين، بحسبان العقيدة عبارة عن محض موروث ثقافي وتقليد عائلي صرف ومصدر للهوية، ولكنها ليست مركزاً يدور عليه محور حياتهم. فقد يكون بعضهم من «اللا أدريين» ويكون بعضهم الآخر ممن لا يكترثون بالدين أصلاً، ولا يلقون له بالاً أو يقبلون بالإسلام مجرد طقوس شكلية لبعض المناسبات «كالزواج مثلاً» من غير أن يكون له أي أثر في الحياة اليومية.

بيد أن كثيراً من المتدينين من المسلمين الملتزمين، الإسلام ممارسة وعبادةً، يظلون أيضاً مستقلين عن التنظيمات، وقد شكلوا وطوروا أساليب جديدة تقوم على الفردية والتمحور حول الذات، واتخذوها سبيلا للحياة وطوقاً للنجاة، وينطبق ذلك بصفة خاصة على الجيلين الثاني والثالث، وهذه الصيغ الهجين تنبثق في الغالب عن الجمع بين العناصر التقليدية في الإسلام وجوانب الحياة الغربية وهي مستقلة تماماً عن أي هيكل أو بناء تنظيمي[35]. ويتصف آخرون بالرشد والسلوك القويم امتثالاً للتعاليم الإسلامية وقد يكونون من المنتظمين في ارتياد المساجد التي يختارونها بمحض إرادتهم، ولكنهم لا يقرون بأنهم ينتمون إلى أيٍّ من

(34) Marechal, "The Question of Belonging," 9-10.

(35) Interview with Geneive Abdo, Washington, D. C. , October 2008, Jocelyne Cesari, "Islam in France: The Shaping of a Religious Minority," in Yvonne Yazbeck Haddad, Muslims in West: From Sojourners to Citizens (Oxford: Oxford University Press, 2001), 41-42.

التنظيمات الإسلامية العاملة في الغرب.

البحث عن شركاء

نتيجة للتشظي الداخلي والانقسامات داخل المجتمع والتردد المنتشر على نطاق واسع بين الأفراد إزاء الانتماء والانتساب إلى أي تنظيم، لم يحقق أي من تلك التنظيمات العاملة في الغرب أي نجاح يذكر، في استقطاب أي شيء قريب من الأغلبية من المسلمين. وقد تمكنت بعض التجمعات في مدن أو مناطق معينة من تكوين تنظيمات شمولية، تبدو وكأنها تمثل الأغلبية تمثيلاً مشروعاً داخل المجتمع الإسلامي المحلي[36]. ومع هذا لا توجد دولة غربية يوجد بها مسلمون تمكنوا من تأسيس تنظيم فعلي يمثلهم بحق وحقيقة على المستوى الوطني.

ولعل هذا الافتقار إلى القيادة الموحدة هو الذي أفضى بشكل ملحوظ إلى عرقلة المساعي الرامية إلى فرض الرقابة المؤسسية على الإسلام في عدد من الدول، التي تقضي أنظمتها الدستورية بأن يتم الإقرار بالمجموعة الدينية، وأن يتم الاعتراف بها من قبل الدولة، لكي يتسنى لها أن تتمتع بمختلف الحقوق والمزايا،وإن عملية الاعتراف كانت مباشرة وخالية من التعقيدات في الدول الأوروبية القليلة التي توجد بها أقليات إسلامية راسخة لأسباب تاريخية. على سبيل المثال في بعض دول أوروبا الشرقية مثل بلغاريا ورومانيا يمثل المفتي السلطتين السياسية

(36) يعتبر مجلس مساجد برادفورد، مؤسسة منتخبة تمثل مختلف الطوائف الدينية بهذه المدينة البريطانية، خير مثال لمنظمة تمثيلية على المستوى المحلي. أما في ولاية سكسونيا السفلى الألمانية فإن الرابطة الوطنية للشورى تتمتع بنفس المزايا.

والروحية على حد سواء، حتى وإن كانت الصفة القيادية للمفتي قد تواجه في كثير من الأحيان اعتراضات القوى المنافسة داخل المجتمع الإسلامي، إلا أن الهيكل المؤسسي يقر بوجود جهة اتصال، أو حلقة وصل رسمية للتواصل مع الحكومة في كل من بلغاريا ورومانيا. أما في اليونان فقد تأسس وضع الجالية الإسلامية، وتقرر بموجب معاهدة لوزان للسلام، التي أبرمت في عام 1923م مع تركيا. لقد تم تفصيل الترتيبات على مقاس متطلبات التعامل مع أقلية تركية ذات حجم معتبر، هي أقلية «ثراس»، بيد أنها أصبحت تتضاءل يوماً بعد يوم عن تحقيق مقتضيات علاقة الدولة مع الجالية الإسلامية الجديدة، التي تمثل قوامها إلى حد بعيد في المهاجرين[37]. وفي الآونة الأخيرة أقدمت كل من النمسا وإسبانيا وبلجيكا على سن تشريعات يتم بموجبها تحديد جهة تمثيلية، لتكون بمثابة المتحدث الرسمي، أو حلقة الوصل الرسمية مع الحكومة. ومع أن التنفيذ اليومي لهذه الترتيبات لم يكن دائماً على ما يرام، إلا إنها مع ذلك تمثل الأساليب الأكثر تقدماً في ما يتعلق بالتكييف المؤسسي للإسلام، ذلك أن معظم الدول الأوروبية لم تتحرك قيد أنملة أبعد من الجدل النظري والتنفيذ التجريبي.

حتى يوم الناس هذا ظلت الحكومات في أوروبا وأمريكا الشمالية تتبع أساليب مختلفة لتحسين الوضع في هذا الخصوص. فقد اختارت بعض تلك الحكومات، وبطريقة أقرب ما تكون إلى خبط عشواء، تنظيماً

(37) Yorgos Christidis, "The Muslim Minority in Greece," in Gerd Nonneman, Tim Niblock, and Bogdan Szajkowski, eds. , Muslim Communities in the New Europe (Berkshire, UK: Ithaca Press, 1996), interview with Greek Politician, Washington D. C. , June 2007, interview with Kostas Lavdas, Medford, MA, October 2007.

إسلامياً واحداً، تتعامل معه وتقصر تعاملها عليه، في جميع المبادرات من الأوجه كافة تقريباً؛ بينما عمدت حكومات أخرى إلى التشجيع على تكوين تنظيمات ذات مظلة وطنية. فقد قررت كل من فرنسا وإيطاليا تكوين جهات تمثيلية يعمل كل منها شريكاً رسمياً لكل من الحكومتين (يتم الاختيار وفق معادلة مثيرة للجدل تقوم على أساس مساحة المسجد بالأمتار المربعة وبالتعيين الحكومي على التوالي). وإذ لم تتمكن دولة بعد من الوصول إلى حل مقبول، فإن صناع القرار في جميع الدول الغربية ما فتئوا يسابقون عقارب الساعة، في حثيث سعيهم في الوصول إلى أساليب أفضل، لإتاحة فرصة المشاركة أمام جموع المسلمين بتلك الدول.

عند إقامة علاقات مع أي مجموعة دينية، تبحث السلطات في الدول الغربية عن ممثل / منسق يفي بمطلبين أساسيين، هما تحديداً توفّر الصفة التمثيلية والموثوقية (إمكانية الثقة بالمنسق والاعتماد عليه)[38]. بمعنى أن المتحدث أو المنسق (سواء كان تنظيماً ذا غطاء وطني، أو أي شكل من أشكال الهيئات الجماعية) يتعين الاعتراف به من قبل أغلبية أعضاء المجموعة الدينية المعنية، ممثلاً قانونياً لهم، يقوم مقامهم. وفي الوقت نفسه، يجب أن يقر الممثل بالإطار الدستوري الأساسي للبلاد، حتى في أثناء احتمال شغل مناصب قد تتعارض مع المناصب الحكومية. وللحكم على المنسق بأنه ذو موثوقية، يجب عليه أن يشارك وينخرط بصورة معقولة، وأن يتقبل الأحكام الصادرة بموجب العملية السياسية (هذا الشرط مقابل لمفهوم الولاء لدى المعارضة في التقاليد الأنجلو-

(38) استخدمت مارسيل موسين تعبير «تمثيلي» و«معقول» بنفس الطريقة. أنظر:
Maussen, The Governance of Islam in Western Europe, 36.

سكسونية، وإن كان ذلك بصورة مبهمة غير واضحة)[39].

إضافة إلى هذين المطلبين، اللذين يمثلان الحد الأدنى، بدا أن الحكومات الغربية أدرجت مطلباً إضافياً ينطبق حصراً على التنظيمات الإسلامية من دون سواها، وهو المواكبة أو العصرانية (modernization). ولعل مما يجمل التوكيد عليه هو، أن قضايا الاستيعاب والدمج الثقافي والتطرف، قد تنشأ أيضاً في أوساط المجموعات الدينية الأخرى، وإن كانت قد تجلّت بطريقة واضحة بصفة خاصة في التنظيمات الإسلامية، وخصوصاً في أوروبا. لقد تجاهلت الحكومات الغربية الطبيعة التمييزية الواضحة لهذا المطلب الأساسي، وركزت بشكل خاص في إيجاد ممثلين عن الجاليات الإسلامية، ممن يعتنقون القيم المتطابقة مع قيم الدولة، ويشجعون على الاندماج في إطار التيار الوطني العام بتلك الدولة.

إن مصطلح البحث عن «مسلمين معتدلين» هو مصطلح قابل للتلوين حسب الأهواء والتحريف حسب الأجواء لأنه في صميمه مثير للجدل وغامض، يكتنفه اللبس ويقوم على النظرة الذاتية غير الموضوعية. ومع هذا فقد ظل يمثل أحد المبادئ الاسترشادية الموجهة لجهود الحكومات الغربية الرامية إلى إيجاد ممثلين. ومع أن مشكلات الغلو والتطرف والتشدد ظلت قائمة منذ عشرات السنين، فقد احتلت صدارة المشهد العام في بيئة ما بعد الحادي عشر من سبتمبر. وعلى هذا فإن أحداثاً من قبيل تفجيرات لندن في يوليو 2005م، واغتيال ثيو فان جوخ في نوفمبر

(39) Interview with Anna Seley, Medford, MA, Novermber 2007, Anwar Alam, "Muslim Minority, Multiculturalism and Liberal State: A Comparison of India and Europe," paper released by the University of Paris 1-Panteon-Sorbonne.

2004م، واعتقال المئات من المسلمين المولودين في أوروبا ممن انضموا إلى التنظيمات الإرهابية منذ الحادي عشر من سبتمبر، قد أفضت في مجملها إلى أن تصبح الحاجة إلى التماس الشراكة مع قادة إسلاميين معتدلين أكثر إلحاحاً. وفي الوقت الحالي، يتبادل صانعو القرار في الدول الغربية الأفكار فيما بينهم وينهمكون في تفاهمات على نطاق واسع، بعدما تبلور لديهم فهم مشترك مفاده أن دواعي الأمن في بلدانهم تجعل من تحسين علاقات حكومات تلك الدول مع جالياتها الإسلامية أمراً بالغ الأهمية وضرورة لا مندوحة عنها، وأنه لتحقيق ذلك يتوجب عليهم إيجاد نظراء لهم، لا يمثلون الجاليات الإسلامية فحسب، وإنما يساعدون أيضاً على الحد من غلواء التطرف وكبح جماحه، يداً بيد مع التخفيف من حدة الاستلاب داخل تلك الجاليات.

لقد أصدر بعض المعلقين أحكاماً قاسية على جهود الحكومات الغربية الرامية إلى إيجاد شركاء متماهين مع أجندة تلك الحكومات. فضلاً عن هذا، فإن كثير من الأصوات في الأوساط الإسلامية ترفض جملة وتفصيلاً فرض أي شكل من أشكال الإخضاع للضبط المؤسسي، إذا كان مشروطاً بمتطلبات العصرانية، التي لا تقوم على أسس واضحة ذات مقصد محدد، خشية أن يفضي ذلك في نهاية المطاف إلى فرض نوع من الوصاية، التي من شأنها إخضاع الإسلام لرغبات الحكومات الغربية[40]. ففي مقال يحمل عنواناً كاشفاً عن مغزاه ومتحدثاً عن نفسه بنفسه: «الإمام الجيد أمام الرديء: الدين المدني والدمج والاستيعاب على المستوى الوطني في بريطانيا بعد الحادي عشر من سبتمبر»، كتب

(40) Marechal, "Dealing with European States," 156.

جوناثان بيرت منتقداً الحكومة البريطانية التي لم تبد كبير اهتمام في السابق بالجالية الإسلامية، لمحاولتها تشكيل القيادة الإسلامية في البلاد و«قولبتها» في نوع من «التديّن المدني»، أسوةً بما يجري مع كنيسة إنجلترا، ودرجاً على ذات النهج المتبع مع تلك الكنيسة[41]. كتب جوناثان يقول إن الإمام الجيد هو الذي تتجسد فيه الفضائل المدنية والتسامح الديني، مع امتلاك ناصية المهارات الإدارية المهنية والدينية، وربما كان عليه أن ينخرط في الجهد والحراك الداخلي لإعادة إنتاج الحياة المدنية، ويعمل وكيلاً وعاملاً للاندماج على المستوى الوطني (والأهم من هذا كله أن يقوم بكل ما تقدم بالنيابة عن مجموعة الشباب لديه، التي يصعب لجمها وترويضها) وإعلان الجهاد ضد الغلو والتطرف.

لا مراء في أن مثل هذا النقد والتقريع لا يفتقران تماماً إلى ما يسوغهما ويسندهما، بيد أن المحاولات الرامية إلى التشديد على أن ولاء الحركات الدينية ينبغي أن يكون في المقام الأول ولاءً للدولة القُطْرية، أمر يعد من التقاليد الراسخة ضاربة الجذور في الغرب؛ ويعود عهدها إلى ميلاد الدولة الوطن[42]. إن الحاجة لاندماج المواطنين من غير استيعابهم وتذويب هويتهم بالضرورة، وإلى أن يعتنقوا بعض القيم الجوهرية أمر يكاد يكون جديداً، أو غير معقول، أو ينطوي على التمييز. أما عملية الضبط المؤسسي، فهي تصب في صميم المصلحة العليا، ليس للدولة فحسب وإنما أيضاً للجالية الإسلامية. وفي حقيقة الأمر إذا

---

(41) Jonathan Birt, "Good Imam bad imam: civic religion and national integration in Britain after 9/11," The Muslim World 4(96): 687-705.

(42) Ferrari, "The Secularity of the State. "

كان للجالية الإسلامية أن تحظى بذات الحقوق والمزايا، التي تتمتع بها المجموعات الدينية الأخرى، كان لابد إذاً من استكمال عملية التقدم التدريجي للإسلام، وفي السياق الطبيعي نحو تضمينه وإلحاقه بركب الديانات الأخرى في أوروبا[43].

محدودية الخيارات

سار الإسلام بخطى حثيثة لاحتلال المركز الثاني على الخارطة الدينية في أوروبا، بيد أن معظم الدول الأوروبية تفتقر إلى الرؤية الواضحة، والأنظمة الصريحة، التي من شأنها أن تكفل المساواة في ما يتعلق بمنح الحقوق بالنسبة إلى المسلمين بشأن مسائل من قبيل، التعليم العام وإنشاء دور العبادة والوضع القانوني للعلماء الإسلاميين. وفي الغالب يمكن أن تعزى الصعوبة في هذا الخصوص إلى غياب القيادة الموحدة في الجالية الإسلامية، مع أن العديد من المسلمين ينحون باللائمة على التمييز الذي يتم بحقهم. وأيّاً كانت التداعيات الفعلية للتمييز فإن إدراكها وفهمها من قبل المسلمين في أوروبا يمثل ظاهرة مهمة جداً، ومزعجة للغاية في آنٍ واحد، إذ أنها تفضي إلى خلق شعور بالاستلاب الذي يمكن استغلاله بسهولة ويسر من قبل معظم الأصوات المتطرفة في الجالية.

في ظل معطيات هذا الوضع تنظر معظم الحكومات حالياً في السبل الرامية إلى التنظيم المؤسسي للإسلام، ودمجه في مجتمعات

(43) Jonathan Laurence, "Integrating Islam: A New Chapter in 'Church-State' Relations," report for the Transatlantic Task Force on Immigration and Integration, October 2007.

دولهم دفعة واحدة. «إن الإهمال المبرأ من الخبث»، الذي بدر عن معظم الحكومات الأوروبية في السابق، قد تحول إلى محاولات حثيثة ودؤوبة، وفي بعض الأحيان مفرطة النشاط، للتشجيع على بلورة أنموذج إسلامي تحسبه السلطات متماهياً مع متطلبات الحياة في المجتمعات الغربية متعددة الثقافات. [44] ومع أنَّ نماذج هذا الطرح التدخلي الجديد تتفاوت إلى حد بعيد بين دولة وأخرى، بما يعكس التفاوت والاختلافات في التقاليد القانونية والتجارب التاريخية للعلاقات بين الدولة والكنيسة والأحوال والظروف المحلية، إلا أن الحكومات في جميع الأحوال تدرك ضرورة العمل والتعامل مع الجاليات الإسلامية في دولها. لأجل تطوير منهج لتدريس مفردات المقرر الإسلامي ضمن مناهج مدارس التعليم العام، أو تدريب الأئمة، أو تطبيق برامج لمكافحة الغلو والتطرف، هنالك حاجة إلى المساعدة من قبل التنظيمات والقيادات الإسلامية، التي قد تفي بصورة مثالية بالمتطلبات المنشودة المتمثلة في الصفة التمثيلية والمسؤولية والعصرانية.

بيد أنه وبسبب التشظي الشديد والانقسامات الحادة في المجتمع الإسلامي في الغرب، لا يستطيع تنظيم بعينه أن يزعم، بصورة مشروعة ويدعي، أنه يفي تماماً بالشرط الأساسي الأول، ألا وهو توافر الصفة التمثيلية. أما النمطان التنظيميان الأقرب إلى تحقيق هذا الشرط في معظم الأحيان، فهما النمط المدعوم من حكومات الدول الإسلامية، وذلك المرتبط بالحركات الإسلامية الانتقالية. علماً أنه لا يحظى أيٌّ منهما بالدعم العام الذي يؤهله، ولو من بعيد لأن يصبح الممثل الوحيد

(44) Klausen, The Islamic Challenge, 5.

للجالية الإسلامية بأكملها ولكن لديهما من دون سواهما الأدوات التنظيمية والرقابية والإشرافية على شبكة من المساجد، ما يضفي عليها طابع من لديه أتباع على مستوى الوطن في معظم الدول الغربية.

ومع وجود المنظمات التي أسستها أو دعمتها حكومات الدول الإسلامية، ظلت تلك المنظمات تعمل وتتعامل مع حكومات أوروبية متعددة منذ عشرات السنين. فعلى سبيل المثال، أبرمت عدة حكومات أوروبية اتفاقيات مع وزارة الشؤون الدينية في تركيا، ومع الكيانات التنظيمية المنبثقة عن مختلف الحكومات بشمال أفريقيا، للسماح لموظفيها بالإشراف على المساجد، وإدارتها وتدريس الإسلام للتلاميذ المسلمين في مدارس التعليم العام. إلا أنه ومع سعي الحكومات الأوروبية الحثيث في استنبات شكل من أشكال الإسلام، فإن فكرة الاعتماد على هذه التنظيمات والاتحادات تبدو غير مستصوبة، ذلك أن كثيراً من المسلمين الحاليين في أوروبا مواطنون أوروبيون، فكيف يسوغ إذاً أن يمثلهم موظفون أو سفارات من دول أجنبية؟ حتى وإن كان «التفسير المعتدل» الذي ينحو في كثير من الأحيان إلى العلمانية الذي تتبناه تلك التنظيمات بشكل عام يحظى بالتقدير، فإن هنالك إدراكاً متزايداً بأن التنظيمات الإسلامية الأوروبية التي تعمل بمنأىً ومعزلٍ واستقلال عن النفوذ الأجنبي هي فقط التي يمكن أن تضطلع بتمثيل الجاليات الإسلامية بأوروبا.

لمّا كان إسلام السفارات (Embassy Islam) غير ملائم للأغراض المرجوة، لذا عمد عدد من واضعي السياسات وراسميها إلى تحويل محور اهتمامهم وتوجيه بوصلته نحو المرشح الآخر: التنظيمات

الإسلامية الانتقالية؛ وهي مجموعات ليست دينية صرفة، بمعنى أنها اتحادات لمسلمين جمعت بينهم دواعٍ دينية «إسلاموية» في المقام الأول ولكنهم إسلاميون تقوم محاولاتهم لحشد المسلمين على أساس جوهر الاعتقاد، بأن الإسلام لا ينبغي بأي حال أن يقتصر على المحيط الشخصي للفرد، وإنما ينبغي أن ينتظم جميع مناحي الحياة بأوجهها كافة، بما في ذلك الشأن العام والحياة الاجتماعية بمجملها(45). وعليه فإن التنظيمات «الإسلاموية» هي تنظيمات ترفض البتّة فكرة أن يكون الإسلام مجرد شأن شخصي خاص، وإنما ينتسبون إلى الدعوة إلى تفسير شمولي عام يجمع، بين السياسة والدين، ويطرح الإسلام نظاماً متكاملاً أو منهجاً شاملاً للحياة (نظام إسلامي).

إن الإطار الذي تتحرك فيه التنظيمات والحركات «الإسلاموية» متنوع إلى أبعد الحدود في العالم الإسلامي، وفي الغرب على حد سواء. ولعل هذا هو أول تمييز يجمل الوقوف عليه بين الحركات الإقصائية، التي ترفض الآخر، والحركات المنفتحة على المشاركة والتعايش مع الآخر(46). أما الحركات الإقصائية فهي التي تعلنها صراحة وبلا مواربة، أن أي نظام لا يقوم على أساس تفسيرهم المتشدد للشريعة هو نظام غير إسلامي بالمرة، وبالتالي فهي ترفض المشاركة فيه بتاتاً. وهي تشمل التنظيمات

(45) وصف سعيد حوى، القيادي بفرع جماعة الإخوان المسلمين في سوريا، المنظمة الإسلامية بأنها «تلك المنظمة التي تعمل على ترسيخ الإسلام لدى الأفراد والأسر والعالم كله». سعيد حوى «الإخوان المسلمين» (الكويت: اتحاد المنظمات الطلابية الإسلامية العالمية/مطابع الفيصل الإسلامية، 1985)، 14.

(46) A similar division has been made by other scholars. See Anthony McRoy, From Rushdie to 7/7: The Radicalisation of Islam in Britain (London: Social Affairs Unit, 2006), 4 and Part III, and Jeffrey M. Bale, "Hiding in Plain Sight in Londonistan," in Michael Innes, ed. , Denial of Sanctuary: Understanding Terrorist Safe Havens (Westport, CT: Praeger, 2007), 139-51.

التي تلجأ للعنف كتنظيم القاعدة، ومجموعات مثل حزب التحرير، التي تعبر عن معارضتها للديمقراطية ولكنها في الظاهر على الأقل لا تروج للعنف، أو تتخذه وسيلة لتحقيق أجندتها. لقد استحوذت الحركات الإقصائية، ولا سيما تلك التي تلجأ إلى العنف، على اهتمام صانعي السياسات وشغلت بالهم طوال السنوات القليلة الماضية، وهو موضوع الإدانة والاستهجان من قبل راسمي السياسات والمعلقين على المستوى العالمي مع أنهم كثيراً ما يثيرون الجدل حول الأسباب المفضية إلى المواقف المتخذة من قبل الحركات الإقصائية (الرافضة للغير)، وحول الاستراتيجيات المثلى للتصدي – الذي تمثله تلك التنظيمات.

وأما الحركات المنفتحة على المشاركة مع الغير، فإن تقييمها يكتنفه التعقيد بقدر كبير. إن هؤلاء «الإسلامويين»، ولعل أبرز مثال لهم هو عبد الرحمن العمودي، يعلنون جهاراً نهاراً وعلى رؤوس الأشهاد قبولهم العملية الديمقراطية، ويسعون حثيثاً وبهمّة ونشاط إلى المشاركة في تلك العملية. وينقسم صانعو السياسات والمحللون حول حقيقة موقف تلك الحركات من حيث الأصالة أو الصدقية. ولا مراء في أن إصدار حكم صائب في هذا الخصوص يمثل أمراً بالغ الأهمية ذلك أنه وخلافاً للحركات الإقصائية، تزعم الحركات المنفتحة على المشاركة وتدعي قيادة المجتمع الإسلامي في الغرب. وبما أنها أقامت شبكة اتصالات مكثفة على نطاق الدول الغربية خلال فترة السنوات الخمسين المنصرمة، فإن هذه الحركات الإسلاموية كثيراً ما كانت تقدم نفسها ممثلاً للمجتمع المحلي، وبهذه الصفة تسعى إلى التواصل مع النخبة والتفاعل مع الصفوة في الغرب. ومع قلة عددها نسبياً وغياب أي مؤشر أو دليل واضح على

أنها تحظى بالدعم من قبل نسبة معتبرة من المسلمين في الغرب فإن لها نشاطها الحركي وكفاءتها وقدرتها على التعبئة والحشد وهذا الذي يضعها على صدارة المشهد وفي خطوط المواجهة الأمامية في معركة الاستئثار بزعامة المسلمين في الغرب[47].

في ظل أوجه القصور التي تعتري الحركات المنافسة للتنظيمات المنفتحة على المشاركة أصبحت تلك التنظيمات هي المرشح الرئيس لأن تتبوأ منصب المنسق المفضل مع الحكومات الغربية، ومن هنا تأتي الأهمية القصوى للوقوف على ماضي تلك التنظيمات، وطبيعة دورها، والأغراض التي يتوخاها مؤسسوها منها، والأهداف التي تسعى إلى تحقيقها. فهل الرغبة المعلنة لتلك التنظيمات في المشاركة والانخراط في العملية الديمقراطية صادرة عن موقف صادق وأصيل وغير زائف؟ أم أنها مجرد أسلوب تكتيكي؟ وهل تفي هذه التنظيمات بضوابط الموثوقية والعصرانية ومعاييرهما المطلوبة من قبل حكومات الغرب؟ وما مواقف الحكومات الغربية إزاء تلك التنظيمات؟ وما العناصر المؤثرة فيها؟ وبرغم تعذر إصدار حكم مؤكد وقاطع في وجه التعقيد والواقع المتجدد يوماً بعد يوم لأوضاع الإسلامويين المنفتحين على المشاركة، فإن هذا الكتاب سوف يحاول تقديم أكبر قدر ممكن من المعلومات والبيانات التحليلية للرد على الأسئلة بالغة الأهمية المطروحة أعلاه.

---

(47) Amel Boubekeur, "Political Islam in Europe: A Changing Landscape," in Amel Boubekeur, Samir Amghar, and Michael Emerson, eds., European Islam: The Challenges for Public Policy and Society (Brussels: CEPS/Open Society Institute, 2007)

الفصل الثاني

المؤسس

يعود تاريخ ما يسمى اليوم بالإسلام السياسي الحديث، أو الصحوة الإسلامية إلى أواخر القرن التاسع عشر، عندما أخذ مفكرون مثل جمال الدين الأفغاني، ومحمد عبده، ورشد رضا، في البحث عن أسباب الأزمة التي تعانيها الأمة الإسلامية. ففي الوقت الذي بدأت فيه الدول الاستعمارية بسط سيطرتها على العالم الإسلامي، راحت الشعوب الإسلامية تتساءل عن أسباب فقدانها منعتها واستلابها الثقافي. كما أخذ كثير من حكام ومفكري العالم الإسلامي في الاعتقاد أن تمسكهم بأهداب الدين هو الذي أدى إلى تخلفهم وقعد بهم عن ركب الحضارة، وأنهم من أجل تحقيق التفوق على الغرب عسكرياً، واقتصادياً، وتقنياً، وثقافياً، لا بد لهم من محاكاة النموذج الغربي، باتخاذ التصنيع والعلمانية منهاجاً للحياة.

ولكن جمال الدين الأفغاني ومريدوه كانوا يرون خلافاً ذلك. فقد احتجوا بأن حالة الذل والضياع التي تعيشها الأمة الإسلامية تعود إلى بُعدها عن تقوى الله وطاعته. فقد حاد المسلمون عن الصراط المستقيم، وضلوا واتبعوا من لا يدينون بدينهم. حتى تستعيد الأمة الإسلامية مجدها

التليد فإن عليها العودة إلى منهاج صحابة رسول الله والسلف الصالح (اشتقت منها كلمة «السلفية» التي تستخدم للإشارة إلى سلفيي القرن التاسع عشر والحركات الإسلامية المعاصرة)[1].

ولكن علينا ألا نبالغ فيما أداه جمال الدين الأفغاني، وأتباعه للفكر الإسلامي الحديث. فعلى الرغم من إسهامهم في تشكيل فهم أسباب ضعف الأمة الإسلامية وما قدموه من حلول لتلك الأزمة، إلا أن إصلاحيي القرن التاسع عشر ظلوا بمعزل عن عامة الناس، ولم يستطيعوا إيجاد حركة فكرية تنشر أفكارهم في أوساط الشعوب الإسلامية. فما أسماه المفكر والناشط الإسلامي الأمريكي جمال برزنجي « نشر الخطاب الإسلامي» لم يتم إلا في الثلاثينات والأربعينات من القرن العشرين، وذلك بفضل جهود المفكرين حسن البنا، وأبو الأعلى المودودي[2]، اللذين تتالى نشاطهما في مصر وآسيا. حيث طبقا نهجاً تنظيمياً حديثاً على رسالة إصلاحيي القرن التاسع عشر. وقد نتج عن تلك الأعمال والجهود ما أصبح يعرف في يوم الناس هذا بالحركة الإسلامية المعاصرة.

يمثل ظهور تنظيم الإخوان المسلمين معلماً بارزاً في مسيرة الحركة الإسلامية. فمؤسس حركة الإخوان المسلمين حسن البنا

---

(1) Ali Rahnema, “Introduction” in Ali Rahema, ed. , Pioneers of Islamic Revival, (London, Zed Books, 1994), xiv-xivii

(2) Jamal Barzinji, “History of the Islamization of Knowledge and Contributions of the International Institute of Islamic Thought”, in Amber Haque, ed. , Muslims and Islamization in North America: Problems and Prospects (Beltsville, MD, Amana Publications, 1999), 16, David Commins, “Hasan al-Bana, 1906-194” in Ali Rahema, ed, Pioneers of Islamic Revival, (London, Zed Books, 1994)

بدأ حياته مدرساً وهو في الثانية والعشرين من عمره. وكان خطيباً مفوهاً ومخلصاً للدعوة. وأثمرت جهوده عن تأسيسه لحركة الإخوان المسلمين في عام 1928م بمدينة الإسماعيلية(3). عاش حسن البنا في بواكير حياته في شمال مصر ومدينة القاهرة، وقد كان حانقاً من تأثير الاستعمار البريطاني في المجتمع المصري، ورأى أمام عينيه عجز المؤسسة الدينية القائمة آنذاك عن الدفاع عن الإسلام أمام الهجمة العلمانية، التي كانت في قمة عنفوانها وزخمها وقتذاك. أستهل البنا الدعوة إلى أفكاره من داخل المقاهي والمساجد الصغيرة والمدارس وأينما ومتى وكلما سنحت الفرصة له ولأتباعه(4). لم تُخفِ حركة الإخوان المسلمين، مثلها في ذلك مثل الحركات الأخرى التي انطلقت من مصر آنذاك- عداءها للاستعمار- ورفعت شعار الدعوة إلى الاستقلال. وفي الوقت الذي تأثرت فيه أغلب الحركات المناهضة للاستعمار بالمذاهب الفكرية المستمدة من الغرب، مثل الاشتراكية والقومية، فإن حركة الإخوان المسلمين استلهمت فكرها وتفكيرها من العقيدة الإسلامية. فقد رفعت الحركة شعار الإسلام الذي تنادت به أجيال من الإسلاميين من خلال مجموعة من المؤلفات مثل: «الإسلام هو الحل» إذ رأى حسن البنا أن الرد الأمثل والأقوى على «الغزو العسكري والسياسي والأخلاقي والاجتماعي الغربي لن يكون

(3) مع أن كثيراً من الكتب قد ألفت عن حركة الإخوان المسلمين ونشاطاتهم الأولى، فإن أفضل تلك المراجع وأكثرها شمولية هو:

Richard P. Mitchell, The Society of Muslim Bothers (New York: Oxford University Press, 1969)

(4) Brynjar Lia, The Society of the Muslim Brothers in Egypt: the Rise of an Islamic Movement, 1928-1942 (Reading, UK, Ithaka PRESS, 1998), 32-40

إلا عن طريق نشر الإسلام الترياق، ضد المد الأجنبي[5].

وكان الوجود الأجنبي في مصر وغيرها من الدول الإسلامية يمثل بالنسبة إلى حسن البنا غزواً فكرياً وثقافياً، أكثر منه احتلالا عسكريا[6]. فالتقليد الأعمى لأساليب الحياة الغربية، والتشبه بالغربيين والتمسح بأذيالهم واتباع عاداتهم لم تكن إلا السم الزعاف الذي سرى في عروق الأمة الإسلامية، وأضعف عقيدتها وفت في عضدها. وليس أدل على ذلك من تطبيق الشرائع والقوانين الغربية في تلك الدول. فمنذ بدء دخول الأوربيين إلى العالم الإسلامي، عن طريق الغزو مرة وعن طريق التجارة مرة أخرى، لم ينفك حكام الأمة الإسلامية يضعون قوانين ويسنون تشريعات مستصحبين الدساتير الغربية ويستبدلون بها أحكام الشريعة الإسلامية، بخطى وئيدة وعزيمة لا تكل ولا تفتر، دافعهم إلى ذلك تحديث الحياة الاجتماعية والتجارية في بلدانهم. وقد رأى حسن البنا أن استبدال قوانين وضعية من صنع البشر بشرع الله لا يمثل فقط استلاباً فكرياً وثقافياً لهؤلاء الحكام وتسليما للغرب، ولكنه يعد ارتداداً بيّناً عن الدين. فمن وجهة نظر البنا أنَّ الله وحده هو الخالق والصانع للقوانين والشرائع، ومن ثم فإن أي مصدر آخر للتشريع يعد باطلاً. فالبشر يجب أن يجتهدوا فقط في تفسير شرع الله والامتثال له، أما محاولة الإنسان أن يصنع القوانين بنفسه فهو ادعاء للربوبية. إن الشريعة الإسلامية تمثل نظاماً

(5) Mitchell, The Society of Muslim Bothers, 223, Robert S. Leiken and Steven Brooke, "The Moderate Muslim Brotherhood", Foreign Affairs, (March/April 2007), 108

(6) Hasan al-Bana, "The New Renaissance", in John J. Donahue and John L. Esposito, eds, Islam in Transition: Muslim Perspectives (New York: Oxford University Press, 1982), 79

ومنهاجاً كاملاً، يكفل تطبيقها العدالة والسلم الاجتماعي.

ويرى حسن البنا أن الإسلام دين كامل وشامل، يحكم جوانب الحياة الخاصة والعامة. فالإسلام، من وجهة نظره،ليس مجرد «حركات بدنية فارغة» بل هو «منهج سياسي، واجتماعي، واقتصادي، وقانوني، وثقافي»[7]. يمضي البنا إلى القول: إن أولئك الذين ينظرون إلى أن تعاليم الإسلام تتعلق فقط بالنواحي الروحانية والشعائرية ما هم إلا مخطئون في اعتقادهم. حيث إن الإسلام يشمل نواحي الحياة كافة، فهو: عقيدة وعبادة، وطن وجنسية، روحانية وعمل، مصحف وسيف»[8]. ويرى البنا أن الحل لكل مشكلات الأمة الإسلامية يتوافر في هذا النظام الشمولي: فمن خلال تطبيقهم جميع جوانب هذا الدين فقط يستطيع المسلمون استعادة وضعهم المتميز كخير أمة أخرجت للناس. يقول حسن البنا إن الدولة الإسلامية «أكثر تكاملاً ونقاءً ونبلاً وصفاءً من أي شيء تصفه مقولات الغربيين وكتب الأوربيين»[9]، فالإسلام يتضمن كل فضائل الأنظمة الأخرى، ويخلو من عيوبها وشوائبها.

إن إشارة حسن البنا إلى الماضي التليد للإسلام، على أن فيه شفاء لكل أدواء الأمة الإسلامية لا يناقض إيمانه بالعصرانية. فهو يرى أن في تلك العصرانية ما ينفع الناس، ولكنه لا يرى تلك العصرانية رديفاً للتغريب والعلمانية. فالعصرانية والتقدم، كما يراها المصلحون

(7) Hassan al-Bana, quoted in Lia, The Society of the Muslim Brothers in Egypt, 202.

(8) Mitchell, The Society of Muslim Bothers, 232-33

(9) خمس كراسات لحسن البنا (1906-1948)، مختارات من مجموعة رسائل الإمام الشهيد حسن البنا، ترجمة: شارلس ويندل (بيركلي: مطبعة جامعة كاليفورنيا، 1978)، 48

السلفيون في القرن التاسع عشر، متوافقة تماماً مع الإسلام، الذي لا يمثل عقيدة جامدة، شريطة أن يقوم كل عنصر من تلك العصرانية على أسس إسلامية، ولا يكون مجرد تقليد أعمى لكل ما هو غربي. إن أفضل طريقة لمواجهة التحديات العسكرية والثقافية الغربية هو العودة إلى ماضي أسلافنا. فالعصرانية التي تستمد من التاريخ الإسلامي الناصع هي التي تمكن الأمة من مناهضة الغرب ومقارعته.

ليس أدل على إيمان حسن البنا بالعصرانية من نهجه في العمل السياسي، فحركة الإخوان المسلمين التي يتزعمها كانت سباقة إلى إعادة أسلمة المجتمع المسلم، وتطوير خطة عمل متكاملة لتطبيق أفكار سلفيي القرن التاسع عشر. فقد سبق حسن البنا أسلافه في تأسيس منظمة سياسية حديثة وفاعلة، تمكنت خلال سنوات قليلة من خلق حركة جماهيرية واسعة. وخلال مدة لم تتجاوز العشرين عاماً بلغت عضوية جماعة الإخوان المسلمين أكثر من نصف مليون عضو، إضافة إلى أعداد هائلة من المؤيدين والمتعاطفين بكل أنحاء مصر[10]. فقد جذب التنظيم أعداداً من المسحوقين، حديثي العهد بالمدن، والمثقفين من أبناء الطبقة الوسطى من موظفين حكوميين ومهنيين وخريجي جامعات[11].

يفسر ذلك التوافد والإقبال على الانضمام إلى الحركة على أنه دليل على قوة خطابها السياسي والديني، الذي يقوم على مناهضة الاستعمار

(10) William L. Cleveland, A History of the Modern Middle East (Boulder, CO, West view, 2004), 302

(11) Dennis J. Sullivan and Sana Abed-Kotob, Islam in Contemporary Egypt: Civil Society vs. the State, (Boulder CO, Lynne Rienner, 1999), 42

والقومية، ليس بناء على أسس عرقية، بل على أساس العقيدة. لقد لعب عنصر الحنين إلى ماضي الأمة – ممتزجاً بإحباطات الحاضر- دوراً كبيراً في تشكيل الحس الوطني لغالبية أفراد الشعب المصري. لكننا في المقابل نرى أن العنصر الفكري في حركة الإخوان المسلمين لم يكن له سوى دور محدود في نجاح الحركة، التي اعتمدت بشكل كبير على الزخم التنظيمي الذي أولاه مؤسسها حسن البنا للحركة. لقد استعار حسن البنا- عن قصد أو من دون قصد- من الحركات الشعبية السائدة وقتذاك، مثل الفاشية والشيوعية، الهيكل التنظيمي لجماعته، الذي لم يكن له سابق نموذج في المحيط الإسلامي. لقد ساعد النشاط الإعلامي غير المسبوق الذي قامت به طلائع الإخوان على نشر وانتشار فكر حسن البنا. وفي سنين قليلة نما وتطاول ذلك التنظيم ليصبح أكثر تعقيداً وتطوراً، فصار وعاءً جامعاً ضم المساجد، والتنظيمات المهنية، والجمعيات الخيرية، والخدمات الاجتماعية، إضافة إلى مؤسسات النشر والطباعة. داخلياً، انقسم تنظيم الإخوان المسلمين إلى منظمات وجمعيات لكل منظمة وجمعية منها هيكل وأهداف محددة. فبعض تلك الجمعيات أصبح مسؤولاً عن النواحي المالية، والأخرى مسؤولة عن شؤون المرأة والشباب،وتخصصت ثالثة في الجوانب الإعلامية والتدريبية لكوادر التنظيم. كان بعض تلك التنظيمات يعمل على النطاق المحلي، والبعض الآخر يتبع المركز، ولكن جميعها يتبع هيكلاً تنظيمياً هرمياً محكماً. أما خارجياً فإن حركة الإخوان المسلمين أولت جل اهتمامها إلى العمل الاجتماعي والخيري، الذي يضمن لها الدعم الشعبي، وملء الفراغات التي لم تستطع الدولة أو التنظيمات الأخرى ملئها.

لخلق نموذج تستخدمه الحركات الإسلامية في العقود القادمة في

كل أنحاء العالم، استخدمت حركة الإخوان المسلمين جهازها التنظيمي الضخم، لنشر رسالتها الرئيسة: «الدعوة» إلى الله، التي فسرها بعضهم بالدعوة إلى الدخول في الإسلام، ولكن حسن البنا منح تلك الرسالة بعداً أعمق، حينما قال إن الأمر لا يقتصر على دعوة غير المسلمين، بل أن يكون المسلمون أنفسهم هدفاً لتلك الدعوة. فقد رأى حسن البنا أن المسلمين أنفسهم قد أصابهم بعض الضلال، وفسدت أخلاقهم باتباع الأفكار والعادات الغربية، ما يوجب إعادة توجيههم إلى الصراط المستقيم. فقد صنف الإمام المودودي، المفكر المناظر لحسن البنا في جنوب آسيا، المسلمين إلى «مسلمين بالاختيار» و «مسلمين بالمصادفة» حيث تشمل الفئة الأخيرة الذين يسمون مجازاً بالمسلمين، ممن يتدثرون بغطاء الإسلام ولكنهم لا يعيشون حياتهم وفقاً لتعاليمه. ويرى كل من حسن البنا والمودودي أن من واجب «المسلمين بالاختيار» إرشاد «المسلمين بالمصادفة»[12] إلى الإسلام الحقيقي وتعاليمه من خلال «الدعوة».

هنا تتجلى العبقرية التنظيمية لحسن البنا، الذي سارع إلى تأسيس شبكة واسعة من المنظمات الدعوية، بهدف إيصال رسالة الحركة إلى الأمة بكل فئاتها. كما أنه قام بتصميم برنامج هندسة اجتماعية طويل الأجل لأسلمة كل فئات المجتمع[13]. تبدأ تلك العملية بتكوين شخصية

(12) Khurshid Ahmad, "Mawdudi's Model for Islamic Revival", in Muhammad Mumtaz Ali, ed. , Modern Islamic Movements: Models, Problems and Perspectives (Kuala Lumpur: Noordeen, 2000)

مقابلة مع حسين حقاني، بوسطن ، فبراير 2006م

(13) Jamal A. Badawi, "Approaches to Muslim Reawakening: Al-Bana's Approach", in Muhammad Mumtaz Ali, ed. , Modern Islamic Movements: Models, Problems and Perspectives (Kuala Lumpur: Noordeen, 2000)

الفرد المسلم المخلص لدينه، المطيع لربه، المؤمن بالعدل. هؤلاء الأفراد المخلصون سوف يكونون أسراً متمسكة بدينها، تؤلف فيما بينها مجتمعاً تسوده التقوى. عند تشكيل مثل ذلك المجتمع فإن ذلك يعني قيام الدولة الإسلامية، ومن ثم تشكيل الحكومة الإسلامية التي تعمل وفقاً لشرع الله. وهكذا تتولى مثل تلك الحكومات توحيد الأمة الإسلامية، واسترداد كرامتها، وما اغتصب من أراضيها. تكون تلك الإمبراطورية الإسلامية بعد توحدها جاهزة لاتخاذ الخطوة التالية: التفويض الإلهي بنشر الإسلام في العالم كله، حيث يرى حسن البنا أن الدعوة الإسلامية لا حدود لها فهي تعنى بالإنسانية جمعاء.

ولكن تبدو أفكار حسن البنا أكثر غموضاً وضبابية عند محاولته تعريف طبيعة الدولة الإسلامية، وما الخطوات اللازمة لإقامتها. ولكنه في المقابل قدم وصفاً دقيقاً للخطوات الأولى من خطته ذات الأركان السبعة. لقد تفهم بشكل جيد الحاجة إلى التركيز في القطاعات الشبابية والطلابية، مستفيداً من طاقاتهم وخيبة آمالهم، مع إيلاء المزيد من الاهتمام للكوادر التي تتمتع بالكفاءة والولاء «تسليح الشخصية الإسلامية بالمعارف التي تحتاج إليها لدفع الحركة الإسلامية إلى الأمام»[(14)]. كما تفهم حسن البنا أهمية وجود جهاز إعلامي فاعل تدعمه قدرات مالية هائلة.

لقد اجتذبت الرسالة الواضحة لجماعة الإخوان المسلمين

(14) Saeed Hawwa, The Muslim Brotherhood (Kuwait: International Islamic Federation of Student Organizations/ Al Faisal Islamic press, 1985), 2.

والوسائل الإعلامية المستخدمة في نشرها كثير من المريدين من خارج مصر، فقد أخذ الطلاب الأجانب ممن كانوا يتلقون تعليمهم بالجامعات المصرية العريقة اعتناق الأفكار، التي تنادت بها الحركة الإسلامية وتولوا أمر نشرها في بلادهم. وما لبثت تلك الجماعات التي ارتبطت بحركة الإخوان المصرية أن أعلنت عن وجودها في كثير من الدول الإسلامية. ففي اليمن وبعض دول المشرق العربي شكلت تلك الجماعات تنظيمات رسمية كفروع لجماعة الإخوان المسلمين المصرية، بينما ارتبطت جماعات أخرى بفكر الإخوان وأشخاصهم من دون أن يكون هناك رابط تنظيمي بينها وبين الإخوان المسلمين المصريين[15]. ففي عام 1941م أسس الصحفي الهندي المولد أبو الأعلى المودودي ما أسماه «الجماعة الإسلامية» كحركة مناظرة لحركة الإخوان في جنوبي آسيا. وفي غضون عقدين من الزمان تطورت حركة الإخوان لتصبح ليس فقط قوة سياسية رئيسة في مصر، بل حركة فكرية عمت كل البلاد الإسلامية.

الفتنة

لقد دعت رسالة حسن البنا إلى الأمة إلى تأسيس دولة الإسلام، من خلال ما أسموه «الأسلمة من القواعد»، وهي عملية طويلة وبطيئة لخلق نظام حكم إسلامي نقي، يأتي نتاجاً طبيعياً لعملية أسلمة سلمية لغالبية الشعب. لكن بعضاً من أعضاء الحركة لم يكن لديهم الصبر لانتظار نتائج «دعوتهم»، لذا قامت هذه العناصر، منذ مولد الحركة، بتطوير جهاز سري،

(15) Oliver Roy, The Failure of Political Islam (Cambridge, MA: Harvard University Press, 1996), 110-13.

يهدف إلى استخدام العنف كوسيلة للإسراع بتحقيق أهداف الجماعة. حتى البنا نفسه ما لبث أن قام بإنشاء «وحدة خاصة» لم يكن أعضاء التنظيم على علم بأمرها، اختصت بتدريب أعضاء التنظيم على مهارات استخدام السلاح. وقامت تلك الوحدة الخاصة باستهداف المصالح البريطانية في مصر، كما شارك بعض أفرادها في حرب فلسطين في عام 1948م ضد الدولة اليهودية الوليدة(16).

بعد ذلك وجهت الوحدة الخاصة لجماعة الإخوان عملياتها ضد أهداف محلية، وفجرت عدداً من المواقع المملوكة ليهود مصريين، أو ذات صلة بهم، كما نفذوا عمليات اغتيال بحق بعض السياسيين والقضاة والمسؤولين الحكوميين(17). وقد وصلت التوترات التي أثارها الإخوان ذروتها عندما وجهت الاتهامات لأعضاء التنظيم باغتيال رئيس الوزراء محمود فهمي النقراشي. عندها قامت السلطات المصرية بحظر نشاط الجماعة في ديسمبر عام 1948 م. وقد أدى ذلك الحظر إلى تصعيد الصراع بين جماعة الإخوان والحكومة المصرية، التي اتهمتها الجماعة ببيع البلاد للمستعمر البريطاني، وعدم احترام هويتها الإسلامية. لم تمض بضعة أسابيع حتى اغتالت قوات الأمن المصرية حسن البنا، واعتقلت عدداً من قيادات التنظيم وقدمتهم لمحاكمات عاجلة. وبهذا خسرت الحركة معركتها الأولى ضد النظام الحاكم في مصر، ضمن سلسلة من المعارك كانت الجماعة تنوي وتخطط لخوضها ضد الحكم في

(16) Ziad Abu-Amr, Islamic Fundamentalism in the West Bank and Gaza (Bloomington and Indianapolis, Indiana University Press, 1994), 2-4.

(17) Mitchell, The Society of Muslim Bothers, 30-64

مصر خلال المراحل والعقود التالية.

أصاب غياب حسن البنا وعبقريته التنظيمية الحركة في مقتل، وبدأت قيادة التنظيم تتشبث من أجل البقاء، محاولةً الاستفادة من التغييرات المتتالية التي جرت في السياسة المصرية. ففي عام 1952م نفذ جمال عبد الناصر ومجموعة من الضباط الأحرار انقلاباً أطاح بحكومة الملك فاروق، وأقاموا نظاماً جمهورياً. أعاد ذلك الانقلاب الأمل إلى الإخوان في مستقبل أفضل، حيث كانت مجموعة من الضباط الأحرار على صلة ببعض أعضاء تنظيم الإخوان، الذين حاربوا معهم في فلسطين، كما أن بعض الإخوان شارك بشكلٍ فاعل في التخطيط لهذا الانقلاب[18]. وعول الإخوان كثيراً على تلك الصلة للتأثير في الضباط الأحرار الذين كانت تدفعهم المشاعر القومية المعادية للاستعمار، دون أن تكون لديهم أيديولوجية محددة، ما جعل كثيرين من الإخوان يعتقدون بأن جمال عبد الناصر ومجموعة الضباط الأحرار يمكن أن يدعموا توجها إسلامياً في نظام الحكم.

لكن تلك الصلة لم تدم إلا بضعة أشهر. في عام 1953م كانت جماعة الإخوان المسلمين هي التنظيم السياسي الوحيد الذي سمح له بالعمل السياسي بعد صدور قرار الحكومة حل جميع الأحزاب السياسية في مصر. ولكن ممارسة الإخوان الضغط على الحكومة لإعلان العمل

(18) Tewfiq Aclimandos, Officiers et Freres Musulmans, Centre d'etudes et de documentation economiques, juridiques et socials, Etudes et documents, (2001), 61-125, Ataf Lutfi Al-Sayyid Marsot, A History of Egypt: From the Arab Conquest to the Present (Cambridge, Cambridge University Press, 1985), 127-31

بالشريعة الإسلامية ما لبث أن دق إسفيناً بين الحكومة والجماعة. وبعد أشهر قليلة تبدّى للعيان أن عبد الناصر ومجلس قيادة الثورة ليست لديهم نية لتبني فكرة الإخوان لإقامة دولة إسلامية، بل أصبح عبد الناصر يرى في جماعة الإخوان المسلمين خطراً يتهدد النظام الحاكم[19]. وفي يناير من عام 1954م أعلن جمال عبد الناصر حظر الجماعة مؤذناً ببدء مرحلة من المواجهة العنيفة بين الحكومة والأخيرة، مثل تلك التي قضى فيها حسن البنا. في أكتوبر من العام نفسه تعرض عبد الناصر إلى محاولة اغتيال بينما كان يلقي خطابا بمدينة الإسكندرية. ومنحت تلك المحاولة الفاشلة عبد الناصر القوة والمبرر لحل تنظيم الإخوان المسلمين، الذي بات يهدد حكمه وسلطته. على مدى سنوات ظل الجميع يتساءلون عن حقيقة تورط الإخوان في محاولة اغتيال عبد الناصر. ولكن من المؤكد أنه حتى لو كانت لبعض أعضاء الجماعة يد في تلك المحاولة فما من شك أن التنظيم لم يكن له علم أو دراية بذاك المخطط. على وجه العموم فإن حادثة الإسكندرية آذنت بمرحلة دراماتيكية في تاريخ حركة الإخوان المسلمين سادتها حملة اعتقالات واسعة في أوساط الجماعة إذ نصبت لهم المحاكم العسكرية، وزج بكثيرين منهم في المعتقلات وغياهب السجون، وتعرض كثيرون منهم للتعذيب والتنكيل.

لقد مثلت تلك الإجراءات، التي اتخذت بحق جماعة الإخوان المسلمين في عام 1954م فصلاً في سلسلة الهجمات التي شنها النظام

---

(19) Mitchell, The Society of Muslim Bothers, 105-33

المصري ضد الجماعة، خلال الخمسين سنة التالية[20]. وتوالت من بعد ذلك حملات القمع التي اتبعتها الحكومات المصرية المتعاقبة بحق الجماعة، حيث أودع كثير من أعضائها السجون والمعتقلات، وتعرضوا لشتى أصناف التعذيب، وأعدم بعضهم، تخللتها فترات قصيرة من الهدوء. ولكن الإخوان أظهروا ثباتاً وصموداً كبيرين خلال تلك المحنة والتجارب. ومن ناحية أخرى فإن تلك الإجراءات القمعية بحق الجماعة، خلال عقدي الخمسينات والستينات من القرن العشرين، أدت إلى حدوث تغييرات جوهرية تمثلت في ثلاثة تطورات، شكلت التاريخ المعاصر للتنظيم والمسار الذي سلكته الحركة الإسلامية العالمية في السنوات التالية.

التطور الأول: هو التطرف واللجوء إلى العنف الذي انتهجته بعض فصائل الحركة. فبعد افتقادها قيادة حسن البنا وجدت جماعة الإخوان، في نهاية عقد الخمسينات وبداية الستينات من القرن العشرين، ضالتها القيادية الفكرية في شخص المعلم المدرسي سيد قطب. ولكن سيد قطب لم يكن يتمتع بالجاذبية والمهارات التنظيمية التي تمتع بها سلفه حسن البنا، غير أن قدراته العلمية وسعة اطلاعه عوضتا ذلك إذ كسب ود الجماعة من خلال كتاباته العميقة، التي كان يدفع بها من خلف القضبان. ففي الوقت الذي كان فيه الآلاف من أعضاء التنظيم يقبعون في سجون السلطة والقيادة التنظيمية عاجزة عن إدارة الحركة، انتخبت الجماعة أحد القضاة السابقين يدعى حسن إسماعيل الهضيبي خلفاً للمؤسس، لكن دوره كان ضعيفاً. وفي تلك الأثناء، أخذت كتابات سيد قطب المتطرفة

(20) Gilles Kepel, Muslim Extremism in Egypt (Berkley and Los Angeles: University of California Press, 1986), 26-35.

تلقى رواجاً وقبولاً وسط كثير من أعضاء التنظيم، ما دفع بهم إلى تبني نهج التطرف.

في بعض المؤلفات التي تعد من الأدبيات القديمة للحركة الإسلامية مثل «في ظلال القرآن» و «معالم في الطريق» قدم سيد قطب تحليلاً عميقاً للحالة الإسلامية، شبيهاً بالتحليل الذي سبقه إليه المؤسس حسن البنا. فقد اتفق سيد قطب مع سلفه على أن الدين يجب أن يكون «نهجاً سائداً: قوياً، ملزماً، مشرفاً ومحترماً، يحتكم إليه ولا يحاكم، يقود ولا يقاد»[21]. ويمضي سيد قطب إلى القول بأن التأثيرات الأجنبية والعلمانية، التي أسماها الشيزوفرنيا الغربية، قد أعادت المسلمين إلى عصور الجاهلية، وأصبحت بدورها سبباً في ضعف الأمة وهوانها. ولكن إسهامات سيد قطب في الفكر الإسلامي لم تكن كبيرة في جانب التشخيص للحالة كما هي في جانب العلاج. لقد كان حسن البنا يعتقد بأنه بمجرد أن تتمكن حركته من أسلمة المجتمع، فإن قيام الدولة الإسلامية سيكون نتاجاً طبيعياً. وعلى الرغم من إشارته بطرف خفي إلى مسألة العنف، إلا إنه لم يضع مفهوماً ذا هيكل ومسوغاً دينيا لاستخدام العنف. ولكن سيد قطب طور منهجاً يقود قطاعات واسعة من الحركة الإسلامية العالمية إلى تبني العنف.

إن تحليلات سيد قطب، التي تأثرت بلا شك بتجربته في الاعتقال وويلاته، قد أشارت إلى أن الظروف العصيبة التي عاشتها الحركة قد أصبحت لا تطاق، وأنه لم يعد هناك مجال للانتظار[22]. إذ أنه رأى

---

(21) Sayyid Qutb, Islam: The Religion of the Future (Delhi, Markazi Maktaba Islami, 1974), 67.

(22) Kepel, Muslim Extremism in Egypt , 36-59.

أن فكرة «الأسلمة من القاعدة» عملية بطيئة تعترضها تدخلات السلطة والقوى الخارجية، وبناء عليه فإن الحل الوحيد هو التكفير والجهاد. أما التكفير فهو نعت المسلم بأنه غير مسلم، وهو ما يرى سيد قطب أنه ينطبق على الحكام المسلمين، الذين يقبضون على زمام السلطة في ذاك الوقت، الذين أهملوا الإسلام و رفضهم تطبيق الشريعة الإسلامية وإقامة دولة الإسلام. فمن وجهة نظره، كان سيد قطب يرى أن من الواجب على المسلمين «الحقيقيين» إزالة تلك الأنظمة، والتخلص من قادتها لإقامة الدولة الإسلامية. فهو يرى أن «الدعوة» لا يمكن أن تحقق ما يحققه «الجهاد»[23] الذي عرفه بأنه هو مواجهة السلطة باستخدام العنف، حيث تقوم مجموعة صغيرة من المسلمين الحقيقيين، يمثلون الطليعة الثورية في المفهوم اللينيني، بشن حرب لا هوادة فيها على القادة المرتدين.

أخفق سيد قطب في تطبيق نظريته، وبعد سنوات قضاها في السجن جرى إعدامه في عام 1966م[24]. لكن استشهاده زاد من شعبيته، حيث إن معتقداته، وخاصة تبريره الديني للعنف، أثرت في أجيال من الإسلاميين بكل أنحاء العالم. ففي مصر انفصل بعض الأعضاء عن تنظيم الإخوان المسلمين وشكلوا جماعات مثل «الجماعة الإسلامية» و «الجهاد الإسلامي المصرية»، التي كانت تتخذ من العنف وسيلة لقلب نظام الحكم. لقد شكلت نظريات سيد قطب حول «التكفير» و «الجهاد» أساساً فكرياً لانطلاق غالبية الجماعات الجهادية وعد سيد قطب المؤسس الذي لا ينازع لفكر

(23) يستخدم لفظ «جهاد» ، الذي يعني في اللغة العربية المقاومة، لوصف ظواهر عدة. تقليديا، اتفق المفكرون على تفسير «الجهاد الأكبر» على أنه يعني المقاومة الداخلية التي تجري في عقل الإنسان للوصول إلى كمال دينه وإرضاء ربه، بينما يعرفون «الجهاد الأصغر» بأنه حمل المسلم السلاح للدفاع عن الإسلام.

(24) Sullivan and Sana Abed-Kotob, Islam in Contemporary Egypt, 43.

الإرهاب الإسلامي الحديث[25].

بينما قرر فريق من أعضاء تنظيم الإخوان المسلمين، بعد الإجراءات القمعية التي اتخذت بحق الجماعة، خلال عقدي الخمسينيات والستينيات من القرن العشرين، السير على نهج سيد قطب والدخول في مواجهات لا تنتهي مع الحكومة المصرية، برز التطور الثاني في مسيرة الحركة، حيث اختارت مجموعة أخرى سبيل المهادنة مع الحكومة. ففي نهاية عقد الستينات من القرن العشرين بدأت مجموعة من قادة الجماعة في نبذ العنف ضد النظام الحاكم، والسعي إلى تطبيع العلاقة معه، واستمروا على هذا النهج. و أشار بعضهم في هذا الصدد إلى كتاب من تأليف مرشد الجماعة حسن الهضيبي، يشكل خروجاً عن نهج سيد قطب، ويؤسس لبدء مرحلة جديدة، إذ إن الدعاة، وليس القضاة، هم من تجاهلوا دعوة سيد قطب ورفضوا فكرة «التكفير» ونادوا بالعودة إلى نهج حسن البنا في التعليم[26]. يقول الهضيبي في هذا الشأن،إنه لا يجوز للإخوان الحكم على المسلمين الآخرين ونعتهم بالكفر، حيث أن الحكم في ذلك لله رب العالمين، وواجبنا فقط أن نسعى في تبصرتهم بالإسلام الحقيقي[27].

---

(25) لمعرفة المزيد عن حياة سيد قطب وتأثيراته، أنظر:
Lawrence Wright, The Looming Tower: Al Qaeda and the Road to 9/11 (New York, Knopf, 2006), 7-31.

(26) مقابلة مع بربارة زولنر، لندن، ديسمبر 2008م في
John O. Vol, "Fundamentalism in the Sunni Arab World" in Martin E. Marty and R. Scott Appleby, eds, Fundamentalisms Observed (Chicago, University of Chicago Press, 1991)

(27) Barbara Zollner, The Muslim Brotherhood: Hasan Al-Hudaybi and Ideology (London: Routledge, 2008) Emmanuel Sivan, Radical Islam: Medieval Theology and Modern Politics (New Haven: Yale University Press, 1985), 107-11.

بإتباعهم نهج الهضيبي اتجه الإخوان نحو المعارضة السلمية للنظم الحاكمة، وتركزت جهودهم في الإصلاح الاجتماعي، من خلال تعليم عامة المسلمين[28]. لقد تبلور ذلك التحول في نهج الإخوان المسلمين في عقد السبعينيات من القرن العشرين عندما بدأ عمر التلمساني، القائد الثالث لجماعة الإخوان، في التقرب إلى الحكومة المصرية، منادياً بسياسة التحديث والتدرج، متخذاً لنفسه موقعاً في العملية السياسية في الساحة المصرية[29]. لقد تفهم الجناح التوفيقي بالحركة، الذي سيطر على قيادة التنظيم، أن أي توجه نحو العنف سوف يفقدهم الكثير ويؤدي إلى مزيد من القمع لكوادرهم. هكذا قرر «الإخوان المسلمون الجدد» التركيز على جانب «الدعوة» والعودة إلى تعاليم البنا حول أسلمة الأمة[30].

لقد أدى موت جمال عبد الناصر عام 1970م وتسلم السادات مقاليد الحكم إلى فتح المجال مرة أخرى أمام الإخوان لممارسة نشاطهم. منذ ذلك التاريخ شهدت الحركة فترات قليلة من القمع، تليها فترات طويلة من الهدوء، وعلى الرغم من عدم الاعتراف بالتنظيم رسمياً، إلا إن «الإخوان الجدد» تمكنوا من إقامة علاقة من نوع «الاتفاق على عدم الاتفاق» مع الحكومة المصرية مكنهم، برغم الحظر الرسمي على نشاطهم، من

(28) Barbara Zollner, "Prison Talk: The Muslim Brotherhood's Internal Struggle During Gamal Abdel Nasser's Persecution", International Journal of Middle Eastern Studies 39 (2007), 411-33.

(29) John L. Esposito, The Islamic Threat: Myth or Reality? (New York and Oxford University Press, 1999), 140-41, Kepel, Muslim Extremism in Egypt, 62-63.

(30) يستخدم لفظ «الإخوان المسلمين الجدد» من قبل بعض المفكرين في إشارة إلى الجناح التوفيقي من جماعة الإخوان المسلمين والذي بدأ في الظهور في أواخر الستينيات وأوائل السبعينيات من القرن العشرين. للمزيد من التفصيل أنظر:

Kepel, Muslim Extremism in Egypt, 62-63

الاندماج في الحياة السياسية والمشاركة في التصويت والانتخاب. في هذا السياق لم يخف التنظيم أهدافه في أسلمة المجتمع ولكن بطرق سلمية ودون اللجوء إلى العنف.

آخر نتائج سنوات القمع الناصري، وما يهمنا أكثر في هذا المقام، كان هجرة أعداد هائلة من الإخوان المسلمين. فروا من جحيم القمع في مصر، ليجدوا ملاذاً آمناً في دول الخليج العربي باقتصادها المزدهر بعائدات النفط. هناك عمل الإخوان مدرسين ومحامين وإداريين ومصرفيين. لقد شغلوا الوظائف التي تتطلب مؤهلات تعليمية عالية، لم تكن متوافرة لدى تلك الدول. ومن بين تلك الدول أثبتت المملكة العربية السعودية، الأكثر محافظة، أنها الجنة التي داعب حلمها خيالهم. ومع أن المملكة، التي حرصت العائلة الحاكمة فيها على منع كل ما يشكل تحدياً لقبضتها على الشأن الداخلي، لم تسمح لهذه الجماعة إقامة تنظيم لهم هناك، إلا أنهم وجدوا أن الالتزام الإسلامي السائد بالمملكة قد وفر لهم حرماً آمناً.

لقد تميزت العلاقة بين المملكة والإخوان المسلمين،على الأقل في بدايتها، بالانسجام والتآلف. فالسعوديون لديهم المال وتعوزهم الكفاءات التي تحول ثروتهم تلك إلى تأثير جغرافي وسياسي. وقد أثبت الإخوان بما لديهم من دوافع وعلوم بأنهم الأقدر على تحويل «الوهابية»، التفسير السعودي المحافظ للإسلام، إلى فكر عالمي. وعلى الرغم من خلاف فكر الإخوان مع مذهب «الوهابية» حول بعض المسائل الدينية إلا أن تلك الخلافات وضعت جانباً بوجود الرغبة المشتركة في نشر الإسلام بكل

أنحاء العالم. وما لبث الإخوان أن وضعوا الثروة السعودية في مصارفها الصحيحة. لقد ذهبت بعض الأموال السعودية إلى دعم أنشطة الإخوان في مصر للإبقاء على استمرارية الحركة. ولكن مبالغ طائلة ذهبت لدعم المراكز والمنظمات والمطبوعات الإسلامية. لقد أدى تحالف المال السعودي والعلم والمعرفة المتوافرة لدى الإخوان، إلى تأسيس المنظمة الإسلامية العالمية تحت اسم الندوة العالمية للشباب الإسلامي وكثير من المنظمات الدعوية الأخرى المدعومة بملايين الدولارات التي عملت على نشر الدعوة الإسلامية بالمفهوم السعودي والإخواني. لقد ساعدت الأموال التي وفرتها المملكة على نشر الدعوة بشكل لم يسبق له مثيل[31].

ولكن على الرغم من أن منطقة الخليج بثرواتها الغنية كانت الملاذ الآمن لجماعة الإخوان المسلمين الذين قرروا الهجرة من مصر، فإنها لم تكن المهجر الوحيد لأفراد هذه الجماعة. لقد يمم بعض هؤلاء الإخوان، من مصر ومن الدول الإسلامية الأخرى، شطر أوروبا وأمريكا الشمالية بحثاً عن حق اللجوء السياسي، أو بنية إكمال دراساتهم الجامعية في تلك البلاد. وقام هؤلاء الذين أطلق عليهم اسم الإخوان الغربيين بتأسيس أول المنظمات الإسلامية في الغرب كمجموعات طلابية صغيرة، أصبحت النواة الأولى للإسلام السياسي في الغرب. إن فهم هذه الخلفية التاريخية

---

(31) للاطلاع على كل جوانب تاريخ قيام «رابطة العالم الإسلامي» والمنظمات الإسلامية الأخرى أنظر:
Reinhard Schulze, Islamischer Internationalismus im 20, Jahrhundet, Untersuchungen zur Geschichte der Islamischen Weltgiga (Lieden: Brill, 1990)

أنظر أيضا:
John L. Esposito, ed. , The Oxford Encyclopedia of the Modern Islamic World (New York/Oxford: Oxford University Press, 1995), 2, 207-209.

كما يمكنكم الاطلاع على قائمة مفصلة لمشروعات «الدعوة» التي تمولها MWI منذ الستينات بمعظم إصدارات
Muslim World League Journal

للحركة الإسلامية في الغرب مهم لفهم حركية الجماعات الإسلامية المعاصرة.

الرواد

يعود تاريخ الوجود النشيط للإخوان في الغرب إلى عقد الخمسينات من القرن العشرين، عندما بدأت مجموعات صغيرة من الإخوان المصريين، ومن بعض الدول الأخرى بمنطقة الشرق الأوسط، التمركز في بعض المدن الأوروبية والأمريكية. وقد ضمت تلك المجموعات أعدادًا من الإخوان الذين عانوا الاضطهاد في بلدانهم، وهاجروا منها بحثاً عن ملاذ آمن في الغرب، وغالبيتهم من الطلاب من أبناء الطبقات الوسطى من الذين كانوا ينتمون أو يتعاطفون مع حركة الإخوان المسلمين في بلدانهم[32]، أشتات من أبناء الحضر لم تكن تجمعهم خطة موحدة عند هجرتهم، بل جاء كل واحد منهم بقرار شخصي وبغرض قضاء جزء من حياته في المهجر؛ لتحقيق أغراض شخصية. كما أن الجماعة في مصر، وتحت ظروف القمع الناصري، لم تكن لديها خطة واضحة لإيجاد تنظيم لها في الغرب، بل ولم تكن لديها خطط لمتابعة ما يقوم به أفرادها في دول المهجر.

وعلى الرغم من عزلتهم عن تنظيماتهم في الشرق الأوسط، إلا إن أولئك المهاجرين من جماعة «الإخوان المسلمون الغربيون» وحتى المتعاطفين معهم بدأوا نشاطاً محموماً لنشر أفكارهم. كان أغلبهم من

(32) Jocelyne Cesari, When Islam and Democracy Meet: Muslims in Europe and in the United States (New York, Palgrave MacMillan, 2004), 143

الطلاب الجامعيين المتأثرين بأفكار حسن البنا وعقيدته التنظيمية، فقاموا بتشكيل أولى المنظمات الطلابية الإسلامية. لم تكن هناك دورٌ للعبادة في معظم المدن الغربية، فأخذ الإخوان في تأسيس المساجد التي كانت مجرد مرآبات أو غرف صغيرة، يجتمعون فيها داخل المدن الجامعية لتصبح أولى المنتديات الدينية لمسلمي الغرب. لقد سمحت الحريات المتاحة في الدول الغربية لـ «الإخوان المسلمون» ممارسة أنشطتهم، التي كان محظوراً عليهم ممارستها في بلدانهم. مع توافر بعض المال لديهم، الذي تم جمعه من المتحمسين لتوجهاتهم، استطاع الإخوان الغربيون إصدار بعض المجلات وتنظيم المحاضرات والاجتماعات، وكل أنواع الفعاليات، التي يقومون من خلالها نشر أفكارهم. ما لبث ذلك النشاط أن جذب إليهم أعداداً من الطلاب والعمال المهاجرين من الذين لم يسبق لهم الارتباط بحركة الإخوان المسلمين في بلدانهم.

برز ضمن تلك الكوكبة من الرواد شخصيتان: سيد رمضان، ويوسف ندا. فرمضان الذي ولد في عام 1926م بإحدى القرى المصرية شمال القاهرة التحق بحركة الإخوان المسلمين وهو لم يتجاوز الرابعة عشرة من عمره[33]. في عام 1946م بعد حصوله على ليسانس الحقوق من جامعة القاهرة، أصبح رمضان السكرتير الشخصي لحسن البنا، وبدأ في إصدار

(33) للمزيد من المعلومات حول حياة سيد رمضان أنظر:
M. H. Faruqi, "Les Freres Musulmans: Politique de 'Rabbaniyya' les Pricres avant le Pouvoir," Islamic Center of Geneva, http://www. cige. org/historique. htm (accessed January 21,2005), Tariq Ramadan, "Une Vie Entiere" http//members. lycos. fr/oasis-lam/personages/tariq. html (accessed May 4, 2007), Tariq Ramadan, "4th August.... 10 Years" http://www. tariqramadan. com/spip. php?page=imprimer&id_article=371 (accessed May 28, 2009)

«الشهاب» الصحيفة الرسمية للتنظيم. في عام 1948م حارب رمضان في فلسطين ضمن أفواج المتطوعين العرب، ولم يمض وقت طويل بعدها حتى عينه عاهل الأردن الملك عبد الله قائداً لكتائب القدس العسكرية، حيث بادر إلى إنشاء أول فرع للإخوان المسلمين في تلك المدينة المقدسة[34]. بعدها غادر رمضان إلى دولة باكستان الوليدة حيث استطاع، على الرغم من صغر سنه، المنافسة على منصب الأمين العام للمؤتمر الإسلامي العالمي. وقد اضطر رمضان بعد اغتيال حسن البنا والهجمة القمعية التي قادها الملك فاروق ضد حركة الإخوان في مصر إلى البقاء في باكستان، حيث عمل «سفيراً ثقافياً» للعالم العربي هناك. أصبح رمضان شخصية فكرية مرموقة يقدم برنامجاً عبر الإذاعة، ويصدر كتيبات، كما أصبح مقرباً من أبي الأعلى المودودي، مؤسس «الجماعة الإسلامية»[35].

في مطلع الخمسينات من القرن العشرين، وبعد رفع جمال عبد الناصر الحظر الذي فرضه الملك فاروق على نشاط تنظيم الإخوان، عاد رمضان إلى مصر حيث شرع في إصدار صحيفة «المسلمون» وهي واحدة من أهم الصحف المعنية بالفكر الإسلامي. وعندما ارتد عبد الناصر إلى معاداة الإخوان جرى اعتقال رمضان وإيداعه السجن مع عدد من قادة التنظيم. عند إطلاق سراحه وعلمه بأنه لن يكون بمقدوره ممارسة نشاطه مرة أخرى، قرر رمضان مغادرة مصر. وبالفعل اتخذ رمضان قراره بالهجرة إلى أوروبا مع زوجته وفاء، كبرى كريمات حسن البنا. التحق رمضان بجامعة كولونيا في ألمانيا حيث حصل على درجة البكالوريوس في

(34) Abu-Amr, Islamic Fundamentalism in the West Bank and Gaza, 3.

(35) مقابلة مع حسين حقاني، بوسطن، أبريل 2006.

القانون، وكان مشروع تخرجه عن القانون الإسلامي. لم يكن اختيار ألمانيا الغربية بعيداً عن تفكير كثير من الإخوان، الذين هاجروا من دول الشرق الأوسط[36]. فقد بدأ أعضاء حركة الإخوان صلاتهم بألمانيا في أثناء الحرب العالمية الثانية، عندما سافر مفتي القدس الحاج أمين الحسيني إلى برلين، وأعلن دعمه النظام النازي في حملته ضد اليهود[37]. كما أن عدداً من الطلاب اجتذبتهم الشهرة التي حازتها الكليات التقنية في ألمانيا فقرر نفر منهم السفر إلى ألمانيا لاستكمال دراساتهم الجامعية في مجالات الهندسة والمعمار والطب.

غادر رمضان ألمانيا متوجهاً إلى جنيف، حيث أسس في عام 1961م المركز الإسلامي المحلي. فجنيف تلك المدينة السويسرية الساحرة التي تتمتع بالهدوء والحرية ويزورها كثيرون من أثرياء دول الخليج في إجازاتهم الصيفية، وجد فيها رمضان بغيته. لقد أصبح ذلك المركز الذي أسسه في سويسرا أحد أهم المراكز الرئيسة للإخوان المسلمين في أوروبا. ومن ثم قرر رمضان إنشاء فروع له بكل أنحاء القارة الأوروبية، بدعم من الحكومة السعودية. لقد كان رمضان أحد أهم الشخصيات التي وقفت وراء إنشاء رابطة العالم الإسلامي، المنظمة العالمية التي تمولها الحكومة السعودية، والتي تهدف إلى نشر الدعوة الإسلامية، حسب المفهوم السعودي، بكل أنحاء العالم[38]. لقد أصبح رمضان من أهم الدعاة بالنسبة إلى المملكة

---

(36) مقابلة مع مسؤول في Landesverfassungsschutz Baden-Wurttemberg, Stuttgart، نوفمبر 2008م.

(37) أنظر كمثال:

Kenneth R. Timmerman, Preachers of Hate: Islam and the War on America (New York, Crown Forum 2003)

(38) Schulze, Islamischer Internationalismus im 20, Jahrhundet,

في الغرب، يستخدم جواز سفر دبلوماسياً سعودياً في أسفاره التي يقوم فيها بمهمة لم شتات جماعات الإخوان اللاجئين في الغرب والطلاب المتعاطفين مع الحركة من المقيمين في المدن الأوروبية والأمريكية(39).

وعلى الرغم من هجرتهم القسرية إلى الغرب، ظل الحنين يعاود رمضان ومجموعة رواد الحركة الإسلامية إلى أوطانهم، معتبرين أن إقامتهم في تلك البلاد منفىً مؤقتاً قبل عودتهم إلى بلدانهم منصورين، مشبهين حالتهم تلك بهجرة الرسول (صلى الله عليه وسلم) إلى المدينة بعد تعرضه للمضايقة والاضطهاد من أهله في مكة المكرمة. ولكن رمضان، مع حلمه الدائم بالعودة إلى مصر، كان يرى، مثل كثيرين من إخوانه، أن بقائه في الغرب سوف تكون له فوائد جمة وسيعود بالنفع على الحركة الإسلامية العالمية. لم يكن الغرب في نظر أولئك الإسلاميين مجرد حرم آمن، حيث تتوافر الحريات وإمكانات الحصول على التمويل، إلى جانب حرية نشر الدعوة، ولكنه أيضاً فرصة للسيطرة على الجماعات المسلمة في تلك الدول. من ناحية أخرى فإن ضعف المنافسة بين الجماعة والحركات الإسلامية الأخرى وعدم تدخل حكومات تلك الدول في الحريات الدينية جعل من الغرب بيئة ملائمة لنشر الدعوة بما لا يتوافر لتلك الجماعة في دولهم. كما تفهم رمضان أن الإمكانات المالية والتنظيمية لحركة الإخوان تمكنهم من فرض سيطرتهم على المسلمين في دول الغرب.

(39) Ian Johnson, "The Brotherhood's Westward Expansion", Current Trends in Islamist Ideology, February 5, 2008،
مقابلة مع إيان جونسون ، برلين ، نوفمبر 2008م، مقابلة مع ستيفان مينينج، ميونيخ، مايو 2009، مقابلة مع مسئولين بافاريين ، ميونيخ، مايو 2009م.

جاء تأكيد تحليلات رمضان حول وضعية الحركة وسط مسلمي الغرب من ميونيخ الألمانية حيث اتصلت به مجموعة من الطلاب العرب هناك، لمساعدتهم في بناء مسجد لهم بالمدينة[40]. لقد أصبحت لجنة بناء المساجد، التي تولت مهمة جمع الأموال لإقامة المسجد، مثاراً للنزاع بين الطلاب العرب ومجموعة من المسلمين الذين طاب لهم المقام في مدينة ميونيخ بعد محاربتهم إلى جانب النازيين في الحرب العالمية الثانية[41]. جاء أفراد تلك المجموعة من المحاربين السابقين من دول وسط آسيا والقوقاز، وتبنوا فهماً للإسلام مخالفاً لفهم الإسلاميين العرب. في عام 1960م استطاع رمضان، بما توافر له من دعم سعودي، من الفوز بمنصب رئيس لجنة المساجد، وفي عام 1973م، وبعد استكمال بناء مسجد ميونيخ، تمكن الإخوان بفضل قدراتهم المالية والتنظيمية من حسم النزاع حول اللجنة[42].

بعدها أصبحت لجنة بناء المساجد التي يسيطر عليها الإخوان منظمة دائمة،وتغير اسمها فيما بعد إلى الجمعية الإسلامية في ألمانيا، تولى رمضان رئاستها لعشر سنوات، خلفه الباكستاني فضل يازداني، أحد

(40) يعتبر استجلاء تاريخ مسجد ميونيخ مدخلاً هاماً لفهم ما جرى في الأيام الأولى لحركة الإخوان المسلمين في أوروبا. وقد جاء ذكر ذلك التاريخ في كتابين من تأليف ستيفان مينينج وإيان جونسون. وأنا أشكر كلاً منهما لتمكيني من الاطلاع على العديد من الوثائق التي جلبوها من الأرشيف العام في ألمانيا.

(41) Ian Johnson, "The Beachhead: How a Mosque for Ex-Nazis Became Center of Radical Islam," The Wall Street Journal, July 12, 2005, Zwischen Halbmond und Hakenkreuz, ARD documentary, July 19, 2006

(42) Filing of the Moscheebau Kommission, Munich, Amtsgericht, March 29, 1960, filings of the Islamische Germenischaft in Deutschland from 1973 to 2002, Munich Amtsgericht, interview with Bavarian Landesamt fur Verfassungsschutz officials, Munich, May 2009, interview with Stefan Meining, Munich, May 2009, interview with Ian Johnson, Berlin, November 2008.

الطلاب من ذوي الصلة برمضان. وتولى رئاسة الجمعية من بعد يازداني السوري غالب هيمات. هكذا أصبحت ميونيخ مركزاً آخر لجماعة الإخوان في أوروبا. لقد أصبح المسجد الذي أقيم في تلك المدينة، خاصة خلال شهر رمضان والمناسبات الدينية الأخرى، مركزاً جامعاً لأعضاء التنظيم ومناصريهم في كل أنحاء أوروبا. الجدير بالذكر أن ثلاثة من المرشدين الثمانية لجماعة الإخوان المسلمين المصرية كانوا من بين من قضوا جزءاً كبيراً من حياتهم بتلك المدينة الألمانية(43). ففي ميونيخ التقى غالب هيمات بيوسف ندا أحد قادة جماعة الإخوان ممن كان لهم القدح المُعلّى، مثل رمضان، في تطوير نشاط حركة الإخوان في الغرب(44). وقد كان ذلك اللقاء منطلقاً لنشاط سياسي ومالي بين هيمات وندا، استمر لأكثر من أربعين عاماً.

التحق يوسف ندا، سليل إحدى الأسر الثرية بمدينة الإسكندرية، بحركة الإخوان المسلمين منذ نعومة أظفاره. عند بلوغه سن الثالثة والعشرين كان ندا ضمن آلاف الإخوان الذين زجَّ بهم عبد الناصر في السجون بعد عام 1954م(45). وبعد سنتين في الحبس، أُطلق سراح ندا فعقد العزم على مغادرة مصر وعدم العودة إليها ثانية، وكانت وجهته ليبيا التي هرب منها عند الانقلاب الذي نفذه العقيد القذافي ورفاقه ضد نظام الحكم الملكي هناك، حينها سافر إلى النمسا وأقام فيها أنشطة

(43) Interview with Bavarian Landesamt fur Verfassungsschutz officials, Munich, May 2009, interview with Stefan Meining, Munich, May 2009,

(44) مقابلة مع يوسف ندا، كمبيوني دي إيتالي، 14 يوليو 2008م

(45) المرجع السابق. مقابلات مكثفة مع يوسف ندا حول حياته على صفحات صحيفة «المصري اليوم» المصرية (25- 30 مايو 2008م)، ومقابلة مع قناة «الجزيرة» في برنامج «شاهد على العصر»، من 4 أغسطس إلى 29 سبتمبر 2002م)

تجارية في مجال صناعة الألبان. وبينما انطلق ندا في بناء إمبراطوريته التجارية بين الشرق الأوسط وأوروبا، وبقى حاضراً ضمن حركة الإخوان وتقلباتها. ففي عقد السبعينات من القرن العشرين قام مرشد الإخوان عمر التلمساني بتعيين يوسف ندا مسؤولاً عن العلاقات الخارجية للحركة[46]. استفاد يوسف ندا من صلاته وعلاقاته العالمية التي كونها من خلال نشاطه التجاري وحرية التنقل التي كان يتمتع بها بفضل جواز سفره الإيطالي، فانطلق عبر العالم ممثلاً لمصالح الإخوان في لقاءاته مع قادة المسلمين من زعماء الحركات الإسلامية إلى رؤساء الدول. و أصبح قصره المنيف في كمبيوني دي إيتالي، إحدى المقاطعات الإيطالية داخل الحدود السويسرية، كما وصفه كثيرون بمن فيهم ندا نفسه، بمنزلة وزارة خارجية لحركة الإخوان المسلمين[47].

لقد كانت مهارات يوسف ندا في العمل التجاري سبباً في لعبه دوراً رئيساً في المجالات المالية لقيام فروع حركة «الإخوان المسلمون الغربيون الجدد». ففي خلال عقد الستينات من القرن العشرين أصبح ندا مشرفاً على عدد من أنشطة الإخوان من منظمات في الولايات المتحدة إلى مساجد في أوروبا. كما أمسى معلماً لكثير من شباب الإخوان، الذين استأجرهم للعمل ضمن شركاته المتعددة،حيث قام بربطهم بشبكة مليارديرات الخليج العربي. أخيراً، في عقد الثمانينات من القرن العشرين قام كل من ندا وهيمات، الذي كان يعيش في فيلا صغيرة بجوار فيلا ندا في كمبيوني دي إيتالي، بإنشاء بنك التقوى، المصرف الذي يعتقد بأنه

---

(46) مقابلة مع يوسف ندا في كمبيوني دي إيتالي ، 14 يوليو 2008م.

(47) مقابلة مع يوسف ندا في كمبيوني دي إيتالي، 14 يوليو 2008م.

قد أدى دورا كبيرا بوصفه داراً لمقاصات الإخوان في الغرب. فبحسب ما أوردته السلطات الأوروبية والأمريكية، استغل الإخوان بنك التقوى وشبكة من الشركات في تمويل عدد من مشروعاتهم في الدول الغربية. وقد اتهمت وزارة الخزانة الأمريكية كلاً من غالب هيمات ويوسف ندا بتوفير الدعم المالي لحركتي حماس والقاعدة، كما اتهمتهم الأمم المتحدة وعدد من الدول الغربية بتمويل الإرهاب ضمن أحداث 2001م، على الرغم من عدم مقاضاتهم بتلك التهم أمام أية محاكم[48].

بناء الشبكات

كما تشير الروايات حول سيد رمضان ويوسف ندا، فقد مثل وصول ذلك النفر الأول من الإخوان إلى أوروبا المرحلة الأولى في عمليات أسلمة الغرب، التي دشنها الإخوان المسلمون. ولكن تفاعل تلك الشخصيات النافذة من لاجئي الغرب مع عدد من الطلاب المتحمسين، ممن غازلوا حركة الإخوان في أثناء سني دراستهم ببلدانهم، أو ممن تعرفوا إلى فكر الإخوان بالمساكن الجامعية في الدول الغربية، كان يحمل في طياته عقابيل غير مرئية. فالمنظمات الصغيرة التي أنشأوها بطريقة عفوية، لم تلبث أن تحولت إلى مؤسسات فاقت سعتها توقعات مؤسسيها، إذ تحولت إلى أندية طلابية جامعة. وبنهاية السبعينات توصل مؤسسو تلك المنتديات إلى ضرورة إيجاد منظمات أشمل وأكبر، لاستيعاب وتلبية جميع احتياجات الجاليات الإسلامية في الغرب، وألا تقتصر هذه المنظمات

(48) "Recent OFAC Actions," U. S. Department of Treasury, Office of Foreign Assets Control, November 7, 2001. In March 2010 the UN removed Nada from the list.

على قطاعات الطلاب. فانطلقت الجماعة في إقامة عدد من التنظيمات، متبعين منهج المؤسس حسن البنا في الثلاثينات من القرن العشرين حيث أقاموا فروعاً لمنظمات الشباب والنساء، وشكلوا جمعيات لإصدار الصحف والمطبوعات، وشيدوا كثيراً من المدارس.

لقد تزامنت تلك المرحلة الناضجة من «حركة الإخوان في الغرب» مع بعض الأحداث المهمة التي شهدها العالم. ففي منطقة الشرق الأوسط بدأ مد حركة القوميين العرب في التراجع بل أخذت الحركة في التلاشي والاندثار بعد نكبة حرب 1967م وانهزام القوى العربية أمام إسرائيل. كان ذلك في مصلحة الحركة الإسلامية. كما أتاحت السياسة الجديدة التي انتهجها السادات في تحقيق تسوية تدريجية مع الجناح التوفيقي من جماعة الإخوان، أو من أصبحوا يعرفون بالإخوان الجدد، بإعادة تنظيم صفوفهم. وأخيراً، ومع استمرار حركة المهاجرين، والتئام شمل الأسر بدأت الجاليات الإسلامية في الدول الغربية في الاتساع. وأصبحت هذه المجتمعات في حاجة إلى تلبية احتياجاتها الروحية والبحث عن دور للعبادة، ومصادر للفكر الإسلامي، وكل أنواع الإرشاد الديني التي تحتاج إليها أقلية دينية تعيش خارج نطاق بيئتها.

أدت كل تلك العوامل بالإخوان الغربيين إلى اكتساب الثقة بالنفس، والنظر إلى الأمور من منطلقات ورؤى جديدة، حيث تغيرت نظرتهم للدور الذي يمكن أن يؤديه المسلمون في الغرب، ففي بعض الحلقات الدراسية التي عقدوها في أوروبا بدأ كبار المفكرين الإسلاميين في إعادة تعريف المعتقدات الدينية الموغلة في القدم، مشيرين إلى أن الحديث حول «دار

الإسلام» و «دار الحرب» لا يعكس الواقع الجديد[49]. ورأوا أن الغرب لا يمكن عده «دار إسلام» لعدم تطبيقه أحكام الشريعة الإسلامية، وفي الوقت نفسه لا يمكن نعته بـ «دار الحرب»، لأن المسلمين فيه مسموح لهم بممارسة شعائرهم الدينية بكل حرية، ولا يواجهون أي نوع من القمع أو الاضطهاد. وبناءً على ذلك، قرر هؤلاء المفكرون استحداث فئة ثالثة سموها «دار الدعوة» يصنفون تلك المجتمعات الغربية بوصفها دولاً تتعايش فيها الأقليات المسلمة بكل احترام، مع حقها في نشر دعوتها بسلام[50].

إن تداعيات ذلك القرار تذهب بعيداً عن عالم العقيدة، وبإعادة تعريفهم الحضور الإسلامي في الدول الغربية يكون الإخوان قد غيروا طبيعة دورهم في تلك المجتمعات. لقد ظل حلم إقامة الدول الإسلامية في العالم الإسلامي أحد أهم أجندتهم، ولكنهم بدأوا يركزون جهودا أكثر في أسلمة الأقليات المسلمة المتنامية في الغرب. وقد قاد هذا الطموح الإخوان الغربيين إلى القيام بأنشطة أكثر تعقيداً. فبعدما كان هؤلاء الإخوان يعملون بشكل مستقل، كلٌّ يمثل بلاده ففي مطلع السبعينات بدأت جماعات الإخوان المنتمية لكل جنسية جمع شتاتهم ومحاولة التنسيق فيما بينهم لتوحيد جهودهم. وقد انعقد أول اجتماع للإخوان الغربيين

(49) كثر الجدل حول هذين المفهومين بين المفكرين الإسلاميين ونجم عن ذلك آراء متضاربة وخلافات. كمثال على ذلك، أنظر:

Khaled Abou El Fadl, "Striking a Balance: Islamic Legal Discourse on Muslim Minorities," in Yvonne Yazbeck Haddad and John L. Esposito, eds. , Muslims on the Americanization Path? (New York: Oxford University Press 2000).

(50) Wasif Shadid and Sjoerd van Koningsveld, "Loyalty to a Non-Muslim Government," in W. A. R. Shadid and P. S. van Konignsveld, eds. , Political Participation and Identities of Muslims in Non-Muslim States (Kampen: Kok Pharos, 1996), Xavier Ternisien, Les Freres Musulmans (Paris: Fayad, 2005), 190-92.

في مسرح بمنطقة لندن في عام 1973م[51]. وانعقد هذا الاجتماع غير الرسمي، برعاية السفارة السعودية، بغرض إيجاد وسيلة للتنسيق بين القادة الإسلاميين في أوروبا. وفي السنة نفسها، وبدعم مالي وسياسي من المملكة العربية السعودية وبعض الدول الإسلامية الأخرى، تم تشكيل «المجلس الإسلامي في أوروبا»[52].

انطلاقا من مقره في منطقة بيلوغرافيا في لندن بدأ المجلس يمارس نشاطاً مفعماً بالحيوية طوال عقدي السبعينات والثمانينات من القرن العشرين، إذ شرع في عقد مؤتمرات حول الإسلام، وتقديم الدعم المالي للمنظمات الإسلامية في أوروبا، ومزاحمة مؤسسات الضغط في أوروبا، لتحقيق مصالح الأقليات المسلمة[53]. أسندت رئاسة المجلس للناشط سليم عزام سليل إحدى الأسر المصرية المعروفة. فبعد طرده من مصر انضم السيد عزام إلى البعثة الدبلوماسية السعودية، وتدرج في مناصبها حتى صار سفيراً ووزيراً مفوضاً بالسفارة السعودية في لندن[54]. وبفضل علاقات عزام بالعائلات الحاكمة في الدول العربية أصبح المجلس عضداً قوياً للإسلام السياسي في أوروبا، وأحد مراكز

(51) "London Conference of Islamic Centers and Bodies in Europe," Impact International, May 25-June 7, 1973.

(52) John Lawton, "Muslims in Europe: The Presence," Saudi Aramco World (January/February 1979), 3-8.

(53) Phone interview with Maha Azzam, March 2009, "Islamic Council of Europe, Foundations Well Laid", Impact International, May 26-June 8, 1978.

(54) People Section, Impact International, October 28-Novermber 10, 1977.

سالم عزام هو أحد أقرباء عبد الرحمن عزام، أول أمين عام لجامعة الدول العربية (الذي اقترنت كريمته بأكبر ابناء الملك فيصل عاهل المملكة العربية السعودية) والدكتور عبد الوهاب عزام رئيس جامعة القاهرة ومؤسسة جامعة الملك سعود بمدينة الرياض.

القوى المؤثرة، وبدأ في توفير الدعم المالي لكثير من المراكز الإسلامية، وتشكيل علاقات قوية مع مؤسسات المجتمع الأوروبي. أصبح المجلس يعرف لدى مسلمي بريطانيا بـ «المنظومة الإسلامية النفاثة» حيث لم يكن لأعضائه قاعدة جماهيرية داخل الجاليات الإسلامية في الغرب، بل انحصرت أغلب أنشطته في عقد المؤتمرات والاجتماعات الصفوية مع رؤساء الدول[55].

مع توافر الدعم المالي من رابطة العالم الإسلامي أصبح المجلس الإسلامي في أوروبا يمثل إحدى المنظمات الإسلامية في القارة العجوز، التي تجاوزت الفروق العنصرية بين المسلمين، فإلى جانب بعض القادة العرب من أمثال سليم عزام وسيد رمضان لعب بعض النشطاء من جنوبي آسيا دوراً فاعلاً في أروقة المجلس[56]. ومن ناحية أخرى، ومنذ مطلع الستينات آوت بريطانيا شبكة صغيرة من المنظمات المرتبطة بـ«الجماعة الإسلامية» الباكستانية، المنظمة التي أنشأها المودودي في عام 1941م. ولكن بينما أعلنت جماعة الإخوان المسلمين عن وجودها في غالبية الدول الأوروبية، فإن الجماعة الإسلامية حصرت نشاطها في بريطانيا، التي توجد فيها جاليات كبيرة من جنوبي آسيا، حيث أنشأت الجماعة ما يسمى «البعثة الإسلامية بالمملكة المتحدة» في عام 1962م و «المؤسسة الإسلامية»، أول مراكز البحث الإسلامي في أوروبا، في عام 1973م. وقد

(55) "Spectrum: A Roll Call of UK Islamic Groups – Islam and Britain," Times of London, August 17, 1987.

(56) "Islamic Council of Europe: Progress and Plans," Impact International, September 10-23, 1976, "News from the Muslim World League," Muslim World League Journal, July 1974.

أصبحت «المؤسسة الإسلامية»، التي بدأت أعمالها انطلاقاً من مدينة ليستر ثم انتقلت إلى قرية ماركفيلد المجاورة، ناشطة في طباعة أعمال المودودي وسيد قطب وعدد من منظري الصحوة الإسلامية وترجمتها، ثم أنشأت أكبر مكتبة إسلامية في أوروبا، إضافة إلى تنظيمها كثيراً من البرامج الدعوية والأكاديمية بالاشتراك مع بعض المنظمات غير الإسلامية(57).

لقد كان المجلس الإسلامي في أوروبا، والمؤسسة الإسلامية في ليستر من أولى المبادرات التي ربطت بين الإخوان المسلمين والجماعة الإسلامية، وظلت هناك رابطة تاريخية وشخصية، وأهم من ذلك، فكرية بين الجماعتين. فقد علق غازي أحمد حسين رئيس الجماعة الإسلامية الباكستانية بقوله: «إننا نعد أنفسنا جزءاً مكملاً لجماعة الإخوان والحركة الإسلامية في مصر والسودان وماليزيا» ومضى إلى القول: «إننا أمة واحدة وأساسنا الفكري واحد: كتاب الله وسنة رسوله، وكلنا نتبع تعاليم الإمامين حسن البنا وأبو الأعلى المودودي»(58). أحد رموز تلك الرابطة كان خورشيد أحمد، أحد الرواد الذين لا يقل دورهم عما قام به سيد رمضان، ويوسف ندا. لقد صعد خورشيد، أحد التابعين الأوائل للمودودي، إلى منصب نائب رئيس الجماعة الإسلامية، إلى جانب سيرته الوظيفية الثرة إذ كان عضواً بمجلس الشيوخ الباكستاني، ووزيراً للتخطيط في حكومة ضياء الحق(59). وقد تم تكليفه من قبل حزبه للقيام بمهمة «نشر

(57) Cesari, When Islam and Democracy Meet, 147

(58) Sylvain Besson, La Conquete de l'Occident (Paris: Seuil, 2005), 114

(59) Http://www. jamaat. org/leadership/pka. html (accessed January 17,2008)

الإسلام في أوروبا وأفريقيا وأمريكا» بين عامي 1968 و1978م واتخذ من بريطانيا مقراً لإقامته[60]. هناك انضم إلى هيئة إدارة المجلس الإسلامي في أوروبا وأنشأ المؤسسة الإسلامية في ليستر. أصبح خورشيد عضواً رئيساً في الشبكات غير الرسمية لعلماء الصحوة الإسلامية المقيمين في أوروبا، حيث وطد روابط مؤسسته مع الإخوان الغربيين بانضمامه لمجلس المساجد في ميونيخ[61]. بينما بقيت المجتمعات الإسلامية الأخرى في أوروبا مقسمة كلٌّ حسب جنسيته، تمكن الصحويون، يدفعهم إيمانهم بوحدة الأمة، من تجاوز الفروق العرقية وعملوا معاً لتشكيل وصياغة رؤية موحدة.

اتخذ علماء الصحوة الإسلامية بالدول الغربية الذين توحدت رؤاهم، واجتمعت كلمتهم حول المجلس الإسلامي في أوروبا، خطوة أخرى لزيادة التنسيق بينهم في يوليو عام 1977م، عقب عقدهم مؤتمراً في لوغانو تلك المدينة السويسرية الساحرة على بحيرة لوغانو التي كانت مقرا دائما لأعمال يوسف ندا التجارية، حيث قام «وزير خارجية» الحركة الثري بتنظيم ذلك المؤتمر[62]. وقد جمع «المؤتمر العالمي الأول حول أسلمة المعرفة» بين بضعة وثلاثين من قادة الحركة الإسلامية العالمية[63]. كان في مقدمة الحضور أحمد خورشيد، وعبد الحميد أبو

(60) John L. Esposito and John O. Voll, Makers of Contemporary Islam (Oxford University Press, 2001), 45-46.

(61) Annual Filings of the Islamische Gemeinschaft in Suddeutschland, Amtsgericht, Munich, 1983.

(62) مقابلة مع يوسف ندا ، كمبيوني دي إيتالي، 14 يوليو 2008، و
Mohamed Nimer, The North American Muslim Resource Guide: Muslim Community Life in the United States and Canada (New York: Routledge, 2002), 161-62.

(63) Barzinji, "History of the Islamization of Knowledge and Contributions of the In-

سليمان، أحد مؤسسي «الندوة العالمية للشباب الإسلامي» (WAMY)، ويوسف القرضاوي، أحد أعضاء جماعة الإخوان المسلمين المقيم في دولة قطر، بوصفه أحد أهم علماء الدين في تلك الإمارة النفطية.

وقام الإسلاميون المقيمون في أمريكا بدور رائد في مؤتمر لوغانو. بدأ أعضاء حركة الإخوان المسلمين وأنصارهم الهجرة إلى الولايات المتحدة منذ أوائل الخمسينات من القرن العشرين. وأسسوا في عام 1963م «جمعية الطلبة المسلمين» (MSA) التي بدأت مجموعة صغيرة مؤلفة من نحو مائة من الطلاب من جامعات الوسط الغربي الأمريكي(64). وقد برز من بين هؤلاء الناشطين ثلاثة من الرواد الذين ينتمون إلى أكراد العراق هم: جمال برزنجي، وأحمد توتنجي، وهشام الطالب. غادر هؤلاء الطلاب العراق بعد أن تعرض فرع جماعة «الإخوان المسلمون» في كردستان إلى قمع النظام العراقي والبطش والتنكيل بأعضاء الجماعة. وأكمل هؤلاء الطلاب دراستهم الجامعية في المملكة المتحدة، ثم انتقلوا منها إلى الولايات المتحدة في نهاية عقد الستينات(65). وحال وصولهم إلى أمريكا نشط هؤلاء الأكراد الثلاثة نشاطاً ملحوظاً ضمن المنظمات التابعة لحركة

ternational Institute of Islamic Thought", 13-21, Leif Stenberg, The Islamization of Science: Four Muslim Positions Developing an Islamic Modernity (New York: Coronet Books, 1996), 157-58.

(64) Ilyas Ba-Yunus and Kassim Kone, Muslims in the United States (Westport, CT: Greenwood Press, 2006), 49, http://www. msanational. org/about/history/ (accessed September 24, 2008), interviews with MSA members, Chicago, December 2002.

(65) Larry Poston, Islamic Da'wah in the West (New York: Oxford University Press, 1992), 79, interview with Yussuf Nada, Campione D'Italia, July 14, 2008, John Mintz and Louglas Farah, "In Search of Friends among the Foes: US Hopes to Work with Diverse Group," Washington Post, September 11, 2004.

الإخوان في الولايات المتحدة وخارجها، حيث تعاقب توتنجي والطالب على منصب الأمين العام لـ «الاتحاد الإسلامي العالمي للمنظمات الطلابية والشبابية» (IIFSO)، المظلة الكويتية لمنظمات الطلاب المسلمين بالخارج التي سبقت قيام «الندوة العالمية للشباب الإسلامي» السعودية. ثم شغل الطالب منصب الأمين العام للندوة العالمية[66]. أصبح الاتحاد الإسلامي العالمي، والندوة العالمية أكثر المنظمات الشبابية العالمية نشاطاً وتمويلاً ورعتها بعض دول الخليج العربي بغرض نشر الدعوة الإسلامية عالميا بحسب رؤيتها[67].

على المستوى المحلي لم يكن أولئك الطلاب الأكراد أقل نشاطاً. فإلى جانب عملهم اليومي في إدارة منظمة الطلاب المسلمين –تولى برزنجي فيها منصب رئيس لجنة التخطيط والتنظيم، وتوتنجي الرئيس، والطالب واحداً من الأعضاء المؤسسين- فإنهم قد قاموا بدور فاعل في إنشاء شبكة من المنظمات الأخرى ذات الصلة[68]. ففي عام 1973م أسسوا «دار الوقف الإسلامي في أمريكا الشمالية» (NAIT) برئاسة الطالب وبرزنجي بغرض توفير الدعم المالي لنشاطات منظمة

---

(66) Ahmad Totonji, "World Assembly of Muslim Youth," Impact International, October 22-November 11, 1976, "IIFSO Conference: No Proclamations, No Self-Congratulations, Just Sharing of Experience," Impact International, August 12-15, 1977.

(67) John L. Esposito, ed. , The Oxford Encyclopedia of the Modern Islamic World (New York/Oxford: Oxford University Press, 1995), 207-209.

(68) "ISNA Recognizes IIIT VP Dr. Jamal Barzinji for Pioneering Service," September 8, 2008, http://www. iiit. org/NewsEvents/News/tabid/62/articleType/ArticleView/articleId/90/default. aspx, (accessed September 24, 2008), Steven Merley, The Muslim Brotherhood in the United States, research monograph for the Hudson Institute, April 2009, 9-10, "Muslim Students' Associations Hold Annual Convention," Muslim World League Journal, November/December 1965.

الطلاب المسلمين،[69] التي طورت من ناحيتها شبكة من المنظمات التابعة والجماعات المهنية من «جمعية العلماء والمهندسين المسلمين» (AMSE) إلى «جمعية علماء الاجتماع المسلمين» (AMSS) التي قامت بإصدار «المجلة الأمريكية لعلماء الاجتماع المسلمين»[70]. وعلى طريق نظرائهم الأوروبيين أدرك الإخوان الأمريكيون أن احتياجاتهم لا يمكن أن تلبيها منظمة طلابية، ولذلك أسسوا «التجمع الإسلامي لشمال أمريكا» (ISNA) وهو عبارة عن مظلة تنظيمية لاستيعاب الجميع[71]. قامت كل من الجمعية الإسلامية لشمال أمريكا والهيئة الإسلامية لشمال أمريكا ومنظمة الطلاب المسلمين ببناء مقر لها بلغت كلفته ملايين الدولارات على مساحة 42 فداناً في إحدى ضواحي مدينة إنديانابولس، حيث أصبح مركزاً لعقد المؤتمرات ولخدمة كل المنظمات التابعة لهم[72].

يعزى نجاح هؤلاء الطلاب الأكراد في بناء منظومة هرمية من المؤسسات إلى قوة نشاطهم ورؤيتهم الصائبة، ولكن الجانب التمويلي لتلك الأعمال لا يمكن إغفاله. فخلال عقود السبعينات والثمانينات من القرن العشرين وجد الرجال، الذين كانوا يعملون بشركات يوسف ندا،

---

(69) http://www. nait. net/ (accessed September 24, 2008).

(70) Barzinji, "History of the Islamization of Knowledge and Contributions of the International Institute of Islamic Thought", 18

(71) "Pangs and Process of Self-Discovery," Impact International, October 14-27, 1983, interview with ISNA Official, Chicago, December 2002, Poston, Islamic Da'wah in the West, 104

(72) Gutbi Mahdi Ahmed, "Muslim Organizations in the United States," in Yvonne Yazbeck Haddad, ed. , The Muslims of America (Oxford: Oxford University Press, 1991), 14-18.

مدخلاً إلى شبكة من المانحين من أثرياء الدول الخليجية النفطية[73]. وقد اشترى ندا بيتاً في إنديانابولس (حيث ولد ثلاثة من أبنائه الأربعة بالولايات المتحدة)، ولثلاثين عاماً ظلت علاقته بأولئك الأكراد الثلاثة (برزنجي، وتوتنجي، والطالب) حميمة حتى إنه كان يناديهم «أبنائي»[74]. وقد منح مؤتمر لوغانو 1977م الذي نظمته جمعية علماء الاجتماع المسلمين هؤلاء الثلاثة المزيد من السلطات والصلاحيات. كما قرر المؤتمرون أنه، ومن أجل تعزيز وجود الحركة الإسلامية بالغرب، فإن على الإخوان تطوير منهج علمي لتطهير الفكر الإسلامي ووسائل نشره. مع إدراكهم ضعف المعارف العلمية والعسكرية والثقافية بالعالم الإسلامي بحث المؤتمرون وسائل لردم هذه الفجوة الثقافية[75]. وقد وجدوا ضالتهم في فكرة «أسلمة المعرفة»، أي: تحليل كل الظواهر الاجتماعية والسياسية من وجهة النظر الإسلامية[76]. فقد تمحورت جهودهم حول خلق «مستودع أفكار» من خلال إقامة «المعهد العالمي للفكر الإسلامي» (IIIT) الذي قرر المجتمعون في لقاء لوغانو أن تكون الولايات المتحدة مقراً له. وقد تشكل أول مجلس للمعهد من مؤسس «الندوة العالمية للشباب الإسلامي» وخريج جامعة بنسلفانيا أبو سليمان، وبرزنجي، والمفكر الإسلامي المقيم بالولايات المتحدة ومؤسس رابطة العالم الإسلامي طه العلواني،إضافة

(73) مقابلة مع يوسف ندا، كمبيوني دي إيتالي، 14 يوليو 2008م. إحدى الشركات «ندا انترناشونال»، واحدة من عدة شركات أنشأها يوسف ندا في ليخشتاين. وقد عمل كل من برزنجي والطالب كأعضاء بمجلس أمنائها لعدة سنين.

(74) مقابلة مع يوسف ندا، كمبيوني دي إيتالي، 14 يوليو 2008م.

(75) Barzinji, “History of the Islamization of Knowledge and Contributions of the International Institute of Islamic Thought”, 13-21, Muhammad Shafiq, Growth of Islamic Thought in North America (Brentwood, MD: Amana Publications, 1994), 87

(76) Ismail Raji Al-Faruqi, “Islamizing the Social Sciences,” Muslim World League Journal, August 1977.

إلى أنور إبراهيم الذي أصبح فيما بعد نائباً لرئيس وزراء دولة ماليزيا (1993-1998م). لقد تأسس المعهد في البداية بمدينة بنسلفانيا في عام 1980م (تم نقل مقره لاحقاً إلى إحدى ضواحي مدينة واشنطن)، وقد انعقد أول اجتماع لمجلسه بمنزل برزنجي في ماريلاند[77]. وقد خدم المعهد، بالتعاون مع المؤسسة الإسلامية في ليستر وعدد من المنظمات السعودية والخليجية، كمركز لنشر فكر الصحوة الإسلامية، مع التركيز في ترجمة أعمال حسن البنا وسيد قطب والمودودي وعدد من المفكرين الإسلاميين إلى مختلف اللغات الغربية.

أسندت مهام الإدارة المالية لإسماعيل فاروقي، سليل إحدى الأسر الفلسطينية النافذة بمنطقة يافا وخريج جامعة هارفرد، الذي حصل على كرسي الأستاذية بجامعة تمبل في فيلادلفيا[78]. كمهاجر من أصول عربية، اعتنق فاروقي الفكر الإسلامي العالمي بالولايات المتحدة، من خلال صلاته بقيادة «جمعية الطلبة المسلمين» (MSA). وبفضل ملكاته الفكرية الفائقة أصبح فاروقي أحد رموز الشبكات الرائدة لجماعة الإخوان الأمريكيين محولاً جامعة تمبل في فيلادلفيا إلى بؤرة للفكر الإسلامي. وقد درس كثير من الإسلاميين الشباب، الذين استفادوا من المنح الدراسية التي تقدمها الندوة العالمية وعدد من المنظمات السعودية الأخرى، على يد فاروقي بجامعة تمبل، كما تحول منزله الكائن بإحدى ضواحي

(77) Shafiq, Growth of Islamic Thought in North America, 28, http://www. iiit. org/ AboutUs/AboutIIIT/tabid/66/Default. aspx (accessed, September 8, 2008), Merley, The Muslim Brotherhood in the United States, 26.

(78) للمزيد من المعلومات عن السيرة الذاتية لإسماعيل فاروقي، أنظر:
Shafiq, Growth of Islamic Thought in North America. See also Esposito and Voll, Makers of Contemporary Islam, 23-35.

فيلادلفيا، الذي كان يدير من خلاله أعمال وأنشطة المعهد، إلى النموذج الإسلامي لصالونات باريس خلال القرن التاسع عشر. وقد اغتيل فاروقي وزوجته في عام 1986م بمنزلهم على يد أحد أتباعه، وهو أمريكي أفريقي اعتنق الإسلام، لأسباب لم يكشف عن سرها حتى الآن.

من هو الأخ المسلم؟

منذ بدايتهم المتواضعة في بداية عقد الستينات من القرن العشرين، ظل «الإخوان الأمريكيون» يحققون مكاسب هائلة. إذ تمكنت مجموعة من تكتلات الإخوان، الذين يعملون داخل منظومات لا حصر لها من المجالس والجمعيات، من تشكيل هيئة تنظيمية فاعلة. كما أصبح «المعهد العالمي للفكر الإسلامي» (IIIT) منظمة عالمية تمتد فروعها في عدد من الدول[79]، حيث يشارك في مؤتمراته كبريات الجامعات وبيوت الخبرة الأمريكية، كما يحضرها كبار المسؤولين الحكوميين. ومن ناحية أخرى، تتولى المؤسسة التعليمية التي يرتبط بها المعهد على المستوى الأكاديمي، «جامعة العلوم الإسلامية والاجتماعية» ومقرها في فرجينيا، تدريب المئات من العلماء والأئمة واختيارهم لأداء الخدمة العسكرية حسب الاتفاق مع وزارة الدفاع الأمريكية[80]. ومن ناحية أخرى، يقوم «التجمع الإسلامي لأمريكا الشمالية» (ISNA) بتنظيم أكبر تجمع

(79) http: / / www.iiit.org/AboutUs / OfficesAffiliates / tabid / 68 / Default. aspx (accessed September 24, 2008).

(80) أنظر رسالة موجهة من مكتب مساعد وزير الدفاع الأمريكي إلى عبد الرحمن العمودي، المدير التنفيذي لمجلس المسلمين الأمريكيين، 12 سبتمبر 1996، جامعة قرطبة،
http://www.siss.edu/Newsletter / FirstMAMCAConference8-8-00.htm (accessed through www.archive.org).

للمسلمين الأمريكيين، يحضره ما لا يقل عن 30،000 مشارك سنوياً، كما تتم دعوة قياداته إلى حفل عشاء سنوي يقيمه الرئيس الأمريكي بالبيت الأبيض في نهاية شهر رمضان، حيث يلتقون كبار المسؤولين في الإدارة الأمريكية.

إن نجاح الحركة الإسلامية في أمريكا وتمكنها من الانطلاق من خلايا طلابية صغيرة إلى شبكة ضخمة من المنظمات متعددة الأغراض، قد صاحبها تطور مماثل في كل الدول الغربية. ففي جميع تلك الدول نمت وطالت قامة المنظمات الإسلامية، التي بدأت أيضاً في شكل تجمعات صغيرة أسسها طلائع الإخوان المسلمين خلال عقدي الستينات والسبعينات من القرن العشرين، بشكل غير مسبوق من حيث تأثيرها في الجاليات الإسلامية في الغرب، ودخولها عالم الصفوة السياسية والفكرية والإعلامية في تلك الدول. فالمؤسسة الإسلامية في ليستر تقيم حفلات عشاء سنوية حضر إحداها أمير ويلز، متخذاً لنفسه مقعداً بجوار رئيسها خورشيد أحمد مبدياً إعجابه بمنجزاتها التعليمية وما تبذله من جهود في حقل العلم والتعليم(81). أما الجمعية الإسلامية في ألمانيا، التي أسسها سيد رمضان بعد سيطرة الإخوان المسلمين على إدارة جمعية بناء المساجد، التي تولى رئاستها غالب هيمات لعشرين عاماً انتهت باتهام الأمم المتحدة له بتمويل الإرهاب، فقد تمكنت من فرض سيطرتها وكلمتها على كثير من مساجد ألمانيا، كما أن كثيراً من قادتها وصل إلى مخاطبة

---

(81) حديث لأمير ويلز أثناء زيارته للمؤسسة الإسلامية في 24 يناير 2003،
http://www. princeofwales. gov. uk/speeches/multiracial_24012003. htm (accessed April 22, 2005).

البرلمان الأوروبي.

قبل أن نسهب في تحديد أسباب نجاح حركة الإخوان في الغرب، يجدر بنا معالجة إحدى المشكلات المصطلحية. فعندما يتناول الخبراء موضوع شبكات الإخوان في الغرب، فإن تحليلاتهم وتنبؤاتهم كثيرا ما تصطدم بحقيقة لا يمكن إنكارها، ألا وهي: ليست هناك منظمة رسمية للإخوان المسلمين في الغرب. كما أن الأشخاص والمنظمات، ممن تصفهم الحكومات والمجتمعات بأنهم «أعضاء في جماعة الإخوان المسلمين أو «مرتبطون بجماعة الإخوان المسلمين يعارضون ذلك التمييز حتى بالسبل القانونية في بعض الأحيان. وهذا ما يسهل فهمه. فالارتباط بجماعة الإخوان المسلمين في الغرب لا يمثل مخالفة للقانون كما هو الحال في مصر وسورية ودول الشرق الأوسط الأخرى. إن الارتباط بتلك الجماعة، حتى لو اقتصر على المستوى الفكري، يؤثر في الاعتراف بالكينونة التنظيمية ومن ثم على علاقتها بالمؤسسات السياسية في الغرب.

لفهم تلك الوضعية لا بد من تحليل نشأة جماعة الإخوان المسلمين وتفرعاتها في الغرب. خلال عقد الثلاثينات من القرن العشرين، أسس حسن البنا منظمة ذات هيكل هرمي محدد، وطقوس يقوم من خلالها العضو بأداء قسم الولاء والطاعة قبل أن ينضم إلى التنظيم. وعلى الرغم من اقتصار ذلك التنظيم على الحالة المصرية، ففي عقد الأربعينات أسست الجماعة قسم الاتصال بالعالم الإسلامي[82]. وأصبح يدير هذا القسم مدير ونائبان للمدير وسكرتير، وأدرج ضمن الهيكل التنظيمي للجماعة.

(82) Mitchell, The Society of the Muslim Brothers, 172-73.

وتتبع القسم تسع لجان دائمة، ست منها مختصة بالتعامل مع المناطق الجغرافية في العالم الإسلامي، بينما وجهت باقي اللجان إلى العمل حيث توجد أقليات مسلمة مثل الاتحاد السوفييتي، وأوروبا، والأمريكيتين. وفي الوقت الذي بدأت فيه أفكار الإخوان المسلمين في الانتشار بمختلف دول العالم، حاول حسن البنا تشكيل منظمة متعددة الجنسيات، ولكن ذلك المشروع لم ير النور بسبب سياسة القمع التي انتهجها النظامان الملكي والناصري في حق الإخوان في مصر[83].

في عقد السبعينات من القرن العشرين، عندما بدأ أعضاء جماعة الإخوان المسلمين التحرر من أسر السجون، وبدأت المنظمة تستعيد قدرتها على تخطيط أنشطتها في ظل حكومة السادات التي انتهجت سياسة مهادنة للجماعة، عاودت الجماعة محاولاتها إقامة منظمة عالمية جيدة الهيكلة[84]. إذ يقول عبد الوهاب الأفندي، أحد الأكاديميين المقيمين في لندن والعضو السابق في الجبهة القومية الإسلامية، الحزب الإسلامي في السودان، «اتفقت منظمات الإخوان المسلمين في كل من الكويت والأردن ولبنان وسورية والعراق على الانضمام إلى حركة الإخوان المسلمين في مصر، واتخاذ مرشدها قائداً للجماعة»[85]. في عام 1982م أعلن رسمياً عن قيام المنظمة العالمية للإخوان المسلمين، لتصبح منظمة إسلامية شاملة تهدف إلى إعلاء كلمة الله في الأرض، تتألف من عدد من المؤسسات (المرشد العام، مكتب الإرشاد العام، ومجلس الشورى)

(83) مقابلة مع الدكتور عبد المنعم أبو الفتوح، القاهرة، ديسمبر 2008، ومقابلة مع بربارة زولنر، لندن، ديسمبر 2008.

(84) مقابلة مع الدكتور عبد المنعم أبو الفتوح، القاهرة، ديسمبر 2008

(85) Wendy Kristianasen, “A Row in the Family,” Le Monde Diplomatique, April 2000

تقوم بتنسيق أنشطة مختلف أفرع التنظيم[86]. لقد سعى التنظيم إلى التأليف بين قيادي الإخوان في مختلف دول الوطن العربي، في إطار المنظمة العالمية للإخوان المسلمون - مع سيطرة القيادات المصرية- وذلك بهدف وضع استراتيجية موحدة للحركة، والتحكيم في النزاعات الداخلية، وتوزيع موارد المنظمة المالية. لكن تلك التجربة لم يكتب لها النجاح، إذ إن قوانين حظر السفر والقيود الأمنية التي فرضتها كثير من الأنظمة العربية على جماعة الإخوان لم تمكن أعضاءها من حرية التنقل للقاء بشكل دوري منتظم. الأهم من ذلك أن محاولة خلق منظمة متعددة الجنسيات قد فشلت بسبب معارضة كل فروع الحركة لسيطرة المصريين على قيادتها. وإذا كان لدى تلك القيادات المصرية توجه نحو تطبيق النموذج السوفييتي «الكومونترن الإسلامي» وأن تمثل القاهرة ما تمثله موسكو في ذاك النموذج، فإن فروع الحركة في الدول الأخرى أعلنت معارضتها ورفضها لذلك التوجه، وتنادت بالمزيد من الديموقراطية في عمل المنظمة[87].

إن الإخفاقات المتكررة للإخوان المصريين في خلق هيكل تنظيمي متعدد الجنسيات، تسيطر عليه القاهرة لا تنفي حقيقة أن: هناك بالفعل منظمة عالمية للإخوان المسلمين، ولكنها تؤدي عملها بمشقة في إدارة الشأن الإسلامي العام[88]. لا ننكر بأنه خلال السنوات الخمسين الماضية

(86) مقابلة مع كمال هلباوي، لندن، ديسمبر 2008، في:
Israel Elad Altman, Strategies of the Muslim Brotherhood Movement, 1928-2007, monograph for the Hudson Institute, January 2009, 5-6,
مقابلة مع إسرائيل إيلاد التمان، باريس، مايو 2009
(87) Altman, Strategies of the Muslim Brotherhood Movement, 1928-2007, 5-6.
(88) Leiken and Steven Brooke, "The Moderate Muslim Brotherhood", 115

أثرت مجموعة الأفكار والمناهج، التي ابتدعها حسن البنا، وشارك في بلورتها مجموعة من المفكرين، لم تكن لكثيرين منهم علاقة تنظيمية بالجماعة، في أجيال من الناشطين الإسلاميين، الذين اعتمدوا على تلك الأفكار والمناهج في إقامة عدد من المنظمات على مستوى العالم. وعلى الرغم من أن الأثر الوظيفي لجماعة الإخوان المصريين في تلك المنظمات لا يذكر أو معدوم، إلا إن تلك المجموعات لم تنكر أنها مدينة بكثير للحركة المصرية.

إن عبارة الإخوان المسلمين في يوم الناس هذا تشير إلى عدة وقائع. إذ لا يزال يجمعهم تنظيم واحد موحد في مصر وعدد من دول الشرق الأوسط، الذي تعد تنظيماته نفسها فروعاً للحركة المصرية الأم. ليس هذا فحسب بل إن الحركة الإسلامية لا تزال تمثل حركة عالمية يتفاعل داخلها جماعة ذات فكر موحد، من خلال شبكة دولية معقدة من العلاقات المالية والشخصية والفكرية. إذ يصفها محمد عاكف، مرشد الجماعة المصرية حتى يناير 2010م بأنها «حركة كونية يتعاون أعضاؤها بعضهم مع بعض في كل أنحاء العالم، وتقوم على الفكرة الدينية نفسها – نشر الدعوة الإسلامية حتى يسود هذا الدين البشرية جمعاء»[89].

إن التوجه نحو خلق حركة عالمية بدلاً عن منظمة هيكلية رسمية، ظل حاضراً منذ ولادة الحركة. فحتى مؤسسها حسن البنا كان يقول إنه لا ينظر إلى الحركة كحزب سياسي، ولكن «فكر وعقيدة، نظام ومنهاج، تجعلنا غير مقيدين بمكان معين، أو جماعة معينة، ولن نكون كذلك إلى

(89) مقابلة بصحيفة «الشرق الأوسط»، 11 ديسمبر 2005.

أن تقوم الساعة ويرث الله الأرض وما عليها»[90]. منذ عقد الأربعينات من القرن الفائت ظلت رسالة الإخوان المسلمين تنتشر في الدول الإسلامية كلها وغيرها من بلاد العالم. وقد اتخذت الجماعة شكلاً مختلفاً في كل بلد حسب الظروف السياسية المحلية الخاصة بكل دولة. وفي دول الشرق الأوسط، التي سمح لهم بالعمل فيها، تحولت الجماعة إلى حزب سياسي بينما ظلت تعمل تحت الأرض في الدول التي حظرتها واقتصر نشاطها على الدعوة والعنف في بعض الأحيان. ففي فلسطين أطلقت يد الجماعة فشكلت ما أصبح يعرف اليوم بحركة حماس، التي يصفها ميثاق التنظيم بأنها تمثل الفرع الفلسطيني الرسمي لجماعة الإخوان المسلمين[91]. أما في الغرب فقد اتخذت الجماعة أشكالاً محلية مألوفة مثل جماعات حقوق الإنسان ومنظمات اللوبي الديني.

على الرغم من أن مجمل فروع حركة الإخوان المسلمين كانت تعمل بناء على توجه فكري واحد، فإنها ظلت مستقلة على مستوى أنشطتها. نعم، كانت تجري مشاورات واستشارات بين مختلف تلك الفروع، ولكن كل منها كان له مطلق الحرية في اتباع ما يوصى به. وبناء عليه فإن الحركة العالمية لجماعة الإخوان المسلمين لا تعرف الآن كجماعة موحدة، أو اتحاد غير مترابط، بل كحركة فكرية تختار ضمنها كل جماعة تكتيكاتها الخاصة؛

(90) Cited in Hillel Fradkin, "The History and Unwritten Future of Salafism," Current Trends in Islamist Ideology, November 25, 2007.

(91) للاطلاع على المزيد من التحليل حول كيف تحول فرع الإخوان المسلمين في فلسطين إلى حركة حماس، أنظر:

Azzam Tamimi, Hamas: A History from Within (Northampton, MA, Olive Branch Press, 2007), 10-51, and Abu-Amr, Islamic Fundamentalism in the West Bank and Gaza, 1-22.

لتحقيق أهدافها قصيرة الأجل، باستقلالية تامة. ولكن ظل الشأن الجامع لتلك الجماعات هو إيمانها العميق بالإسلام منهج حياة، يتطور في المدى البعيد إلى نظام سياسي يستخدم أساليب مختلفة حسب الزمان والمكان. لقد استفادت الجماعة من ظروف العولمة والتقنيات الحديثة، وأصبحت نموذجاً مثالياً للنشاط العالمي الحديث كحركة: غير رسمية، متجانسة، وفي حالة نمو مطّرد[(92)].

وقد أكد محمد حبيب أول نائب لرئيس جماعة الإخوان المسلمين في مصر في مقابلة أجريت معه في عام 2008م ذلك التحليل للمنظمات، التي تنضوي تحت لواء الجماعة، حيث يقول: «هناك مجموعة من التنظيمات في عدد من دول العالم تتبع التوجه الفكري نفسه والمبادئ والأهداف نفسها ولكنها تعمل في ظروف وأطر مختلفة. وعليه يصبح من المنطقي اتباع منهج اللامركزية حتى تستطيع كل منظمة العمل وفقاً لظروف بيئتها وما تواجهه من مشكلات داخل تلك الأطر»[(93)]. وأضاف حبيب أن تلك اللامركزية تخدم هدفين: «الهدف الأول أنها تتيح حرية الحركة. والثاني أنها تركز في الأفعال. فتستطيع كل منظمة داخل دولتها اتخاذ ما يناسبها من قرارات؛ لأنها أدرى بمشكلاتها وظروفها والأطر التي تعمل داخلها. ولكن هناك مركزية في بعض الأحوال. فتلك المنظمات

(92) مقابلة مع جون فول، واشنطون، أكتوبر 2008، لتعريف معنى «النشاط الانتقالي» أنظر:
Sidney Torrow, The New Transitional Activism (Cambridge: Cambridge University Press, 2005).

(93) مقابلة مع نائب رئيس جماعة الإخوان المسلمين محمد حبيب في صحيفة «الأحرار» اليومية كما ورد بالموقع الرسمي للإخوان المسلمون على الانترنت في 16 يونيو 2008
http://www. ikhwanweb. com/Article. asp?ID=1&SectionID=o (accessed August 1, 2008)

يمكنها إجراء حوار فيما بينها، عندما تكون هناك قضية عامة تهم كل العرب أو المسلمين، مثل: قضية فلسطين. في هذه الحالة يصبح الجميع ملزمين بالتعاون بشأنها». وقد أمن على حديث حبيب أحد أعضاء «اتحاد المنظمات الإسلامية في فرنسا» (UOIF)، فرع جماعة الإخوان الغربيين في فرنسا، الذي حاورته بريجيت مارشال، حيث قال: «إن أساس هذه الحركة الفكرية هو القدرة على التكيف مع كل واقع... وعليه فإنه في الإطار الفلسطيني يكون هناك توجه نحو العنف والتفجير، أما في الإطار الفرنسي فإن الحديث يكون حول المنهج العلماني»[94].

تمثل الحركة العالمية للإخوان المسلمين،،شأنها في ذلك شأن الحركات التي تنتشر في عدة أماكن، ولديها ملايين الأفرع، تكتلاً جباراً تتعدد تقسيماته الشخصية والفكرية، وتنشأ الاختلافات في داخله حول كيفية تحقيق الأهداف المرجوة، بل وفي بعض الأحيان حول ماهية تلك الأهداف. وليس أدل على ذلك من قضايا مثل حرب الخليج الأولى، والحجاب، التي أثارت جدلاً واسعاً في أوساط الجماعة في فرنسا، تحول إلى صدام شخصي بين أعضائها. وبشكل عام يكثر الجدل بين أعضاء الجماعة حول كثير من المسائل الدينية، كما تكثر الصراعات حول المناصب السياسية وتوزيع الموارد المالية وقيادة الحركة. ولكن على الرغم من تلك الخلافات فإن أيمانهم العميق بالطبيعة السياسية للإسلام، وتبنيهم منهج حسن البنا في التنظيم جعلهم جزءاً من حركة الإخوان المسلمين العالمية غير الرسمية.

---

(94) Brigitte Marechal, The Muslim Brothers in Europe: Roots and Discourse (Leiden/Boston: Brill, 2008), 179.

قد يكون المصطلح مضللاً. فكما لاحظنا سلفاً فإن أغلب الأفراد والمنظمات، خاصة في الغرب، يرفضون بشكل علني أي ارتباط «رسمي» أو «عضوي» بالإخوان المسلمين. وبفعلهم هذا يؤكدون واقعاً حقيقياً، ولكنهم في ذات الوقت يتلاعبون بالألفاظ. فكثير من قادة الحركة يرددون دائماً أن الجماعة ليست منظمة هيكلية يحمل أعضاؤها بطاقات عضوية، بل هي حركة فكرية تتجاوز الانتماء الرسمي. في تلك الجماعة تتأتى العضوية من خلال تبني أفكار ومناهج معينة، وليس بتقديم فروض الولاء والطاعة، أو التوقيع على سجلات سرية. حتى حسن البنا، على الرغم من تركيزه في الجانب التنظيمي، فإنه يرى الرسالة الفكرية لحركة الإخوان المسلمين أهم من الانتماءات التنظيمية، إذ يقول: «دعوا جانباً المظاهر والشكليات، ودعونا نركز اهتمامنا في المبادئ ووحدة الفكر، والأخلاق والأفعال. فكلنا إخوة في خدمة الإسلام، فنحن الإخوان المسلمين»(95). بعد ستين عاماً من ذاك القول أكد محمد عاكف المرشد العام السابق للجماعة أن «أي إنسان في هذا الكون يؤمن بمنهج الأخوة الإسلامية، فإننا نعده جزءاً من جماعتنا، ونحن جزء منه»(96). أما يوسف ندا فإنه يرى أن وصف جماعة الإخوان المسلمين بأنها حركة غير رسمية يجعلها حركة ضيقة، ويفضل أن يراها «منهجاً عاماً للتفكير»(97). ومن جهته يشير الدكتور عبد المنعم أبو الفتوح، أحد أعضاء مجلس الشورى التابع لجماعة الإخوان المسلمين، إلى الجماعة على أنها «مدرسة فكرية عالمية» ويرى أنه حيثما عجزت الجماعة عن تكوين منظمة عالمية فإنها قد نجحت في خلق شبكة غير رسمية

(95) Tariq Ramadan, Aux Sources du Renouveau Musulman (Lyon: Tawhid, 2002), 11.

(96) الشرق الأوسط، لندن، 11 ديسمبر 2007.

(97) مقابلة مع يوسف ندا، كمبيوني دي إيتالي، 14 يوليو 2008م

من جماعات وأفراد يجمعهم الفهم نفسه للإسلام والنظرة المستقبلية نفسها[98].

تحديد المؤشرات: محاولة منهجية

في مقابلة مع خافيير تيرنسيان، خبير الأديان الفرنسي، وصف محمد عاكف كيف يتجاوز فكر الإخوان المسلمين شكليات مثل الانتماء الرسمي[99]. حيث يقول: «ليس لدينا منظمة عالمية، ولكننا منظمون من حيث إدراكنا للأشياء». ويمضي المرشد إلى القول: «نحن موجودون في كل بلد، وفي كل مكان هناك من يؤمن برسالة الإخوان المسلمين. فاتحاد المنظمات الإسلامية في فرنسا (UOIF) لا يتبع لتنظيم الإخوان المسلمين. فهم يتبعون قوانينهم ولوائحهم الخاصة. وهناك عدد من المنظمات الأخرى التي لا تربطها صلة تنظيمية بالجماعة. فعلى سبيل المثال الشيخ يوسف القرضاوي على الرغم من أنه لا ينتمي إلى تنظيم الإخوان المسلمين إلا أنه يتبع فكر ومنهج الإخوان. حيث أن فكر الإخوان قد أصبح متاحاً في مطبوعات تمت ترجمتها إلى كل اللغات الحية». وفي تأكيده لعدم رسمية العلاقات داخل الحركة أشار عاكف إلى اتحاد المنظمات الإسلامية في فرنسا، بعبارة «إخواننا في فرنسا»[100]. وفي مقابلة أخرى أجريت معه في عام 2005م أشار محمد عاكف إلى أن منظمات الإخوان الأوروبيين ليست لديها أية صلة مباشرة بفرع الإخوان في مصر، ولكن

---

(98) مقابلة مع الدكتور عبد المنعم أبو الفتوح، القاهرة، ديسمبر 2008

(99) Ternisien, Les Freres Musulmans, 110-111.

(100) مقابلة مع محمد عاكف على موقع «الوحدة»، 14 يناير 2004،
http://www. alwihdah. com/view. asp?cat=3&id=50.

ذلك لم يمنع مع التنسيق فيما بينهم. وختم حديثه بالقول: «إننا نسعى إلى ألاّ يكون هناك تمايز بيننا»(101).

على الرغم من أن أعضاء تنظيم الإخوان المسلمين في مصر لا يزالون يقومون بأداء قسم الولاء والطاعة عند انضمامهم إلى عضوية التنظيم فإن مثل هذه الإجراءات غير متبعة في الغرب. إن عدم وجود روابط رسمية يجعل عملية تحديد أعضاء ما أسميها حركة الإخوان المسلمين العالمية مهمة شاقة. وتصبح تلك المهمة أكثر صعوبة في الغرب حيث إن الأفراد والمنظمات، مدركون لوصمة العار التي سوف تلحق بهم في تلك المجتمعات، حال الكشف عن انتمائهم إلى حركة الإخوان المسلمين، حيث أصبحوا يميلون أكثر إلى إخفاء مثل تلك الصلات. لقد تجادل المسؤولون الحكوميون والمعلقون كثيراً حول كيفية تصنيف تلك المنظمات، التي أسستها طلائع الحركة الإسلامية منذ عدة عقود، والتي يقودها الجيل الثاني من القادة الإسلاميين المولودين في الغرب، وما إذا كان بإمكانهم وصف تلك المنظمات على أنها منظمات تتبع جماعة الإخوان المسلمين. للإجابة عن هذا السؤال لا بد من صياغته بشكل آخر. إذا كان تعريف الانتماء إلى جماعة الإخوان المسلمين يتم على أساس الانتماء العضوي إلى الجماعة فإن الإجابة ستكون عدم وجود تلك الجماعة بالغرب باستثناء يوسف ندا والقليل من الرواد الآخرين. ولكن إذا كان التعريف مبنياً على أساس الانتماء الفكري والمنهجي، كما ردده قادة الإخوان أنفسهم، فإنه يمكننا القول إن حركة الإخوان المسلمين موجودة ونشطة في دول أوروبا وأمريكا الشمالية.

(101) Besson, La Conquete de l'Occident, 100.

إن تحديد تبعية أية منظمة في الغرب لجماعة الإخوان المسلمين يصبح أمراً بالغ الصعوبة في ظل عدم وجود انتماء تنظيمي ومحاولات الإخوان الغربيين إخفاء أية صلة فكرية لهم بجماعة الإخوان المسلمين.

1- التاريخ

تتجلى أولى مؤشرات الانتماء لحركة الإخوان المسلمون العالمية في ماضي الجماعة. حيث إن أية منظمة قام بتأسيسها أعضاء معروفون في جماعة الإخوان المسلمين لا بد من انتهاجها لفكر الإخوان، مهما بعد التاريخ الذي تأسست فيه. وبمرور الوقت قد يلجأ أعضاء هذه المنظمة إلى اتباع تكتيكات مختلفة للتكيف مع الأوضاع المحيطة بهم، وقد تتغير آراؤهم حول عدد من القضايا، ولكن لا يمكن لأية منظمة أقامها إخوان مسلمون أن تحيد عن المبادئ الأساسية التي أرساها مؤسسو الحركة.

2- اتباع منهج الإخوان المسلمين

إن الانتماء لحركة الإخوان المسلمين العالمية يتحدد، ليس فقط، بالإيمان بفكرها، بل بمنهجها أيضاً. فـ «الدعوة» ليست حكراً على الإخوان، فهناك كثير من المنظمات الإسلامية المنافسة التي تبذل جهوداً جبارة من أجل الدعوة[102]. كما أن تلك المنظمات المنافسة كانت تمارس نشاطاً لا يفتر في داخل الجاليات الإسلامية، وفي أوساط الصفوة الغربية.

(102) لتوضيح مفهوم «الدعوة» وتاريخ نشأتها، أنظر:
Dale F. Eichelman and James Piscatori, Muslim Politics (Princeton University Press, 1996), 35-36.

ولكن خلق سلسلة من المنظمات الفرعية التي خصصت كل واحدة منها لأداء مهام بعينها كان هو السمة التي ميزت جماعة الإخوان المسلمين من غيرهم من التنظيمات الإسلامية الأخرى بدول الغرب. وبنظرة شاملة إلى الهيكل التنظيمي لمختلف المنظمات الإسلامية في الغرب يتبين لنا وجود تشابه ودرجة من التعقيد لا يوجد له مثيل في أية حركات إسلامية أخرى.

من السمات الأخرى لجماعة الإخوان المسلمين اهتمامها بالجوانب التعليمية، وكان ذلك شأن الإخوان الغربيين. وكما فعل البنا في الماضي، فإن الإخوان الغربيين الحاليين يرون أن تعليم الكوادر المدربة وتثقيفها هو أحد عناصر نجاح الحركة. فقد كانت مسألة التربية، التي تعني التدريب النظامي لأعضاء التنظيم الحاضرين والمحتملين، من خلال تدريس النصوص الإسلامية ومناهج العمل السياسي، تشكل حجر الزاوية في الفكر الاستراتيجي لحسن البنا، وكان ذلك ما أولته منظمات الإخوان الغربيين اهتماماً خاصاً. وقد تمثل ذلك في تنظيم الندوات والحلقات الدراسية التي يشرف عليها قادة التنظيم ونشطاؤه، لتدريس مناهج الدعوة وتكتيكات الحراك السياسي. بل إن بعضاً من تلك المنظمات كان لديها جمعيات تربية متخصصة. والجدير بالملاحظة أنه على الرغم من أن مجمل أعضاء منظمات الإخوان في الغرب والشرق يدرسون القرآن والنصوص الدينية الأخرى، فإن دروس التربية كانت تركز في الجوانب السياسية بشكل أكبر. وكانت هناك أقلية ممن تتركز غالبية دروسهم التعليمية في الدراسات الدينية البحتة.

من ناحية أخرى، فإن منظمات الإخوان الغربيين تميل لاتباع

النموذج القائم لدى الجماعات الإسلامية في العالم الإسلامي، باستخدام «المسجد الجامع» المتعدد الأغراض[103]. إذ أصبح المسجد ليس فقط مكاناً للعبادة، بل مركزاً لكل أنشطة المجتمع الاجتماعية والدينية والتعليمية والسياسية. وعلى الرغم من أن تلك الأنشطة المتعددة ليست حكراً على المراكز الإسلامية، التي يسيطر عليها الإخوان الغربيون، فإنها تكشف عن رؤيتهم للدين كنظام شمولي يشمل كل مناحي الحياة. فبحسب محمد أكرم، أحد أبرز أعضاء جماعة الإخوان بأمريكا، فإن المراكز الإسلامية يجب أن تكون مكاناً «للدارسين، والعائلات، والجماعات المنظمة، والدورات والحلقات الدراسية، والزيارات، والرياضة، والمدرسة، والنادي الاجتماعي، والتجمعات النسوية، ورياض الأطفال،ومكتباً للعمل السياسي المحلي، ومركزا لتوزيع الصحف والمجلات والكتب»[104]. ففي كل مدينة أمريكية كبرى يجب أن يكون المركز الإسلامي، حسب قول محمد أكرم «محوراً لحركتنا» «قاعدة لانطلاقنا» و «أن يكون مكاناً لتعليمنا وإعدادنا ودعم تنظيماتنا بجانب كونه داراً لصلواتنا». إن استخدام دور العبادة لأغراض متعددة من كرة القدم إلى الرحلات،و من المحاضرات إلى مبادرات نظافة الحدائق العامة والأحياء، يهدف إلى بث روح الجماعة بين الأعضاء وتطوير رسالة الحركة. يصف كاري ويكهام هذه العملية

---

(103) عبارة «المسجد الجامع» صكها البروفيسور لاري بوسطن. للمزيد من المعلومات أنظر:
Poston, Islamic Da'wah in the West, 94-97,

أنظر أيضاً:

Carrie Rosefsky Wickham, Mobilizing Islam: Religion, Activism and Political Change in Egypt (New York: Columbia University Press, 1996), 98.

(104) Mohammed Akram, An Explanatory Memorandum on the Strategic Goals for the Group in North America, Government Exhibit 003-0085 in United States v. Holy Land Foundation et al. , 3:4-cr-240 (ND, Tex.)

كما تجري في مدينة القاهرة، حيث يقول أحد الإخوان الذين التقاهم «مجموعة من أصدقائي الملتزمين وأنا سنعمل على جذب اثنين أو ثلاثة من أبناء الحي للمشاركة، حيث ندعوهم إلى مباراة في كرة القدم، ولكنها لن تكون مجرد مباراة فقط، فسوف نتحدث معهم أيضا عما يجوز وما لا يجوز ونريهم كيف نمارس اللعبة بطريقة نظيفة ولا نلجأ إلى الغش حتى نكون قدوة حسنة لهم، ثم نحاول عبر الوقت، وبرفق، أن نهديهم إلى الصراط المستقيم»[105]. وهي الطريقة نفسها المتبعة في الأحياء ذات الأكثرية المسلمة في لندن، ومرسيليا، ونيويورك، وأية مدينة غربية أخرى.

3- أدبيات الإخوان المسلمين المتوافرة بالمكتبات وفعالياتهم

أولى الإخوان الغربيون اهتماماً خاصاً بالطباعة والنشر والترجمة لمؤلفات الكتاب الإسلاميين لتحقيق أهدافهم المتعلقة بنشر «المعرفة الإسلامية». حيث تباع مؤلفات حسن البنا، وأبو الأعلى المودودي، وسيد قطب، والمفكرين المحدثين، مثل يوسف القرضاوي، وفيصل مولوي، وخورشيد أحمد،بأسعار رمزية أو توزع مجاناً بالمكتبات والمؤتمرات. إن توافر تلك المؤلفات بأماكن معينة لا يجعل من الجهات التي تقوم بتوزيعها جزءاً من تنظيم الإخوان الغربيين. ولكن تلك المؤسسات التي تقوم، وبشكل منتظم، بالدعاية والإعلان لتلك المؤلفات ودعم طباعتها تكون في أغلب الأحيان جزءاً من منظومة الإخوان، ويستدل على ذلك من اهتمامها بتلك المؤلفات والسعي في ترويجها.

(105) Wickham, Mobilizing Islam, 130

4- التواصل مع منظمات الإخوان الأخرى

لقد بدأت طلائع الإخوان الذين انتشروا بالدول الغربية في مطلع عقد السبعينات من القرن العشرين، التواصل بعضهم مع بعض. فقد كان لبعضهم علاقات في بلدانهم، ولكن غالبيتهم تعارفوا من خلال المؤتمرات التي تنظمها جماعات مثل «رابطة العالم الإسلامي»، أو «الاتحاد الإسلامي العالمي للمنظمات الطلابية والشبابية» (IIFSO)،أو «الندوة العالمية للشباب الإسلامي» (WAMY) أو «المجلس الإسلامي في أوروبا». كما أن شخصيات إسلامية بارزة مثل سيد رمضان، ويوسف ندا، اللذين قضيا عقوداً من التجوال بالعالم الإسلامي والدول الغربية، لها دور رائد في تعارف النشطاء الإسلاميين في مختلف الدول. وقد نتج عن تلك العقود من التواصل والتعارف إقامة شبكة من العلاقات تقوم على روابط غير رسمية.

ومن ناحية أخرى كان للمؤتمرات دورها الفاعل في دعم ذلك التواصل. فمنذ عقد السبعينات والمفكرون والنشطاء الإسلاميون يواصلون أسفارهم، لحضور المؤتمرات التي كانت تنظم بشكل دائم بواسطة منظومات الشبكة، ما أدى إلى خلق حلقة تعارف غير رسمية بين هؤلاء الإسلاميين، وما ساعد على تبادل المعارف والأفكار، وشكل ذلك دعماً للفكر الإسلامي وتقدمه[106]. وكان هناك إقبال من آلاف المسلمين على مؤتمرات الإخوان الغربيين للاستماع إلى نجوم مثل القرضاوي، ومولوي،

---

(106) John O. Voll, “Relations Among Islamist Groups,” in John L. Esposito, ed. , Political Islam: Revolution, Radicalism, or Reform? (Boulder, CO: Lynne Rienner, 1997).

وخورشيد أحمد، وطه علواني. كما كانت تلك الفعاليات مصدراً للصلات الشخصية، ففي عطلات نهاية الأسبوع كان بعض المؤتمرين يقضون الليالي الطوال في لقاءات وأحاديث وحتى إجراء عقود النكاح.

لقد مثلت علاقات التصاهر مصدراً آخر لتعزيز العلاقات الشخصية بين قيادات الإخوان الغربيين. لم تكن تلك القيادات تمثل أكثر من بضع مئات من الشخصيات الإسلامية البارزة، الذين تظهر أسماؤهم في مجالس قيادة المنظمات والمؤتمرات والمبادرات. وقد عزز كثيرون منهم علاقاتهم بالتصاهر لإنجاب الأجيال المقبلة من القيادات الإسلامية. فإحدى كريمات يوسف ندا متزوجة من أحد أبناء يوسف القرضاوي، بينما أخرى متزوجة من عصام العطار أحد قادة الإخوان المسلمين السوريين المقيم بمدينة آخن الألمانية[107]. وفي بعض الحالات كانت تلك الزيجات تتم بين أناس من قوميات مختلفة، كحالة إبراهيم الزيات الذي خلف سيد رمضان وغالب هيمات على رئاسة الجمعية الإسلامية في ألمانيا، الذي تزوج من صبيحة أربكان، ابنة أخ القائد الإسلامي التركي نجم الدين أربكان. كما أن كريمات القادة الإسلاميين وزوجاتهم يتولين، في أغلب الأحيان، قيادة المنظمات النسوية التابعة لتنظيم الإخوان. لقد أسهمت تلك العلاقات الأسرية في تعزيز شبكة العلاقات الشخصية بين أعضاء التنظيم، وتمكين الإخوان الغربيين من السيطرة على أعداد ضخمة من المنظمات التابعة لهم.

بشكل جوهري يمكن القول إن جماعة الإخوان الغربيين تتألف

(107) مقابلة مع يوسف ندا، كمبيوني دي إيتالي، 14 يوليو 2008م

من جملة من الصلات التي تقوم على العلاقات الشخصية(108). فهي لا تقوم على خطة معدة سلفاً، ولا تسودها الدسائس والمؤامرات، بل تتمحور حول تفاعل حميم بين أشخاص متعلمين، أذكياء ومتحمسين، يجمعهم فكر موحد ويدفعهم إيمان عميق بمعتقداتهم الدينية، ورؤاهم السياسية جعلتهم يقتربون بعضهم من بعض ويتوافقون. لم يكن الجامع لأفراد تلك الجماعات مجرد حركة فكرية، بل صلات أخرى تقوم على المصاهرة والعمل التجاري والصداقات القديمة، والأهم من ذلك، رؤية مشتركة. ومن ناحية أخرى فإن التقنيات الحديثة وتوفر وسائل الاتصال أسهم بدوره في خلق هذه «المنظومة الإسلامية النفاثة». إن انضمام أية منظمة لهذه الشبكة من العلاقات الاجتماعية التي تتجاوز الحدود والحواجز اللغوية يعد مؤشراً جيداً لانضوائها تحت لواء شبكة الإخوان الغربيين.

5-الارتباطات المالية

يعد التمويل أحد العوامل الرئيسة، التي ميزت جماعة الإخوان الغربيين من منافسيهم من المنظمات الإسلامية في الدول الغربية. فخلال عدة عقود كان الإخوان يمثلون أفضل المستقبلين للهبات والمنح السخية من دول الخليج العربي. فبجانب تلك المنح والهبات فإن العلاقات المالية للإخوان بالصفوة الخليجية، وفرت لهذه الجماعة رافداً ومعيناً لا ينضب من المساعدات المالية. كما أن عدداً من قيادات الحركة مثل يوسف ندا أصبحوا من كبار رجال الأعمال، إذ خصصوا جزءاً من موارد إمبراطورياتهم المالية لرفد ودعم الحركة. وكان بعض مفكري الإخوان

(108) Roy, The Failure of Political Islam, 110-13.

بالغرب مثل خورشيد أحمد، وجمال عطية، ومحمود أبو سعود، ضمن العلماء الذين أسسوا لنظام مصرفي إسلامي، ما لبث أن عمت مؤسساته كل دول العالم الإسلامي، منذ عقد السبعينات من القرن العشرين(109). فاليوم أصبح كثير من الإخوان، في الغرب والشرق الأوسط، أعضاءً باللجان الشرعية لأكبر المصارف الإسلامية والشركات الاستثمارية، حصلوا من خلالها على عائدات مالية ضخمة، وأقاموا علاقات واسعة مع الصفوة المالية والسياسية الإسلامية. امتداداً لذلك النشاط قام الإخوان بإنشاء مؤسساتهم المالية الخاصة – في لندن،وجنيف، ولوكسمبورغ، تدار على الأسس الشرعية من قبل بعض الإخوان الذين تلقوا تعليمهم بالدول الغربية. من أوائل تلك المؤسسات في أوروبا البنك الإسلامي العالمي في الدنمارك، الذي تمت تصفيته مؤخراً، والذي تأسس في مطلع الثمانينات من القرن العشرين في العاصمة كوبنهاغن، على يد بعض قيادات الإخوان. وقد ضم مجلس إدارته بعض النشطاء مثل رجل المال والأعمال جمال عطية، صديق يوسف ندا، الذي يتخذ من لوكسمبورغ مقراً له، وحسن أبو العلا، الرئيس السابق للمركز الإسلامي في شتوتغارت، وعضو مجلس إدارة الجمعية الإسلامية في ألمانيا، ومحمود أبو سعود المقيم في الولايات المتحدة(110). كما جاء على قائمة الصلات المالية للإخوان وزير العدل والشؤون الإسلامية الإماراتي الشيخ محمد عبد الرحمن البكر، والمستشار الخاص لأمير دولة الكويت عبد الرحمن سالم

(109) كتب خورشيد أحمد كثير من الدراسات حول المصرفية الإسلامية أثناء إقامته في بريطانيا. جمال عطية أقام لفترة طويلة في لوكسمبورج وشارك في عدة نشاطات مالية رفيعة المستوى. محمد أبو سعود، أسس «مجلس العمودي للمسلمين الأمريكيين» ووضع معظم مؤلفاته أثناء إقامته في فلوريدا.

(110) Filings with the Erhvervs-og Selskabsstyrelsen (Danish Commerce and Companies Agency), April 7, 1983, annual reports of the International Islamic Bank, 1982-1996, Erhvervs-og Selskabsstyrelsen

العتيقي.

إن المعين المالي الذي توفر للإخوان المسلمين في الشرق الأوسط لم ينضب قطّ، ولكن الخلافات والضغوطات السياسية التي مارستها الحكومات الغربية مؤخراً حبست ذلك التدفق، إن لم تكن قضت عليه. كما أن دولاً مثل السعودية لم تعد تضخ الملايين نفسها إلى مؤسسات الإخوان، وبقيت بعض الأسر القطرية الآن أكبر الممولين لنشاط هؤلاء الإسلاميين. الإخوان الغربيون من ناحيتهم بدأوا توجهاً نحو توفير المال اللازم لحركتهم، اعتماداً على جهودهم الذاتية لتقليل الاستعانة بالمعونات الخارجية. فكما ذكرنا سابقاً، قام الجناح الأمريكي لجماعة الإخوان الغربيين في عام 1973م بتأسيس مؤسسته المالية، «دار الوقف الإسلامي في أمريكا الشمالية»، تبعهم الإخوان الأوروبيون في عام 1996م الذين أسسوا «الوقف الإسلامي في أوربا»، ليختص بجمع المال لأنشطتهم المختلفة. بعد قيامه كمؤسسة خيرية انضم الوقف الإسلامي في أوروبا إلى «ماركفيلد»، المقر الرئيس للمؤسسة الإسلامية في ليستر، «مستودع أفكار» الجماعات الإسلامية[111]. وقد ضم مجلس أمناء المؤسسة الإسلامية عدداً من كبار أعضاء المنظمات المرتبطة بجماعة الإخوان في أوروبا، من أحمد جاب الله عضو اتحاد المنظمات الإسلامية في فرنسا، إلى إبراهيم الزيات بالجمعية الإسلامية في ألمانيا[112]. إن تدفق المساعدات المالية من منظمات مثل: «دار الوقف الإسلامي في أمريكا الشمالية» (NAIT)، أو

---

(111) Extract from the Central Register of Charities by the Charity Commission for England and Wales, http://www. charity-commission. gov. uk (accessed July 21, 2008)

(112) المرجع السابق.

الأوقاف الأوروبية، لهو دليل على وجود صلة لها بجماعة الإخوان الغربيين.

6- الولاء غير الرسمي ليوسف القرضاوي

في عام 2006م، وفي عكسها لما يدور في مجالس العالم الإسلامي والغرب من حديث، وصفت صحيفة وول ستريت جورنال يوسف القرضاوي بأنه «الزعيم الإسلامي السني الأقرب إلى وضعية البابا»[113]. وعلى الرغم من أن تلك المقارنة حفلت بشيء من المبالغة، لأن شعبية عالم الدين المصري المذكور لم تكن كبيرة خارج نطاق الدول العربية، إلا أنها تشير إلى درجة التأثير التي للرجل. ولد يوسف القرضاوي في عام 1926م وانضم إلى جماعة الإخوان المسلمين في صباه وشاركها مرارات وويلات القمع الذي مارسته الحكومات المصرية المتعاقبة ضد الجماعة[114]. في مطلع الستينات، وبعد تخرجه في كلية الدين بجامعة الأزهر غادر القرضاوي مصر إلى دولة قطر، حيث انضم إلى سلك التدريس، وتمكن بمعارفه الدينية وشخصيته الجاذبة من بناء شبكة من المريدين والممولين من أثرياء الخليج[115] وقد ذاع صيت القرضاوي كاتباً غزير الإنتاج (أصدر أكثر من ثلاثين كتاباً) وخطيباً مفوّهاً ومؤسساً لشبكة واسعة من العلاقات والصلات، أصبح من خلالها مالكاً لإحدى

(113) Bret Stephens, "Benedict's Opposite," The Wall Street Journal, September 26, 2006.

(114) Gurdun Kramer, "Drawing Boundaries: Yusuf al-Qaradawi on Apostasy," in Gurdun Kramer and Sabine Schmidtke, Speaking for Islam: Religious Authorities in Muslim Societies (Leiden: Brill, 2006), 186-209.

(115) للاطلاع على المزيد من المعلومات حول السيرة الذاتية ليوسف القرضاوي وأعماله أنظر:
Bettina Graf and Jakob Skovgaard-Petersen, eds. , The Global Mufti: The Phenomenon of Yusuf Al-Qaradawi (New York: Columbia University Press, 2009).

أكبر المؤسسات الإسلامية، تضم بين جنباتها مدارس، ومعاهد فكرية، ومطبوعات، ومواقع على الشبكة العنكبوتية. لقد اجتذب البرنامج الذي يقدمه من خلال قناة الجزيرة، «الشريعة والحياة»، ملايين المشاهدين، كما أن كتبه ومواعظه توزع على نطاق واسع في العالم الإسلامي.

ويبدو، من خلال تلك الوضعية المميزة، أن القرضاوي قد تمكن من بناء حركة جديدة موازية، وليست بالضرورة منافسة، لحركة الإخوان المسلمين «التقليدية» ومسيطراً على قيادتها. لقد كان القرضاوي أحد أوائل أعضاء جماعة الإخوان المسلمين الذين تبعوا المنهج الاحتوائي لعمر التلمساني، الذي سلكه منذ عقد السبعينات مستبدلاً طريق «الجهاد» بنهج «الدعوة» وسيلة لإقامة الدولة الإسلامية[116]. لقد تمكن القرضاوي بابتعاده عن يد النظام المصري الباطشة، ومن خلال ارتباطه بالصفوة الخليجية، تمكن من إقامة شبكة خاصة من المريدين والحواريين من أولئك الذين آمنوا بدعوته إلى الوسطية، وهي طريقة دينية وسياسية تقع في المنطقة الوسطى بين العلمانية والتطرف، ودعوة تؤمن بنشر الرسالة الإسلامية بعيداً عن العنف والتطرف[117].

---

(116) Husan Tammam, "Yusuf Qaradawi and the Muslim Brothers: The Nature of a Special Relationship," in Bettina Graf and Jakob Skovgaard-Petersen, eds. , The Global Mufti: The Phenomenon of Yusuf Al-Qaradawi (New York: Columbia University Press, 2009), 55-74.

(117) Raymond William Baker, Islam Without Fear: Egypt and the New Islamists (Cambridge, MA: Harvard University Press, 2003), Bettina Graf, "The Concept of Wasatiyya in the Work of Yusuf al-Qaradawi," in Bettina Graf and Jakob Skovgaard-Petersen, eds. , The Global Mufti: The Phenomenon of Yusuf Al-Qaradawi (New York: Columbia University Press, 2009), 213-28.

يجب ملاحظة أن رفض القرضاوي منهج العنف ليس رفضاً مطلقاً، لأنه كثيراً ما يبارك أعمال العنف التي تمارس في المناطق التي يعيش فيها المسلمون تحت الاحتلال، مثل: فلسطين، والشيشان، والعراق. وسوف نفصل هذا

لقد أصبح يوسف القرضاوي، بفضل تأثيره ومقامه المهيب، الأب الروحي لحركته الإسلامية العالمية الجديدة، التي أطلق على مناصريها اسم «الإخوان الجدد». فبينما سار الرجل على مبادئ حسن البنا والمفكرين الإسلاميين الآخرين، إلا أنه قد شق لنفسه طريقاً مستقلاً عن جماعة الإخوان المسلمين كتنظيم، ويستدل على ذلك برفضه في عام 2004م أن يكون مرشدا لجماعة الإخوان المسلمين في مصر(118). وقد حاول بعض أعضاء الجماعة التقليل من أهمية ذلك الرفض، كما جاء على لسان عبد المنعم أبو الفتوح «إن يوسف القرضاوي مفكر إسلامي ذو شأن، وأحد القادة الروحيين لجماعة الإخوان المسلمين في العالم. إن كل فرد بالجماعة ليشرفه أن يكون هذا المفكر قائداً للجماعة، ولكنه رفض العرض متعللاً بحالته الصحية وأسباب غيرها كما فعل في الماضي»(119). ولكن في حقيقة الأمر أن الأسباب الحقيقية لرفض القرضاوي تولي رشد الجماعة، تتعلق بطموحاته وآرائه أكثر من كونها مجرد أسباب صحية. يعتقد كثيرون أن الوضعية المتميزة التي خلقها لنفسه أصبحت أكثر أهمية من توليه منصب المرشد للجماعة المصرية، إذ أصبح، وبلا منازع، رئيساً للشبكة العالمية لجماعة الإخوان المسلمين غير الرسمية. ولم يخف القرضاوي نفسه أن طموحاته تتجاوز لقب المرشد، حيث يقول: «لقد طلب مني الإخوان أن أصبح رئيساً للتنظيم ولكني أفضل بدلاً عنها أن أكون

الأمر في الفصل الثامن (8).

(118) رفض القرضاوي أن يصبح مرشداً للجماعة في 2004 ليس المرة الأولى حيث سبق أن رفض هذا العرض في العام 1976، أنظر:

Jacob Skovgaard-Petersen, "Yusuf Al-Qaradawi and Al-Azhar,", in Bettina Graf and Jakob Skovgaard-Petersen, eds. , The Global Mufti: The Phenomenon of Yusuf Al-Qaradawi (New York: Columbia University Press, 2009), 37.

(119) «الجزيرة»، 12 يناير 2004م

مرشداً روحياً للأمة»[120]. إن شبكات القرضاوي، التي تجمعها الصلات غير الرسمية أكثر من العضوية الرسمية، أصبحت تعمل في تواز، وتضاد في بعض الأحيان، مع جماعة الإخوان المصرية ومنظماتها العالمية، وذلك وفقاً للظروف المحيطة.

لقد لعب الإخوان الغربيون دوراً كبيراً في الشبكة العالمية التي يقودها يوسف القرضاوي[121]. إذ يتبين أن شبكات ومنظمات هذه الجماعات تعد القرضاوي، وليس مرشد الجماعة المصرية،مرجعاً فكرياً لأنشطتها. وعلى الرغم من أنه لا يمكن عد يوسف القرضاوي بمنزلة بابا المسلمين السنة إلا أنه، وبلا شك، الأب الروحي للإخوان الجدد وفروعهم الغربية. يتجلى ذلك في الأهمية التي يولونها لمواعظه وفتاواه على مواقع الانترنت الخاصة بمنظمات الإخوان الغربية، إضافة إلى مبيعات كتبه. ومن ناحية أخرى، يحتل القرضاوي مناصب قيادية في مجالس إدارة عدد من منظمات الإخوان الغربية من أمريكا إلى أوربا، حيث يستقبل بالترحاب خلال زياراته التي يقوم بها إلى أوروبا (الحكومة الأمريكية حظرت على القرضاوي دخول أراضيها منذ منتصف التسعينات). لقد فاقت شعبية القرضاوي في وسط مسلمي الغرب حدود الإخوان الغربيين. هكذا يمكن الإشارة إلى مرجعيته الفكرية، وارتباطاته التنظيمية، دلائل على ارتباط

(120) «القرضاوي: الإخوان المسلمون يطلبون مني العمل مرشداً للجماعة»، موقع إخوان ويب، 5 سبتمبر 2006م، http://www. ikhwanweb. com/Article. asp?ID=3537SectionID=o (accessed August 19, 2008)

(121) Alexandre Caeiro and Mahmoud al-Saify, "Qaradawi in Europe, Europe in Qaradawi? The Global Mufti's European Politics," in Bettina Graf and Jakob Skovgaard-Petersen, eds. , The Global Mufti: The Phenomenon of Yusuf Al-Qaradawi (New York: Columbia University Press, 2009).

يوسف القرضاوي بجماعة «الإخوان المسلمون الغربيون».

7- العضوية في البنى الفوقية لجماعة الإخوان المسلمين

تعد الشبكات الجديدة للإخوان الغربيين مؤسسات غير رسمية تقوم، على العلاقات الفكرية والصلات الشخصية. فالاستدلالات الستة المشار إليها آنفا، لا تعدو كونها مجرد مؤشرات بانتماء منظمة معينة إلى تلك الشبكات. ولكن هناك مؤشر سابع أكثر دقة، على الرغم من كونه يختص بالواقع الأوروبي فقط، وهو وجود بنية فوقية توحد بطريقة رسمية كل منظمات الإخوان الغربيين الجدد. ولكن هذه البنية لم تعلن عن نفسها كمنظمة مظلية لـ «الإخوان المسلمون الأوربيون»، بل ويرفض قياديوها ذلك التعريف[122]. فقد أدرجت كل المنظمات التي تصفها الحكومات الأوربية والمعلقين بأنها منظمات «إخوان» تحت مظلة ذلك الكيان الجديد الذي يحمل كل المؤشرات الستة المذكورة آنفاً.

لقد أصبح «اتحاد المنظمات الإسلامية في أوروبا» (FIOE)، الذي تأسس في عام 1989، وهدفه المعلن «خدمة المسلمين في المجتمعات الأوروبية» أكبر منظمات جماعات الإخوان المسلمين الغربيين في أوروبا[123]. وقد انضوت تحت لوائه منظمات للإخوان الغربيين مثل: اتحاد المنظمات الإسلامية في فرنسا (UOIF)،والجمعية الإسلامية في ألمانيا، والرابطة الإسلامية في بريطانيا. وضم مجلس إدارة الاتحاد في عضويته

---

(122) مقابلة مع ممثل اتحاد المنظمات الإسلامية في أوروبا ، بروكسل . يونيو 2008

(123) http://www. eu-islam. com/en/templates/Index_en. asp (accessed September 26, 2008).

مجموعة من أبرز قادة الإخوان المسلمين الغربيين الجدد مثل رئيس «اتحاد المنظمات الإسلامية في فرنسا» (UOIF) أحمد جاب الله، ورئيس الجمعية الإسلامية في ألمانية إبراهيم الزيات[124]. ويصف الاتحاد نفسه، منذ نشأته، بأنه «أكبر منظمة إسلامية على المستوى الأوروبي»، إذ يتميز ببنيته التنظيمية المشابهة لتنظيم الإخوان المسلمين[125]. وينقسم الاتحاد، داخلياً إلى مجموعة من الوحدات، ولجنة تنفيذية تشرف على أنشطة أربع وعشرين إدارة مختصة بشؤون الدعوة،وقضايا المرأة، والإعلام، والعلاقات العامة، والتخطيط، والمالية وغيرها[126]. كما أفرز الاتحاد مجموعة من المنظمات الخارجية، من المجلس الأوروبي للإفتاء والبحوث إلى المنتدى الأوروبي للإعلاميين[127].

في عام 1990م قام الاتحاد وفرعه الفرنسي «اتحاد المنظمات الإسلامية في فرنسا» (UOIF) بشراء إحدى القلاع، و11 هكتاراً من الأراضي المجاورة بمنطقة بورغندي الريفية، لإقامة أول مركز للشبكة خاص بالتعليم العالي، أطلق عليه اسم «المعهد الأوروبي للعلوم الاجتماعية» (IESH)[128]. يقدم المعهد الذي افتتحه القرضاوي في عام

(124) Power, Development and Prosperity, 2007,
تقرير صادر عن اتحاد المنظمات الإسلامية في أوروبا، حصل عليه المؤلف أثناء زيارة له لمقر الاتحاد في بروكسل، يونيو 2008.

(125) http://www. euro-muslim. com/en_about_us. aspx (accessed June 6, 2009).

(126) المرجع السابق.

(127) http://www. eu-islam. com/en/templates/Index_en. asp (accessed September 26, 2008).

(128) http://www. iesh. org/index. php?option=com_content&task=view&id=50&Itemid=102&lang=en (accessed August 2, 2008), Franck Fregosi, "Les Filieres Nationales de Formation des Imams en France," in Franck Fregosi, ed. , La Formation des Cadres Religieux Musulmans en France (Paris: L'Hartmattan, 1998), 108-13.

1992م تعليماً إسلامياً لمائة وعشرين طالبا مقيماً، ومائتين من الدارسين بالمراسلة سنوياً. في عام 1996م قام كل من الاتحاد، و «الندوة العالمية للشباب الإسلامي»(WAMY) بإنشاء «منتدى منظمات الشباب والطلاب المسلمين الأوروبيين» (FEMYSO)، وهو فرع شبابي نشط يعمل كمجموعة ضغط. وقد تمكن المنتدى تحت رئاسة الناشط إبراهيم الزيات من أن يصبح «الصوت الحقيقي للشباب المسلم في أوروبا». ويشرف المنتدى اليوم على شبكة تتألف من 37 منظمة عضواً، ولديه علاقات مع مؤسسات مثل البرلمان الأوروبي، والمجلس الأوروبي، وحتى الأمم المتحدة[129]. وتمكن اتحاد المنظمات الإسلامية في أوروبا(FIOE)، ومنتدى منظمات الشباب والطلاب المسلمين الأوروبيين (FEMYSO)، انطلاقا من موقعها الاستراتيجي في بروكسل في مبنى جوار رئاسة المفوضية الأوروبية ومؤسسة أخرى تتبع الاتحاد الأوروبي، من الوصول إلى مراكز القوى الأوروبية وهو الأمر الذي لم تستطعه أية منظمة إسلامية أخرى. وقد استدعي عدد من أعضائهما للمثول أمام لجان البرلمان الأوروبي ممثلين لـ «وجهة نظر المسلمين» في تحاورهم مع صناع السياسة الأوروبيين[130].

وقد اكتنفت علاقات قادة اتحاد المنظمات الإسلامية في أوروبا مع حركة الإخوان المسلمين كثير من الغموض. فأحمد الراوي، الرئيس السابق للمنظمة يصف تلك العلاقة بقوله: إن اتحاد المنظمات الإسلامية في أوروبا «لديه وجهات نظر مشتركة» و «علاقات جيدة» مع جماعة الإخوان

---

(129) http://www. femyso. net/about. html (accessed September 28, 2008).

(130) مقابلة مع مسؤول بالاتحاد الأوربي، بروكسل، يونيو 2008.

المسلمين[131]. بينما ينكر مسؤولون آخرون بالمنظمة تلك العلاقة[132]. بعض أنصار الاتحاد في الشرق الأوسط يؤكدون أن التوافق الفكري والمنهجي بين اتحاد المنظمات الإسلامية في أوروبا وجماعة الإخوان أمرٌ لا مراء فيه. وفي هذا الصدد كتب سالم عبد السلام الشيخي، أحد أعضاء المجلس الأوروبي للإفتاء والبحوث التابع للاتحاد، يقول: «إذا أنعمنا النظر إلى أهداف اتحاد المنظمات الإسلامية في أوروبا، فسنجد أنها تمثل الجانب المتحرر من فكر الإخوان وتنسجم مع خصوصية أوروبا وتتوافق في العمل تحت الأنظمة والقوانين الأوروبية»[133].

كما رأينا، فإن الصعوبات الاصطلاحية في تعريف طبيعة فكر الأخوة الإسلامية يجعل مهمة تحديد المنظمات المرتبطة به أمراً مثيراً للجدل. ولكن، في غالب الحالات، فإن تأكيد الارتباط بالإخوان المسلمين، كحركة فكرية وليس كتنظيم، يأتي من أعضاء الجماعة أنفسهم. فقد أوضح محمد عاكف أن اتحاد المنظمات الإسلامية في أوروبا، ومنتدى منظمات الشباب والطلاب الأوربيين المسلمين والمنظمات التابعة لهما، ينضوون تحت لواء حركة الإخوان المسلمين العالمية، خصوصاً تيارها الذي يقوده يوسف القرضاوي. ومضى عاكف إلى القول: «هذه المنظمات والمؤسسات تتمتع بالاستقلالية التامة، ولا نسيطر عليها بحال من الأحوال». واستطرد في المقابلة التي أجراها معه الصحفي السويسري

(131) Ian Johnson, “How Islamic Group’s Ties Reveals Europe Challenge,” The Wall Street Journal, December 29, 2005.

(132) مقابلة مع ممثل اتحاد المنظمات الإسلامية في أوروبا، بروكسل، يونيو 2008

(133) “The Muslim Brotherhood in Europe and the Course of Reviews, UK an Example,” Ikhwanweb, August 12,2008, http://www. ikhwanweb. com/Article. asp?ID=17575&SectionID=67 (accessed August 28, 2008)

سيلفين بيسون قائلاً: «إن الإخوان في الخارج هم من يسيطرون على تلك المنظمات. والمؤسسات التي تتبع يوسف القرضاوي هي منظمات لـ «لإخوان المسلمون» يديرها إخوان من دول مختلفة»[134]. عليه فإن انضواء أية منظمة تحت لواء اتحاد المنظمات الإسلامية في أوربا، أو منتدى منظمات الشباب والطلاب الأوروبيين المسلمين مؤشر لارتباطها بالجناح الأوروبي للإخوان الغربيين الجدد.

قوة الفكر لا قوة العضوية

عطفاً على ما سلف يمكنني تعريف «الإخوان الغربيين الجدد» بأنهم أولئك الإسلاميون المقيمون في الدول الغربية، الذين يتبعون نهج «الدعوة» كما عرفه عمر التلمساني في السبعينات وبلوره، يوسف القرضاوي في العقدين المنصرمين، الذين ينتمون إلى شبكة غير رسمية تتمحور حول بعض الشخصيات والمنظمات النافذة. من جهتها تعرف الحركة نفسها في عدة صور: من «التيار الإسلامي» إلى «الصحوة الإسلامية»، ومن «النشاط الإسلامي» إلى «الحركة الإسلامية»[135]. وفي تعريفها لجميع ناشطيها على أنهم «إخوة» تعرض الحركة نفسها لكثير من النقد. أولاً، لأنها بذلك التعريف لا تعطي اعتباراً للإسهامات المتميزة للمجموعات الأخرى مثل: «الجماعة الإسلامية»، أو منظمات المهاجرين الأتراك في أوروبا، التي يتكامل نشاطها مع أنشطة الحركة برغم عدم وجود رابط

---

(134) مقابلة مع عاكف في: Besson, La Conquete de l'Occident, 100

(135) أنظر، على سبيل المثال:

Azzam S. Tamimi, Rachid Ghannouchi: A Democrat Within Islamism (New York: Oxford University Press, 2001), 170.

تنظيمي بينها. ثانيا، إذا لم يوضح الأمر بشكل صحيح، قد يعطي ذلك التعريف انطباعاً بوجود رابط هيكلي مع تنظيم الإخوان المسلمين في الشرق الأوسط أو تنظيم رسمي بالدول الغربية.

على وجه العموم فإنه، ودفعاً لسوء الفهم، يمكن القول: إن «الإخوان الغربيين الجدد» يحملون تاريخ الحركة الإسلامية ومناهجها. وإذا فهمنا أن أولئك الذين يعملون في الغرب لا يمثلون فروعاً لأية منظمة شرق أوسطية وأن ارتباطهم بحركة الإخوان المسلمين لا يقوم على العضوية الرسمية، فحري بنا أن نسميهم ورثة تيار الإخوان المسلمين أو «الإخوان الغربيين الجدد». وعلى الرغم من أن موروثات حسن البنا الفكرية ظلت حاضرة، إلا أن هؤلاء الإخوان الغربيين الجدد تأثروا بأفكار عدد من المفكرين والنشطاء الآخرين وآرائهم[136]. فكل منظمة من هذه المنظمات تعمل بشكل مستقل حسب البيئة التي تنمو وتعيش فيها، ولكنها تظل مرتبطة بعضها ببعض من خلال مجموعة من المبادئ والأهداف التي تحكمها.

إن السؤال الذي يتبادر إلى الأذهان عند تسمية هذه الجماعات بالإخوان الغربيين الجدد، يتمحور حول تعريف عضوية تلك الجماعات، وتحديد انتماءاتها. هل كل من ينتمي إلى منظمات الإخوان الغربيين الجدد هو أخ مسلم يتبنى النظرة العالمية للإخوان المسلمين؟ الإجابة المؤكدة هي لا، نكون قد بسطنا الأمر إذا أجبنا بخلاف ذلك. إن القيادة الرئيسية لتلك الجماعات هي من الإخوان الغربيين، سواء كانوا من جيل الرواد الأوائل أم من الجيل التالي من النشطاء الموالين لفكر الإخوان.

---

(136) Marechal, The Muslim Brothers in Europe, 168-73.

ولكن بقية الأعضاء، من أفراد ومنظمات، الذين يعملون ضمن حركة الإخوان الغربيين الجدد يمثلون فئات متباينة عن تلك القيادة. يقول عزام التميمي، الناطق الرسمي السابق باسم الفرع الأردني لجماعة الإخوان المسلمين والناشط الإسلامي المخضرم في لندن، موضحا تلك المسألة في لقاء أجرته معه صحيفة «لوموند ديبلوماتيك»: «إن التوجه السائد في العقد الأخير هو حل المنظمات التي أقامها المهاجرون في عقد السبعينات من القرن العشرين،خصوصاً في الأوساط الطلابية» ويعزي السبب في ذلك إلى «إما أن هؤلاء المهاجرين قد استقروا بدول المهجر وجرى استيعابهم داخل أطر أخرى وإما أنهم عادوا إلى أوطانهم. وهكذا أصبح لدينا في الغرب أعضاء بحركة الإخوان المسلمين انجروا إلى العمل ضمن منظمات مفتوحة مثل المجلس الإسلامي في بريطانيا الذي يمثل جميع أطياف الجماعات الإسلامية»[137].

وعلى الرغم من قول التميمي إن المجلس الإسلامي في بريطانيا يمثل كافة المسلمين البريطانيين يعد أمراً مختلف عليه، إلا أننا نوافقه الرأي بأن المنظمات التي أقامها الإخوان الغربيين القدامى قد حُلت مع مرور الوقت[138]. إن نوبة البناء المؤسسي لجماعة الإخوان المسلمين قد حولت كثيراً من التنظيمات التي خلفها رواد الستينات والسبعينات من القرن العشرين إلى منظمات مترهلة فضفاضة، تضم تحت جناحها جماعات شتى. فبينما قد يكون الدافع وراء انضمام بعض أعضاء تلك الجماعات إيمانه برسالة الإخوان المسلمين فإن بعضهم الآخر قد يكون

(137) Kristianasen, “A Row in the Family”

(138) أنظر الفصل 5 بخصوص تحليل الوضع في بريطانيا العظمى

انضمامه إلى تلك المنظمات لميله إلى لأنشطة التي تقوم بها، أو ببساطة لعدم وجود بديل آخر. هذا هو الحال بالنسبة إلى الإخوان الغربيين، الذين ولدوا في العقود الأخيرة. لقد حذر عدد من قادة الإخوان الغربيين من أن الحركة تبدو عاجزة عن جذب أعداد كبيرة من الجيلين الثاني والثالث من الشباب المسلمين في أوروبا وأمريكا الشمالية، بل وتحدثوا عن تخوفهم من ذهاب شرعية المحاربين القدماء بالحركة، لعدم قدرتهم على اجتذاب الشباب من خلال مفاهيم (أو حتى لغة) مفهومة لديهم[139]. إن عشرات الألوف من الشباب الذين يحضرون الفعاليات التي ينظمها الإخوان الغربيين، مثل المعارض الضخمة، التي تمتد لعدة أيام والتي تقيمها هيئات ومنظمات مثل «اتحاد المنظمات الإسلامية في فرنسا»(UOIF) في لو بورغيت، و «التجمع الإسلامي لأمريكا الشمالية» (ISNA) في شيكاغو، ومعرض إسلام إكسبو في لندن، إنما يفعلون ذلك بغرض قضاء بعض الوقت في بيئة إسلامية، ومقابلة الأصدقاء، وفي حالات كثيرة، بهدف البحث عن شريك أو شريكة حياة. فهم إذن لا يحضرون تلك المناسبات بسبب انتمائهم للتوجه الفكري لجماعة الإخوان المسلمين. حتى أولئك الذين يقحمون أنفسهم في النشاط الإسلامي، فإنهم يكونون ميالين إلى تبني أفكار أقل تشدداً مما تحمله تلك الهياكل والتنظيمات التي أقامتها طلائع الإخوان المسلمين.

ولكن، بالمقارنة مع الجماعات المنافسة، فإن فشل جماعة الإخوان المسلمين في خلق حركة جماهيرية كبيرة يمكن النظر إليه

(139) Amel Boubekeur, "Post-Islamist Culture: A New Form of Mobilization?" History of Religions 47, no. 1 (2007): 75-94.

بطريقة مختلفة. فبجانب تفوقها على منافسيها في التأثير في الصفوة الغربية، فإن حركة الإخوان الغربيين قد حققت نجاحاً يحسب لها في أوساط الجاليات الإسلامية، ليس من خلال اجتذابهم لعضويتها، وهو أمر محدود، ولكن من خلال طرحها برنامجاً ثقافياً متعدد الجوانب. فكثير من حضور مؤتمرات الإخوان الغربيين لم يكونوا متوافقين معهم فكريا، وبعضهم كان كذلك. كما لم يكن ضمن منافسي الحركة من يستطيع تنظيم فعاليات بذات الحجم الذي كان يفعله الإخوان الغربيين. فكل مسلم مهتد يبحث عن معرفة المزيد حول الإسلام فإنه يلجأ في أغلب الأحيان إلى مطبوعات الإخوان، المتاحة أكثر مما توفره غيرها من التنظيمات الإسلامية الأخرى. وعلى الرغم من أن عضوية الجماعة ظلت محدودة، إلا أن الإخوان قد أظهروا قدرات فائقة في نشر الخطاب الإسلامي، جاعلين من حركتهم ليس تياراً رئيساً، ولكن الأكثر حضوراً، واضعين بصماتهم على كل المسائل المتعلقة بالإسلام، دينية كانت أم سياسية. ومن ثم استوعبت أفكارهم، حتى من دون وعي، قطاعات واسعة من الجاليات الإسلامية في الغرب، باختلاف منطلقاتها الدينية والسياسية[140]. ومن جهة أخرى فإن نجاح حركة الإخوان الغربيين الجدد يتجلى في صلاتهم بالصفوة الغربية. فعلى الرغم من إخفاقهم في خلق حراك جماهيري كبير إلا أنهم أثبتوا حنكتهم في التظاهر بأنهم قد حققوا ذلك، ما مكنهم من احتلال مواقع متميزة في خارطة الشأن الإسلامي الغربي.

(140) Marechal, The Muslim Brothers in Europe, 78.

الفصل الثالث

الأهداف والأساليب

الغايات والوسائل

ظلت المسألة الإسلامية،أو مسألة الإسلام السياسي (Islamism) موضوع نقاش مستفيض متواصل منذ الحادي عشر من سبتمبر من دون معلومات وافية في كثير من الأحيان، بعدما كانت تلك المسألة مجهولة خارج إطار الدوائر السياسية والأكاديمية المختصة طوال حقبتي الثمانينات والتسعينات من القرن الفائت. فقد أصبح التعاطي مع الإسلام السياسي أمراً عسيراً، بصفة خاصة في ظل الخصائص المتنافرة للحركة التي ترعاه وتتبناه، وهي ذات الحركة التي يثور حيالها جدل يدور حول احتضانها مجموعتين متناقضتين وتبني رؤاهما المتباينة في آنٍ معاً، وهما تلك التي توظف العنف أو الإرهاب فتتخذ منه سبيلاً لتحقيق رؤيتها المتمثلة في الإيمان بقيام مجتمع مثالي عن طريق العمل الثوري بصفة خاصة، وتعميم تلك الرؤية لاستهداف المجتمع برمّته من جهة، والتنظيمات السياسية العصرية التي تشارك في العملية السياسية وتنبذ العنف بصريح العبارة من جهة أخرى. ومن الواضح أنه لا يمكن إصدار

حكم واحد لتعميمه على الجميع؛ كما أن من يجري أي تحليل ينبغي له أن يستصحب معه المستلزمات المتعلقة بالفروق الخفية الدقيقة التي لا تكاد تدرك أو تُلْحَظ بين تلك القوى المتعددة المتنوعة.

قد يختلف الخبراء حول دوافع أفعال المجموعات التي تلجأ إلى العنف والتدابير المتخذة لمجابهتها؛ إلا أن هنالك إجماعاً على نطاق العالم الغربي على إدانة تلك المجموعات، ومنها القاعدة على سبيل المثال، وحتى الحركات الإقصائية مثل حزب التحرير، التي وإن كانت لا ترعى العنف صراحةً إلا أنها تدعو نهاراً جهاراً إلى تقويض أركان الديمقراطية، وتكوين دولة تتخذ الإسلام أساساً ونظاماً شاملاً للحياة ويتَّسع نطاقها لتغطي جميع أرجاء العالم الإسلامي (وما أبعد من ذلك بعد ذلك). ويزداد النقاش تعقيداً عندما يمتد ليشمل الإسلاميين المنفتحين على المشاركة وتقبل الرأي الآخر الذين يعيشون تحت عباءة حركة الإخوان المسلمين.[1]

هنالك لفيف من كبار العلماء والمعلقين المرموقين ممن يميلون إلى ما يمكن وصفه بالنظرة المتفائلة تجاه الإخوان المسلمين والإسلام السياسي بوجه أعم. فالمتفائلون يرون في الإخوان المسلمين حركة محافظة دينياً ولكنها تنزع إلى الديمقراطية؛ وقد أخضعت نفسها لتغييرات كبرى في تاريخها فبلغت في الوقت الحالي شأواً بعيداً ومرحلة من النضج والرشد أصبحت فيها تنبذ العنف جملة وتفصيلاً وتشارك في

(1) تم تلخيص النقاش في مقال لجوناثان د. هاليفي بعنوان «الإخوان المسلمين: بديل إسلامي معتدل للقاعدة أم شريك في الجهاد العالمي؟» مركز القدس للشؤون العامة (1 نوفمبر 2007).

العملية الديمقراطية بحماس واضح. لذا فإن في السجل الحافل لمشاركات الإسلاميين الذين لا يستخدمون العنف في الانتخابات في مختلف الدول وإدانتهم الواضحة للهجمات الإرهابية لتنظيم القاعدة ما يدل على أن الحركة ينبغي أن ينظر إليها كقوة إصلاحية تهدف إلى تغيير الأنظمة الشمولية في العالم الإسلامي بأنظمة ديموقراطية ذات مرجعية إسلامية، تستلهم فيها روح الإسلام، مستخدمةً في ذلك الوسائل السياسية.

يصف كاري ويكهام (Carry Wickham) هذا التغيير الداخلي بأنه «نتاج الإصلاح الذاتي للإسلاميين». [2] ومع إقرار ويكهام بأن انفتاح الإسلاميين على الديمقراطية قد يكون ضرباً من الانتهازية والوصولية من قبلهم، فإنه يحتج بأن مشاركة هؤلاء الإسلاميين وانخراطهم في العملية الديمقراطية قد أفضت برغم ذلك إلى انطلاق «مرحلة تعلم معقدة» تأتّى لهم من خلالها استيعاب المفاهيم الديمقراطية وتمثُّلها؛ كما أنهم أخضعوا بعض رؤاهم وأهدافهم الأصلية للمراجعة والتنقيح. وإذا كان بعض مواقفهم الأيديولوجية غير القابلة للتطبيق من الناحية العملية قد جرى تكييفها وتنزيلها من رحاب المثالي إلى أرض الواقع لتتناسب وتتماهى مع حقائق الحياة السياسية اليومية، فإن ذلك قد أفضى بالفعل إلى بلورة خطاب إسلامي جديد. ويحتج المتفائلون كذلك بأن الجيل الجديد من الإسلاميين المتشربين بالأفكار الديمقراطية من ذوي الذهنية المتفتّحة والمنفتحة على الديمقراطية إنما يمثل شريحة تجسد قوى معتدلة بحق

(2) محاضرة لكاري ويكهام بمركز ويذرهيد للشؤون الدولية بجامعة هارفارد، 26 فبراير 2005، بعنوان «الدمقرطة والإسلاميين - الإصلاح الذاتي»، انظر الموقع:
http://www. ikhwanweb. com/Article. asp?ID=4112&SectionID=81 (accessed October 13, 2008).

وحقيقة وبما لا يدع مجالاً للشك في حقيقة اعتدال مواقفهم – ومن ثم ينبغي للغرب أن يقابل ذلك بالترحاب والقبول من باب رد التحية بمثلها. وعلى هذا الأساس ومع أن بعض أفكارهم قد تكون مختلفة فإنهم لا يمثلون أي تهديد للغرب؛ بل ويمكن أن يكونوا في واقع الأمر شركاء مثاليين للمساعدة على نشر الديمقراطية والترويج لها في العالم الإسلامي؛ كما يمكن أيضاً أن يكونوا حلفاء للغرب في الحرب ضد جماعات العنف مثل القاعدة التي يرى معظم المتفائلين أن دحرها يمثل هدفاً مشتركاً ويحقق مصلحة متبادلة للإخوان المسلمين والغرب على حد سواء. [3]

ثمة ثلة من الأكاديميين والمحللين على ذات القدر من الأهمية تتبنى قراءة مغايرة تماماً فيما يتعلق بالطبيعة ومسار التطور والأهداف الخاصة بالإخوان المسلمين والحركات الإسلامية الشبيهة التي تنبذ العنف. ينظر المتشائمون إلى جُلّ، إن لم يكن كل، التحولات والانعطافات الأخيرة لهؤلاء الإسلاميين نحو العصرانية ونبذ العنف بحسبانها ضرباً من المخاتلة الماكرة والإخفاء التكتيكي لأهدافهم الحقيقية؛ فهم يرونهم مجرد ذئاب في جلود أغنام. وعلى هذا الأساس فإن حركة الإخوان المسلمين تصور نفسها وتقدمها كتنظيم معتدل لمجرد السعي إلى الحصول على فرصة العمل داخل الإطار الديموقراطي للانقضاض عليه وتقويضه من الداخل؛ فهي في واقع الأمر لم تتراجع قيد أنملة عن هدفها المتمثل في إقامة دولة إسلامية بطبيعتها لا تمتّ إلى الديموقراطية بأي صلة كانت.

(3) Robert S. Leiken and Steven Brooke, "The Moderate Brotherhood," Foreign Affairs (March/April 2007".

الاختبار العسير: الإسلاميون والديموقراطية

يفضّل علماء الاجتماع والمحللون السياسيون توضيح الخصائص المميزة وتحديدها بشكل قاطع يتسنى من خلاله قولبة الأفراد والجماعات وتصنيفهم وفق فئات محددة مسبقاً، بين «متطرف» و«معتدل» و«متزمت» و«أصولي» وهلم جرا. بيد أن هذا التبسيط الذي يكون في أغلب الأحيان قائماً على التقويم الذي ينطوي قدر كبير من الانطباعات الشخصية والرؤى الذاتية وعدم الموضوعية يتنافى بطبيعة الحال مع حركة هي بطبيعتها على درجة عالية من التعقيد والتطور المستمر. وفوق هذا وذاك فإن الحركات الإسلامية بمختلف أطيافها ذات خصائص ومواقف متباينة إلى أبعد الحدود، وقل مثل هذا في أعضاء تلك الحركات ومنتسبيها، برغم التزامها سوياً ببعض المبادئ العامة المشتركة ومع ذلك فهي تختلف أيّما اختلاف فيما بينها (وفي بعض الأحيان تتعارك بشراسة وضراوة) حول جملة من المسائل والقضايا. وعليه بدلاً عن تلوين الحركة بفرشاة التعريفات الفضفاضة سيكون من الأحرى أن يتم تقييم مواقفها تجاه مسائل محددة تبدأ بالقضية التي كانت مثار الجدل الأكثر سخونة بين الخبراء، ألا وهي موقف تلك الحركات من الديمقراطية.

يرى المتفائلون أن الإسلاميين الذين ينبذون العنف يمثلون رافعة قوية، وقوة دافعة نحو الإصلاح والديمقراطية في العالم الإسلامي، وأن شعار الحركة التقليدي «الإسلام دستورنا» إنما هو مجرد شعار عاطفي يستخدم لاستقطاب المناصرين وحشدهم كما ظل بعض قيادات الإخوان المسلمين يرددون بين الفينة والأخرى، ذلك أن أعضاء الحركة في واقع

الأمر يؤمنون في يوم الناس هذا بمشروعية القوانين والدساتير الوضعية التي يسنّها بنو البشر ويشرعونها. أما المتشائمون، فإنهم يحتجون بأن الإخوان المسلمين «يؤمنون بالديموقراطية أسلوباً سياسياً أكثر من كونها منظومة من القيم أو المفاهيم السياسية». [4] إذ يرى المتشائمون أن إدانة حركة الإخوان المسلمون العنف إنما تنم عن موقف مرحلي «تكتيكي» أملته عليها دواعي إقرارها بضعفها العسكري أمام الحكومات في المنطقة. ففي العلن، يعرب الإخوان المسلمون عن تأييدهم التام للديموقراطية وحقوق الإنسان ورفضهم للعنف، وذلك لكي ينتظموا في سلك النظام ويصبحوا جزءاً من المنظومة. أما في واقع الأمر فإنهم يسعون إلى الانقضاض على النظام الديموقراطي من داخله.

لا مراء في أن الإسلاميين الحاليين يتخذون موقفاً مغايراً لموقف أسلافهم تجاه الديموقراطية؛ إذ أنَّ الحركة كانت في مراحل سابقة ترفض الديموقراطية وتستهجنها يدفعها إلى ذلك، ضمن أسباب أخرى، حماسها الشديد لمناهضة الاستعمار الأمر الذي حدا بها إلى النأي بنفسها عن أي مؤثرات لأي نفوذ غربي بالغاً ما بلغت درجته. ومن هذا المنطلق كان هنالك عدد من أعضاء الحركة السابقين الذين يرفضون الديموقراطية وينعتونها بأنها نظام دخيل لا يتماشى مع الإسلام في شيء. ففي عام 1981م، صرح الأستاذ مصطفى مشهور المرشد الأسبق لجماعة الإخوان المسلمين قائلاً بما مفاده أن «الديموقراطية تتناقض مع الإسلام وتشنّ حرباً عليه. وأن من يروّج للأساليب الديموقراطية، كائناً من كان، إنما

---

(4) Amr Al-Chobaki, "Future of Muslim Brotherhood, "June 13, 2007, http://www.ikhwanweb. com/article. php?id=814&ref=search. php.

يرفع شعارات تتعارض مع المنهج الربّاني وتحارب الإسلام». [5] ابتداءً من أوائل تسعينات القرن الماضي، بدأ الإخوان الغربيون الجدد في اختطاط نهج أكثر انفتاحاً نحو موضوع الديموقراطية وإحلال الشريعة الإسلامية محل القوانين الوضعية؛ بل ويذهب بعضهم، لاسيما بعض أبناء الجيل الجديد، إلى حد الزعم بأنهم تخلوا عن فكرة قيام دولة إسلامية تستند بشكل صارم على الشريعة، متحدثين بدلاً عن ذلك عن نظام ديموقراطي قائم على أساس المساواة في حقوق المواطنة للجميع مع مجرد خلفية ثقافية إسلامية. [6] ويقارن آخرون أنفسهم بالديموقراطيين المسيحيين في مختلف الدول الأوروبية الذين يتبنون الديموقراطية ويحافظون في الوقت نفسه على هويتهم الدينية. [7] ولعل هذه الإشارات المتكررة إلى مفاهيم وعبارات من قبيل الديموقراطية والانتخابات وحقوق الإنسان هي التي جعلت كثيراً من المتفائلين يخلصون إلى نتيجة فحواها أن موقف الإخوان الغربيين الجدد تجاه المسار الديموقراطي موقف حقيقي وأصيل.

بيد أن المتفائلين أصيبوا بصدمة وشعروا بخيبة أمل كبيرة، من جرَّاء بعض التصرفات الراهنة للإخوان المسلمين. لقد أصدر الإخوان

---

(5) مجلة الدعوة ، يناير 1981، نقلت عن سيد محمود القمني في الورقة التي قدمها في مؤتمر عن الإصلاح الإسلامي بمعهد بروكينغز، 5-6أكتوبر 2004 بعنوان «مبادرة الإخوان المسلمين برنامج إصلاح :مراجعة نقدية». انظر الموقع:

http://www. brookings. educ/fp/research/projects/islam/cairopaper1. pdf (accessed October 7, 2008).

(6) مقابلة مع الدكتور عبد المنعم أبو الفتوح والدكتور هشام الحمامي، القاهرةو ديسمبر 2008. إسرائيل إيلاد التمان« التوجهات الحالية في أيديولوجية الإخوان المسلمين المصريون»،

"Current Trends in Islamist Ideology, December 29, 2005".

(7) Amel Boubekeur, Political Islam in Algeria, Center for European Studies working document 268, May 2007.

المصريون خلال السنوات القليلة الماضية سلسلةً من المستندات الرسمية التي تمثل مرئياتهم وتحمل رؤاهم تجاه المجتمع، وذلك تحت تأثير ضغط منتقديهم الذين طالما ظلوا يسوقون ضدهم اتهامات الانسياق بلا هوادة وراء البروباجاندا والدعاية التي تهدف إلى التأثير من خلال عرض الأحداث بطريقة انتقائية، مع الافتقار إلى برنامج سياسي محدد المعالم. ففي عام 2004م صدرت عنهم «مبادرة الإصلاح» وكانت تلك المبادرة التي طال ترقبها بمثابة قاعدة أو نقطة انطلاق لتأصيل، ومن ثم تفصيل الرؤية السياسية الشاملة التي يتبناها الإخوان المسلمون في مصر. وقد كانت افتتاحية المستند وديباجته عبارة عن بيان عن الديموقراطية، وكان من الواضح أنها تمثل قطيعة مع الماضي حيث جاء فيها: «إن الإصلاح الشامل لا يمكن تحقيقه إلا بتطبيق الديموقراطية، التي نؤمن بها والتي ألزمنا أنفسنا بمبادئها». [8] وبكل حال فإن المستند في جوهره لم يقدم شيئاً يذكر لإثبات الطبيعة أو الروح الديموقراطية لأجندة الإخوان المسلمين. ويمضي المستند قائلاً: «لدينا مهمة محددة تتمثل في إقامة حكم الله على أساس عقيدتنا ولعل هذا هو طريقنا الحقيقي والفعال لحل جميع مشكلاتنا الداخلية والخارجية سواء كانت سياسية أم اقتصادية أم اجتماعية أم ثقافية». [9]

إن الانتقاد المستمر للغموض الذي ظل يكتنف البرنامج السياسي للإخوان المسلمين في مصر قد دفعهم لإعداد مسودة جديدة تتصف

(8) نقلاً عن القمني(مبادرة الإخوان المسلمين برنامج إصلاح).
(9) نقلاًعن القمني(مبادرة الإخوان المسلمين برنامج إصلاح).

بمزيد من التفصيل في عام 2007م. [10] وقد أفضت هذه المحاولة إلى إحداث توتر ملحوظ بين مختلف الأجنحة داخل المجموعة، حيث يبدو أن الحرس القديم الأكثر نزوعاً إلى المحافظة هو الذي هيمن على المشهد في نهاية المطاف. وأيّاً كان الحال، فقد أكد النص ارتياب المتشائمين وقطع شكهم باليقين، بينما أصاب بعض أكثر المتفائلين حماساً بالإحباط وخيبة الأمل. ففي قسم مثير للجدل بصفة خاصة، ورد اقتراح يقضي بتكوين مجلس لعلماء الدين الذين يمكنهم أبداء الرأي حول مدى تطابق التشريع مع الشريعة. [11] سرعان ما يستدعي هذا المجلس إلى الذاكرة مجلس الخبراء (Council of Guardians) القوي المتنفّذ الذي تم تكوينه في إيران في أعقاب اندلاع الثورة الإيرانية – ذلك أن مثل هذا المجلس قد يتمتع بالسلطات التي تخوله بنقض أي تشريع يرى أنه مناهض للشريعة أو مناقض لها متعارض معها ذلك برغم زعم بعض أعضاء المجموعة بأن الدور المرتقب لهذا المجلس سيقتصر على أن يكون دوراً استرشادياً واستشارياً بحتاً. [12] وقد اشتملت القاعدة أو نقطة الانطلاق المتقدم ذكرها أيضاً على نصوص من شأنها الحد من دور المرأة ومن دور غير المسلم في الدولة التي ترتسم معالمها على ضوء محددات تلك القاعدة،

(10) Amr Hamzawy, “Regression in the Muslim Brotherhood’s Platform?”Daily Star, November 1, 2007

(11) Nathan J. Brown and Amr Hamzawy, The Draft Party Platform of the Egyptian Muslim Brotherhood: Foray Into Political Integration or Retreat Into Old Positions? Carnegie Papers, Middle East Series, Number 89, January 2008.

(12) يدعي عدد من الأعضاء في جماعة الإخوان المسلمين المصريين أن دور هذا المجلس ما زال يخضع للنقاش في دوائر الجماعة وان قرارته لن تكون ملزمة بل سيكون هيئة استشارية . مقابلة مع الدكتور عبد المنعم أبو الفتوح والدكتور هشام الحمامي، القاهرة، ديسمبر 2008. يعتقد بعض الباحثين أن الإسلاميين يسعون لانشاء هيئات مراجعة قضائية لتأكيد توافق التشريعات مع احكام الشريعة الإسلامية مثل الهيئات في غالب الانظمة الدستورية الغربية. انظر، على سبيل المثال، مؤلف نواه فيلدمان بعنوان» صعود وسقوط الدولة الإسلامية) برينستون واكسفورد، مطبعة جامعة برينستون، 2008، ص 11-15 و 120-123.

حيث تحرم تلك القاعدة هاتين الفئتين من تسلّم الأدوار القيادية العليا بالدولة.[13] وقد اعترف المستند وأقر بالمساواة بين الرجال والنساء من حيث «الكرامة البشرية، أي: من حيث التكريم الذي أسبغه الله تعالى على المعنى الإنساني» وإن استخدم المستند في ذلك لغة مواربة نوعاً ما يكتنفها الإبهام ويعتريها الغموض إلى حدٍّ ما. بيد أن المستند ذاته أردف يقول إن النساء لا ينبغي إثقال كواهلهن بواجبات وأعباء لا تتناسب مع طبيعتهن، أو مع محورية دورهن الجوهري في العائلة.»[14]

إن إخفاق الإخوان المسلمين المصريين في أن يرقوا إلى مستوى الدعاوى التي ساقوها فيما يتعلق بالديموقراطية والمساواة في الحقوق، أو في أن يفوا تماماً باستحقاقات تلك الدعاوى لا يعني بالضرورة أن الحركة الإسلامية العالمية التي خرجت من عباءة الإخوان المسلمين تشاركهم الرؤى والتوجهات نفسها. ويجادل كثير من المتفائلين بأن الإخوان الغربيين الجدد ومن منطلق معايشتهم لأجواء الأنظمة الديموقراطية لعشرات السنين قد استوعبوا وتشربوا بكثير من المبادئ الديموقراطية بوعي منهم أو من دونه؛ بل إنهم يذهبون إلى حد القول أنه بمقدورهم التأثير في الإسلاميين الآخرين في العالم الإسلامي، لتبني تلك المبادئ الديموقراطية. وفي هذا السياق يشار إلى أحد أبرز زعامات الإخوان المسلمين الغربيين الجدد في كثير من الأحيان بأنه ناشط مناصر

(13) يدعي لفيف من الإخوان المسلمين المصريين أن موقف الجماعة حيال هذه المسألة قد أُسيء فهمه. بدلاً من حرمان المرأة وغير المسلمين من أن يتبوءوا منصب رأس الدولة إلا أنهم لن يقدموهم كمرشحين لهذا المنصب، ولكن لقبولهم العملية الديمقراطية فان سيقبلون انتخاب أي شخص تختاره الأغلبية. مقابلة مع الدكتور عبد المنعم أبو الفتوح والدكتور هشام الحمامي، القاهرة، ديسمبر 2008.

(14) Maggie Michael, "Egypt's Brotherhood Party Details Platform Akin to That of Iran", Associated Press, October 11,2007.

للديموقراطية في العالم الإسلامي. لقد أمضى ذلك الزعيم عشرات السنين في أورووبا حيث ظل يقيم بصفة مستديمة في مدينة لندن ليستقر به المقام فيها ويتخذها مقراً دائماً لإقامته منذ أوائل عام 1996م بعد أن صدرت بحقه عدة أحكام بالسجن المؤبد في بلده الأم، لدوره القيادي في المعارضة الإسلامية لنظام الحكم القائم في بلاده: إنه الشيخ راشد الغنوشي المولود في تونس، وهو أحد الشخصيات والرموز التي تحظى بأكبر قدر من التبجيل والتوقير والاحترام في أوساط الإخوان المسلمين الغربيين الجدد كما أنه كاتب متمكن من أدواته، وخطيب مفوه يمتلك ناصية البيان تحدثاً وكتابةً.

قام بعض المفكرين الإسلاميين من الرعيل الأول بمن فيهم العالم العلامة المودودي بوضع الأسس النظرية لإمكانية تحقيق ما أسموه «ديموقراطية إسلامية (Islamic democracy)» إلا أن الغنوشي كان أحد أوائل المفكرين المعاصرين الذين تصدوا بالتمحيص والبحث للمفهوم الذي يذهب إلى أن الأسلوب الديموقراطي لا يتماشى مع الإسلام، إذ يرى الغنوشي أن الديموقراطية ليست مذهباً إيديولوجياً متنافساً مع الإسلام، وإنما هي مجرد أداة أو سلسلة من الإجراءات الرامية إلى انتخاب الحكومة،أي حكومة، ومراقبتها وعزلها. [15] وبهذا الفهم فإن الديموقراطية ليست متماشية مع الإسلام فحسب وإنما أيضاً تمثل تجسيداً لمفهوم الشورى والمشاورة في الإسلام. لقد أثيرت الشورى من قبل كثير من المفكرين المسلمين سواء كانوا من الإسلاميين أو من غيرهم، لإثبات

(15) Azzam S. Tamimi, Rachid Gannouchi: A Democrat Within Islamism(New York: Oxford University Press, 2001),v-vii, 63-104.

أن الديمقراطية متأصلة متجذرة في صميم الإسلام، وأنها من أمر الله سبحانه وتعالى في القرآن الكريم، في سياق حض المسلمين على تدبير أمورهم، وتدبر أحوالهم من خلال التراضي فيما بينهم. (16) فالشورى ترتبط بالمداولات المتعلقة بوجود السلطة ابتداء وشرعيتها وتداولها، أما المشاورة فترتبط بالمداولات المتعلقة بأداء السلطة وإدارتها وتسييرها. وقد تقيد صحابة سيدنا محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم أيما تقيد بهذا المفهوم، فلم يحيدوا عنه قيد أنملة، ومن ثم يرى عدد من المفكرين المسلمين أن الديموقراطية الحالية ليست أكثر من مجرد تطبيق لذلك المفهوم ولكن على نطاق أوسع. (17)

انطلاقاً من مفهوم الشورى شرع الغنوشي في صوغ فكرة «الديموقراطية الإسلامية» موضحاً أن الديموقراطية في حقيقة الأمر ذات جذور إسلامية أكثر من كونها غربية. (18) وبرغم أن ما ساقه في هذا السياق أمر مثير للجدل – إذ إن الديموقراطية الأثينية (من أثينا) يعود تاريخها إلى ما قبل الإسلام بأكثر من ألف عام – إلا أنه مع ذلك أمر مشجع لجهة أنه قد يدل على أن شرائح من الحركة الإسلامية تسعى إلى بلورة صيغة إسلامية للديموقراطية. ينتقد الغنوشي الغربيين لأنهم يساوون بين الديموقراطية والعلمانية (secularism) حيث ما فتئ يردد مراراً وتكراراً أن الديموقراطية متطابقة تماماً مع الإسلام.

(16) أنظر، على سبيل المثال، القرآن، سورة الشورى، 42، الآيات 37-38 أو سورة عمران، 3/ الآية 159.

(17) See, for example, Bassam Tibi, The Challenge of Fundamentalism: Political Islam and the New World Disorder(Berkley : University of California Press, 1998), 173-77.

(18) Mohamed Elhachmi Hamdi; The Politicization of Islam: A Case Study of Tunisia(Boulder, CO: Westview Press, 1998),102-105.

إلا أنه وبإعادة النظر سريعاً إلى تفسير الغنوشي للديموقراطية يبدو تفسيره مختلفاً عما قد يفهمه معظم الغربيين، إذ يقول المفكر التونسي في نظرته للديموقراطية الإسلامية إن الجميع سواسية ويتمتعون بحقوق المواطنة المتكافئة المتساوية، ولكنه يقسم ذلك بين مواطنة عامة((unqualified citizenship) تكون متاحة أمام جميع المواطنين غير المسلمين) ومواطنة خاصة (qualified citizenship) وهي خاصة بالمسلمين فقط). [19] وكما يوضح جون إسبوسيتو وجون فول (John Esposito & John Voll) «في حين أن الأخيرين يتمتعون بحقوق المواطنة الكاملة، فإن معظم المواطنين قد يختارون أن يكون لمعتقدهم تأثير في الحياة العامة، وبالتالي فإن الدولة قد تحظر على غير المسلمين تولي المناصب العليا في الحكومة». [20] أما الغنوشي فهو يوضح ألا إكراه للناس في الدين، أو اعتناق الإسلام، بيد أن من لم يسلم يلزمه كائناً من كان أن يدين بالولاء للدولة وأن يقر بمشروعيتها. وله أن يتمتع بالحرية الشخصية بخصوص «حرية المعتقد والمأكل والمشرب والزواج» ولكن قد يفقد بعض الحقوق المكفولة للمواطنين المسلمين». [21]

لا مراء في أن «الديموقراطية الإسلامية» التي ينادي بها ويدعو إليها «الديموقراطيون في أوساط الإسلاميين» على حد وصف كاتب سيرة حياة الغنوشي تعد خطوة كبرى في طريق التحسن من الرفض البات للديموقراطية التي تبناها الإخوان قبل عشرين عاماً فقط. إلا أن عدداً

(19) John L. Esposito and John O. Voll, Makers of Contemporary Islam(Oxford/ New York: Oxford University Pres, 2001),115.

(20) المرجع السابق.

(21) Tamimi, Rachid Ghannouchi, 77

من خصائصها الجوهرية لا تكاد تنسجم البتة مع ما هو مقصود من ناحية تقليدية، بما يسمى الديموقراطية الليبرالية (liberal democracy). فهي لا تزال تمثل وضعاً تتم فيه التضحية بالمبدأ الأساسي للمساواة بين المواطنين باسم الدين. وحتى مفهوم الإخوان عن الشورى بمجرد إخضاعه للتحليل يبدو مختلفاً بصورة جوهرية عن كيفية تفسير المثقفين المسلمين الآخرين، ومعظم الغربيين للمفهوم ذاته. وكما يتضح من مراجعات الإخوان المسلمين المصريين ومن كتابات عدد من الإخوان الغربيين الجدد فإن كثيرين من الإخوان المسلمين يرون الشورى ليس وعاءً إجرائياً جامعاً يستوعب المواطنين كافة، وإنما هي مشورة ومشاورة بين الخبراء والفقهاء في الشريعة الإسلامية. وفي واقع الأمر فإن العملية الديموقراطية أخذت طريقها بالفعل إلى حيز التطبيق، ولكن بين مجموعة صغيرة فقط من الفقهاء غير المنتخبين من قبل أحد، الذين يتداولون فيما بينهم حول التفسير الأمثل للشريعة وتوضيحها على الوجه الأكمل. ويبدو واضحاً أن الغربيين والإخوان المسلمين الغربيين الجدد يستخدمون، على حد سواء، ذات الكلمة «كلمة الديمقراطية» إلا أن تعريفاتهم وتفسيراتهم وتأويلاتهم لها جد مختلفة، بل متباينة تماماً. (22)

يرى المتشائمون في ما تقدم من مشاحّة في المصطلحات وتغاير بين المصطلح ومدلوله مثالاً صارخاً للأساليب التكتيكية الماكرة والمخادعة التي يتبعها الإخوان المسلمون. وانطلاقاً من إدراكهم، لأن ثمة عبارات طنانة رنانة وكلمات محددة ذات جرس معين، من شأنها طمأنة الغربيين وتهدئة روعهم، عمد الإخوان المسلمون إلى تبني لغة الديموقراطية

(22) Jonathan D. Halevi, "The Muslim Brotherhood"

وحقوق الإنسان والعدالة الاجتماعية بحسبانها لغتهم المعتمدة، بيد أنهم سعوا إلى توظيفها بدلالات لغوية ومعان تبدو مختلفة تماماً عما يقصده المنافحون عنها وما ينشدونه. لم تتأثر أهداف الإخوان المسلمين التي تبدو ثابتة لا تمتد إليها يد التغيير أو التأثير، من جراء الخدع اللغوية، والتلاعب بالكلمات، والخطب الجوفاء، والتوظيف الذكي الحصيف لفحوى الرسائل وإعادة توجيهها. وتؤكد الإفادات والبيانات الصادرة عن مختلف القيادات الإسلامية أن تبني الحركة للديموقراطية ليس نابعاً من القلب، وإنما يرمي إلى خدمة أغراض مرحلية؛ لقد قال الأستاذ مصطفى مشهور المرشد الأسبق للإخوان المسلمين إن المجموعة قد «تتقبل مفهوم التعددية في الوقت الحاضر إلا أنه عندما يكون لدينا حكم إسلامي حينئذ ربما نرفض المفهوم أو نقبله».(23) وكما يلاحظ إسبوسيتو (Esposito) فإن مثل هذه التصريحات لا «تجيب عن أسئلة من يتساءلون متعجبين عما إذا كان تبني الديموقراطية من قبل الحركات الإسلامية هو مجرد تكييف لموقف ذرائعي «برغماتي» تكتيكي مرحلي، أم أنه موقف مبدئي أصيل».(24)

ثمة توضيح بديل من شأنه إبراز الفرق والاختلاف بين «الديموقراطية الإسلامية» التي نظّر لها الشيخ الغنوشي والمفهوم الغربي للديموقراطية الليبرالية كخطوة لا مندوحة عنها في مسار التطور في فكر

---

(23) Refaat al-Said, Against Illumination(Cairo:1996), cited in Magdi Khalil, "Egypt's Muslim Brotherhood and Political Power: Would Democracy Survive?" Middle East Review of International Affairs Journal10, no. 3(March 2006):44-52.

(24) John L. Esposito, The Islamic Threat: Myth or Reality? (New York and Oxford: Oxford University Press, 1999),211.

الإخوان المسلمين. إذا ما روعي أنه حتى عهد قريب لا يتجاوز عشرين سنة خلت كان معظم الإسلاميين ينظرون إلى الديموقراطية بحسبانها ضرباً من ضروب الشرك، ومظهراً من مظاهر الإلحاد والإفساد، ومع أنهم مع نظام في بعض جوانبه يعامل غير المسلم والمرأة بطريقة مختلفة، فإن إقرارهم بالحقوق الأساسية التي تصب في مصلحة المشاركة العامة يعد تطوراً كبيراً وربما خطوةً كبرى في اتجاه تبني المزيد من المفاهيم الديموقراطية ومن التشرب بها. فضلاً عما تقدم قد لا يكون من الإنصاف في شيء أن نطالب المسلمين بتبني نظام حكم يمثل مرآة لأنظمة الحكم في الغرب أو يماثلها أو يضاهيها أو يجاريها حذو القذة بالقذة. وتماماً كما حدث في المناطق الأخرى من العالم وفي الحضارات الأخرى، ينبغي للعالم الإسلامي أن يكون قادراً على تأسيس أنظمة حكم من شأنها الجمع بين المبادئ الديموقراطية والأعراف المحلية دونما تعرض لسهام النقد من الخارج. ففي واقع الأمر يشير بعض الإخوان الغربيين الجدد إلى أنه ليس من العدل في شيء أن يتم فرض المبادئ والمعايير والمثل الغربية فرضاً على المجتمعات المسلمة. وقد تساءل الدكتور عصام العريان أحد قيادات الجيل الثاني من الإخوان المسلمين في مصر حيث قال: «هل سيقبل الغرب أنموذجاً مختلفاً من الديموقراطية في الدول الإسلامية، أنموذجاً يستمد من الإسلام مرجعيته متخذاً الإسلام مصدراً للسلطة ويكون فيه الدين مرتكزاً، بل ركيزة أساسية وركناً ركيناً في البناء السياسي، ويكون فيه للناس أن يمتلكوا السلطة والصلاحية للتعيين والمراقبة والعزل للحاكم ومع هذا تكون السيادية العليا للشريعة الإسلامية؟».[25]

---

(25) Altman,"Current Trends in the Ideology of the Egyptian Muslim Brotherhood"

لا مراء البتّة في أن «الديموقراطية الإسلامية» للإخوان المسلمين الجدد تمثل خطوة متقدمة لا مجال للاختلاف بشأنها ولا سيما إذا ما قورنت بمواقف الإخوان المسلمين في المراحل السابقة، ومواقف السلفيين في يوم الناس هذا، الذين يؤمنون بأن التشريع كله يجب أن يكون مصدره الله سبحانه وتعالى ويحتج المتفائلون بأن هذه الخطوة المتقدمة سوف تتطور أكثر فأكثر مع مرور الوقت. بيد أنه يبدو أن الدكتور عصام العريان يومئ، ولو من طرف خفي، لمرحلة أساسية مهمة وحاسمة ليس في وارد احتمال الإخوان المسلمين أن يتجاوزوها أو أن يغضوا الطرف عنها، ذلك أنه في الديموقراطية الليبرالية يجوز للأغلبية التي تمتلك التأهيل اللازم أن تقوم بتغيير جميع الأنظمة والقوانين بل وجميع أحكام الدستور دفعة واحدة طالما أنها مخولة بذلك حسب الأسس الديموقراطية. أما الإخوان الغربيون الجدد، فإنهم يرفضون رفضاً باتاً فكرة تجاوز مبادئ الشريعة الإسلامية وأحكامها القطعية الصحيحة الصريحة من قبل كائن من كان حتى ولو كانت الأغلبية الساحقة، وذلك لأن أحكام الشريعة صادرة من الله سبحانه وتعالى، ولأجل هذا فهي سرمدية وثابتة وغير قابلة للتغيير بأي حال من الأحوال، ومن ثم فإن المساس بها مرفوض جملةً وتفصيلاً. لئن كان الإخوان الغربيون الجدد يفسرون الشريعة تفسيراً أكثر مرونة من أسلافهم ومن الإسلاميين المعاصرين الآخرين فإنهم مع هذا يرون الشريعة الإسلامية فوق كل الدساتير، وبالتالي لن تمتد إليها يد التغيير.

كان المرشد السابق للإخوان المسلمين في مصر الأستاذ الشيخ محمد عاكف واضحاً كل الوضوح عندما أشار إلى أن الجوانب الجوهرية من الشريعة الإسلامية تمثل العقبة الرئيسية التي تحول دون تطور

«الديموقراطية الإسلامية»،لتصبح مثل الديموقراطية الليبرالية حسب ما يفهمها الغرب بصفة عامة. فهو يتحدث في هذا السياق قائلاً: «إن مجلس الشورى يمكن أن يكون الأنموذج الذي تتجسد فيه الديموقراطية ولكن (فقط) الديموقراطية الصحيحة (أي) تلك التي تلتزم الشريعة وتحترمها» وأردف يقول: «إنني أميز بين هذه الديموقراطية والديموقراطية الغربية التي تبيح للإنسان أن يتصرف كما يشاء (حتى) وإن كان ذلك مخالفاً لأوامر الله سبحانه وتعالى ونواهيه جل وعلا».[26] أما فيصل مولوي نائب رئيس المجلس الأوروبي للإفتاء والبحوث، وهو المجلس المرتبط باتحاد المنظمات الإسلامية في أوروبا، وأحد القادة التاريخيين للإخوان الجدد في الغرب، فقد كان هو الآخر على ذات الدرجة من الوضوح حينما أعلن بقوله: «فيما يتعلق بالمفهوم الصحيح للديموقراطية فإنه لا يمثل همنا الرئيسي.» واستطرد هذا العالم المولود في لبنان قائلاً: «نحن المسلمين نؤمن بالتعددية والحرية السياسية كجزء من منظومة التعاليم الإسلامية. ويجدر التأكيد في هذا المقام أننا نقبل المبادئ والمفاهيم الديموقراطية التي تتوافق مع تعاليم الإسلام، ونرفض بتاتاً ما هو دونها، نرفض المبادئ والمفاهيم غير الإسلامية»[27]

يريد الإسلام لهذه الأمة أن يكون أمرها شورى بينها في كل شيء يهمها، وأن تقف صفاً واحداً كالبنيان المرصوص حتى لا يتمكن العدو من

(26) "Muslim Brotherhood Supreme Guide: Bin Laden is a Jihad Fighter," Middle East Media and Research Institute(MEMRI)Special Dispatch#2001, July 25,2008.

(27) " How Islam Views Pluralism and Democracy, "IslamOnline, July 30, 2002, http://www. islamonline. net/servlet/Satellite?c=FatwaE&cid=1119503545626&pagename=IslamOnline-English-ask-Scholar%FASELayout
(accessed August 11, 2008).

اختراقها. هذا ليس من مقتضيات الديموقراطية وأهدافها. الديموقراطية نظام لا يمكنه بأي حال أن يقدم حلاً لجميع المشكلات الاجتماعية. والديموقراطية نفسها يمكن أن تكون مطية يتم من خلالها إضفاء الصفة القانونية على ما تشاء أن تضفيها عليه، وأن تحظر أي شيء لا تحبه. بالمقابل، فإن الشريعة كنظام سياسي لديها حدود وقيود، وإذا كان لنا أن نتبنى الديموقراطية فإنه ينبغي علينا أن نكيف أفضل ما فيها من ملامح ومعالم، وهي المسائل والأمور المتعلقة بالأساليب والوسائل والضمانات والمثل والأخلاقيات، التي يتحلى بها المجتمع الديموقراطي. وكمجتمع مسلم ينبغي لنا تبني الديموقراطية في السياق الإسلامي لمجتمع يسعى إلى أن يعيش حياته وفقاً لمتطلبات شريعته الغراء وطبقاً لمقتضيات شرعه الحنيف. يجب أن يلتزم مجتمعنا ما أحله الله سبحانه وتعالى، وأن نمتنع عما حرمه علينا جل وعلا – مؤتمرين بأوامره ومنتهين عما نهانا عنه جل في علاه. وبالمقابل فإن الديموقراطية، ومن خلال أغلبية ضئيلة يمكنها إلغاء القوانين والأنظمة كافة. بل يمكنها تقليص حجمها فتضمحل وتتضاءل بموجب هذه الأغلبية الهامشية. في واقع الأمر، وفي بعض الحالات يمكن أن تصبح الديموقراطية أسوأ من الاستبداد والشمولية وما أؤيده هو نوع أصيل من الديموقراطية لمجتمع يهتدي بهدي الشريعة ويسير على هداها وهي ديموقراطية تتطابق مع قيم الحرية وحقوق الإنسان والعدالة والإنصاف والمساواة ».[28]

---

(28) فتوى من القرضاوي على موقع إسلام اونلاين، 4 فبراير 2000: انظر الموقع http://www. islamonline. net/completesearch/English/Fatwa Display. asp/hFatwaID=5638 through the Way Back Machine(accessed through www. archive. org, August 18,2008)

أما الشيخ القرضاوي فهو يؤكد التبني الانتقائي للمبادئ الديموقراطية التي تقيدها وتحد منها الثوابت في شرع الله الحنيف. ووفقاً للمنتقدين ينطوي هذا الموقف على تداعيات خطيرة تتمثل في انتكاسات جسيمة على حقوق الإنسان الأساسية، ما يلقي الضوء على مدى البعد والبون الشاسع للإخوان المسلمين الجدد عن مفهوم الديموقراطية الليبرالية. وكشأن كثير من الإخوان الغربيين الجدد يشير القرضاوي إلى قيم من قبيل الحرية وحقوق الإنسان والعدالة والمساواة، التي يمكن لأي شخص في العالم وبصفة خاصة في الغرب أن ينتسب إليها. ولعل دعوته المستمرة لهذه المفاهيم هي التي جعلت منه الخطيب الأثير والواعظ المفضل الذي يحظى بالتقريظ والإطراء والاستحسان من قبل كثيرين. أما إبراهيم الهضيبي، حفيد المرشد الثاني لجماعة الإخوان المسلمين، وأحد قادة الجيل الثالث من الحركة فقد صرح بأن الغربيين ينبغي لهم تبني مقولات القرضاوي لما يبديه من درجة عالية من الاحترام لحقوق الإنسان والحريات المدنية. (29) وأما العلماء الغربيون من أمثال جون إسبوسيتو، فقد وصفوه بأنه «مفكر مهموم بتفسير إصلاحي للإسلام وعلاقته بالديموقراطية والتعددية وحقوق الإنسان. » وقد وردت الإشارة إليه والإشادة به ونعته بالمعتدل من قبل مسؤولين رسميين على نطاق الغرب. (30)

أياً كان الحال فإنه من خلال التحليل الدقيق لكتابات القرضاوي

---

(29) Ibrahim El Houdaiby," Why Are Western Officials Hesitant to Talk to Moderate Islamists?" Daily Star, November 7, 2007.

(30) John L. Esposito," Practice and Theory,"Boston Review(April/May 2003) http://www. bostonreview. net/BR28. 2/esposito. html

ومؤلفاته والإطلاع عليها عن كثب سوف يتضح أن تفسير هذا العالم العلامة المصري لحقوق الإنسان يتناقض بشكل ملحوظ مع تفسير معظم الغربيين لتلك الحقوق، إذ إن الاختلافات تتجلى واضحة بشكل صارخ على سبيل المثال حول مشكلة الشذوذ الجنسي والمثلية (اشتهاء المثل). ففي معرض إجابته عن سؤال وجهه إليه مسلم أسترالي عن موقف الشريعة من المثليين والشواذ جنسياً، أوضح القرضاوي على الموقع الالكتروني ذائع الصيت على الانترنت «إسلام أونلاين (IslamOnline)» أن من يتورطون في هذه «الممارسة الفاسقة الفاجرة المهينة المشينة» يتحتم أن يقعوا تحت طائلة العقوبة الجسدية، بل وحتى عقوبة القتل الحدي أو التعزيري في بعض الحالات. واستطرد يقول: «قد تبدو هذه العقوبات قاسية ووحشية ولكن «تم فرضها للحفاظ على نقاء المجتمع الإسلامي وتطهيره من دنس تلك الفئة الفاسدة الخليعة المنحرفة»[31].

أصدر القرضاوي فتوى أخرى مماثلة ومثيرة للجدل أيضاً على موقع «إسلام أونلاين» حول موضوع الحريّة الدينية، وتحديداً حول إمكانية الردة والخروج من الإسلام لاعتناق دين آخر. أولاً عرف القرضاوي هذه الظاهرة بأنها مؤامرة غربية مشيراً إلى أن «أقبح أعداء الإسلام قاموا بتدبير مكائدهم ونسج وحياكة مؤامراتهم ضد الإسلام، وحاولوا إغواء أتباعه للتحول عنه»[32]. بعد ذلك وجه نقداً لاذعاً وعنيفاً «للغزاة من

(31) الشذوذ الجنسي والمثلية خطيئة كبرى من فتوى للشيخ يوسف القرضاوي على موقع إسلام أونلاين، 6 ديسمبر 2003:
http://www. islamonline. net/servlet/Satellite/pagename=IslamOnline-English-Ask_Scholar/FatwaE&cid=1119503543878 (accessed September 21,2009).

(32) يوسف القرضاوي الردة: الصغرى والكبرى، إسلام أونلاين:
http://www. islamonline. net / English / contemporary / 2006 / 04 / article01c. shtml

البعثات الإرسالية التي تسعى إلى تحويل المسلمين إلى النصرانية». إن مثل هذا الانتقاد وإن لم يكن منطوياً على مخالفة صريحة لحرية التدين يبدو إلى حدٍّ ما ضرباً من النفاق (hypocritical) - ذلك أن الدعوة في أوساط النصارى ظلت تمثل حجر الزاوية، بل وأحد المعالم الرئيسية والملامح الأساسية لنشاطات الإخوان الغربيين الجدد لعشرات السنين وقد دافع عنها القرضاوي نفسه في معالجات مستفيضة وفي كثير من محاضراته التي درج على إلقائها في أوروبا وأمريكا الشمالية.

بيد أن الملمح الأوضح في فتوى الشيخ القرضاوي حول حرية التدين الذي يلخص وجهات النظر والرؤى التي تضمنها كتاب قام بتأليفه ونشره باللغة العربية في عام 1996م إنما يحدد بوضوح أن الخروج من الإسلام يمثل ردة خفيفة أو فردية (minor apostasy) أو ردة غليظة أو مغلظة (minor apostasy). [33] أما الردة الخفيفة أو المخففة أو الفردية، فهي التي يقترفها من يتركون الإسلام كشأن شخصي. ففي هذه الحالة يقول القرضاوي إن المرتد ينبغي أن تكون عقوبته تقديرية تعزيرية فقط (discretional punishment) إلا أنه لا يبدي أي مرونة تجاه من يرتدون ردة مغلظة أي الذين يعلنون على الملأ ارتدادهم عن الدين الإسلامي، والأنكى منهم أولئك الذين يدعون غيرهم إلى الردة، ويسعون إلى إغرائهم بل إغوائهم للخروج من ملة الإسلام. يتحدث الشيخ القرضاوي بعبارات شديدة الوضوح دقيقة التعبير قائلاً: إن هؤلاء الأفراد وأمثالهم ينبغي

(accessed July 24,2008).

(33) Gudrun Kramer, "Drawing Boundaries: Yusuf al-Qaradawi on Apostasy," in Gudrun Kramer and Sabine Schmidtke, eds. , Speaking for Islam: Religious Authorities in Muslim Societies(Leiden: Brill, 2006), 200-2009.

أن يقتلوا جزاءً وفاقاً، ويستطرد قائلاً: «ما من مجتمع يقبل أن يغير أحد أعضائه ولاءه تجاهه، أو أن يغيّر هويته ويصبح ولاؤه لأعداء مجتمعه. إنهم يرون الخيانة الوطنية جريمة شنيعة وليس هنالك قط من دعا لإعطاء الناس الحق في أن يبدل كل منهم ولاءه من وطن لآخر متى شاء». إذا كان ترك الإسلام مثل ارتكاب جريمة الخيانة العظمى فإن الإسلام ليس ديناً يكون الخيار فيه متاحاً للأفراد في المجتمع الغربي الحديث، وإنما هو مجتمع سياسي. ويذهب القرضاوي إلى أبعد من ذلك منوهاً إلى أن التهاون والتقاعس في توقيع العقوبة بالمرتد أمر من شأنه تعريض المجتمع بأكمله للخطر الماحق.

الخصائص الجغرافية / التوزيع الجغرافي للإخوان المسلمين الجدد

يحتل المفكرون الإسلاميون من أمثال القرضاوي ومولوي والغنوشي موقعاً مركزياً، وإن لم يكن رسمياً، على خريطة تنظيمات الإخوان الغربيين الجدد الذين تضطلع شبكاتهم أيضاً بترجمة كتابات هؤلاء المفكرين ونشرها. أما مرئياتهم بشأن الديموقراطية وحقوق الإنسان فهي تطرح سؤالاً جوهرياً مفاده: كيف يقوم الإخوان الغربيون الجدد بالتوفيق بين الأولوية الأيديولوجية- التي يسبغونها على مفكرين يحملون أفكاراً غير صحيحة عن الديموقراطية ويدعون إلى قتل المثليين الشواذ والمرتدين- وحقيقة أنهم - أي الإخوان - يعيشون في كنف ديموقراطيات غربية علمانية؟

يجب أن تكون الإجابة متجسدة في الموقف الأصيل لحركة الإخوان الغربيين الجدد، كحركة إسلامية تعمل في دول غير مسلمة. (34) ابتداءً كان الإخوان ينظرون إلى الغرب على أساس أنه مجرد قاعدة مريحة للانطلاق والعمل الحثيث، بحيث يتسنى لهم أن ينطلقوا منها لإعادة تنظيم صفوفهم في مجاهداتهم الدؤوب،سواء كانت دعوة بالحكمة والموعظة الحسنة، أم كان ديدنها العنف والشدة وطابعها القسوة والتشدد، وذلك لمناهضة الأنظمة العلمانية في منطقة الشرق الأوسط. إلا أنه بحلول ثمانينات القرن الفائت،وعندما أدركوا أن عدداً متزايداً من المسلمين في وارد الاستقرار في الغرب بصفة مستديمة، بدأت أولوياتهم تتغير رويداً رويداً. ومع استمرارهم في دعم جهود نظرائهم بالقول والفعل، لإقامة أنظمة الحكم الإسلامية في العالم الإسلامي فقد ظل تركيزهم يزداد يوماً بعد يوم في واقعهم الجديد. وقد أعادوا تعريف الغرب بأنه دار الدعوة، ما دفعهم إلى تكثيف جهودهم لنشر تفسيرهم الإسلام بين المهاجرين المسلمين والغربيين.

كان لابد للإخوان الغربيين الجدد من التكييف النظري لتراثهم الفكري الثري، لتحقيق أهدافهم بعد إعادة تعريفها. وخلال فترة السنوات الثلاثين الماضية سعى الإخوان إلى إيجاد السبل اللازمة لتحديد أطر السياق اللازم لتعاليم أسلافهم الإيديولوجيين من واقع تجاربهم المعاشة لحركة تعمل بحرية داخل مجتمعات لا تدين بالإسلام. وسرعان ما أصبح واضحاً كل الوضوح أن التطبيق غير المدروس وغير المتروي لما قدمه

(34) Samir Amghar, "Europe Puts Islamists to Test: The Muslim Brotherhood(France, Belgium and Switzerland," Mediterranean Politics 13,no. 1(March 2008):63-77

البنا والمودودي من توصيفات ووصفات لمصر والهند في ثلاثينات القرن الماضي، وتنزيل تلك التوصيفات والأوصاف والوصفات بقضّها وقضيضها على أرض الواقع في المجتمعات الحديثة في أوروبا أو أمريكا، لم يكن أمراً مستصوباً أو مستساغاً على الوجه المطلوب. إن أفكار هؤلاء القياديين وأمثالهم من كبار المفكرين الذين يأتون من بعدهم تشكل بناءً معرفياً منهجياً وفكرياً راسخاً قوامه ذخيرة ثرة من معلومات لا تقدر بثمن، وتمثل معيناً لا ينضب ينبغي للإسلاميين أن ينهلوا منه، وأن يتخذوه أساساً متيناً يبنون عليه مواقفهم في كل الأزمنة والأمكنة. ولكن مع أن هؤلاء المفكرين الكبار يحظون بالتقدير وينظر إليهم بعين التبجيل بحسبانهم قياديين كبار، ومفكرين لا يشق لهم غبار، إلا أنهم مع ذلك ليسوا قديسين أو معصومين عن الخطأ؛ كما أن وجهات نظرهم وآراءهم ليست مقدسة وإنما يؤخذ منها ويردّ، ويمكن أن تخضع للنقاش والبحث، وأن يعاد تفسيرها وتأويل مدلولاتها، وأن يعاد تكييفها،بل وأن يتم الاعتراض عليها والإعراض عنها ورفضها مع تغير الزمان والمكان والسياق والملابسات. [35] والإخوان الغربيون الجدد، كشأن غيرهم في المناطق الأخرى، يصعب وصفهم بأنهم حركة متحجرة أو غير متحررة من قيود الجمود، وإنما هي على قدر كبير من المرونة والتطور والمستمر وهما اثنتان من أهم الخصائص التي تميزها ومن أبرز مكامن قوّتها.

يرى الإخوان الغربيون الجدد في كل من البنا والمودودي أبطالاً تاريخيين ورموزاً لها حضورها المتميز في إرساء الأسس الوطيدة لنهضة إسلامية راسخة. وبالقدر نفسه فإن الرموز الإسلامية المعاصرة من أمثال

(35) مقابلة مع الدكتور عبد المنعم أبو الفتوح، القاهرة، ديسمبر 2008.

الشيخ القرضاوي والغنوشي والمولوي هم عبارة عن علماء لهم احترامهم وما هم حقيقون به من التوقير، وتحظى أفكارهم بقدر كبير من التقدير، بيد أن الناشطين الإسلاميين الذين يعملون في شوارع ليون أو بروكسل أو شيكاغو في الألفية الثالثة، يدركون أن التحدث عن دولة إسلامية أو عن العقوبات التي ينبغي تطبيقها بحق المرتد ومع احتمال أن تكون لديه بعض الجاذبية العاطفية لا يفضي إلى فائدة عملية تذكر. تمثل مدرسة الإخوان الفكرية معيناً لا ينضب وتقدم قدراً معتبراً من الموجهات التأصيلية التي لا تقدر بثمن في كثير من الجوانب والنواحي المتعلقة بعقيدتهم ونشاطهم الحركي، بدءاً بفكرة ديمومة الإسلام وصلاحيته لكل زمان ومكان كنظام شامل للحياة بأوجهها كافة وكمنهاج متكامل مبرأ من كل نقيصة وعيب.[36] ومع هذا فإن إحدى مجاهداتهم خلال العقود الثلاثة المنصرمة إنما كانت تتعلق بالتوفيق بين رؤية للحياة بمختلف جوانبها على الصعيدين الخاص والعام، وفق منظور إسلامي من جهة وحياتهم الدنيوية الحقيقية في كنف ديموقراطيات غربية علمانية من جهة أخرى، كما كانت تتعلق بسعيهم إلى أن تصبح مرجعياتهم الفكرية وثيقة الصلة بمقتضيات معاشهم. وقد تحدث في هذا السياق طارق أوبرو (Tarek Oubrou) أحد كبار المفكرين في اتحاد المنظمات الإسلامية في فرنسا (/UOIF Union des organisations islamiques de France) متطرقاً إلى التطور الفكري لمنظمته بقوله: «بالنسبة إلى المسلمين الشباب الذين تحدوهم الرغبة في العلم والعمل كان الإنتاج الفكري للإخوان المسلمين ومؤلفاتهم ومجمل ما كتبوا هو المصدر الوحيد المتاح أمامهم. وبالنسبة إلينا، فقد

(36) مقابلة مع كمال الهلباوي، لندن، ديسمبر 2008 . مقابلة مع رئيس اتحاد المنظمات الإسلامية في فرنسا الحاج ثامي بريز، لا كونفي، مايو 2009.

انبثقت جهودنا من حركة إصلاحية عصرية، ومنذ ذلك الحين ظللنا نوضح مسارنا ونضع الأطر اللازمة لأعمالنا. ففي واقع الأمر تمثل حركتنا مدرسة فكرية نشأت وترعرعت في العالم الإسلامي في واقع لا يشبه واقع مجتمع علماني كالذي نعيش في كنفه حالياً. لقد قمنا بتشكيل رؤيتنا وبلورة قراءاتنا الخاصة بنا للواقع المعاش من حولنا واستقرائنا للعلاقة بين الإسلام والمجتمع». (37)

تلك المرونة في التفسير التي ظلت دوماً هدف سهام النقد المصوبة إليها من كل حدب وصوب، من قبل التيارات الإسلامية الأخرى، مثل تيار السلفيين وهي ذاتها التي سمحت للإخوان الغربيين الجدد بأن يكيفوا معتقداتهم عن الأحكام التي ينبغي أن تضبط حركة دولتهم الإسلامية المثالية لتتناغم مع إيقاع واقع حياتهم في الغرب بما يحافظ على تلك المعتقدات. إنها متماسكة ومتساوقة من حيث تفسيرها لرؤى كبار المفكرين الإسلاميين من أمثال القرضاوي عن شكل الحكم، وحقوق الأقليات، والجوانب الأخرى للتخطيط والتنظيم الاجتماعي بأنها رؤى وأفكار تنحصر في رؤية الحركة لدولة إسلامية تقوم في أي مكان أغلبية سكانه من المسلمين، وأنه لا يوجد بين هذه الرؤى والأفكار ما ينطبق على المسلمين في الغرب حيث تقر الحركة الإسلامية بوضع الأقلية الذي تعيشه تحت مختلف أشكال الحكم قي الغرب.

على سبيل المثال إذا أقر القرضاوي أن المرتدين ينبغي أن يدقّ عنقهم، فإن الإخوان الغربيين الجدد ما فتئوا يصرحون بأن هذا المبدأ

(37) Quoted in Qu'est-ce que l'UOIF?(Paris: Editions l'Archipel, 2006),19.

لا يمكن تطبيقه في الغرب. إنهم لم يفندوا تحليلات القرضاوي صراحةً وفي أغلب الأحيان لم يؤيدوها علناً. وإنما أوضحوا فقط أن هذه العقوبة لا ينبغي تطبيقها إلا في دولة إسلامية وليس في الغرب. يلاحظ أن «توجهات (Trends)» وهي مجلة تصدرها المؤسسة الإسلامية في مدينة ليستر (Islamic Foundation of Leicester) أوردت على سبيل المثال أن ترك الإسلام مثل الخيانة العظمى، لأن «الإسلام ليس مجرد ديانة، وإنما هو نظام لضبط وتيرة الحياة الإنسانية، وهو أيديولوجية، كما أن المسلمين هم جند يحملون في ثناياهم هذا الحق». [38] بيد أن المجلة ذكرت أيضاً أن المسلم الذي يعيش في بريطانيا حر في تحويل دينه، لأن الإسلام في بريطانيا ليس مقرراً كنظام للحكم كما أن عقوبة القتل لا يمكن تطبيقها إلا في دولة أسلامية. وبالمثل فإن فتوى أصدرها القرضاوي دفعت الاتحاد الأوروبي للفتوى لأن يعلن أن «تنفيذ حكم القتل بحق أي شخص يرتد عن الإسلام هو مسؤولية الدولة وبالتالي فإنه يتقرر من قبل الحكومات الإسلامية وحدها». [39]

وبذات القدر فإن الإخوان الغربيين الجدد سعوا إلى تأطير، ومن ثم تأصيل، موقفهم من المثليين والشواذ جنسياً حيث أفاد الإخوان بأن أي عقوبة بدنية تطبق بحقهم لا ينبغي أن تصدر إلا في دولة مسلمة، ففي هذا السياق يتحدث طه العلواني مؤسس المعهد العالمي للفكر الإسلامي (IIIT) رئيس مجلس الفقه بأمريكا الشمالية والتابع للجمعية الإسلامية

(38) Philip Lewis, Islamic Britain: Religion, Politics and Identity Among British Muslim(London: I. B. Tauris, 1994). 191-92.

(39) المجموعة الأولى من الفتاوى، أنس اسامة التكريتي، المجلس الأوروبي للإفتاء والبحوث، التاريخ غير محدد.

لأمريكا الشمالية (ISNA) حيث يقول: إن المثليين «منحرفون» لا ينبغي أن تتاح لهم «أي فرصة للاختلاط بأطفال المسلمين وإفسادهم أو دخول أي مسجد». [40] أما كمال هلباوي فهو يحتج بأن المثليين مرضى ينبغي أن يخضعوا للطبابة والعلاج. [41] بيد أن العلواني والهلباوي ومعظم الإخوان الغربيين الجدد واضحون تماماً في إعلان أن المسلمين لا يحق لهم بأي حال اللجوء إلى العنف ضد المثليين وأمثالهم في الغرب. وحدها الحكومة الشرعية للدولة الإسلامية التي تستمد مشروعيتها من تمسكها بأهداب الفضائل الإسلامية، هي التي يمكنها بل ويتعين عليها فرض، ومن ثم توقيع العقوبة المقررة من قبل الإسلام بحق المرتدين والمثليين، بيد أنه ما من فرد مسلم سواء كان في العالم الإسلامي أم في غيره أم في الغرب بمقدوره أن يضطلع بالمهمة بنفسه.

لعل هذه المواقف التي يتخذها معظم الإخوان الغربيين الجدد هي التي تجعلهم خاضعين لتفسيرين متناقضين، مفاد أحدهما أن هؤلاء الإخوان يبذلون جهداً حقيقياً حقيقاً بالثناء لتكييف التعاليم الإسلامية مع متطلبات الواقع الغربي، حيث إن مواقفهم حيال المرتد والمثلي، على سبيل المثال، يشاركهم فيها الغالبية العظمى من العلماء التقليديين في المدارس المذهبية التقليدية الأربع في مجال الفقه الإسلامي. ويجادل المتفائلون بأن الإخوان يسعون إلى الاحتفاظ بولائهم للإسلام وتقيدهم

---

(40) موقف الإسلام من الشذوذ الجنسي(المثلية)، حلقة من الفتاوى على إسلام أونلاين مع طه جابر العلواني، 17 مايو 2004:

http://www. islamonline. net/servlet/Satellite?pagename=IslamOnline-English-Ask_Scholar/FatwaE/FatwaE&cid=111950354314(accessed January 17, 2009).

(41) مقابلة مع كمال الهلباوي، لندن، ديسمبر 2008.

بقيود النصوص الإسلامية، مع السعي إلى إيجاد إطار لتفسير بعض أهم أحكامهم وأشدها حساسية لتتناسب مع سياق غربي كذلك الذي يعيشون فيه. ومن ثم فإن وصفهم بأنهم متزمتون «fundamentalists» لمجرد أنهم يتبعون الخطاب الإسلامي إنما هو وصف تبسيطي مخل ويعوزه الإنصاف.

أما التفسير الآخر فإن مؤداه هو أن تلك المواقف المنوه عنها آنفاً إنما تعكس عدم تطابق رؤى الإخوان المسلمون مع مقتضيات الديمقراطية الليبرالية. وفوق هذا وذاك، وفقاً لبعض المتشائمين، فإن هؤلاء الإخوان يخونون مبادئ حركتهم ويتنكرون لطبيعتها الحقيقية، ومع حثيث السعي في طمأنة الغربيين بتصريحات عن تبني الديمقراطية وحقوق الإنسان يؤمن الإخوان الغربيين الجدد في قرارة أنفسهم بذات الرؤية التي أوضحها القرضاوي تفصيلاً. وعطفاً على إدراكهم لتداعيات إقرارهم علناً بتلك الرؤية يتورط الإخوان في نوع من تكليف الآخرين بترويج البضاعة الراديكالية. يذهب المتشائمون إلى حد اتهام الإخوان الغربيين الجدد بتدبير الألاعيب والخدع التي يدعون من خلالها المفكرين غير المقيمين في الغرب يظنون أنهم يفكرون بالفعل في الديموقراطية، والخلاعة، والتهتك، والمساواة بين الجنسين، والعنف، والعلاقات مع الغرب. ومن خلال اللف والدوران والامتناع عن التعليق على عبارات و تصريحات من قبيل ما تقدم يحافظ الإخوان الغربيون الجدد على القبول الذي يحظون به في أوساط الصفوة في الغرب. ولكن من خلال احتفاظهم بالصلات التي تجمعهم بمن أدلوا بتلك التصريحات والترويج لكتاباتهم في أوساط المجتمع الإسلامي فإنه يصبح بمقدورهم تزكيتهم من غير أن يعرضوا أنفسهم للخطر.

ليس مهماً كيفية إدراك الروابط التي تربط الإخوان الغربيين الجدد بتراثهم الفكري وإرثهم الثقافي، وإنما المثير للتساؤل حقاً هو أن خصوصيتهم الجغرافية دفعتهم إلى تغيير محور تركيزهم وإعادة تقويم أهدافهم، ويبدو أن المتفائلين والمتشائمين، على حد سواء، متفقون على أن الهدف الرئيسي لهؤلاء الإخوان هو اتخاذ موقف تكون لهم فيه الغلبة والهيمنة داخل مجتمعات المسلمين الغربيين، بحيث يصبحون ممثلين رسميين، أو بحكم الواقع أمام المؤسسات الغربية. إن أي تقويم لكيفية سعي الإخوان إلى استغلال موقفهم واستثماره يكون بطبيعة الحال مطروحاً على بساط البحث والنقاش الذي يتأثر إلى حد بعيد بمختلف الرؤى ووجهات النظر حول تلك الحركة الإسلامية. بيد أن ما لا مراء فيه أن الإخوان الغربيين الجدد يسعون إلى توسيع نطاق نفوذهم تدريجياً داخل المجتمع الإسلامي وخارجه سواء بسواء. ومع أن الحقلين مرتبطان بعضهما ببعض ارتباطاً وثيقاً، فإنه ربما كان من الأحرى أن يتم تحليل جهود الإخوان الغربيين الرامية إلى السيطرة على كل منهما على حدة.

أما الإطار النظري المفيد الذي يمكن من خلاله استعراض نشاطات الإخوان الغربيين الجدد، وغاياتهم ووسائلهم على المستويين الداخلي والخارجي على حد سواء، فهو إنما يتشكل من خلال نظرية الحراك الاجتماعي.[42] وهذه النظرية التي صيغت في سبعينات القرن

(42) See, for example, Anthony R. Oberschall, Social Conflict and Social Movements(Englwwood Cliffs, NJ: Prentice Hall, 1973);Donatella della Porta and Mario Diani, Social Movements: An Introduction(Malden, MA: Blackwell, 1999); John D. McCarthy and Mayer N. Zald," Resource Mobilization and Social Movements: A Partial Theory, " The American Journal of Sociology 82,no. 6(May 1977):1212-1241;Bob Edwards and John D. McCarthy," Resources and Social Movement Mobili-

الماضي تستهدف تحليل الحركات الاجتماعية تكويناً وتحريكاً وتعبئةً وحشداً وتطويراً، من خلال فحص أنشطتها من أوجهها كافة. وبصفة خاصة يعزو معظم منظري الحراك الاجتماعي نجاح الحركة الاجتماعية أو فشلها إلى جملة من العوامل التي يمكن بسطها كما يلي: حشد الموارد والتأطير المتناغم (تحديد السياقات المتناغمة للحراك الاجتماعي) ووجود الفرص السياسية. أما العامل الأول فهو يصف قدرة الحركة على التعبئة وحشد الموارد سواء كانت بشرية أو مادية، وذلك على النحو الذي يفي بمتطلبات تحقيق الأهداف المرجوة وبلوغ الغايات المنشودة. وأما العامل الثاني فهو يتمثل في قدرتها على وضع رسالتها داخل إطار جذاب، من شأنه استثارة، ومن ثم استمالة من تستهدفهم تلك الرسالة، وأخيراً فإن «الفرصة أو السانحة السياسية» هي وصف لوجود ظروف سياسية مواتية وقدرة الحركة على توصيف تلك الفرصة وتوظيفها لخدمة أغراضها. ومع أنه قلّما تم استخدام نظرية الحراك الاجتماعي أو نظرية الحركات الاجتماعية لتحليل الحركات الإسلامية، فإن تلك النظرية توفر أدوات مفيدة لأبعد الحدود لفهم الغايات والمقاصد والوسائل وأساليب العمل لدى الإخوان الغربيين الجدد.[43]

---

zation," in David A. Snow, Sarah A. Soule, and Hanspeter Kriesi, eds. , The Blackwell Companion to Social Movements(Oxford: Blackwell, 52-116 .(2004.

(43) For two excellent and groundbreaking applications of social movement theory to Islamist groups(albeit only in the Muslim world), see Quintan Wiktorowicz, ed. , Islamic Activism: A social Movement Theory Approach(Bloomington: Indiana University Press, 2004) and Carrie Rosefsky Wickham, Mobilizing Islam: Religion, Activism and Political Change in Egypt(New York: Columbia University Press, 2002).

الفرصة غير المسبوقة للدعوة بلا حدود

أصدر الشيخ الدكتور يوسف القرضاوي كتاباً في عام 1990م بعنوان «أولويات الحركة الإسلامية في المرحلة المقبلة» وهو كتاب سرعان ما تلقفته منظمات الإخوان الغربيين ونشرته على نطاق واسع بلغات مختلفة.[44] يمكن عد هذا البحث المكون من 186 صفحة بمنزلة «المانفستو / البيان الرسمي» لحركة الصحوة الإسلامية لا سيما وأن مقصود الحركة الإسلامية – كما أوضح القرضاوي في مقدمة عمله – هو «أن تكون عملاً جماعياً منظماً يضطلع به الناس لإعادة الإسلام إلى قيادة المجتمع» وذلك بهدف «استعادة نظام الخلافة الإسلامية للقيادة مجدداً حسبما هو مطلوب وفقاً للشريعة الغراء».

عقب دراسة أوضاع الحركة الإسلامية على نطاق العالم الإسلامي يولي القرضاوي قدراً كبيراً من الاهتمام بأوضاع المسلمين في الغرب. فالمهاجرون الذين يعيشون في أوروبا وأستراليا وأمريكا الشمالية «لم يعودوا قلة من حيث العدد» كما أن وجودهم وحضورهم لم يعد مستديماً فحسب، وإنما أيضاً من المقدر له أن يزداد يوماً بعد يوم من خلال موجات الهجرة الجديدة. وهذا من شأنه أن يكون إيجابي الأثر في نشر الإسلام إلى ما هو أبعد من مهده ومقره التقليدي، بيد أن القرضاوي يقر بأن هذا الأمر من شأنه أيضاً أن ينطوي على مشكلات ذلك أنه مادام أن الأمة الإسلامية،وبالذات الأقليات المسلمة «متناثرة ومبعثرة ومشتتة على نطاق العالم» وليس لديها قيادة يمكن أن تأخذ بيدها إلى طريق الرشاد فإن

(44) يوسف القرضاوي، أولويات الحركة الإسلامية في المرحلة القادمة (سوانسي، المملكة المتحدة: منشورات الصحوة، 2000).

القرضاوي ما برح يحذر من مخاطر «الذوبان» واحتمال أن تفقد الأقلية المسلمة هويتها الإسلامية وتذوب وسط الأغلبية غير المسلمة.

إن كتاب القرضاوي الذي يعج بالشواهد والاستدلالات والاقتباسات ذات الطبيعة الدينية، يقدم في واقع الأمر تحليلاً سياسياً حصيفاً ثاقباً ومتبصراً لأوضاع المسلمين في الغرب والفرص التي يمكن أن يوفروها لشبكة الإخوان المسلمون العالمية. وكشأن أي زعيم لحركة دينية محافظة يبدي القرضاوي قلقه إزاء حقيقة أن ملايين من إخوته في الدين يقيمون، كأقلية، وسط مجاميع سكانية ليست مختلفة عنهم في الدين فحسب وإنما أيضاً تعتنق في أغلب الأحوال من القيم ما يخالف قيم تلك الأقلية المسلمة بالكليّة. ومع هذا فإن القرضاوي يرى أن غياب أي قيادة راسخة إنما يتيح للحركة الإسلامية فرصة نادرة وغير مسبوقة لسد الفراغ والاضطلاع بدور القيادة الغائبة لتحدو ركب الأمة الإسلامية بجميع توجهاتها ومجموعاتها.

بينما لا تستطيع الحركة أن تمارس سوى نشاط محدود في الأقطار الإسلامية حيث ظلت ترزح تحت نير الرقابة اللصيقة والمضايقات المستمرة من قبل الأنظمة المناوئة والمناهضة لها، فإن القرضاوي يشير إلى أنه لا توجد أي عقبة من هذا القبيل تعترض سبيل الحركة وتمنعها من حرية العمل في الغرب الديمقراطي الحر. فضلاً عما تقدم فإنه إذا كانت ضمانات الأنظمة السياسية الغربية تكفل للإخوان حرية العمل والمضي قدماً في ممارسة أنشطة الدعوة، فإن الضعف التنظيمي الذي يعتري التيارات الإسلامية المنافسة في الغرب تضعهم في صدارة المشهد، وتجعلهم في موقع متقدم وموقف مميز ومتميز. وأخيراً فإن

جموع المهاجرين المسلمين الذين ضلّ سامرهم وارتبكت حساباتهم من جراء إفرازات الحياة في مجتمعات غير مسلمة والذين هم في أغلبهم الأعم ممن يفتقرون إلى المعلومات الأساسية العامة عن الإسلام، إنما يمثلون هدفاً مثالياً وأرضاً خصبة لتلقي، بل تلقف مضامين الدعاية وفحوى الرسالة الصادرة عن الحركة الإسلامية. ولعل تضافر تلك العوامل معاً هو ما دفع الشيخ القرضاوي لأن يستنتج ما مفاده أن الحركة الإسلامية يمكن لها ويجب عليها أن تضطلع بدور رئيس في حياة المسلمين في الغرب. يمثل الغرب نوعاً من الأرض البكر التي تغيب عنها التعقيدات والقيود والبنى والهياكل والأطر الاجتماعية والدينية للعالم الإسلامي، ومن ثم فإن الفرصة تصبح سانحة أمام الإخوان للتبشير بالدعوة التي ينهضون بمؤونة القيام بها، وذلك في ظل وجود الحرية وغياب القيود التي تحد منها،متجاوزين منافسيهم، عطفاً على ما يتميزون به من أساليب لا تضاهى ووسائل منقطعة النظير ومهارات تنظيمية لا تدانيها مهارات.

يعاد تعريف الغرب بأنه «دار الدعوة» في كتابات من قبيل كتابات الشيخ القرضاوي نفسه، وكذا العلماء الآخرين لشبكة الإخوان العالمية، وبالتالي فإن تحديد الأولويات يعد عاملاً حاسماً ذا أهمية متناهية في توضيح ماهية الدور الذي ينبغي أن تضطلع به الحركة الإسلامية في الغرب. يرى القرضاوي عدداً من الأهداف والغايات والمقاصد، ولكنه واضح كل الوضوح في تقرير أن «من واجب الحركة الإسلامية ألا تسمح لهؤلاء المهاجرين المسلمين بأن ينجرفوا في التيار المادي الهادر، والتوجه المادي الصارخ الذي يسود في الغرب، ويهيمن على المشهد.

[45] ولأجل هذا فقد ظل الهدف الرئيس للحركة منذ تأسيسها يتمثل في إثراء الجوانب الروحية للمسلمين وتعزيز البعد الديني لديهم وحمايتهم من الغزو الثقافي للمبادئ والعادات والتقاليد غير الإسلامية. وقد أصبح هذا الموقف الدفاعي أكثر أهمية بالنسبة إلى الأقليات المسلمة التي تكابد مخاطر التذويب والاستيعاب الثقافي من قبل المجتمعات التي تستضيف تلك الأقليات.

يمثل الفساد الأخلاقي للعالم الغربي أحد المضامين العامة، والمدلولات التي كثيراً ما يتم تداولها وترد وتردد في أدبيات الإخوان الغربيين وأحاديثهم. وكشأن أي مجتمع غير مسلم يصبح المجتمع الغربي هدفاً للانتقاد لعدم إقراره ودينونته بالدين الصحيح الأوحد، بحق وحقيقة، وهو الإسلام. بيد أن أقوى الانتقادات التي يتم توجيهها إلى الغربيين هي تلك التي تتعلق بترك الغرب لدينهم الخاص بهم وغروب شمس الحياة الروحية لديهم واهتراء ثوب المثل الأخلاقية. إن غياب القيم الأخلاقية وفصل الدين عن الدولة، واختلاط النساء مع الرجال دونما ضوابط، والمعاشرة غير المشروعة والجهر بمعصية معاقرة الخمر، هي بعض الأمراض التي تعتري الجسد الغربي المنهك، والتي يراها الإخوان بمثابة محن ومصائب جلل، شأنهم في ذلك شأن أي مجموعة دينية محافظة أخرى. ومن منطلق انزعاج الإخوان من تلك المظاهر والظواهر فإنهم كثيراً ما يعربون عن رغبتهم في التمكين للدين، بحيث يضطلع بدور أكبر في حياة الغربيين والأوروبيين تحديداً. وبرأي الإخوان، يمثل الإسلام طوق النجاة الأوحد لإنقاذ البشرية من براثن المصائب والكوارث، ومع هذا فإن

(45) المرجع السابق

الإخوان ينظرون بعين الرضا إلى أي قوة أو ديانة أخرى من شأنها الإسهام في تزكية المجتمع الذي يحتضن المسلمين، وحض ذلك المجتمع على التشبث بأهداب الفضيلة ومكارم الأخلاق ويرون ذلك أمراً إيجابياً.

يمثل الولاء لميثاق الأخلاقيات الإسلامية البراء مما يخالف تلك الأخلاقيات التي تحددها الشريعة السبيل الوحيد لتحصين المسلمين الغربيين ضد تفتت النسيج الأخلاقي/ التفسخ الأخلاقي للمجتمع، ومع هذا يدرك المسلمون الغربيون أن وضع المسلمين، كأقلية في أوروبا وأمريكا الشمالية، يجعلهم يندرجون تحت فئة ذات خصوصية محددة ما يدفعهم للمساومة بين التزام مقتضيات الشريعة ومتطلبات الحياة في مجتمع غير مسلم. ومع أنه يوجد رصيد فقهي قوي يتناول أوضاع الأقليات المسلمة التي تعيش في دار الإسلام إلا أن الأحكام التي تتطرق إلى الوضع المستجد نسبياً للمسلمين الذين يقيمون بصفة مستديمة في دول غير مسلمة قليلة. بالنسبة إلى معظم المسلمين الغربيين لم يكن هذا يمثل موضوعاً رئيساً إما لأن الدين لا يلعب دوراً كبيراً في حياتهم وإما لأنهم التمسوا لأنفسهم سبلاً للتصالح بين معتقدهم الديني وأسلوب الحياة في الغرب. ومع هذا فإن مثيرين منهم يشعرون بالحاجة إلى الإرشاد أو التوجيه من العلماء الإسلاميين بخصوص قضايا الحياة اليومية، مثل الزواج والصلاة والعلاقات مع غير المسلمين. لعل من نافلة القول إن هذه المشكلات اقتضت ظهور فقه جديد تحت اسم «فقه الأقليات».

في ظل غياب القيادة الإسلامية المثقفة وهيئة العلماء ذات الطابع المنهجي المؤسس في الغرب، يقدم الإخوان أنفسهم بحسبانهم الكيان

الأقدر على ملء ذلك الفراغ وسد تلك الثغرة، ومن ثم استصدار ذلك الفقه الجديد. [46] وقد أنشأت حركة الإخوان المسلمين العالمية تحت إشراف القرضاوي مجموعة من الهيئات والمجامع الفقهية الرامية إلى نشر رؤية الحركة وتفسيرها الشريعة. ومن أمثلة تلك الهيئات الاتحاد العالمي للعلماء المسلمين، الذي يتخذ من دبلن مقراً له. [47] وفي عام 1997م تم تأسيس المجلس الأوروبي للإفتاء والبحوث، وذلك لأغراض إصدار الفتاوى التي يشارك فيها مجموعة من العلماء للوفاء باحتياجات المسلمين في الغرب في هذا الخصوص، وحل مشكلاتهم وضبط حركة تفاعلهم مع المجتمعات الأوروبية بضوابط الشرع الحنيف. [48] وبعبارة أخرى يمثل المجلس هيئة فقهية تصدر مشورة قانونية غير ملزمة للمسلمين الذين يقيمون في أوروبا بالتركيز في القضايا والمشكلات التي تواجههم لكونهم أقليات في دول غير إسلامية.

يعمل المجلس بالتعاون مع المركز الثقافي الإسلامي المحلي في دبلن، وكلاهما يحظى بالدعم المالي السخي من منظمة آل مكتوم الخيرية، التي يرأسها الشيخ حمدان آل مكتوم وزير المالية والصناعة

---

(46) Wasif Shadd and Sjoerd van Koningsveld," Religious Authorities of Muslims in the West: Their Views on Political Participation," in Wasif Shadid and P. S. van Koningsveld, eds. , Intellectual Relations and Religious Authorities: Muslims in the European Union(Leuven: Peeters, 2002), 149-70.

(47) http://www. iumsonline. org/english/index. shtml (accessed May 5,2009); Jakob Skovgaard-Petersen,"Yusuf Al-Qaradawi and Al-Azhar," in Bettina Graf and Jakob Skovgaard-Petersen, eds, The Global Mufti: The Phenomenon of Yusuf Al-Qaradawi(New York: Columbia University Press, 2009), 45-47.

(48) المجموعة الأولى من الفتاوى.

نائب حاكم دبي بدولة الإمارات العربية المتحدة. [49] يضم المجلس 32 عالماً إسلامياً من شتى أرجاء العالم يجتمعون بمعدل مرتين في السنة في مختلف أجزاء أوروبا. يعقد المجلس اجتماعات مغلقة يتداول خلالها أعضاؤه في المسائل المطروحة على بساط البحث، والمحالة إليهم إما من قبل الأعضاء أنفسهم وإما من قبل المسلمين الأوروبيين.

ومع أن المجلس يضم ممثلين لمختلف المدارس الفكرية والمذاهب الفقهية إلا إن الشبكة العالمية للإخوان المسلمين هي من أنشأه ويهيمن عليه. وكما لاحظ راشد الغنوشي «ينتمي بعض الأعضاء إلى الإخوان بينما لا ينتمي إليهم بعضهم الآخر. وما يهم هو الفكر الأيديولوجي وليس الحركة.»[50] يهدف الإنتاج الفقهي للمجلس إلى توجيه المسلمين وإرشادهم عبر «برنامج للحياة القويمة للفرد والعائلة والمجتمع والدولة». [51] ينضوي تحت عضوية المجلس ثلة من كبار رموز الشبكة الأوروبية للإخوان الجدد من أمثال: أحمد جاب الله، ويونس غوقة، والعربي البشري، وأحمد الراوي، وراشد الغنوشي. ومن الأمور ذات الدلالة الواضحة أن منصبي الرئيس ونائب الرئيس يشغلهما على التوالي الشيخ يوسف القرضاوي وفيصل مولوي. والمجلس يتبع الأسلوب الديموقراطي وقراراته يتم اتخاذها بالأغلبية، ولكن يندر أن تكون هنالك ضرورة للتصويت حيث إن العلماء ينزعون إلى تفادي الشقاق الداخلي وبالتالي فإنهم يتخذون الموقف الذي

(49) http://islamireland. ie/about -us (accessed May 29, 2009); http://www. e: cfr. org/en/ECFR. pdf (accessed May 29, 2009).

(50) Xavier Ternisien, Les Freres Musulmans (Paris: Fayard, 2005),197-98.

(51) التعليقات الختامية في جلسة المجلس باستوكهولم، يوليو 2003.

يتخذه القرضاوي والرموز الأقوى تأثيراً ونفوذاً في المجلس». [52]

في الأغلب الأعم تكون الفتاوى التي يصدرها المجلس عبارة عن اقتراحات خاصة بالأفراد الذين يرغبون في التقيد بتعاليم دينهم في أرضهم الجديدة. كثير من الفتاوى هي مجرد موجهات عامة حول كيفية أداء مشاعر أو مناسك إسلامية معينة، في دول غير إسلامية، وحل المعضلات التي قد يواجهها بعضهم وهي في أغلب الأحيان ذات طبيعة تندرج تحت باب اللوجستيات، ومنها على سبيل المثال مشكلات قد يواجهها المسلمون في أداء الصلاة في مبنى لم يكن في الأصل مخصصاً مسجداً و يصعب تحديد القبلة فيه. [53] ثمة فتوى أخرى تتعامل مع المشكلات المتعلقة بتحديد مواقيت الصلاة عند شروق الشمس وغروبها التي قد تنشأ لدى المسلمين الذين يقيمون في دول أوروبا الشمالية والدول الأسكندنافية. [54] ولما كان من الضروري لأغلب المسلمين المقيمين في الغرب أن يتعاملوا مع النظام المصرفي، كان لا بد من صدور عدد من المباحث الفقهية التي تستهدف التوفيق بين الحاجة للقروض بأجل، أو الحصول على الرهن، أو فتح حساب مصرفي، علماً أن الإسلام يحظر تقاضي

---

(52) Alexandre Caeiro, " The European Council of Fatwa and Research," presentation at the Fourth Mediterranean Social and Political Research Meeting, European University Institute, Montecatini Terme, March 19-23, 2003; Alexandre Caeiro and Mahmoud al-Saify," Qaradawi in Europe and Europe in Qaradawi? The Global Mufti's European Politics," in Bettina Graf and Jakob Skovgaard-Petersen, eds. , The Global Mufti: The Phenomenon of Yusuf Al-Qaradawi(New York: Columbia University Press, 2009).

(53) الفتوى الثالثة، الفتاوى والقرارات(المجموعة الثانية). نسخة أنس اسامة التكريتي ومحمد آدم هوارد، المجلس الأوربي للإفتاء والبحوث.

(54) الفتوى الرابعة، الفتاوى والقرارات(المجموعة الثانية).

الفوائد الربوية. كان الإنتاج الفقهي للمجلس حول هذه المسائل ليبرالي لأبعد الحدود ويبدو أنه يدور حول النص القرآني الذي يقول: «واتقوا لله ما استطعتم». [55] ووفقاً لتفسير المولوي لما ورد في هذه الآية، متى ما وجد المسلم الغربي نفسه في مواجهة «التزام قانوني (legal bind)» يجبره على أن يختار ويفاضل بين التمسك بأحكام الشريعة والتقيد بأحكام القانون الغربي ينبغي له أن يكون في «أخف الضررين (less detrimental option)». [56] على سبيل المثال من الملاحظ أن الفتوى التي أصدرها المجلس بشأن العمل المصرفي تقوم على حض المسلمين على التماس «جميع البدائل الإسلامية الممكنة»، مع حث «المنظمات الإسلامية على نطاق أوروبا على الدخول في مفاوضات مع المصارف / البنوك الأوروبية لإيجاد الصيغ المقبولة». [57] في حالة تعذر الحصول على بديل ممكن فإن المعاملة المنطوية على الحرام تندرج عندئذٍ تحت باب الضرورات التي تبيح المحظورات.

بصفة عامة، يميل المجلس إلى مراعاة الأنظمة والقوانين الأوروبية بقدر الإمكان، ويتبنى تفسيراً يتسم بالمرونة النسبية عند تناوله أمور الشريعة الإسلامية. وفي بعض الحالات يدعو المجلس صراحةً إلى الانصياع للقوانين الأوروبية والأحكام القضائية في أوروبا، حتى وإن انطوت على ما يخالف الشريعة، ففي قضايا الطلاق على سبيل المثال

(55) القرآن الكريم، سورة التغابن، الآية 16.

(56) «الإسلام الحي في أوربا» مقابلة مع الشيخ فيصل مولوي، صحيفة بالستنين تايمز (Palestinian Times) العدد 98، الموقع:
http://www. palestiniantimes. net/issue 98/articles. html#7 (accessed March 21,2006).

(57) الفتوى 26، الفتاوى والقرارات (المجموعة الثانية).

قضى المجلس بأن «من المحتم على المسلم الذي يبرم عقد نكاحه بموجب القوانين ذات العلاقة في تلك الدول.. أن يتقيد بالأحكام التي يصدرها القاضي غير المسلم في حالة وقوع الطلاق».[58] ومع هذا فإنه في بعض الأحكام يشير المجلس فقط إلى الشريعة الإسلامية على سبيل الاستدلال، ويتمسك بالمبادئ الإسلامية المصادمة للمفاهيم الغربية الأساسية، مثل: المساواة بين الجنسين، وإدانة العنف الأسري، فقد ورد على سبيل المثال في فتوى صدرت عام 1997م أن الزوجة يلزمها الحصول على إذن زوجها لكي تقص شعرها إذا كان القص واضحاً وملحوظاً «قد يفضي إلى تغيير شكل المرأة أو مظهرها».[59] وبذات القدر يجيز المجلس للزوج منع زوجته من زيارة امرأة أخرى حتى ولو كانت مسلمة «إذا شعر بأن العلاقة مع تلك المرأة من شأنها أن تفضي إلى تداعيات ونتائج عكسية على زوجته، أو أطفاله، أو حياته الزوجية بصفة عامة».[60]

لا غرابة في تلك الأقوال قياساً على مواقف القرضاوي نحو العلاقات الزوجية. ففي حقيقة الأمر يقرر القرضاوي صراحةً في كتابه المرجعي، الذي يعد حجة في مجاله «الحلال والحرام في الإسلام» ويؤكد أن «الرجل هو القيم على البيت وصاحب القول الفصل فيه، وهو راعي الأسرة ورأسها» ويشير القرضاوي أيضاً إلى أن الزوجة إذا «أبدت علامات النشوز وشق عصا الطاعة» جاز لزوجها حينئذٍ استخدام العنف بحقها وحتى ضربها ضرباً غير مبرح، مع وجوب تفادي الضرب على الوجه.[61]

---

(58) الفتوى 17، الفتاوى والقرارات (المجموعة الثانية).

(59) الفتوى 21، مجموعة الفتاوى الأولى.

(60) الفتوى 32، مجموعة الفتاوى الأولى.

(61) Yusuf al Qaradawi, Le Licite et l'Illicite en Islam(Paris: Editions al Qalam,

هذه التعليمات تتعارض مع القانون الجنائي والمزاج العام في جميع الدول الأوروبية. ومن الملاحظ بوضوح أن الأحكام الخاصة بمعاملة النساء هي التي كانت وراء حظر الكتاب في فرنسا في عام 1995م. فقد علق تشارلس باسكوا وزير الداخلية الفرنسي وقتها على الكتاب قائلاً إنه استحق الحظر لجهة احتوائه على تلك النبرة العنيفة المناوئة للغرب، وما يحويه الكتاب من مخالفات تصادم القوانين والقيم المرعية في الجمهورية». (62)

يتمسك المجلس أيضاً بمواقف متناقضة مع القانون المدني الغربي فيما يتعلق بالزواج والطلاق. ففي إحدى الفتاوى على سبيل المثال يمنح الرجل الحق في الطلاق بلا قيد أو شرط في حين أن الفتوى تملي مجموعة من الشروط على المرأة لكي تتمتع بهذا الحق ذاته. (63) وفي قضايا القوامة والوصاية يرى المجلس أن احتياجات الطفل الدينية تأتي في صدارة المستلزمات التي ينبغي مراعاتها، حيث يستبطن هذا الرأي أن الطفل يجب بالضرورة أن يتكفل به الطرف المسلم، زوجاً كان أم زوجة في الزواج المختلط،الذي يجمع بين طرفين مسلم وغير مسلم عند انفصام عرى ذلك الزواج بالطلاق. (64) تمثل هذه الأحكام لوحة يتجلى فيها فكر قيادات الإخوان المسلمون الغربيون الجدد وبالتالي فقد كانت تفسيراتها من قبل المتفائلين متناقضة ومتضادة مع تفسيرات المتشائمين إذ يرى المتفائلون أنها تجسيد للمرونة وعدم التحجر ما يميز غربيون الجدد عن

1992)207. The book was first published in Arabic in 1960.

(62) Ternisien, Les Freres Muslumans, 312

(63) الفتوى 16، الفتاوى والقرارات (المجموعة الثانية).

(64) القرار 15/5، البيان الختامي للجلسة الخامسة عشرة العادية للمجلس الأوربي للإفتاء والبحوث، اسطنبول 29 يونيو — 3 يوليو 2005.

سواهم من الحركات الإسلامية. أما المتشائمون فهم يؤكدون ويشددون على عدم تطابق بعض الأحكام مع المبادئ الجوهرية للديموقراطية الليبرالية.

الهوية الإسلامية وآليات الدعوة لدى الإخوان المسلمين الغربيين الجدد

تمثل الهيئات من قبيل المجلس الأوروبي للإفتاء والبحوث جزءاً من منظومة أوسع لاستراتيجية حدد معالمها الشيخ القرضاوي في «الأولويات». للحيلولة دون «الانصهار والذوبان»، ولأجل حماية المسلمين ووقايتهم من الفساد الأخلاقي للغرب، يدعو القرضاوي صراحةً إلى إيجاد نوع من المجتمع المنفصل للمسلمين الغربيين. وبرغم توضيحه لأهمية مواصلة الحوار مع غير المسلمين، إلا أنه يناصر ويؤيد تأسيس مجتمعات إسلامية «لها مؤسساتها الدينية والتربوية والتعليمية والترفيهية الخاصة بها». فهو يتحدث في هذا السياق مخاطباً المسلمين بقوله: «حاولوا أن تقيموا مجتمعكم الصغير في رحاب المجتمع الأكبر» وأردف يقول: «حاولوا أن يكون لديكم أحياؤكم (غيتوهاتكم (ghetto)) الخاصة بكم».[65] يستشرف القرضاوي بوضوح الدور القيادي الذي يمكن أن يضطلع به الإخوان المسلمون ستكون أمام الحركة الإسلامية فرصة غير مسبوقة لتطبيق رؤيتها، جزئياً على أقل تقدير، حيث يمكن لفروعها المحلية تسيير أعمال المساجد والمدارس ومنظمات المجتمع المدني التي تتولى تشكيل مفردات الحياة اليومية. يمكن للإخوان الغربيين الجدد أن يكونوا هداة

(65) Al Qaradawi, Priorities.

تلك المجتمعات وحداة ركبها، وأن ينصبّوا أنفسهم أوصياء على الإسلامية عاملين على نشر تفسيرهم معتقداتهم الإسلامية من خلال بذل الجهود المنهجية المنظمة المنسقة والمفصلة على مقاس المتطلبات.

إن مفهوم القرضاوي والإخوان المسلمين الغربيين الجدد بخصوص «الحي / الغيتو (Islamic ghetto) الإسلامي» يحتاج إلى أن يخضع للمزيد من البحث والتمحيص، لجهة أنه مختلف تماماً عن فكرة مجتمع مواز (parallel society) كذلك الذي يسعى السلفيون وقلة من المجموعات الإسلامية الأخرى المغالية في المحافظة (ultraconservative groups) إلى إقامته في الغرب - ذلك أن معظم السلفيين المقيمين في الغرب يرون في أي تفاعل مع غير المسلمين تهديداً لهوية المسلم، ومن ثم فإنهم يسعون إلى خلق فضاءات ينعزل فيها المسلمون من تيار المجتمع العام، ويتمكنون فيها من عزل أنفسهم فكرياً وجسدياً إذا كان ذلك ممكناً. وبالمقابل لا يؤيد الإخوان المسلمون العزلة التامة من المجتمع وإنما يشجعون بشدة على المشاركة والانخراط في أنشطته. إنهم يحتجون بأن المسلمين ينبغي أن يكونوا جزءاً من المجتمع الغربي، وأن يشاركوا بالكامل في السجال السياسي الدائر، وفي الانتخابات، ومع هذا فإن التركيز ينصبّ دائماً على إيجاد صيغ المشاركة التي تمثل أداة مفيدة لنشر الإسلام، وإنجاح مساعي حركة الصحوة الإسلامية. أما صيغ المشاركة الأخرى التي لا تخدم الأغراض المتقدم ذكرها أو قد تفضي إلى طمس الهوية الإسلامية فهي لا تحظى بالتشجيع بل تجد التثبيط.

إن كثيراً من الأطروحات المختلفة التي دبجها كاتبوها باللغات

الغربية وتم توزيعها على نطاق واسع إنما كانت بمثابة الدليل الاسترشادي لصيغ التفاعل الانتقائية آنفة الذكر. فعلى سبيل المثال، في مقال نشره المجلس الإسلامي الأوروبي، يحث على قطاني المسلمين في الغرب على أن يخلقوا فضاءهم الجغرافي والاجتماعي الخاص بهم داخل الدول التي تستضيفهم. ويجادل بأن شبكة التنظيمات التي يقودها الإخوان يمكنها تسيير وإدارة دفة الحياة في تلك الأماكن، وفقاً لمسطرة المعيار الإسلامي الصحيح. ويحظر التفاعل مع غير المسلمين امتثالاً لمقتضيات الدعوة إلى الله تعالى من جهة، ولاكتساب المهارات وكسب الثروات التي من شأنها أن تعود بعميم النفع وعموم الفائدة على المجتمعات الإسلامية من جهة أخرى. [66] وفي كل الأحوال ينبغي أن يكون التفاعل مقتصراً على «ما لا اعتراض عليه من الناحية الإسلامية». أما الإخوان، فإنهم يناشدون المسلمين ويحضّونهم على المشاركة الفاعلة في النشاط الحياتي للمجتمع الغربي ولكن فقط بالقدر الذي تمليه ضرورات استمالة ذلك المجتمع للإسلام. وعلى حد تعبير القرضاوي، ينبغي للمسلمين «أن يكونوا محافظين دونما عزلة، وأن يكونوا منفتحين دونما ذوبان في أتون غيرهم». [67]

إن المزاوجة التي جرى بسطها آنفاً، بين التحصين ضد الاختراق الثقافي من جهة والتفاعل الاجتماعي والسياسي النشط من جهة أخرى، إنما تنطوي على درجة عالية من المخاطرة: ذلك أن التفاعل من شأنه

(66) M. Ali Kettani, "The Problems of Muslim Minorities and Their Solutions," in Muslim Communities in Non-Muslim States(London: Islamic Council of Europe, 1980),103.

(67) Al Qaradawi, Priorities

التهديد بدك الحصن الثقافي. أما الطريقة الوحيدة التي يستطيع الإخوان من خلالها أن يضمنوا أن المسلمين سوف لن ينصهروا أو يذوبوا في المجتمع الغربي، إذا ما قرروا اختيار صيغ المشاركة الانتقائية وفضلوها على التقوقع داخل صوامع خاصة، على غرار ما ينادي به السلفيون، فهي تتمثل في غرس قيم الهوية الإسلامية لدى المسلمين، وتعهدها بالرعاية الحقة، لأجل توطيدها وتسخير الجهود اللازمة لترسيخها. وكما هو الشأن مع أي حركة اجتماعية فإن نجاح الحركة الإسلامية في تحقيق الهوية المتقدم ذكرها مرهون بقدرة الحركة على بلورة أفكارها، وتصوير مفاهيمها، ورسم تصوراتها، وتجسيد الرموز والدلالات واستخدام لغة وصوغ ذلك كله في إطار متناغم يكفل التجاوب المطلوب مع أصداء الشرائح المستهدفة وإيقاعاتها. [68] ويتمثل أحد المكونات الرئيسة لهذا الإطار المتناغم في إيجاد «الآخر» الذي يمثل مجموعة منفصلة من الأشخاص الذين يمكن تعريف الهوية فيما يتعلق بهم. ففي العالم الإسلامي درجت الحركة الإسلامية من ناحية تقليدية على جمع الغرب والفساد والمجموعات العلمانية في سلة واحدة تمثل «الآخر». [69]أما في الغرب فقد كان هذا التعريف أسهل منالاً أو أقرب إلى المتناول، لجهة أنه أوضح من استهداف بعض حالات الاختراقات الثقافية المبهمة، أو المسلمين الذين يحملون تفسيرات مختلفة للإسلام. إن تشكيل روح الهوية لدى أقلية تكون في أغلب الأحوال مختلفة بشكل واضح عن الأغلبية

(68) Quintan Wiktorowitcz, ‹' Introduction: Islamic Activism and Social Movement Theory," in Quintan Wiktorowitcz,ed. , Islamic Activism: A Social Movement Theory Approach(Bloomington: Indiana University Press, 2004).

(69) Salwa Ismail, Rethinking Islamist Politics: Culture, the State and Islamism(London: I. B. Tauris, 2003),43-39.

أمر يستوجب عملاً فكرياً أقل. وقد تمثلت أهداف الإخوان المسلمين الغربيين الجدد طوال العقود الثلاثة الماضية في إيجاد موطئ قدم لها في زخم تلك الأقلية، وتشكيل الخصائص المميزة لهويتها. لم يظهر الشعور القوي بالهوية الإسلامية لدى جموع المهاجرين المسلمين حتى منتصف الثمانينات من القرن الماضي عندما وجدت أزمة القومية العربية والأيديولوجيات العلمانية الأخرى في العالم الإسلامي أصداءها في الغرب، وبدأ الإسلام يزحف بتؤدة وروية ليحل محل العرقية والإثنية مصدراً للعصبية أو الوعي الجمعي لكثير من المسلمين في الغرب، وكما هو الشأن في الشرق الأوسط سرعان ما التقط الإخوان الإشارة مغتنمين الفرصة ومستأثرين باللحظة من خلال طرح هوية تجاوزت قيود العرقية والإثنية والجهوية والنعرة القومية. أما الجزئية المهمة الوحيدة في هذا الخصوص فهي بين غير المسلمين والمسلمين إذ ينتمي جميع المسلمين إلى مفهوم الأمة العابر للحدود، وقد أصبح المفهوم جذاباً بصفة خاصة لدى كثير من المسلمين الغربيين من الجيلين الثاني والثالث، الذين وجدوا فيه ضالتهم المنشودة في ظل محدودية معرفتهم بتراث أسلافهم وإحساسهم بعدم قبول المجتمع الجديد لهم.

إذا كان الإحساس بالانتماء يخلق الشخصية الفردية، فليس هنالك عامل أكبر أثراً في تكوين الشخصية الجمعية من وجود قوة خارجية تهدد المجتمع، أو الإحساس بوجود مثل تلك القوة. لقد برع الإخوان الغربيون الجدد وأجادوا في هذا المفهوم السياسي إذ أظهروا دهاء لا يوازيه بل لا يدانيه دهاء في أن يظهروا في ثياب المتبنين والمناصرين القضايا التي كان المساس بها سبباً لغضب غالبية المسلمين، حتى أولئك الذين

لا يشاطرون الإخوان المسلمين رؤاهم. فمن خلال الترويج لفكرة أن المسلمين تحت الحصار،ويعانون التمييز، وأنهم ضحية لظلم الآخر، صور الإخوان الغربيون الجدد أنفسهم بحسبانهم الصوت الوحيد القادر على النهوض بشأن المجتمع. وبذلك استغلوا الأزمات السياسية العالمية وأشكال التمييز التي لا تخطئها عين، والتي تأثر بها مسلمو الغرب فضلاً عن تداعيات التجاذب الثقافي الذي برز بصورة متكررة في معظم الأقطار الغربية خلال العقدين الماضيين.

من عام 1988م الذي برزت فيه رواية الكاتب سلمان رشدي «آيات شيطانية» حتى الرسوم الكرتونية للرسول محمد «صلى الله عليه وسلم» التي طبعت في صحيفة يولاند بوستن الهولندية اليومية في عام 2005 م، ومن الصراع الإسرائيلي - الفلسطيني إلى الجدل حول لبس الحجاب في كثير من الدول الأوروبية، استخدم الإخوان الغربيون الجدد مصادرهم الكبيرة وبراعتهم منقطعة النظير في الحشد والتحريك لقيادة الاحتجاجات والتظاهر والاصطفاف ضد الأحداث التي صوروها على أنها جزء من النمط الغربي في العداوة والشحناء ضد الإسلام والمسلمين. إن تعبير «مجتمع تحت الحصار» هو تعبير كثيراً ما وظفه الإخوان الغربيون الجدد، وخصوصاً بعد الحادي عشر من سبتمبر، لجمع الشمل ولملمة الصفوف وتعزيز شخصيتهم الجمعية وهويتهم المجتمعية، والاعتماد على قادة أشداء قادرين على الدفاع عن هذه الشخصية الجمعية بكفاءة واقتدار. [70] وقد أثمر غرس ثقافة الضحية ورعايتها وآتى أكله من خلال

(70) التعبير استخدم، على سبيل المثال، عنواناً لكتاب لأحمد يوسف في عام 2004 ، يصف فيه المجتمع الأمريكي المسلم. عمل أحمد يوسف الذي ترأس الجمعية المتحدة للدراسات والبحوث في مدينة فيرفاكس،

تمكن الإخوان الغربيين الجدد من الدخول في حمأة مظالم المسلمين الغربيين، مظهرين أنفسهم على أنهم القوة الوحيدة القادرة على أن تكون بمنزلة خط الدفاع الأول عن الإسلام والمسلمين في جميع أنحاء العالم[71]، الجهة التي نذرت نفسها ليوم كريهة وسداد ثغر. ولعل هذه الحنكة والبراعة العالية في التعبئة والحشد والتحريك هي التي سمحت لهم بممارسة نوع من السيطرة والهيمنة الثقافية على مجتمعات المسلمين في الغرب. ويلاحظ هذا النجاح بصفة خاصة في ضوء ضآلة عدد الأعضاء المنتظمين. وعلى الرغم من السيطرة على شبكة المساجد المتنامية بصفة مستمرة والتنظيمات، فإن عضوية منظمات الإخوان المسلمين في كل قطر غربي تنحصر في بضعة آلاف – وتمثل جزءاً لا يكاد يذكر من مجموع عدد المسلمين. غير أن جماعة الإخوان الغربيين الجدد تتفوق من حيث التنظيم والنفوذ،إن لم يكن من حيث العضوية، على الطيف الكبير من المنظمات الإسلامية العاملة في الغرب والمنافسة لها.

كان هذا الوضع غير المتناسب وغير المتكافئ في النفوذ بلا شك نتيجة ذلك التشظي والتفكك في المجتمع المسلم وسوء التنظيم للحركات المتنافسة. إن أحد أهم أسباب النجاح الذي أحرزه الإخوان الغربيون الجدد إنما يكمن في تلك القدرة العجيبة على ضمان الوصول أو النفاذ إلى مصادر التمويل الضخم. بما أن تمويل الإخوان المسلمون في المرحلة

فانكوفر لعدة سنوات، مستشاراً لرئيس الوزراء الحمساوي إسماعيل هنية، أنظر:
Ahmed Yousef, American Muslims: A Community Under Siege (Springfield, VA:UASR Publishing Group, 2004).

(71) هذه الكلمات استخدمتها الرابطة الإسلامية في بريطانيا للتعريف بأهدافها، انظر الموقع:
http://www. mabonline. info/English/modules. php?name=About (accessed February 8,2007)

الأولى من توسعهم كان يأتي من المملكة العربية السعودية و دول أخرى في الخليج، إلا أنهم وبنهاية التسعينات نسجوا لأنفسهم شبكة مالية شديدة التعقيد لدعم أنشطتهم. وبفضل المقاهي الغنية، استطاعت المنظمات ذات الصلة بالإخوان المسلمين أن تؤسس شبكة مساجد آخذة في التوسع يوماً بعد يوم، وهي شبكة مثيرة للإعجاب، وذلك فضلاً عن منظمات الفكر وجمعيات البر والإحسان والمطبوعات التي تعمل ليل نهار في كل دولة عربية وعبر الأوطان. بفضل هذه القدرة المالية وهذا المدد والاقتدار المادي تمكن الإخوان الغربيون الجدد من تأسيس منظومة قوامها سلسلة من المنظمات العاملة عبر الأوطان التي عملت سوياً لتأسيس شبكة حيوية عالمية وبناء علاقات مع مؤسسات غربية بينما اكتفى معظم المنظمات الإسلامية المنافسة بالعمل على المستوى المحلي وانكفأت عليه بوسائل محدودة.

فضلاً عما تقدم، سمحت المصادر المالية للإخوان باستخدام التقنيات الحديثة في زيادة التواصل مع المسلمين الغربيين والوصول إليهم أينما كانوا في الغرب، ذلك أن منظمات الإخوان الجديدة أنشأت مواقع إلكترونية عصرية وجذابة ومحببة إلى النفوس على الشبكة العنكبوتية، كما دشنت منتديات تزخر بكم هائل من المعلومات الثرة والخدمات الحديثة وهي مواقع متعددة اللغات. لعل أحد أهم هذه المواقع هو موقع «إسلام أونلاين» الذي أسسه تلاميذ العالم المصري الشيخ القرضاوي ومريدوه، بدعم من الشيخ المصري، وهو الموقع المفضل الأثير لدى المسلمين الغربيين، والأشهر والأكثر شعبية بينهم.[72] ويعمل الموقع المذكور من

(72) Bettina Graf, İslamOnline. net: Independent, Interactive, Popular," Arab Me-

مكاتب في كل من قطر والقاهرة، ومن واشنطن وظل يواصل ليله بنهاره في عمله الدؤوب منذ عام 2008م موظفاً لذلك آلاف الباحثين بدوام كامل إضافة إلى كتاب يعملون على أساس التعاون بدوام جزئي. الموقع متوافر باللغتين العربية و الانجليزية و يوفر الآراء القانونية إضافة إلى بنك للفتوى ومنتديات للنقاش فضلاً عن إمكانية توجيه الأسئلة للعلماء المسلمين مثل الشيخ القرضاوي والشيخ المولوي. كما ينشر الموقع الأخبار مع التعليقات التي تعكس مفاهيم الإخوان الغربيين الجدد.

إن الأموال ليست سوى سر واحد فقط من أسرار نجاح الإخوان الغربيين الجدد. كما أن طاقة أعضاء هذه الجماعة وحيويتهم والتزامهم ورؤيتهم كلها أمور لا تقل أهمية بحال من المصادر المادية والمدد المالي. وخلافاً لغيرهم من غالبية المهاجرين المسلمين في الغرب، ينحدر الإخوان الغربيون الجدد من عائلات تتمتع بقدر جيد من التعليم العالي، ومن خريجي بعض الجامعات المرموقة في الغرب، كما أنهم محترفون متميزون ومتمرسون في تنظيم المجتمعات وحشد الاصطفافات، فضلاً عن أنهم من ذوي المهارات الممتازة والمتميزة في الاتصال والتواصل وإتقان استخدام اللغة. علاوة على ذلك، ومن خلال الاتباع المباشر لنهج البنا وكتابات بعض المفكرين الإسلاميين مثل المودودي، وسعيد رمضان، وسيد حوى، والقرضاوي، أدرك الإخوان الغربيون الجدد أهمية البناء

---

dia and Society 4(Winter 2008); ĬslamOnline Opens Washington Office,"IslamOnline. net, December 27, 2008, http://www. islamonline. net/servlet/Satellite?c=Article_C& cid=1230121266417&pagename=Zone-English-News/NWElayout(accessed February 10,2009), The Concept of Wasatiyya in the Work of Yousef al-Qaradawi,"in Bettina Graf and Jakob Skovgaard-Petersen, eds. , The Global Mufti: The Phenomenon of Yusuf Al-Qaradawi(New York: Columbia University Press, 2009),225.

المؤسسي وتدريب الكوادر التي تتمتع بدرجة عالية من الفعالية والاقتدار. يفسر الإسلاميون دائماً اهتمامهم ببناء المؤسسات على ضوء رؤيتهم المتمثلة في أن الإسلام دين اجتماعي. وقد كتب القرضاوي مقالات قوية في العمل الجماعي المنظم الذي يراه واجباً يمليه الدين قبل أن يقتضيه الواقع. [73] و منذ البدايات الأولى تبنى الإخوان الغربيون الجدد هذه الفكرة وعملوا على بناء منظومة متكاملة وشبكة مثيرة للإعجاب من المنظمات المتخصصة التي رسخت كل واحدة منها لخدمة أهداف محددة بدقة، كما تمت هيكلة هذه المنظمات في شكل مؤسسات.

وبالتمعن في النهج العلمي والعملي الذي يختطه الإخوان الغربيون الجدد لأجل الهيمنة الثقافية للإسلام في الغرب نجد أن معالم هذا النهج وملامحه هي تلك التي تعرض إليها مستند تم العثور عليه في نوفمبر 2001 بفيلا يمتلكها يوسف ندا في كمبيوني دي إيتالي في الأسابيع التي تلت هجمات الحادي عشر من سبتمبر، ومباشرة أعلنت الأمم المتحدة أن يوسف ندا ممول للإرهاب، وفتحت السلطات السويسرية والإيطالية تحقيقاً في حق وزير خارجية الإخوان، وتم تفتيش مكان إقامته. ومن بين المستندات العديدة التي عثر عليها بمنزل ندا الفاخر كانت هنالك مخطوطة باللغة العربية بعنوان «نحو استراتيجية كونية للإسلام السياسي». [74] وهي مؤرخة في ديسمبر 1982م. وقد أطلق عليها بصورة

(73) Al Qaradawi, Priorities. See also Yusuf al Qaradawi, Islamic Awakening Between Rejection and Extremism(Herndon, VA: International Institute of Islamic Thought, 1991), where he quotes the hadith"a believer to another believer like a building whose different bricks enforce one another" as a proof of the God-mandated duty for collective work(91)

(74) Document published in appendix of Besson, La Conquete de l'Occident.

واسعة اسم «المشروع» فهي تحدد معالم الطريق والخطوط العريضة للنهج الدقيق الذي يجب أن يستخدمه الإخوان لتحقيق أهدافهم.

يقتضي المشروع أن يعكف الإخوان على توظيف المصادر العلمية والتقنية وتسخيرها في التخطيط والتنظيم والتنفيذ والمراقبة، فضلاً عن تأسيس مراكز للبحوث والدراسات وتنفيذ الدراسات الخاصة بالفضاء الحركي والأفق السياسي للحركة الإسلامية، إضافة إلى إجراء دراسات الجدوى لمختلف المؤسسات. هنالك احتياطات احترازية من شأنها تشجيع الأتباع على أن يتركوا هامشاً أو مساحة للمناورة بحيث تكون هنالك مرونة كافية على المستوى المحلي للمسائل التي لا تتعارض مع التوجهات العامة للاستراتيجية الكونية للإسلام». «ولمنع الحركة من الانحراف والانجراف والازورار عن المواجهات الرئيسية التي قد تشجع أعداءها على الرد العنيف والإدانة بصورة مميتة». ويوصي المشروع بأن يقوم الأتباع بالتأثير على مراكز القوى على المستويين المحلي والعالمي لخدمة الإسلام والمسلمين وتنسيق جهود كل أولئك المناضلين من أجل الإسلام في كل قطر وتأسيس اتصال نوعي بينهم سواء أكانوا أفراداً أم جماعات».

إن الاحتياطات آنفة الذكر تصف بدقة متناهية ما تبدو عليه طريقة عمل حركة الإخوان الغربيين الجدد خلال عقدين أو ثلاثة عقود من الزمن. منذ الثمانينات من القرن الفائت دأب الإخوان الغربيون الجدد على تأسيس شبكة واسعة وممتدة من المنظمات الإسلامية التي تم ترسيخها لمقابلة الاحتياجات الممكنة للمسلمين الغربيين. وقد

جرى تكوين المنظمات المظلية على المستويين الوطني و الدولي لتنسيق الأنشطة. وفي يوم الناس هذا يمكن أن يوصف الإخوان الغربيون الجدد بأنهم مديرون محترفون للإسلام، و مدربون تدريباً جيداً في التنظيم الاجتماعي، كما أنهم حملة درجات جامعية ممتازة (وهي في أغلب الحالات درجات في الاقتصاد والإعلام والتعليم والطب والهندسة، أكثر منها في الدراسات الدينية) وقد برعوا أيما براعة في فنون الاتصال، وفي السياسة، وجمع الأموال.

و بفضل تعدد مصادرهم، وتنوع أوجه نشاطهم، و قدراتهم العقلية المتميزة، هنالك مجموعات ذات صلات تاريخية أو عقدية مع جماعة الإخوان المسلمون غطت، في كثير من الأحيان، على كثير من المنظمات الأخرى من حيث التأثير في المجتمع المسلم. ومع أنهم يتمتعون بدعم مباشر محدود من المجتمع المسلم إلا أنهم يمثلون وجوداً نشيطاً وحضوراً جوهرياً، مكتسبين من خلال ذلك موقعاً بارزاً على خريطة المنظمات المسلمة الغربية. لقد أوجدوا حركة فريدة بين أخواتها في أوروبا وعلى الشاطئ الآخر للأطلسي سواءً بسواء.

التحدث باسم الإسلام

إن هدف حركة الإخوان المسلمين يتمثل في تكوين مجتمع غربي مسلم متماسك ومؤثر، متجاوزاً كل الاختلافات العرقية، وقوامه هوية أخوة إسلامية قوية يحددها الإخوان الغربيون أنفسهم. ومع بقائه ملتزماً مبادئه الثقافية والأخلاقية، إذ ينبغي للمجتمع ألا يبقى منغلقاً على نفسه، كما أن

عليه أن يشارك بجدية وحماس، وأن ينخرط بهمة وإخلاص في الأنشطة السياسية والاجتماعية. لكن ما المقاصد من وراء هذا التفاعل والحراك والمشاركة؟ كيف يرى الإخوان الغربيون الجدد أنفسهم والمجتمع المسلم الغربي فيما يتعلق بالمجتمع الغربي؟

يبدو أن المتفائلين والمتشائمين على حد سواء يتفقون على أن رغبة الإخوان الغربيين الجدد تتمثل في أن يكونوا الممثل الرسمي أو الواقعي للمسلمين الغربيين. وبإعادة صياغة الفهم لموقفهم فيما أطلقوا عليه دار الدعوة، أدرك الإخوان فرصة أنهم قد يكونون المحاورين أو المتحدثين الوحيدين مع الحكومات الغربية، ووسائل الإعلام، وصفوة المفكرين الغربيين في كل الموضوعات التي تتعلق بالإسلام. وإذا قدر لهم أن يكونوا الطليعة التي تقود المجتمعات المسلمة في وضعها الهش كأقلية، فعليهم أيضاً أن يمثلوهم في العالم الخارجي.

تتصف أنماط العلاقة بين الحكومات الغربية والإخوان الغربيين الجدد بدرجة عالية من التعقيد و سوف يتم تحليلها بمزيد من التركيز والكثافة في الباب الرابع وفي دراسات الحالات. ومع أن الموقف يختلف من قطر إلى قطر، إلا أنه وبصفة عامة نجح الإخوان الغربيون في تصوير أنفسهم بأنهم ممثلون للمجتمع المسلم في أعين كثير من أفراد الصفوة في الغرب. واليوم عندما تحاول الحكومات أو وسائل الإعلام الغربية الوصول إلى المجتمع المسلم فمن المرجح أن يكون كثير، إن لم تكن كل، المنظمات أو الأشخاص الذين يتصدون لها ينتمون بدرجة ما إلى شبكة الإخوان الغربيين الجدد. هنالك بعض الاستثناءات، لكن، وعلى كل، ليس

هنالك حركة إسلامية لها النفوذ السياسي والنفاذ إلى الصفوة مثل ذلك النفوذ الذي أكتسبه الإخوان المسلمون خلال فترة العقدين الماضيين.

إن الأسباب وراء قرارات الصفوة الغربية حول الأمر سوف تتم مناقشتها في الأبواب التالية ولكن من المفيد الآن أن نبحث في كنه وماهية الاستراتيجيات التي وظفها الإخوان لتحقيق هذه الهيمنة الظاهرة. لا يبدو أن قلة عددهم تعكس موقفهم الحقيقي داخل المجتمعات المسلمة. وعلى العكس، فإن دورهم كمتحدثين مميزين يبدو أنه يأتي من جهازهم التنظيمي الضخم غير الاعتيادي، والقدرة العالية على اقتناص الفرص السياسية. فقد نجح الإخوان الغربيون الجدد في إقناع شرائح كبيرة من الصفوة الغربية بأنهم يمثلون المسلمين المحليين على الرغم من غياب أي دليل مادي ملموس يشير بوضوح إلى وجود تفويض بالتحدث نيابة عن المجتمع المسلم بكامله.

إن المصادر، بلا أدنى شك، تساعدهم وتصب في مصلحة جهودهم. وإن قدرة الإخوان الغربيين الجدد على إشراك الصفوة الغربية بصورة ثابتة، سواء بطريقة مباشرة، أم عبر مشاركاتهم النشيطة في وسائل الإعلام قد جعلتهم يبدون في كثير من الأحيان وكأنهم التنظيمات التي تتسنّم القمة وتحتل الصدارة داخل المجتمع المسلم. ليس هنالك أي تنظيم منافس كان قادراً على تنظيم فعاليات قوية ومتعددة الجوانب، وعلى التفاعل مع الإعلام الغربي وعلى أن يكتسب بصفة عامة أي قدر من الحضور أو الظهور بذات القدر الذي اكتسبه الإخوان الغربيون الجدد. إن الاتجاهات الإسلامية الأخرى، مع تمكنها في الفكر الإسلامي، تفتقر

بشدة وبحدة إلى المعرفة والإلمام بواقع المجتمعات الغربية ما جعلها تواجه مشكلات جمة في تأسيس حوار دائم مع الصفوة في الغرب. ومع أن معظم الإخوان الغربيين الجدد ليس لهم الخلفية الفكرية للمشايخ التقليديين، إلا أنهم جذابون وذوو مظهر حسن، وعلى درجة عالية من التعليم فضلاً عن أنهم طليقو اللسان في اللغات الغربية ويتقنونها تحدثاً وكتابةً، كما أنهم على معرفة ودراية بفنون التواصل مع الغربيين والتداخل معهم. وفوق هذا وذاك لهم ما لهم من الوسائل المالية والمادية والأدوات التنظيمية اللازمة لبناء علاقات دائمة وترسيخها بصفة مستديمة.

إذا كانت المصادر المادية قد مكنت الإخوان من العمل على مستوى كبير، فإن مصادرهم الفكرية و مواردهم العقلية سمحت لهم بتفصيل أعمالهم وفق ما تقتضيه الظروف. وبوصفهم ناشطين سياسيين مدربين،إن للإخوان الجدد في الغرب قدرة لا تضاهى في فهم البيئة السياسية التي تحيط بهم، و تقسيم نشاطهم حسب تحليلهم لما هو أكثر فائدة لهم فيها. وفي الحقيقة، إن الجزئية الأكثر حساسية و حرجاً في نجاح الحركة تحددها قدرتها على تقويم ما تبحث عنه الصفوة من الغربيين و تقديم الحركة لنفسها، وتقديم طرحها على ضوء ذلك.

في أواسط التسعينات شددت الحكومات في الغرب على أهمية تمويل المتحدثين الذين يحبذون دمج المسلمين الغربيين في مجتمعاتهم المحلية. فالتقط الإخوان الإشارة سريعاً ثم شرعوا في التنويه والتنبيه إلى أن واحدة من أولوياتهم هي خلق شخصية أوروبية أو أمريكية تجمع بين الإيمان القوي والمواطنة النشيطة. بعد الحادي عشر من سبتمبر، وعندما

بدأت الحكومات الغربية في توجيه انتباهها إلى مسائل الأمن، بدأ الإخوان الغربيون الجدد في إبراز أنفسهم على أنهم الشركاء المثاليون لتلك الحكومات في محاربة الراديكالية والغلو في أوساط المسلمين الغربيين.

لا مراء في أن المرونة هي واحدة من الخصائص الرئيسة للحركة، بل هي واحدة من أبرز أسرار نجاحهم، وكما هو واضح للعيان، فإنها تمارس أو يتم إبرازها في الغالب في المسائل المتعلقة بالفكر والعقيدة والسماح بذلك للعلماء من الإخوان بتبرير مخالفة المبادئ الثانوية للشريعة من أجل التقدم بقضيتهم إلى الأمام. غير أن المرونة قد تم إبرازها في الأمور السياسية وفي اختيار التكتيكات. فالإخوان الغربيون الجدد مشهود لهم بالقدرة على تغيير المواقف مع الوقت بناء على حساب تكتيكي دقيق جداً لماهية السلوك الأكثر فائدة لخدمة أجندتهم. لقد اتخذت منظمات الإخوان في السنوات الأولى لوجودها وضعاً شاقاً وموقفاً تصادمياً إزاء موضوعات شتى، ومصاعب متعددة اعترت المجتمع المسلم. ويبدو أن هذه السلوكيات أو التصرفات قد أملتها الآراء القوية للقادة إضافة إلى رغبة التنظيمات في أن تكتسب الشهرة وتستحوذ على الأولوية والحضور داخل المجتمع الإسلامي.

في عام 1988، على سبيل المثال، نجد المنظمات ذات العلاقة بجماعة الإسلام المتخذة من بريطانيا قاعدة لها قد قاتلت بشدة لكسب دور رئيس في الاحتجاجات ضد رواية الكاتب البريطاني سلمان رشدي «آيات شيطانية» التي عمت الجالية المسلمة في بريطانيا العظمى من المنحدرين من أصول من جنوب آسيا. وفيما كان غضبهم صادقاً وأصيلاً

بما لا يدع مجالاً لأدنى شك، نجد أن الإسلاميين كانوا مهتمين بالتأكد من أن الجماعات الإسلامية الأخرى، لم يكن لها الفضل أو القدح المعلى في القيادة التنظيمية لهذه التظاهرات. [75] وبمشاهدة الكيفية التي ساعدت بها قضية سلمان رشدي في رفع مكانة المسلمين البريطانيين، قام الإخوان الفرنسيون في السنة التي تلت ذلك بتطبيق تكتيكات نظرائهم البريطانيين عندما سنحت لهم الفرصة نفسها، ذلك أنه عندما اندلع الجدل محتدماً على مستوى القطر حول ارتداء الحجاب في المدارس العامة في عام 1989م، نجد أن اتحاد التنظيمات الإسلامية لفرنسا، والذي كان حينها تنظيماً يافعاً وضعيفاً نسبياً، أصبح أعظم المدافعين الناشطين والمنافحين عن الحق في ارتداء الحجاب. وبأمل استدرار عطف المجتمع المسلم بإبدائه نسبياً عدم الرغبة في السعي إلى حوار بناء مع الحكومة الفرنسية، نظم الاتحاد عدة احتجاجات ضد الحظر، فضلاً عن إعلانه «أن مسلمي فرنسا لا يمكنهم القبول بمثل هذه الهجمات ضد كرامتهم». [76]

و بعد خمسة عشر عاماً و عند بلوغه حد الظهور والحضور داخل طيف الإسلام المنظم بفرنسا، قام اتحاد التنظيمات الإسلامية لفرنسا بتغيير تكتيكاته كلياً في نضاله من أجل كسب ثقة السلطات. [77] و بإدراكه أنه يمكن الحصول على المزيد من خلال العمل مع النظام بدلاً من العمل

---

(75) انظر الفصل الخامس

(76) Gilles Kepel, Allah in the West: Islamic Movements in American and Europe(Palto Alto, CA:Stanford University Press, 1997), 187.

(77) "La France Face a ses Musulmans: Emeutes, Jihadisme et Depolitisation," report by International Crisis Group, March 9, 2006,6-9.

ضده، قرر الاتحاد تحاشى المواجهة المباشرة مع الحكومة التي لن تسبب سوى انتكاسات لأجندته. لذا، وفي مارس 2004 م، عندما أجاز البرلمان قانوناً جديداً مثيراً للجدل يحظر بموجبه كل الرموز والملابس الدينية في المدارس العامة، ظل الاتحاد هادئاً بصورة ملحوظة وامتنع عن المشاركة في الاحتجاجات التي نظمت ليس في فرنسا فقط، بل عبر أنحاء العالم.[78] فعزام التميمي، قائد الجناح البريطاني للإخوان المسلمين الجدد في الغرب،الذي كان حاداً لاذعاً في نقده هذا القرار، أوضح أن اتحاد التنظيمات الإسلامية لفرنسا آثر أن يتخذ هذا الموقف الأكثر اعتدالاً، لأنه «ضد أي نشاط قد يسبب مواجهات مع السلطات العامة».[79] بينما مثل موضوع الحجاب في عام 1989 م فرصة جيدة لكي يظهر الاتحاد نفسه وسط المجتمع المسلم في فرنسا منافحاً قوياً عن شرف المسلمين، نجد أن ذات الموضوع قد أصبح عنده بعد خمسة عشر عاماً يمثل فخاً خطيراً يجب تجنب الوقوع فيه. وحيث إن القانون قد تم تمريره بمساندة كبيرة من القوى السياسية، فإن الجماعة لا ترى في معارضة المؤسسة أي كسب عملي.

إن تغيير الاتحاد لتكتيكاته يعكس بوضوح تطور التنظيم والذي، حسبما قال رئيسه، الحاج ثامي بريز، يمكن أن نقسمه إلى ثلاث مراحل.

(78) Interview with UOIF president Lhaj Thami Breze, La Courneuve, May 2009; Xavier Ternisien,"Priere Nationale Musulmane a La Courneuve pour Concilier Solidarite et Revendication du Viole,"Le Monde, September 5, 2004; Vincent Geisser and Aziz Zemouri, Marianne et Allah: Les Politiques Francais face a La"Question Musulmane"(Paris: La Decouverte, 2007), 116.

(79) Ternisien, Les Freres Musulmans,127.

[80] بعد مدة ابتدائية اتسمت بوصول الطلاب الأجانب إلى فرنسا، جاءت المرحلة الثانية لتركز في تكييف فكر الاتحاد ليتلاءم مع واقعه كتنظيم إسلامي يعمل بصفة دائمة في بلد غير مسلم – وهو مرور اتسم بالتغير من حيث الرمز عندما تغير اسمه من اتحاد التنظيمات الإسلامية بفرنسا إلى اتحاد التنظيمات الإسلامية لفرنسا. وتميزت المرحلة الأخيرة، حسب قول بريز، «بدمج الإسلام في النظام المؤسسي، والجمهوري، والعلماني».
[81] إن الوصول إلى السلطة والقبول هي أولويات الاتحاد اليوم. ولكي يتم تحقيق هذا الهدف، فهم على استعداد للتضحية ببعض المعتقدات والأفكار. وبوصفهم خلاصة البراغماتيين، لا يرى الإخوان الغربيون الجدد أي غضاضة في أن يتنازلوا أو يتخلوا عن بعض المبادئ الثانوية لتحقيق بعض الأهداف الرئيسة.

إن المرونة القصوى للإخوان الجدد في الغرب قد تجلت في أبرز صورها ليس فقط في اجتنابهم وجهات النظر التي تتسم بالحتم والجزم وفي تفصيلهم لعملهم على مقاس ظروفهم، وإنما أيضاً في قدرتهم على صياغة تحالفات تكتيكية مع أكثر الحلفاء السياسيين تبايناً. ومع تعرضهم للنقد العنيف من قبل الجماعات الإسلامية المتزمتة

حقاً من المسلمين الغربيين. وبما أن المفاهيم والموضوعات والأطر المقدمة من الإخوان قد وصلت إلى كثيرين، إلا أن معظم المسلمين الغربيين إما أنهم قاوموا هذا النفوذ بنشاط وإما تجاهلوه. ويعلم الإخوان

(80) Interview with UOIF president Lhaj Thami Breze, La Courneuve, May 2009, Quest-ce que lUOIF?(Paris: Editions lArchipel, 2006),19-20.
(81) Quést-ce que lÚOIFf?, 20

أن أي علاقة تفضيلية مع الصفوة الغربية قد توفر لهم رأس المال المادي والسياسي الذي يسمح لهم بتوسيع تأثيرهم وتعزيز قوتهم بدرجة كبيرة. وبزيادة هذه العلاقة نجد أن الإخوان، في الحقيقة، إنما يهدفون إلى كسب ثقة الحكومات الغربية بإدارة جميع مستويات حياة المسلمين في كل قطر. فهم الذين قد يعملون على إعداد المناهج واختيار المعلمين للتعليم الإسلامي في المدارس العامة، وهم الذين قد ينصبون الأئمة و الدعاة في المؤسسات العامة مثل الجيش، والشرطة، أو في السجون، و يتلقون الدعم لإدارة الخدمات الاجتماعية المختلفة. وهذا المنصب قد يسمح لهم بأن يكونوا بمنزلة الصوت الرسمي للمسلمين في الحوارات و النقاشات العامة وفي وسائل الإعلام، والتغطية بذلك على أي قوى منافسة. إن القوة والشرعية الممنوحة لهم والمجسدة فيهم من قبل الحكومات الغربية قد تعطيهم مزيداً من النفوذ على المجتمع المسلم. وبإجراء حساب سياسي ذكي وحصيف،يحاول الإخوان الغربيون الجدد الآن قلب مطلبهم بالقيادة إلى نبوة أو وحي إلهي يأتي بما تتطلبه ذاتهم، ويسعون إلى الاعتراف بهم كممثلين للمجتمع المسلم وكي يكونوا في حقيقة الأمر هم المجتمع المسلم.

يكشف تحليل أنشطة الإخوان الغربيين الجدد هدفاً ثالثاً و أخيراً تسعى الحركة إلى تحقيقه من خلال موقعها البارز. ومرة أخرى، هذا الهدف تم تحديده من قبل الشيخ القرضاوي بوضوح في كتابه فإن الإخوان الجدد، وبخاصة فروعهم الغربية، قد كونوا فرقاً وأقاموا تحالفات مع كل أنواع القوى السياسية، وكل ألوان الطيف السياسي التي تخدم أجندتهم على الوجه الأمثل حسب الموضوع ومقتضيات الظروف. وليس من غير المعتاد إذاً أن نجد حركة الإخوان المسلمين الجديدة تتشارك يداً بيد

وفي آنٍ واحد مع المنظمات المسيحية الأصولية في معارضة مكتبات الشباب، ومع الأحرار في معارضتهم السياسات المتشددة لمناهضة الإرهاب، ومع الجماعات المهاجرة غير المسلمة في معالجتها موضوعات التمييز، ومع أعضاء اليسار المتطرف في الاحتجاج ضد قرارات السياسة الخارجية. ومن الملاحظ بصفة خاصة في ذلك الجانب في السنين الأخيرة تعاون الإخوان الغربيين الجدد اللصيق مع الأطراف المتشددة في الحركة المناهضة للحرب. ورغماً عن الاختلافات العقدية الكبيرة حول الموضوعات الاجتماعية، نجد أن الإخوان يرون أن الميزة التي يحصلون عليها من العمل مع اليسار المتطرف تفوق بكثير المخاطر المتمثلة في اتهامهم بأنهم قد خانوا مبادئهم أو تنكروا لها.

علاوة على ما تقدم، ولكي يجدوا القبول من مختلف القوى، نجد أن الإخوان الجدد يؤطرون الموضوعات في مصطلحات مختلفة وفقاً للجمهور المستهدف. فمعارضتهم القوانين و التشريعات التي تحظر ارتداء الحجاب في الأماكن العامة، على سبيل المثال، قد تم تسويغها للمجتمع المسلم مستخدمين الشريعة الإسلامية والتوضيح بأن الحجاب للنساء يتطلبه الدين. ولكسب تأييد المنظمات المسيحية و اليهودية، فإن الموضوع يتم وضعه في الغالب في إطار المشكلة العامة المرتبطة بالعلمانية المتشددة غير المتسامحة. ومع اليسار فإن المعارضة توضع في إطار التعدد الثقافي وادعاء الاضطهاد العنصري من جانب الوطنيين غير المتسامحين ضد أقلية ضعيفة.[82]

(82) Gilles Kepel, The War for Muslim Minds and the West(Cambridge, MA :Harvard University Press, 2004),283.

المزيد من النفوذ

إن ادعاء منصب القادة المعترف بهم بين المجتمعات الغربية المسلمة يمثل الهدف الرئيس الخارجي للإخوان المسلمون الجدد في الغرب. فما الكيفية التي ينوون بها استخدام هذا المنصب؟ أما أحد الأهداف، فهو مكشوف ومصرح به علناً وبافتخار، ألا وهو الإسهام بصورة إيجابية في مستقبل المجتمع الغربي. لقد جاء المسلمون إلى الغرب ليبقوا وهم بحسب الإخوان، لديهم كثير ليضيفوه لتطوير مجتمعاته العصرية متعددة الثقافات. و يشجع الإخوان الغربيون الجدد المسلمين في المشاركة في المجتمع، ونشر مبادئهم الإسلامية التي تفيد في نهاية المطاف كل فرد. ومن خلال تأكيد القيم المشتركة، يعرض الإخوان أنفسهم على أنهم قادة مجتمع يمكن من منطلق إيمانه القوي ومحيطه الأخلاقي أن يعمل كثيراً من أجل البعث الأخلاقي لبقية المجتمع. ذلك أن المسلمين، كما يجادل قادة الإخوان، لديهم الكثير لتقديمه للحضارة الغربية والمساعدة في التعامل مع المشكلات الاجتماعية مثل التفكك الأسري و الجريمة و تعاطي المخدرات. (83)

وبتقديمهم لأنفسهم على أنهم القوة التي سوف تعمل على قيادة الجاليات الإسلامية الغربية في طريقها نحو المواطنة الفاعلة اكتسبوا الجاذبية الرئيسة من قبل الصفوة في الغرب،الذين ظلوا على الدوام حريصين على العثور على مثل هؤلاء الشركاء منذ ما يزيد على عقدين

(83) لإلقاء نظرة لما يمكن أن يسهام به المسلمون في الغرب، وفقاً للحركة الإسلامية، انظر مقال كمال الهلباوي بعنوان:
Cementing Relations Between Muslim Citizens and Governments in the West: “The United Kingdom as a Case Study,” Islamism Digest 3,no. 9 (September 2008).

من الزمان. يهدف معظم الإخوان الغربيين الجدد بإخلاص لاستغلال هيمنة الحركة وثقلها في تعزيز إجراء يفيد كلاً من المسلمين والمجتمعات الغربية. إن المسلمين، كما يجادل الإخوان، مأمورون من الله تعالى بالتأثير الإيجابي في سلوك من حولهم والعمل من أجل ما ينفع المجتمع، سواء أكان ذلك إسلامياً أم غير إسلامي. فرئيس اتحاد التنظيمات الإسلامية لفرنسا، الحاج ثامي بريز، على سيبل المثال، يشدد على أهمية السلم الاجتماعي كواحد من الأهداف الرئيسة لتنظيمه.[84] ويجادل بريز بأن اتحاد التنظيمات الإسلامية لفرنسا بفكره الإسلامي القوي وفهمه العميق للثقافة الفرنسية يمكنه أن يؤدي دوراً رئيساً في تجسير الفجوة وردم الهوة بين المجتمع المسلم وبقية مكونات المجتمع الفرنسي.

ويبدو أنه لا تزال هنالك أهداف إضافية أقل علنية للإخوان الغربيين الجدد تتصل بتأسيس علاقة تأصيلية تفصيلية مع الحكومات الغربية. ورغماً عن نشاطهم الحركي الذي لا يعرف إليه الكلل أو الملل سبيلاً ومع مصادرهم الوفيرة لم يتمكن الإخوان من تكوين حركة جماهيرية، وجذب ولاءات بأعداد كبيرة لعام 1990م المسمى فقه الأولويات، الذي يشتمل على بذور وجذور التطور في المستقبل إذ يقول: «من الضروري للإسلام في هذا العصر أن يكون له وجود في تلك المجتمعات، التي تؤثر في السياسة العالمية» ووجود حركة إسلامية قوية ومنظمة في الغرب «مطلوب للدفاع عن قضية الأمة الإسلامية وأرض الإسلام من اعتداء وتشويه القوى والاتجاهات المناهضة للإسلام».[85]

---

(84) Interview with UOIF president Lhaj Thami Breze, La Courneuve, May 2009,

(85) Al Qaradawi, Priorities.

وبعبارات أخرى، يجادل القرضاوي بأن الإخوان الغربيين الجدد أمامهم فرصة غير مسبوقة وعليهم واجب كبير في التأثير على الرأي العام الغربي وصناعي السياسة في الغرب في جميع الموضوعات المتعلقة بعلم السياسة الطبيعية ذات العلاقة بالعالم الإسلامي. وحقيقةً، سعى الإخوان الغربيون الجدد خلال العقدين المنصرمين بمثابرة ودأب وثبات إلى الاستفادة من موقعهم في وضع قضايا الإسلاميين في المقدمة. فمن الاجتماعات الخاصة مع صانعي السياسة الكبار إلى حشد الاصطفافات والاحتجاجات الجماهيرية في الشوارع، ومن الافتتاحيات في الصحف الرئيسية إلى المؤتمرات عالية المستوى نجدهم قد استخدموا مواردهم المادية ومصادرهم الفكرية والعقلية لتقديم وجهة نظر الإسلاميين في عدة موضوعات، وعن طبيعة الحركة الإسلامية في حد ذاتها. فمن الدفاع عن الحكم الإسلامي في السودان إلى معارضة الحرب في العراق وأفغانستان، ومن مهاجمة الحكام العلمانيين في الشرق الأوسط إلى تقديم مجموعات إسلامية مختلفة تعمل في المنطقة كمناصرة أصيلة للديمقراطية ومناهضة للدكتاتوريات الفاسدة، نجدهم قد ناصروا بصورة جوهرية القضايا المتعددة للحركة الإسلامية العالمية داخل المجتمع المسلم ومع جمهور الغرب وصانعي السياسة فيه.

ولعل أحد الموضوعات التي تبناها الإخوان الغربيون الجدد بكثافة وعاطفة لا توازيها عاطفة،وحدت بهم إلى استثمار كل ما لديهم من رأس مال سياسي فيها، هو موضوع القضية الفلسطينية. عند وصولهم إلى الغرب كلاجئين وطلاب علم، قدم الإخوان الأوائل دعمهم للنضال الفلسطيني ضد إسرائيل. وبعض الرواد الأوائل مثل سعيد رمضان قد

شاركوا في الحرب العربية – الإسرائيلية عام 1948م، وآخرون كثر ممن أتوا من دول عربية تجاور إسرائيل لديهم مشاعر قوية حول الصراع مع الدولة اليهودية. لكن وفي بداية الثمانينات الباكرة، عندما بدأت القضية الفلسطينية تأخذ بعداً دينياً بصورة متزايدة، هنالك بدأ الإخوان الغربيون الجدد وباقي الإسلاميين في الحركة الإسلامية العالمية الاهتمام بالقضية بصورة أكبر. فمخطوطة «المشروع» عام 1982م التي وجدت في منزل ندا، على سبيل المثال، ناصرت قيام الحركة الإسلامية «برفع مشاعر الاستياء والاشمئزاز تجاه اليهود، ورفض جميع أشكال التعايش المشترك معهم». [86] والأهم من ذلك «إفراد حيز للقضية الفلسطينية داخل الحركة الإسلامية العالمية سياسياً ومن خلال الجهاد، لأنه يمثل المفتاح الذي سيفتح الباب لإعادة ميلاد العالم العربي اليوم». [87] في أواخر الثمانينات، ومع التأسيس الرسمي لحركة «حماس» التي يصفها قانون تأسيسها بأنها تنظيم «لأحد أجنحة الإخوان المسلمين في فلسطين» أصبح للحركة الإسلامية العالمية لاعبها الخاص بها في اللعبة ووجهت أنشطتها على مستوى العالم لمساندته». [88]

منذ بداية التسعينات حاول الإخوان الغربيون الجدد مساعدة القضية الفلسطينية، وبالأخص حركة حماس، بطرائق مختلفة. ففي داخل

---

(86) لتحليل مفصل عن استراتيجية الإخوان المسلمين تجاه القضية الفلسطينية، انظر مؤلف زياد أبو عمر بعنوان
Islamic Fundamentalism in the West Bank and Gaza (Bloomington and Indianapolis: Indiana University Press, 1994), 23-52.

(87) Document published in appendix of Besson, La Conquete de lÓccident.

(88) ميثاق المقاومة الإسلامية (حماس)، 18 أغسطس 1988. الميثاق متاح باللغة الإنجليزية على الموقع:
http://www. avalon. law. yale. edu/20th_century/hamas. asp

المجتمع المسلم، ظل الإخوان يصمون باستمرار القيادة الفلسطينية العلمانية لمنظمة التحرير الفلسطينية (فتح) بالفساد وعدم الفعالية، ويصفون حماس بأنها القوة الوحيدة التي يمكنها تحرير فلسطين. وقد تعدى دعمهم القول إلى الفعل، فخلال السنوات العشر الماضية، أسس الإخوان الجدد شبكات متقدمة جداً عبر الأوطان لجمع الأموال للقضية الفلسطينية. وقد وجهت الهبات والعطايا حسب الإعلان الرسمي إلى بذل المساعدة للشعب الفلسطيني، غير أن الحكومات الغربية تعتقد أن المستفيد الفعلي هو حماس واتخذت ضوابط لإغلاق هذه الشبكات. وفي الولايات المتحدة الأمريكية، كما سنرى، فإن قضية الحكومة ضد واحدة من الجمعيات الخيرية، مؤسسة الحرمين، قادت إلى أكبر قضية تمويل للإرهاب بالبلاد على الإطلاق وإدانة عدد من قادة الإخوان الأمريكيين البارزين.[89]

وخارجياً كان التحريك من قبل الإخوان الغربيين الجدد كثيفاً كذلك ومركزاً على محاولة التأثير في السلوك الغربي تجاه حماس وإسرائيل. وبصورة علنية و اعترافهم بأنهم استخدموا، بصورة تهكمية، نموذج المنظمات الصهيونية، حاول الإخوان الغربيون الجدد تطوير مجموعة ضغط قادرة على الوصول إلى كل من الرأي العام وصانعي القرار. لقد حاولوا أن يصفوا أنشطة حماس بالمقاومة الشرعية ضد الاضطهاد الوحشي. فإذا تم وصف نضال حماس داخل المجتمع المسلم بعبارات دينية على أنه جهاد مشروع ضد معتدين غير مسلمين،، فإنه في الغرب صيغ في إطار مفاهيم تجد القبول لدى الغربيين وتروق لهم، مثل مناوأة

(89) الولايات المتحدة ضد مؤسسة الحرمين وآخرين. القضية سيتم تناولها بالتفصيل في الفصل السابع.

الإمبريالية وتقرير المصير ومناهضة العنصرية. و في بلدان مختلفة حاول الإخوان عقد مقارنات لتجد قبولاً عاطفياً خاصاً لدى العامة: ففي إيطاليا وفرنسا، على سبيل المثال، يتم مقارنة مقاتلي حماس، في كثير من الأحيان، بالمحاربين الذين حاربوا ضد النازية في الحرب العالمية الثانية، وفي الولايات المتحدة الأمريكية تمت مقارنتهم بجورج واشنطن وبالمستعمرين الأمريكيين الذين سعوا إلى الحرية من انجلترا.

إن مشاركة الإخوان الغربيين الجدد في النضال الفلسطيني، وخصوصاً نضال حماس، قوية جداً لدرجة أنها تسببت في استثناءات لجانبين رئيسين من جوانب طريقة عملهم. ففي المقام الأول، نجد أن الإخوان الغربيين الجدد ظلوا يقللون، علناً، من ارتباطهم بحركة الإخوان المسلمين العالمية، معتقدين أن مثل هذا الارتباط سيعمل على الإضرار بسمعتهم لدى كثير من الغربيين. غير أن تمسكهم بالمبادرات السياسية أو مبادرات جمع الأموال للحركة الإسلامية العالمية كشف عن روابط أتت على الإخوان بعواقب سياسية أو في بعض الحالات، قانونية وخيمة وخطيرة. فقد لاحظ المراقبون، على سبيل المثال، أن الاحتجاجات ضد إسرائيل في الغرب كانت تنسق، في كثير من الأحيان، مع تلك التي يقوم بها الإخوان المسلمون في الشرق الأوسط. وليس بغريب إذاً أن يقوم الناشط في حركة الإخوان المسلمين، كمال الهلباوي، المقيم في لندن، بالكشف، خلال حرب إسرائيل على قطاع غزة في يناير 2009م، عن شبكات للإخوان المسلمين في أكثر من ثمانين بلداً، نسقت نشاطها وأن الإخوان كانوا قادرين على جعل المتظاهرين يرددون نفس الشعارات

في نفس اليوم في كل من القاهرة ولندن.[90] وبالمثل،كشفت تحريات الشرطة عن الجمعيات الخيرية عن كم هائل من الأنشطة الاستخباراتية تشير إلى أن الروابط بين الإخوان الغربيين الجدد وجماعات الحركة الإسلامية الأخرى عبر العالم أكبر بكثير عما كشف عنه سابقاً.

علاوة على ذلك، فإن دعم الإخوان الغربيين الجدد المفتوح لحركة حماس أفضى بهم إلى تسويغ أعمال لا يمكن الدفاع عنها أخلاقياً لدى كثير من الغربيين.

لقد كافح الإخوان دائماً من أجل أن يقدموا أنفسهم بطريقة مقنعة للتعبير عن آرائهم بصورة علنية، وبطريقة تبدو معقولة ومقبولة حتى لأولئك الغربيين الذين لا يتفقون معهم. ففي دفاعها عن حماس، كانت معظم منظمات الإخوان المسلمين الغربية ثابتة في رفضها إدانة التفجيرات الاستشهادية و الهجمات على المحتلين الإسرائيليين والأعمال الأخرى التي تنظر إليها الأغلبية الساحقة من الغربيين بوضوح على أنها أعمال إرهابية. إن الإخوان الغربيين الجدد يتأرجحون بين الموافقة التامة على مثل هذه الأساليب و البيانات المستترة التي يؤيدون فيها حق الفلسطينيين في الدفاع عن أنفسهم «بأي تكتيك يرونه مناسباً». وعلى أي حال، حاول الإخوان بصورة ثابتة استخدام نفوذهم لتصوير أعمال حماس على أنها مقاومة مشروعة أكثر من أنها إرهاب.

---

(90) مقابلة مع كمال الهلباوي، صحيفة المصري اليوم، 2 فبراير 2009. موقع الصحيفة:
http://www. almasry-alyoum. com/printerfriendly. aspx?ArticleID=197210.

هل هو فتح إسلامي؟

إن مناقشة أهداف الإخوان الغربيين الجدد ركزت حتى الآن في أهداف الحركة لكل من المديين القصير والمتوسط. لكن كيف يرى الإخوان أنفسهم و الغرب على مدى خمسين أو مائة عام؟ إذا كان هدفهم المعلن هو إقامة نظام إسلامي، سواء أكان دولة إسلامية خالصة، أم «ديمقراطية إسلامية» حسبما تم رؤيته والتفكير فيه مؤخراً من قبل بعض الإخوان الجدد، فما أهدافهم للغرب؟ إن تقويم الأهداف طويلة المدى للحركة الإسلامية يعد حتمياً، لكي نحدد الكيفية التي يتم بها توريط أعضائها، غير أن العملية أوجدت اختلافات ضخمة وسط صانعي السياسة والمعلقين.

يجادل المتشائمون، بدءاً بالآباء الأوائل للحركة، بأن الإسلاميين يعبرون دائماً عن رؤيتهم للإسلام على أنه دين ونظام سياسي وهبه الله ليس للمسلمين فقط، بل للبشرية جمعاء. و تشير بعض الكتابات إلى أن عدداً من المفكرين الإسلاميين الأوائل أرادوا للإسلام أن يسود جميع أنحاء المعمورة. فقد كتب البنا، على سبيل المثال، أنه بعد تكوين الدولة الإسلامية في العالم الإسلامي «فإننا لن نقف عند هذه النقطة، بل سنتتبع هذه القوة الشريرة إلى داخل أرضها، ونغزو أرضها الغربية ونقاتل للتغلب عليها حتى يتنادى العالم بأسره باسم الرسول، صلوات الله وسلامه عليه،وتعم تعاليم الإسلام جميع أنحاء العالم. عندها فقط سوف يحقق المسلمون هدفهم الأساسي، ولن يكون هنالك أي اضطهاد وسيكون الدين

كله لله. [91] كذلك كتب المودودي أن «الإسلام يرغب في أن يحطم كل الدول والحكومات التي تتعارض مع فكر الإسلام وبرنامجه في أي مكان على وجه الأرض، بغض النظر عن البلد أو الأمة التي تحكمه». [92]

حتى مع بقاء البنا والمودودي نجوماً مشهورة في الحركة يتم الاهتداء بها فكرياً، فإنه لا يمكن الجزم بأن الإخوان الجدد قد تبنوا كل آرائهم. و يجادل المتفائلون بأن الحركة قد تطورت بدرجة كبيرة عبر الوقت، وأن الأجيال الجديدة، خاصة تلك التي نشأت وترعرعت في الغرب، قد عملت على تهذيب أفكارها عن علاقة الإسلام بالغرب. حتى وإن كان الناشطون الجدد يمانعون في تحدي القيادة علناً، إلا أن لهم رؤيتهم الدينية والسياسية. [93] فبينما هم متمسكون ببعض الميراث الفكري للجماعة، نجدهم ينأون بأنفسهم تدريجياً عن معظم جوانبها القتالية، و يعملون كعناصر لإعادة التكوين الداخلي بترو وأناة لتكييف التقاليد مع الحاضر المعاش. و بمجرد أن يتولى هذا الجيل الجديد زمام القيادة بالكامل، كما يقول المتفائلون، فإنه سيعمل على تحريك تنظيمات الإخوان في اتجاه جديد ويطهرون فكرهم من بعض الآراء التي يحملها الحرس القديم.

يجادل المتشائمون بأن تصريحات الإخوان الجدد المناصرة

(91) Mary Habeck, Knowing the Enemy (New Heaven: Yale University Press, 2006),31-32

(92) Sayyeed Abdul-Ala Maududi, Jihad in Islam(Lahore, Pakistan: Islamic Publications),9

(93) Interview with Peter Mandaville, Washington, October 2008

للمشاركة المدنية والاندماج هي تكتيك ماكر ومخادع لتعزيز أهدافهم. كما يجادلون أيضاً بأن الإخوان الغربيين الجدد قد فهموا بصورة عملية أن التعبير عن رغبتهم في تحويل الغرب إلى جزء من دولة إسلامية عالمية سيأتي بنتائج عكسية، لكنهم لا يزالون يشاطرون المؤسسين حلمهم. علاوة على ذلك يشير المتشائمون إلى سلسلة من المستندات والبيانات كدليل على هذا الهدف الحقيقي. هنالك مستند كثيراً ما يورد كشاهد على قضيتهم كتب عام 1992م من قبل محمد أكرم، وهو عضو في الفرع الأمريكي للإخوان المسلمين. وهذه المذكرة الداخلية ذات الثماني عشرة صفحة أرسلت للفروع الأمريكية الأخرى بعنوان «مذكرة تفسيرية حول الأهداف الاستراتيجية للجماعة في أمريكا الشمالية» قدمت دليلاً من السلطات الفيدرالية في قضيتهم حول تمويل الإرهاب ضد مؤسسة الحرمين». (94)

إن التكتيكات و الأساليب التي حددت، بالتركيز في المرونة، الحاجة إلى منظمات وأسلوب علمي غالباً ما تطابقت مع تلك المحددة قبل عشرة أعوام في «المشروع»، غير أن أكرم كان أكثر دقة من المؤلف الأول المجهول، في تحديده أهداف الجماعة في الغرب. ويبين أكرم «أن عملية الاستيطان في أمريكا هي عملية حضارة جهادية بكل ما تعنيه الكلمة. «يجب أن يفهم الإخوان أن عملهم في أمريكا هو نوع من الجهاد الأكبر نحو تحطيم الحضارة الغربية ومحوها من الداخل، تخريب بيتهم البائس بأيديهم وبأيدي المؤمنين، حتى يتم محوه ويكون دين الله منتصراً على كل

---

(94) مذكرة تفسيرية حول الأهداف الاستراتيجية للجماعة في أمريكا الشمالية، المعروض الحكومي 003-0085 في قضية الولايات المتحدة ضد مؤسسة الحرمين وآخرين.

الأديان. ومن دون هذا المستوى من الفهم فلسنا على قدر هذا التحدي ولم نجهز أنفسنا للجهاد بعد.»

إن كثيراً من الإخوان، بينما لا يشككون في مصداقية هذه المستندات، نجدهم يقللون من أهميتها. و يدّعي ندا بأن «المشروع» من الصعب آن نسميه خطة عمل رسمية للإخوان، وإنما هو مقترح كتب من قبل شخص ما، لا يذكر اسمه، قبل ثلاثين عاماً ولم يتم توزيعه حتى داخل دوائر الإخوان. (95) أما فيما يختص بمذكرة أكرم، فإن معظم الإخوان يرون أنها تمثل رأي مؤلفها، وهو عضو من المستوى المتوسط من الأعضاء لم تتم إجازته من الجماعة الكبرى. ويصف مهدي براي، مدير الجمعية الإسلامية الأمريكية، وهي مجموعة ترجع بأصولها إلى الفرع الأمريكي لجماعة الإخوان المسلمين، مذكرة أكرم بأنها نوع من «التمني» و قال لمحطة «دالاس مورننغ نيوز» في أثناء المحاكمة الخاصة بمؤسسة الحرمين أنني لن أكون صادقاً إن لم أقل إن هؤلاء وأمثالهم هم بعض من بقايا الزمن القديم، ممن يودون التمسك بأهداب النهج القديم، من الذي يقول أن هذا يجب أن يكون نموذجنا.» لقد قلنا «ثم ماذا؟ إن ذلك لا يصلح هنا. لقد كنا عنيدين في ذلك». (96)

ويعتقد المتشائمون، على أي حال، أن المستندين، اللذين كتبا للاستهلاك المحلي، يقدمان لمحات لا تقدر بثمن عن الأهداف الحقيقية للإخوان الجدد وتفضح زيف مظهرهم الكاذب بمناصرة الاندماج. ويجادل

(95) مقابلة مع يوسف ندا في فيلا كمبيوني دي إيتالي، 14 يوليو 2008.

(96) Jason Trahan, "Smoking Gun' Holy Land Foundation Trail Document Still Viral, Spawns a New Film," Dallas Morning News, May 23,2009

المتشائمون كذلك بأنه من الصعب أن تكون فكرة غزو الإسلام الغرب وبقية العالم قاصرة على قلة من مقاتلي المستوى الثاني وإنما تم الترويج لها من قبل عدد من الإخوان الكبار خلال الأعوام القليلة الماضية. في أثناء الحملة نفسها التي أماطت اللثام عن «المشروع»،في الحقيقة، عثرت السلطات السويسرية على شريط فيديو مع صور لرحلة إلى أفغانستان في 1993م قامت بها مجموعة من كبار قادة الإخوان المسلمين لتهنئة القادة الأفغانيين الإسلاميين على نصرهم ضد الاتحاد السوفييتي. وكان في قيادة المجموعة زعيم الإخوان المسلمين المصرية،مصطفى مشهور، وشملت زعيم جماعة الإسلام، غازي أحمد حسين، ومؤسس التقوى،غالب همت،ويوسف القرضاوي. ومشهور، القائد ذائع الصيت الذي أمضى معظم سني الثمانينات في ألمانيا، أدلى بكلمة لم تنشر خارج دوائر الجماعة. و قد بدأ كلمته بالثناء على الأفغان بنصرهم، وقال إن الجهاد يجب أن يستمر لتحرير أراض إسلامية أخرى محتلة، من فلسطين إلى الهند والشيشان. لكن مشهور لم يقف هنالك وقال :»أؤكد لكم وأطمئنكم أما وأن الاتحاد -السوفييتي قد سقط كذلك سوف تخضع أمريكا والغرب ويستسلمون بعون الله». (97)

في قضايا أخرى، لم يكن لقادة الإخوان المسلمين أي ارتياب أو مخاوف في التعبير علناً عن اعتقادهم ورغبتهم في أن يغزو الإسلام الغرب. ففي عام 2004، أعلن محمد عاكف، الذي كان وقتها مرشداً لجماعة الإخوان المسلمين المصرية، عن «إيمانه القاطع بأن الإسلام سوف يغزو أوروبا وأمريكا، لأن الإسلام لديه منطق ورسالة « و أضاف»

(97) Besson, La Conquete de lÓccident, 151.

سوف يأتي الأوروبيون والأمريكيون إلى حضن الإسلام عن اقتناع». [98] وقد عبر القرضاوي مراراً عن الرأي نفسه. وفي كلمة له عام 1995م أمام مؤتمر إسلامي في توليدو بولاية أوهايو، أبان القرضاوي» سوف نغزو أوروبا، سوف نغزو أمريكا ليس بالسيف ولكن بالدعوة». [99] وفي فتوى صدرت على موقع «إسلام أونلاين» عام 2002م كرز المفهوم نفسه « سوف يعود الإسلام إلى أوروبا كفاتح ومنتصر بعد أن أخرج منها مرتين. إنني أؤكد أن الفتح هذه المرة لن يكون بحد السيف ولكن بحد التبشير وسمح العقيدة». [100]

إن فكرة القرضاوي عن الفتح الإسلامي للغرب من خلال الدعوة يصعب أن نقول عنها إنها جديدة وقد طورت بصورة منظمة خلال الثمانينيات والتسعينيات من قبل عدد من الإخوان الغربيين الجدد. وقد نشر المفكرون الموجودون بالغرب والمنتمون إلى شبكة الإخوان المسلمين، مقالات مكثفة تحدد وتوضح الوسائل لتحقيق ذلك. واحد من هؤلاء المؤلفين وأكثرهم بروزاً ويقرأ له بصورة واسعة هو المرحوم خرّام مراد عضو الجماعة الإسلامية الذي خلف في عام 1988م خورشيد أحمد في زعامة مؤسسة ليستر الإسلامية. ففي كتاباته، التي توزع بصورة واسعة بواسطة المؤسسة في أوروبا وبواسطة الجمعية الإسلامية لأمريكا

---

(98) «زعيم الإخوان المسلمين الجديد: المقاومة في العراق وفلسطين مشروعة، أمريكا هي الشيطان، الإسلام سيغزو أمريكا و أوروبا» معهد ميمري، رسالة خاصة رقم 655، 4 فبراير 2004.

(99) كلمة يوسف القرضاوي في مؤتمر جمعية الشباب العربي المسلم(مايا)، 1995، مدينة توليدو، اوهايو. نص الكلمة على الموقع:

http://www. investigativeproject. org/profile/167#_ftn3(accessed October 9,2008)

(100) الشيخ السني الكبير يوسف القرضاوي وشيوخ آخرون يبشرون بهزيمة الروم القادمة، معهد ميمري، رسالة خاصة رقم 447، 6 ديسمبر 2002.

الشمالية في الولايات المتحدة والمتوافرة اليوم مجاناً في العشرات من مواقع منظمات الجماعة الجديدة للإخوان المسلمين الغربيين على الانترنت، يحدد مراد رؤيته لانتشار الإسلام في الغرب. (101) لكن إذا كانت الدعوة واجباً على كل المسلمين، فإن مراد، مثله مثل بقية واضعي استراتيجية الدعوة بالغرب من الإخوان المسلمين أمثال شميم صديقي، و سعيد حوى، يوضح بجلاء أن دعوة الحركة الإسلامية معني بها «التأكيد على توضيح أهمية» أن مفهوم التغيير الكلي وسيادة الإسلام في المجتمع الغربي هو هدفها النهائي». (102) وذلك «الهدف النهائي»، كما يؤكد مراد في مقال آخر، «يجب أن يكون تأسيس مجتمع مبني على القرآن والسنة». (103)

في عام 1995م، كتب صديقي (Siddiqi) الذي عمل رئيساً لقسم الدعوة و النشر بالدائرة الإسلامية لشمال أمريكا،ورقة مركزة عن دعوة الحركة في الولايات المتحدة يقول فيها الناشط، المولود بالهند،:إن أمريكا توفر فرصة كبيرة : فهي «حكومة قانون» وبلد « فيه الإجراءات الديموقراطية عميقة الجذور» والنظام القضائي «مستقل ويدافع عن

---

(101) Larry Boston, Islamic Da'wah in the West(New York: Oxford University Press, 1992),81-83. Murad's most famous works are The Islamic Movement in the West: Reflections on Some Issues(1981) and Da'wah Among Non-Muslims in the West(1986).

(102) Cited in Poston, Islamic Da'wah in the West,82

أعمال شميم صديقي الناشط الهندي المولد الذي لحق بالجماعة الإسلامية في 1952 ثم انتقل إلى الولايات المتحدة في 1976 عن الدعوة موجودة على موقعه على الشبكة العنكبوتية:

http://www. dawainamericas. com/

(103) Khurram Murad, “Islamic Movement in the West: Reflections on Some Issues,” in Muhammad Mumtaz Ali, ed. , Modern Islamic Movements: Models, Problems and Perspectives(Kuala Lumpur: Noordeen, 2000),274.

حقوق الإنسان ويحميها بقوة ». [104] «إن أمريكا» كما يقول صديقي «بذلك توفر الفرصة الجيدة لانتشار الإسلام فيها». ويجادل بأن انتشار الحركة الإسلامية في أمريكا «سوف يكون جبهة أخرى بجانب الحركة الإسلامية في الأقطار الأخرى، لتمهد الطريق أمام نجاح الحركات في العالم الإسلامي». «إذا تم بناء حركة إسلامية في أمريكا تبين أوجه القصور في الرأسمالية،وتعمل على الإبراز بصورة واضحة لمغالطات الديمقراطية مع الشرح والتوضيح بصورة حيوية لنظامها هي وتظهر النتائج المدمرة لنمط الحياة الليبرالي فهنالك إمكانية لأن يفكر الشعب الأمريكي في التحول إلى نظام آخر أفضل، ولعقيدة أفضل». [105] وبصورة مماثلة، يجادل أحمد صقر (Ahmad Sakr)، مؤسس اتحاد الطلاب المسلمين (MSA) والممثل السابق لرابطة العالم الإسلامي في الأمم المتحدة، بأنه«نتيجة لجهدنا المثابر، فإن أمريكا ستصبح بلداً مسلماً خلال عقدين من الزمان أو ثلاثة». [106]

بعض المتفائلين يدحضون هذه التصريحات،لأنها لا تمثل الوضع الحالي للإخوان المسلمون الجدد في الغرب. وهم في ذلك يستندون إلى التصريحات الأخرى التي عبر فيها الإخوان الغربيون الجدد عن رغبتهم في التعايش بصورة متناغمة مع أصحاب المعتقدات الأخرى، وحصر

---

(104) Shamim A. Siddiqi, Ïslamic Movement in America: Why?"in Amber Haque, ed. , Muslims and Islamization in North America: Problems and Prospects(Beltsville, MD: Amana Publications, 1999).

(105) Ibid.

(106) احمد حسين صقر» مستتقبل الإسلام في أمريكا الشمالية» مقال في مجلة رابطة العالم الإسلامي، إبريل 1975، السيرة الذاتية لصقر على الموقع الخاص به على الشبكة المنكبوتية
http://www. ahmadsakr. com/bio. html

أهدافهم في الحفاظ على الهوية الشخصية الإسلامية للمسلمين في الغرب. ويرد المتشائمون موضحين أن رؤية استيلاء الإسلام على الغرب قد تم التعبير عنها بصورة ثابتة في السنين الأخيرة، من قبل القادة الكبار للإخوان المسلمين، لم يتم شجبها بصورة مباشرة من قبل الإخوان الغربيين الجدد. ويرى المتشائمون ذلك بأنه واحد من الموضوعات التي يعمل الإخوان فيها على الاستعانة براديكالية من الخارج تتيح لقادة الإخوان غير الغربيين مثل القرضاوي ليتكلم فيما يعتقد فيه الإخوان الغربيون الجدد ولا يستطيعون قوله.

يجب ملاحظة أن الإخوان الغربيين الجدد دائماً ما يصرحون بأن مثل هذا الغزو المزعوم سوف يكون سلمياً. كثير من الحركات السياسية والدينية تأمل في أن يعتنق كل العالم ما تراه: وبالمثل، فإن الإخوان، بالتعبير عن رغبتهم في غزو الغرب من خلال الدعوة، فإنهم، ببساطة، يأملون في أن يأتي اليوم الذي تعتنق فيه البشرية قاطبة الإسلام. إن الإخوان، مدفوعون باعتقادهم الراسخ في سيادة الإسلام على غيره من دين أو نظام حياة، يريدون ببساطة أن ينشروا رسالتهم بالوسائل السلمية، وهم على قناعة بأن جميع الناس إذا شاهدوا جمال الإسلام، أو الأفضل أن نقول تفسيرهم له، فإنهم سيعتنقونه طوعاً واختياراً. (107) «بحسبان أن الأرض حلبة للإسلام» يصرح طه العلواني من المعهد العالمي للفكر الإسلامي (IIIT›s Taha al Alwani) في فتوى مباشرة حول مشاركة المسلمين في النظام السياسي الأمريكي:» فإن الله وعد بأن يرثها عباده المؤمنون ووعد

(107) لايمان الإخوان أن المستقبل للإسلام انظر: Wickham, Mobilizing Islam, 172

بأن الإسلام سوف يسود على بقية الأديان». (108) وكذلك يدرك الإخوان جيداً أن الهجرة، ومعدلات الولادة العالية، والتحول إلى الإسلام تسهم في زيادة لا تتوقف للمسلمين في أووربا و أمريكا الشمالية. و على الرغم من أنهم نادراً ما يتحدثون عن ذلك بصورة علنية، إلا أن الإخوان يرون في هذا التحول السكاني وجهودهم في الدعوة عوامل قد تؤدي إلى تغييرات جذرية في تركيبة الغرب الاجتماعية والسياسية والدينية.

ولفهمهم أن هذه الأحاديث والخطب قد تبعث عدم الارتياح لدى كثير من الغربيين، فإن الإخوان الغربيين الجدد قد احتفظوا بشيء من الغموض في أهدافهم على المدى الطويل. «إذا ظل المجتمع المسلم المثالي هدفاً يعترف كثير من الأعضاء بعدم تنفيذه أبداً في أوروبا» تقول بريجيتي ماريشال (Brigitte Marechal) في إحدى كتاباتها: «إن آخرين لا يزالون على ثقة من أن جهودهم سوف تثمر: إنهم يراهنون على نسبة الزيادة الديموغرافية في عدد المسلمين، وفي إعادة روحانية الإسلام في أوروبا، آملين في أن طموحاتهم قد تتحقق في المستقبل القريب أو البعيد». (109) و بوصفها حركة مثال في التفكير العملي، لا ترى حركة الإخوان الغربيين أي مزية في جذب انتباه غير مرغوب فيه من خلال التعبير علناً عن رؤية شيء، حتى مع أكثر الآراء تفاؤلاً، يقع في المستقبل البعيد، لذلك هم يميلون إلى تفادي التأكيد العلني لرؤيتهم حول غزو الغرب الذي يبشر به القرضاوي وعدد من القادة الروحيين الآخرين.

(108) طه جابر علواني» مشاركة المسلمين في النظام السياسي الأمريكي» إسلام أونلاين نت:
http://www. islamonline. net/english/Politics/2001/1/Article7. shtml

(109) Brigitte Marechal, The Muslim Brothers in Europe :Roots and Discourse(Leiden/ Boston: Brill, 2008),269

مع عدم وجود جدول زمني معد مسبقاً للوصول إلى هدفهم، فإن الإخوان الغربيين الجدد يمكنهم المضي قدماً في تنفيذ أهدافهم للمديين القصير والمتوسط لمعرفتهم أن الإعلان عن آمالهم للمدى الطويل بصوت مسموع قد يؤدى إلى تمحيص و مواجهات لا داعي لها ويسعون إلى تفاديها. لكن في الأحاديث الداخلية فإن من الثوابت فكرة أن الإسلام، مع الوقت، ليس من خلال مؤامرات سرية أو عنف لكن من خلال العمل الدوؤب الذي ينطوي على الدعوة والحميمية مع النخبة الغربية، سيكون الدين الأوحد وسوف يظهر على الدين كله في العالم. ففي فتوى صدرت عام 2003م لخص مزمل صديقي (Muzammil Siddiqi)، أحد خريجي جامعة هارفارد، وعمل في أواخر التسعينيات رئيساً للجمعية الإسلامية لأمريكا الشمالية (ISNA)، لخص بدقة دواعي الإخوان الغربيين الجدد للمشاركة في النظم السياسية وهدفهم النهائي:

بالمشاركة في نظام غير إسلامي لا يمكن للشخص أن يحكم بالذي أوصى به الله. لكن الأشياء لا تتبدل بين عشية وضحاها. إن التغيرات تأتي من خلال الصبر والأناة، والحكمة، والموعظة الحسنة والعمل المضني. إنني أؤمن بأننا كمسلمين يجب علينا المشاركة في النظام لحماية مصالحنا ومحاولة إدخال التغيير المتدرج للقضية الصائبة، قضية الحق والعدالة. يجب علينا ألا ننسى أن أحكام الله يجب أن تؤسس وترسخ في الأرض قاطبة، وأن تقودنا جهودنا في ذلك الاتجاه. (110)

---

(110) المسلمون يشاركون في المجالس المحلية الأمريكية، فتوى مزمل صديقي، إسلام اونلاين نت، 1 اكتوبر 2003:

http://www. islamonline. net/servlet/Satellite?pagename=Islam Online-English-Ask_ Scholar/FatwaE/FatwaE&cid-1119503544898(accessed January 26,2009).

الجزء الثاني من الحجة عبر عنه صديقي مستخدمين الكلمات نفسها في جلسة سؤال وجواب مع القراء نشرت في 18 اكتوبر 1996، مجلة باكستان لينك الأمريكية.

الفصل الرابع

مأزق الحكومات الغربية

انطوت الفصول السابقة على وصف الإخوان المسلمون الجدد في الغرب بأنهم مشاركون واقعيون يعملون داخل الإطار الديموقراطي، لأجل تحقيق أهدافهم السياسية، وأنهم مرشحون رئيسيون للاضطلاع بدور تمثيل الجالية المسلمة في الغرب، استناداً على ما لديهم من موارد، وعطفاً على ما يميزهم من نشاط حركي. ومن المهم في هذا المقام الوقوف على مدى صلاحية الإخوان الغربيين الجدد للدور المرتقب منهم في هذا الصدد، ومدى استيفائهم استحقاقات ذلك الدور وفقاً لمقتضيات بحث الحكومات الغربية عمن يتحاورون معهم من داخل الجالية المسلمة بالبلد المعني. هل تدرك الحكومات الغربية رغبة الإخوان في المشاركة في العملية الديموقراطية،وتتعامل معها بحسبانها رغبة أصيلة نابعة من القلب وصادرة عن قناعات صادقة وحقيقية؟ أم أنها مبنية على حسابات تكتيكية ومرحلية؟ وهل تعتقد تلك الحكومات أن أيديولوجية الإخوان متطابقة مع متطلبات الحياة في ظل ديمقراطية غربية علمانية؟ وهل بوسعهم أن يصبحوا محاورين للحكومة ووسطاء جديرين بالثقة ويمكن الاعتماد عليهم، ويكون بمقدورهم المساعدة على دمج المهاجرين وأطفالهم في

التيار الاجتماعي العام؟.

تنطوي الإجابة عن الأسئلة المطروحة أعلاه على انعكاسات وتداعيات متعددة على سياسات الدول الغربية الرامية إلى تحديد كيفية التعاطي مع الجاليات المسلمة في الغرب. وسوف تتبلور القرارات على المديين القريب والبعيد حول السياسة الداخلية، على ضوء تحديد ما إذا كان الإخوان الجدد في الغرب يعدون أصدقاء محتملين، أم أنهم عدو مخادع، أم هم بين هذا وذاك. بيد أن عملية صنع القرارات واتخاذها حول هذا الموضوع في جميع الدول الغربية تقريباً لا يوجد لها أي وصف سوى أنها عملية يكتنفها الغموض والازدواجية والانفصام، وتنطوي على الشيء وضده، ومن الواضح أنه ليس بمقدورها التوصل إلى قرار حاسم وجازم بشأن الإخوان وتوجههم الإسلامي الخالي من العنف. ففي هذا السياق يتحدث خوان زارات (Juan Zarate) أحد أكبر المسؤولين الأمريكيين المعنيين بمكافحة الإرهاب، فيقول: «تتمثل أوجه التعقيد في أن (الإخوان المسلمين) هم عبارة عن حركة سياسية وحراك أو كادر اقتصادي وفي بعض الحالات من الممالئين للإرهاب» وأردف «زارات» قائلاً في مقابلة أجرتها معه ذي واشنطن بوست في عام 2004م: «إن لديهم رِجْلاً في عالمنا وأخرى في عالم معادٍ لنا. أما كيفية فك الشيفرات للتمييز بين ما هو جيد وما هو رديء وما هو موضع شك وارتياب، فهي عملية شائكة بالغة التعقيد»[1].

(1) John Mintz snd Douglas Farah, "In Search of Friends the Among :U. S. Hopes to Work with Diverse Group," Washington Post, September 11,2004.

تعكس ملاحظات «زارات» وتعليقاته أعلاه عمق المأزق الذي يجد معظم المسؤولين الغربيين أنفسهم متورطين فيه عند إقدامهم على تقييم أو تقدير حالة الإخوان الجدد في الغرب، والأنكى من ذلك عند وضع السياسات الخاصة بالتعامل مع الإخوان،ذلك أن التقييم ومباشرة العمل هما المرتكزان اللذان تقوم عليهما عملية صنع القرار فيما يتعلق بتنظيمات الإخوان الجدد في الغرب. أما عملية التقييم، فهيَ النشاط الأول للحكومات الغربية من حيث الترتيب المنطقي والتسلسل الزمني في سعيها الحثيث في تحديد كنه الحركة وماهية طبيعتها. وأما مباشرة العمل والانخراط فيه فهي عملية قوامها سلسلة القرارات المتخذة نظرياً، إثر تقييم محدد مسبقاً حول كيفية التعاطي المتفاعل مع الحركة. إن السياسة المتبعة تجاه الإخوان الغربيين الجدد شائكة يكتنفها التعقيد وتتميز بالاختلافات الواضحة بين بلد وآخر. ومع هذا، هنالك أنماط مشتركة للتأثير في تلك السياسة على نطاق الغرب، وإن كان ذلك خلال أطر زمنية مختلفة وبدرجات متفاوتة من الكثافة والتركيز.

تقييم الإخوان المسلمين الجدد في الغرب

إن معطيات تقييم الإخوان الغربيين الجدد شديدة الشبه، وثيقة الصلة بمخرجات تقييم الحركة الإسلامية العالمية، إذ ينقسم المحللون بين متفائل ومتشائم. وبتحديد أكثر يحتج المتفائلون بأن الإخوان الجدد في الغرب لم يعودوا مسكونين بهوس إقامة الدول الإسلامية في العالم الإسلامي، إذ لم يعد هذا هو شغلهم الشاغل، وإنما تحولت بوصلة اهتماماتهم فأصبح تركيزهم منصبّاً على القضايا الاجتماعية والسياسية

التي تهم المسلمين في الغرب[2]. إن أهدافهم الرئيسة هي ببساطة الذود والمنافحة عن مصالح المسلمين في الغرب، ونشر المناقب والقيم والفضائل الإسلامية بينهم. إن الإخوان الجدد في الغرب هم عبارة عن قوة اجتماعية محافظة. وعلى النقيض من الحركات الأخرى التي كثيراً ما يتم تصنيف الإخوان الجدد في الغرب ضمنها عن طريق الخطأ، فإن الإخوان المسلمين الجدد في الغرب يشجعون ويحضون على دمج الجاليات الإسلامية في الغرب في التيار الاجتماعي العام ويقدمون أنموذجاً يحتذيه المسلم الذي يمكنه أن يعيش أجواء عقيدته تماماً في جميع أبعادها، ويفي بجميع متطلباتها ويحافظ على هويته الإسلامية الراسخة، وأن يكون في الوقت نفسه مواطناً صالحاً يشارك بهمة وحماس في أنشطة مجتمعه[3]. وفوق هذا وذاك، يرى المتفائلون أن الإخوان الجدد في الغرب يرسلون إشارات إيجابية لشباب المسلمين ويحضّونهم على تسخير طاقاتهم وتفريغ إحباطاتهم وإفراغ وسعهم في مواعين العملية السياسية، عوضاً عن طواحين العنف أو الغلو والتطرف. وينبغي للحكومات أن تسعى إلى تسخير الأنشطة الأساسية التي يمارسها الإخوان الجدد في الغرب وتطويعها لتحقيق المصلحة العامة، مع وجوب التعاون معهم في القضايا العامة والهموم المشتركة مثل البطالة والجريمة والمخدرات والتطرف.

أما المتشائمون، فهم يرون أن الإخوان الغربيين الجدد ذوو طبيعة

(2) See, for example, Alexandre Caeiro and Mahmoud al-Saify," Qaradawi in Europe, Europe in Qaradawi? The Global Mufti's European Politics," in Bettina Graf and Jakob Skovgaard-Petersen, eds. , The Global Mufti: The Phenomenon of Yusuf Alqaradawi(New York: Colombia University Press, 2009), 111.

(3) Olivier Roy, Secularism Confronts Islam(New York Columbia University Press, 2007)94-98.

شريرة. ويجادل المتشائمون بأن الإخوان الجدد في الغرب يعكفون على تنفيذ برنامج هندسة اجتماعية ماضين قدماً في ذلك السبيل بخطى وئيدة ولكنها أكيدة، نتيجةً لما يمتلكون من موارد، وما يتصف به معظم الغربيين من سذاجة. ويذهب المتشائمون إلى أن البرنامج المذكور أعلاه يستهدف «أسلمة» السكان المسلمين الغربيين ويهدف في نهاية المطاف إلى الدخول في حلبة المنافسة مع الحكومات الغربية على كسب ولاء أولئك السكان. يتهم المتشائمون الإخوان الغربيين بأنهم حصان طروادة المعاصر، وأنهم متورطون في عملية هدم وتدمير تجري على قدم وساق في الخفاء بهدف زعزعة وإضعاف المجتمعات الغربية من داخلها، ويعملون بصبر وأناة على إرساء الأسس لنظام إسلامي بديل[4]. أما حقيقة أن الإخوان الجدد في الغرب لا يستخدمون العنف ولكنهم يشاركون بهمة وحماس في العملية الديموقراطية، فيتم النظر إليها من زاوية أنها مجرد عملية حسابية مدروسة وخطوات محسوبة من قبلهم. وإدراكاً من الإخوان الجدد في الغرب لأنهم لا يزالون يمثلون قوة ضعيفة نسبياً وإقراراً منهم بذلك، فقد آثروا اللجوء إلى تكتيك أو أسلوب مرحلي مختلف هو: الدخول في علاقة صداقة مع مؤسسة الحكم أو المؤسسة القائمة على شأن الدولة.

وفقاً للمتشائمين، أدرك مسؤولو المنظمات المرتبطة بالإخوان المسلمين أن الطريقة المثلى لوصولهم إلى مبتغاهم وحصولهم على ما يريدون إنما يتمثل في التسلل خلسةً إلى داخل النظام عوضاً عن شن الهجوم الكاسح عليه مباشرة. وبكل حال فإن المواجهات المباشرة مع

(4) التعبير مستخدم، على سبيل المثال، من قبل النائب البرلماني البريطاني مايكل غوف في كتابه Celsius 7/7 (London: Phoenix, 2006),84-113.

الغرب، على غرار المواجهات التي شنتها المجموعات الجهادية مثل تنظيم القاعدة، لم تفض إلى أي نتيجة، على الأقل في الوقت الراهن، وأن من يقوم بها كمن يراوح مكانه ولا يؤدي شيئاً البتة. وقد أدرك الإخوان الجدد في الغرب، بمكر ودهاء، أن الأسلوب المثمر الأمثل إنما يتمثل في إقامة علاقات ودية ودافئة مع الصفوة في الغرب وكسب ثقتهم. ومن خلال اكتساب صفة الشركاء المفضلين لدى المؤسسة الغربية، يمكنهم أن يظفروا بقوة هائلة من شأنها مساعدتهم على توسيع دائرة أهدافهم. إنهم يستثمرون الرغبة الجارفة لدى الصفوة في الغرب في إقامة حوار مع أي ممثلين للجالية الإسلامية، وبذا يضعون أنفسهم على صدارة المشهد ويقدمون أنفسهم صوتاً يتحدث باسم المسلمين في الغرب ومن ثم فإنهم يستغلون القوة والصلاحيات والشرعية التي يحصلون عليها، نتيجة لعملية التفاعل على غرار ما سبق بيانه، لتعزيز موقفهم وترسيخ أقدامهم داخل الجالية.

يشير المتشائمون أيضاً إلى الطبيعة المزدوجة لدى الإخوان الجدد في الغرب، وآية ذلك وجود التباين الواضح للخطاب الداخلي للإخوان الغربيين مع خطابهم الموجه إلى الخارج. ففي وسائل الإعلام وعند الحوار مع الحكومات الغربية، يجاهر قادة الإخوان علناً بتأييد المجموعة للاندماج في التيار العام للمجتمع، والانخراط في أنشطته، وبتأكيد موقفهم الممالئ للعمل الديمقراطي مفصلين خطابهم على مقاس ما يدركون تماماً أن محاوريهم يودون سماعه[5]. ولكن عندما يتحدث

(5) Antoine Sfeir, Les Reseaux d'Allah:Les Filieres Islamistes en France et en Europe(Paris: Plon, 2001),51.

الإخوان الجدد في الغرب باللغة العربية أو باللغة التركية أو بالأوردية أمام زملائهم المسلمين فإنهم في الغالب يسقطون عنهم القناع الخارجي المخادع ويظهرون على حقيقتهم من خلال ترسيخ عقلية أو ذهنية («نحن» مقابل «هم») وهي بطبيعة الحال نقيض التسامح والرغبة في الاندماج. حتى عندما يظهر ممثلو الإخوان على شاشة التلفاز متحدثين عن الحوار بين الأديان والاندماج مع التيار الاجتماعي العام، فإن مواعظ مساجدهم تروج للكراهية، وتحذر المصلين من شرور المجتمع الغربي. وفي حين أنهم يدينون علناً مقتل الركاب في مترو مدريد، وأطفال المدرسة في روسيا فإنهم يواصلون جمع التبرعات لحركة حماس والمنظمات الإرهابية الأخرى. وعلى حد تعبير ألين تشوي (Alain Chouet) الرئيس السابق للاستخبارات الخارجية الفرنسية «كشأن أي حركة فاشستية على سدة الحكم، حقق الإخوان درجة متقنة من الطلاقة والتمكن من التحدث بلسانين في آن معاً»[6].

يبدو أن موقف تشوي يمثل تلخيصاً يستبطن الآراء التي جرى الجهر بها علناً، أو التعبير عنها سراً من قبل معظم وكالات الاستخبارات والجهات الأمنية على نطاق القارة الأوروبية. فقد وصفت وكالة الاستخبارات الداخلية البلجيكية على سبيل المثال أنشطة خلايا الإخوان المسلمين في البلاد بالعبارات التالية:

ظل جهاز أمن الدولة في حالة رصد ومراقبة لأنشطة التنظيم

(6) Alain Chouet," The Association of Muslim Brothers: Chronicle of Barbarism Foretold, "http://alain. chouet. free. fr/documents/M_B. htm" (accessed July 21,2008).

العالمي للإخوان المسلمين في بلجيكا منذ عام 1982م، حيث كان للتنظيم هيكل سري في بلجيكا لأكثر من عشرين عاماً. أما هوية أعضائه، فهي مجهولة؛ وهم يتوخون أقصى درجات الحرص والحذر والاحتراز في تحركاتهم، ويسعون إلى نشر أفكارهم الأيديولوجية داخل الجالية المسلمة في بلجيكا – مستهدفين بصفة خاصة شريحة الشباب من الجيلين الثاني والثالث من المهاجرين. ففي بلجيكا، كما هو الشأن في الدول الأوروبية الأخرى، يسعى الإخوان إلى السيطرة على الاتحادات الرياضية والدينية والاجتماعية؛ كما أنهم يسعون إلى تقديم أنفسهم محاورين متميزين أمام السلطات الوطنية، وحتى الأوروبية، لإدارة الشؤون الإسلامية وتسيير دفتها. يبني الإخوان المسلمون تقديراتهم على أساس أنه يوماً بعد يوم سوف يزداد اعتماد السلطات الوطنية على ممثلي الجالية الإسلامية لإدارة العمل الإسلامي؛ وفي هذا الإطار يحاولون فرض تعيين الأشخاص المتأثرين بأيديولوجيتهم في الأجهزة التي تضطلع بتمثيل الجالية. ولأجل هذا فإنهم يمارسون نشاطاً محموماً، ويظهرون حماساً شديداً في عملية انتخاب أعضاء الهيئة التي تتولى إدارة العمل الإسلامي (في بلجيكا). ثمة منحى آخر في هذه الاستراتيجية يتمثل في خلق بؤر التوترات، والعمل على استدامة التوتر الذي من خلاله يرون أن المسلم أو التنظيم الإسلامي ضحية للقيم الغربية؛ ومن أمثلة ذلك السجال الدائر حول ارتداء الحجاب في مدارس التعليم العام[7].

---

(7) تقرير اللجنة الدائمة لمراقبة خدمات الأمن والمخابرات إلى البرلمان البلجيكي في 19 يوليو 2002، انظر الموقع:
http://www. senate. be/www/?MIval=/publications/viewPubDoc&TID=33618007&LANG=fr#2-1171/1_112(accessed November 12,2008).

أما وكالة الاستخبارات الداخلية في هولندا (AIVD)، فقد كان تحليلها الغايات والأساليب الخاصة بالإخوان الجدد في الغرب يتسم بمزيد من الدقة والتحديد:

ليس كل الإخوان المسلمين أو المتعاطفين معهم معروفين بهذه الصفة. إنهم قلّما يميطون اللثام عن ولاءاتهم الدينية وأجندتهم شديدة التطرف للأطراف الأخرى. ومن الواضح أنهم كمتعاونين ومعتدلين في مواقفهم تجاه المجتمع الغربي ليس لديهم نوايا ومقاصد تنم عن العنف، وهذا أمر أكيد، ولكنهم يسعون إلى تعبيد الطريق وتمهيده أمام الإسلام المتطرف، لأجل الاضطلاع بدور أكبر في العالم الغربي والضلوع فيه من خلال ممارسة النفوذ الديني على جاليات المسلمين المهاجرين، ومن خلال إقامة العلاقات الجيدة مع قادة الرأي المعنيين بالأمر: من الساسة، ومسؤولي الخدمة المدنية، ومنظمات المجتمع المدني، ومؤسسات الدمج الاجتماعي، والعلماء غير الإسلاميين، والأكاديميين، والصحافيين، ومن في حكمهم. وقد أصبحت هذه السياسة الرامية إلى الانخراط والمشاركة أكثر وضوحاً في السنوات الأخيرة؛ ومن الوارد أن تفضي إلى إضفاء قدر معين من الليبرالية على أفكار الحركة. لقد دأبت الحركة على تقديم نفسها مدافعاً وممثلاً شرعياً للجالية المسلمة، وتحظى بالتأييد على نطاق واسع على مستوى الجالية. بيد أن الهدف النهائي البعيد، وبرغم أنه لم يتم التصريح به علناً البتة، إنما يتمثل في إيجاد ومن ثم غرس مجموعة تتبنى الإسلام المتطرف وزرعها داخل أوروبا الغربية مع تمكينها من التوسع والتمدد على نطاق القارة(8).

(8) The Radical Dawa in Transition: The Rise of Islamic Neoradicalism in the Neth-

إن موقف معظم وكالات الاستخبارات في قارة أوروبا واضح؛ بيد أن الحكومات والجهات التشريعية والبيروقراطيين على المستويات كافة، ليسوا ملزمين بتقديرات الحالة والتقييمات التي تصدرها وكالات الاستخبارات ببلدانهم، وإنما يتبنون في أغلب الأحيان أفكاراً مختلفة؛ كما أن الخبراء داخل الحكومات وخارجها كثيراً ما يؤثرون في آراء صانعي السياسة ما يؤدي في كثير من الأحيان إلى إحداث وضع شائك ومعقد، بل وضبابيٍ مشوَّش في معظم الأحوال، تظل فيه المؤسسات الحكومية تتأرجح بشدة وبصورة غريبة الأطوار بين الإجراءات التي تعكس وجهات النظر المتفائلة وتلك التي تعكس وجهات النظر المتشائمة تجاه الحركة. وبالمحصلة، ليس هنالك دولة غربية يوجد لديها تقييم متساوق ومتماسك تتقيد به جميع فروعها وأذرعها الحكومية؛ ولا يوجد بيان أبيض، أو تقرير حكومي رسمي، أو قائمة موجهات وتعليمات داخلية تفصيلية يتم إصدارها مركزياً وإرسالها إلى جميع المسؤولين الحكوميين، لتوضيح كيفية تحديد منظمات الإخوان الجدد في الغرب وكيفية التعرف إلى تلك المنظمات وتعريفها وتقييمها، ومن ثم تمكينها من الانخراط والمشاركة؛ وهذا من شأنه أن يفضي إلى وجود قدر كبير من التضاد والتضارب، وعدم التناسق وغياب الانسجام في السياسات، ليس من بلد إلى آخر فحسب، وإنما في كل دولة على حدة؛ حيث تتباعد المواقف وتختلف بين وزارة وأخرى على مستوى البلد الواحد، بل ومن مكتب إلى آخر في الجهاز نفسه.

---

erlands, AIVD, February 2008,
http://www. aivd. nl/actueel-publicaties/aivd-publicaties/the-radical-dawa-in,51.

مشاركة وانخراط الإخوان الغربيين الجدد

إن مصطلح المشاركة والانخراط مصطلح يكتنفه اللبس ويعتريه الغموض، بوصفه سمة ملازمة للمصطلح، وعلى نحو متأصل ومتجذر في صميمه. يشمل المصطلح مجموعة متعددة ومتنوعة من سبل الاتصال وأوجه التواصل، التي تراوح بين اجتماع يتيم ينعقد مرة واحدة ولا تترتب عليه أي نتائج أو تبعات، إلى شراكة مستديمة مستقرة. أما الجهات والمؤسسات التي يلزمها تمكين ممثلين عن الجاليات الإسلامية من المشاركة والانخراط، فهي تراوح بين رؤساء الوزراء وكبار المسؤولين الحكوميين الآخرين والبيروقراطيين العاملين على المستوى المحلي؛ ولكل منهم أغراضه وأولياته التي يختلف فيها عن غيره، ومن ثم يتعين عليه مراعاة جملة من العوامل المختلفة وأخذها في الحسبان. ففي بعض الحالات تسعى هذه الأطراف إلى إيجاد تشكيلة متنوعة من المحاورين الذين يمثلون مجمل الجالية الإسلامية بأطيافها كافة؛ سواء التزم ذلك الطرف أو تلك الجهة وجهات النظر المتفائلة، أم آثر التقيد بوجهات النظر التي يشوبها التشاؤم؛ وبالتالي فإن من الوارد أن تكون الفروع والخلايا المحلية للإخوان الجدد في الغرب مشاركة أو منخرطة كأحد أولئك الممثلين. وقد يكون لبعض المؤسسات الأخرى هدف أكثر تحديداً ومحدوديةً يتمثل في مجرد إيجاد شريك واحد فقط في الجالية الإسلامية للمساعدة على تنفيذ مشروع معين أو تحقيق هدف بعينه. وفي هذه الحالة فإن من الوارد أن يؤثر تقييم تلك الجهة للإخوان الجدد في الغرب في قرارها بشأن إشراكهم من عدمه.

من أول وهلة قد يكون من المستصوب أن يصار إلى افتراض أن المؤسسات والجهات التي تتبنى وجهات النظر المتفائلة تميل إلى إتاحة الفرصة باطراد أمام تنظيمات الإخوان الجدد في الغرب، ليكونوا شركاء في حين أن من هم في المعسكر ذي النظرة السلبية يقفون ضد أي تواصل بأي صورة كانت. في واقع الحال، وفي أغلب الأحوال، لا تكون العلاقة بين التقييم وإتاحة فرصة المشاركة علاقة خطية مستقيمة وإنما تتعرج وتتكيف وفقاً لجملة من العوامل والمتطلبات الخارجية. فعلى سبيل المثال نجد أن الجهاز الحكومي الذي يتبنى موقفاً متفائلاً، قد يقرر النأي بنفسه عن الشراكة مع أحد تنظيمات الإخوان الجدد في الغرب، لئلا يصبح هدفاً للانتقاد من قبل الصحافة والإعلام. وبالمقابل فإن المؤسسات التي تتقيد بوجهة النظر المتشائمة فقد ينتهي بها الأمر لأن تتعامل مع تلك التنظيمات نتيجةً للضغوط السياسية من الأقسام الحكومية الأخرى، أو لتحقيق أهداف قصيرة المدى، ما يجعلهم يرون ضرورة مشاركة الإخوان.

لقد أفضى غياب التوجيهات والتعليمات المركزية المبلغة إلى إتاحة مساحة رحبة ودرجة عالية من الحرية أمام معظم الأجهزة الحكومية لبلورة مواقفها الخاصة بها، ورسم سياساتها إزاء تنظيمات الإخوان. يتأثر اتخاذ قرارات الانخراط والمشاركة بعدة عوامل في الغالب متداخلة ومتلازمة ومتزامنة.

المعرفة / الحصول على المعلومات

شهد عام 2006م شروع جف شتاين (Jeff Stein) محرر شؤون

الأمن الوطني في المطبوعة الفصلية / الدورية «كونجرشنال كوارترلي (Congressional Quarterly)» التي تتخذ من واشنطن مقراً لها في إجراء سلسلة من المقابلات مع كبار المسؤولين في الولايات المتحدة،حول المخاطر الإرهابية التي تهدد البلاد. وبدافع من الإحساس بأن معظم من أجرى معهم المقابلات لا يعرفون سوى قليل عن النواحي الأيديولوجية لمجموعات مثل القاعدة وحزب الله، قرر شتاين اختبارهم حول مدى إلمامهم بالإسلام والإسلاميين[(9)]. لقد كانت النتائج مذهلة وصاعقة: لم يتمكن عضو الكونجرس رئيس لجنة الاستخبارات بالمجلس سلفستر رييس (Silvestre Reyes) من تحديد الفرق بين السنة والشيعة وجادل بأن أعضاء القاعدة ينتمون إلى الطائفتين معاً؛ وفي محاولة منه لأن يكون دقيقاً ومحدداً أردف يقول إن القاعدة «ربما تكون شيعية في أغلبها». أما حصيلة معرفة كبار المسؤولين في مجال مكافحة الإرهاب ممن شملتهم المقابلات التي أجراها ستين، فقد كانت ضئيلة بالمثل؛ إذ لم يتمكنوا من تحديد الفرق بين السنة والشيعة، وذهب بعضهم مثل ويلي هولون (Willie Hulon) رئيس فرع الأمن الوطني بمكتب التحقيقات الفيدرالي إلى تعريف «حزب الله» بأنه تنظيم سني[(10)].

وفي عام 2007م، طرح صحفيون في مجلة تايمز اللندنية ذات

---

(9) في مقال لجيف شتاين بعنوان «رئيس المخابرات الديمقراطي الجديد يحتاج إلى دورة مكثفة عن تنظيم القاعدة» في مجلة الكونغرس الفصلية، 8 ديسمبر 2006

Jeff Stein, "Democrats' New Intelligence Chairman Needs a Crash Course on alQaeda, Congressional Quarterly, December 8, 2006.

(10) في مقال لجيف شتاين بعنوان«هل يمكنك أن تفرق بين الشيعي والسني» في صحيفة نيو يورك تايمز، 18 أكتوبر 2006:

Jeff Stein, "Can You Tell a Sunni from a Shiite?"," New York Times, October 18,2006.

الأسئلة على عدد من صانعي القرار السياسي في بريطانيا، من منطلق شك هؤلاء الصحفيين في أن صناع السياسة البريطانيين ليسوا بأي حال أفضل حالاً من نظرائهم الأمريكيين[11]. عندما سئل بريان إيدون (Brian Eddon) عضو البرلمان عن حزب العمال سكرتير المجموعة البرلمانية البريطانية الفلسطينية عما إذا كان تنظيم القاعدة سنياً أم شيعياً، أجاب قائلاً: «إنه يستقطب جميع الأطياف». أما غاري ستريتير (Gary Streeter) عضو البرلمان عن حزب المحافظين رئيس مكتب الشؤون العالمية في حزبه نائب رئيس المجموعة البرلمانية أصدقاء الإسلام من جميع الأحزاب (All-Party Friends of Islam) فقد كان صريحاً، وأقر بعدم علمه بالفرق بين السنة والشيعة كما أنه أخفق في معرفة أن محمود أحمدي نجاد هو رئيس إيران.

ومع وجود ساسة يوصفون بحسن الإطلاع والمعرفة في الولايات المتحدة وبريطانيا العظمى على حد سواء، إلا أن التحقيقات الصحفية المنوه عنها أعلاه أماطت اللثام عن تفشي الجهل المطبق واستشرائه في أوساط كثير من كبار المسؤولين، الذين ترتبط مسؤولياتهم بقضايا وثيقة الصلة بالإسلام والإسلاميين. إن هذه المشكلة التي يستطيع المرء أن يفترض أنها عامة وشائعة في جميع الدول الغربية لها تداعياتها الخطيرة على المسائل والأمور المتعلقة بالانخراط والمشاركة، ذلك أن السياسيين الذين يجهلون أبرز الخصائص والملامح الأساسية للإسلام والإسلاميين

---

(11) في مقال لموريس شيتندين وتوم بيرد بعنوان«نواب البرلمان لا يعرفون السني من الشيعي» في صحيفة صنداي تايمز، 7 يناير 2007:

Maurice Chittenden and Tom Baird, "MPs Don't Know their Sunni from their Shi'ites, "Sunday Times January 7,2007.

من الصعب عليهم تماماً أن يكونوا في وضع يمكنهم من تقييم حركة على درجة من التعقيد مثل حركة الإخوان المسلمين، وفهم دقائق الأمور والفوارق بينها، وفك شيفرات لغتها التي تكون في أغلب الأحيان غامضة ومعماة. وبرغم ذلك فإن هؤلاء الساسة هم في أغلب الأحيان من يقررون أي الجهات يمكن أن تتاح لها فرصة الانخراط والمشاركة.

يوجد بالفعل لدى الحكومات الغربية محللون وخبراء على درجة عالية من الفهم والدراية والإلمام بموضوع الإسلام السياسي، إلا أن هنالك جملة من العوامل التي تحول دون تكوين بناء معرفي متكامل عن الموضوع، بحيث يكون متاحاً أمام جميع المسؤولين المعنيين بالشأن العام. أولاً إن عدد هؤلاء المحللين قليل في معظم الدول، كما أن كواهلهم مثقلة بأعباء تفوق حدود الطاقة وتنوء عن حملها الجبال، وهذا ما يجعلهم في سباق محموم مع الزمن لملاحقة التطورات المتلاحقة في عالم التنظيمات الإسلامية. فعلى سبيل المثال، يشير تقرير للحكومة الإيطالية أن عدد المساجد والمنظمات الإسلامية قفز من 351 في عام 2000م إلى 696 في عام 2006، أنشئت 39 منها خلال الفترة من يناير حتى مايو 2007م فقط أي بمعدل (1) كل (12) يوماً[12]. ففي إيطاليا، كما في جميع الدول الغربية الأخرى، قلة فقط من المحللين هم الذين بمقدورهم التجول بأمان في أحراش التنظيمات الإسلامية وأدغالها شديدة التعقيد، وتقييم الطبيعة الأيديولوجية لتلك التنظيمات. ولعل ما يفاقم هذه المشكلات المتعلقة بالنقص العددي، ويزيد ضغثاً على إبالة أن المحللين الضليعين

(12) تقرير اللجنة التنفيذية لخدمات الأمن والمخابرات التاسع والخمسون للبرلمان الإيطالي في 2007، ص 71.

والمتمرسين كثيراً ما يخضعون لإغراءات القطاع الخاص، حيث الرواتب العالية والتعويضات المجزية،ما أدى إلى وجود ثغرات خطيرة لدى الوكالات المعنية بالشؤون الأمنية فيما يتعلق بالمعرفة المؤسسية الممنهجة.

علاوة على ما تقدم، تميل وكالات الاستخبارات الغربية إلى إيلاء اهتمام محدود بأفرع التنظيمات الإخوانية، إذ يخضع بعض تلك الوكالات، مثل مكتب التحقيقات الفدرالي بالولايات المتحدة وجهاز الاستخبارات الخارجية في بريطانيا، ونظيره الدنماركي، لجملة من القيود القانونية التي تكبلها وتحد من حركتها، بإجبارها على أن يقتصر تركيزها وينحصر اهتمامها على المخاطر الواضحة فقط، التي تهدد أمن دولها بشكل مباشر. وباستثناء الدور المشبوه المتمثل في جمع التبرعات لحركة حماس، فإن تنظيمات الإخوان الغربيين الجدد بصفة عامة لا تنخرط في أي نشاط يقع في نطاق المحظور المشار إليه أعلاه؛ وبالتالي فإن تلك الوكالات لديها معرفة جد محدودة بتلك التنظيمات[13]. هنالك وكالات استخبارية أخرى، كالهولندية، والألمانية، على سبيل المثال، لديها نطاق التزام أوسع للتحقيق، ليس فقط في المخاطر الأمنية، وإنما أيضاً في جميع الأنشطة التي يمكن أن تنطوي على مهددات للنظام الديمقراطي والنسيج الاجتماعي للبلاد؛ وهذه الوكالات تولي مزيداً من الاهتمام بالإخوان إلا أنها ولأسباب مفهومة وجهت أغلب تركيزها واهتمامها وسخرت مواردها البشرية في منع الهجمات الإرهابية، وذلك بصفة خاصة عقب نازلة الحادي عشر من سبتمبر.

---

(13) جاء هذا في اعترافات صريحة للمؤلف في مناسبات منفصلة من قبل مسؤولين في المخابرات الدنماركية والأمريكية والبريطانية.

هنالك عامل إضافي يحول دون تكوين جهاز معلومات يسهل الدخول إليه من قبل الجهات الحكومية المتعددة، للحصول على معلومات عن الإخوان المسلمون الجدد؛ يتمثل في طبيعة تلافيف الجهاز البيروقراطي المترهل. وفي هذا السياق فإن الدراسات التي أجراها جراهام أليسون (Graham Allison)، وهو أحد أشهر أساطين العلوم السياسية في الولايات المتحدة، تعد مفيدة بشكل خاص في توضيح الطبيعة المتداخلة الشائكة وبالغة التعقيد لعمليات صنع القرارات الحكومية واتخاذها. يجادل أليسون بأنه كثيراً ما يفترض أن الحكومة هي عبارة عن جهاز واحد يمتلك جميع المعلومات الممكنة ويتخذ قرارات سديدة بطريقة واقعية رشيدة، إثر سلسلة إجراءات مباشرة وواضحة، يتم بموجبها تحديد ومن ثم تعريف المصلحة العليا للبلاد، والكيفية المثلى لخدمة تلك المصلحة. في واقع الأمر لا توجد حكومة ينطبق عليها هذا الوضع النموذجي لجهاز واقعي لإصدار قرارات «متحكم فيها مركزياً، ومتخذة على أساس معلومات وافية وكافية ومفضية إلى تحقيق القيمة القصوى» وإنما تتمثل الحكومة، كما يقول أليسون، في «خليط متنوع من الوحدات التنظيمية شبه الإقطاعية التي يربط بينها تحالف فضفاض وهش» ولكل وحدة إجراءاتها وأعرافها وتقاليدها وأولوياتها وسماتها المميزة الخاصة بها[14].

عند تطبيق نظرية أليسون المذكورة أعلاه، على عملية التقييم والانخراط والمشاركة الخاصة بالإخوان الجدد في الغرب، تتضح أسباب عدم تداول المعلومات بين مختلف المؤسسات الحكومية. ففي كثير من

---

(14) Graham T. Allison, Essence of Decision: Explaining the Cuban Missile Crisis (Boston: Little, Brown, 1971),67.

الحالات لا تتبادل وكالات الاستخبارات المعلومات فيما بينها، ولا يطلع بعضها ما لديه من معلومات على بعضها الآخر ما لم يكن هنالك توجيه صريح بذلك، ويعزى ذلك إلى النزوع إلى السرية والحساسية المفرطة لدى المؤسسات. وفي حالات أخرى، لا يكلف المسؤولون الحكوميون أنفسهم مؤونة التواصل مع وكالات الاستخبارات طلباً للتقييم ولا يتجشمون عناء ذلك. وفوق هذا وذاك فإن العوامل الأخرى التي تسهم في حدوث المشكلات الكبرى في تبادل المعلومات تتمثل في البطء والبيروقراطية والعقبات والعراقيل المتعلقة بتداخل الاختصاصات، والتنافس بين الوحدات الحكومية. إن الدول التي يوجد بها عدد كبير من السكان وبالتالي المزيد من البيروقراطية تواجه مصاعب معينة في هذا الخصوص. ففي الولايات المتحدة على سبيل المثال يمثل تبادل المعلومات تحدياً كبيراً بصفة خاصة جراء التداخل في الصلاحيات بين السلطات الاتحادية وسلطات الولاية، والمسافات الجغرفية المترامية الأطراف، والحجم الهائل لمؤسسة الحكم.

تفضي جميع المشكلات المتقدم ذكرها إلى النتيجة التي مفادها أن اختيار المنظمات الإسلامية للانخراط والمشاركة يتم من قبل حفنة من الأفراد، الذين يفتقرون إلى الخبرة وتعوزهم الدربة والدراية بشؤون الإسلام والإسلاميين. في عدد من الحالات تعمد المؤسسات الحكومية إلى خيار انخراط فروع الإخوان الغربيين الجدد ومشاركة تلك الفروع، إثر عملية تقييم كاملة ومتكاملة وقائمة على معلومات وافية وكافية، بحيث تكون تلك المؤسسات على إلمام تام بطبيعة من يتحاور معها. وقد يتم اتخاذ القرار من قبيل ما تقدم إما لتفاؤل المؤسسة الحكومية التي اتخذته

وإما لأن تلك المؤسسة، ترى أن من شأن إتاحة الفرصة أمام الإخوان الجدد في الغرب للانخراط والمشاركة تحقيق الأهداف المنشودة لتلك المؤسسة أياً كانت نتيجة تقييم تلك المؤسسات للإخوان، بيد أن القرار المتعلق بمشاركة الإخوان الغربيين الجدد وانخراطهم، كثيراً ما يتم اتخاذه إثر تقييم خصائصهم المميزة تقييماً لا يقوم على أساس معلومات وافية. وفي واقع الحال ليس من غير المعهود أن تكون هنالك حالات أتاحت فيها المؤسسات الحكومية فرصة المشاركة أمام تلك التنظيمات ثم تراجعت تلك المؤسسات ونكصت على أعقابها إثر التوصل إلى المزيد من المعلومات.

هنالك خطأ مشترك تم ارتكابه، وبصفة خاصة على المستوى المحلي، يتمثل في الغلو في تقدير الصفة التمثيلية لتنظيمات الإخوان الجدد في الغرب. ففي السنوات القليلة الماضية تبلور لدى معظم السلطات المختصة فهم وإدراك للتفاوت الشديد، بل والتنافر في الخصائص المميزة للجاليات الإسلامية في الغرب، إلا أنه في الماضي اعتمد بعضهم فقط على الأطياف المتداخلة المتطرفة دينياً بالجاليات الإسلامية لديهم، لتكون المتحدث باسم الجالية الإسلامية بأكملها[15].

ومن ثم فإن صانعي السياسة متأثرون بما يطلق عليه السياسي الدنماركي ناصر خضر اسم «متلازمة الملالي» على سبيل السخرية والتهكم – قد أقدموا على إتاحة فرصة المشاركة والانخراط أمام

(15) Gilles Kepel, The War for Mulsim Minds (Cambridge, MA: Harvard University Press, 2004), 286-87.

المسلمين المحافظين، الذين تسود فيهم هذه الصفة، وتجاهل القطاعات الكبيرة من المسلمين العلمانيين ودارسي العلوم الاجتماعية[16]. عاد هذا الموقف بالنفع والفائدة على تنظيمات الإخوان الغربيين الجدد، وأضرّ بخصومهم، إذ تمكنت تلك التنظيمات بسهولة من إقناع الحكومات الغربية والرأي العام في الغرب بأن تتعامل الحكومات مع التنظيمات المذكورة بوصفها المتحدث الرسمي باسم الجالية الإسلامية.

في بعض الأحيان، يخفق السياسيون ببساطة في فحص خلفيات التنظيمات التي يقررون إتاحة الفرصة أمامها للانخراط والمشاركة، وذلك فقط لمراجعة خطواتهم على عجل، والتراجع عما اتخذوه مسبقاً إثر موافاتهم بالمزيد من المعلومات. ففي شهادة أدلى بها أمام المؤتمر الحزبي لحقوق الإنسان والمعني باختيار مرشحي الكونجرس، روى إيان جونسون (Ian Johnson) الصحفي بمجلة وول ستريت جورنال كيف أن بريطانية من أعضاء البرلمان الأوروبي أخبرته بأنها كانت تستمتع أيما استمتاع بالاجتماع مع ممثلي المنظمة المظلية للإخوان الجدد في الغرب على مستوى أوروبا (FIOE) التي تتخذ من بروكسل مقراً لها[17]. لقد كانت تلك العضوة تصف تلك المنظمة بأنها معتدلة جداً على خلاف اتحاد المسلمين في بريطانيا (MAB) الذي كانت مواقفه المتطرفة سبباً في كثير من المشكلات. وعندما أشار جونسون إلى أن اتحاد المسلمين في بريطانيا عضو مؤسس للمنظمة المظلية للإخوان الجدد في الغرب صعقت

(16) حديث مع ناصر خضر، بوسطن، إبريل 2007.

(17) الإخوان المسلمين في أوروبا، شهادة إيان جونسون أمام تجمع الكونغرس لحقوق الإنسان، 9 فبراير 2006.

تلك العضو وأسقط في يدها ثم اعترفت بشيء من الخجل والارتباك بأنها أخفقت في الوقوف على هذه العلاقة الأساسية بين المنظمة والاتحاد.

في بعض الحالات، يمتلك صانعو السياسة المعلومات الضرورية؛ ولكنهم يخفقون أيما إخفاق في التعامل معها بصورة صحيحة، كما فعلت وزيرة الاندماج الهولندية السابقة، إيلا فوجلار (Ella Vogelaar). ففي عام 2007 م، زعمت صحيفة دي تلغراف الهولندية (De Telegraaf) أن يحيى بويافا (Yahiya Bouyafa)، وهو ناشط مسلم محلي، له علاقات بمنظمات مختلفة تابعة لشبكة الإخوان المسلمين العالمية ويتلقى أموالاً من الرعاية الأوروبية (Europe Trust)[18]. إن هذه القصة تكتسب أهمية خاصة، لأن بويافا تم تشغيله مع وزارة الاندماج الهولندية كشريك لها في جهودها للترويج للاندماج ومحاربة الراديكالية داخل الجالية المسلمة المحلية. وقد سأل بعض نواب البرلمان الهولندي السيدة فوجلار طالبين منها أن توضح علناً حيثيات قرارها الإستعانة بالسيد بويافا[19].

قدمت السيدة فوجلار إفادتها خلال جلسة للبرلمان، وضربت أمثلة على عدم قدرة كثير من صانعي السياسة الغربيين على فهم الطبيعة المحضة للإخوان المسلمين الجدد[20]. في المقام الأول، أجابت السيدة

(18) Joost de Haas," Moskeeen in de ban van Moslimgroep," De Telegraaf, March 24,2007.

(19) أسئلة من النواب البرلمانيين الهولنديين غيرت فيلدرز وريموند دي رون وأجوبة من إيلا فوجلر، 7 أغسطس 2007

مقابلات مع مسئولين وصحفيين هولنديين في امستردام ولاهاي، مايو 2008:

http://www. pvv. nl/index. php?option=com_content &task=view&id=737(accessed September5,2008)

(20) مقابلات مع مسؤولين وصحفيين هولنديين في امستردام ولاهاي، مايو 2008.

الوزيرة، بأنه ليست هنالك معلومات تشير إلى أن بويافا ينتمي إلي جماعة الإخوان المسلمين، سوى أنه فقط كانت لديه ارتباطات بعدد كبير من المنظمات الإسلامية التى تتعاطف مع الإخوان المسلمين. وهذا يوضح أن السيدة فوجلار تجهل كيفية تحديد الانتماء إلي جماعة الإخوان المسلمين. وسواء أكان بويافا أخاً مسلماً، أم لم يكن، ومهما كان تعريفه، فإن ذلك ليس بذي علاقة هنا. غير أن تصريح السيدة فوجلار يحدد بصورة واضحة أن مثل هذه العلاقة هى نوع من العضوية النظامية، ولم تفهم أن تلك العلاقة يتم تحديدها بارتباطات شخصية وعقدية ومالية.

علاوة على ذلك، أكدت السيدة فوجلار للمشرعين بأنها أحيطت علماً، من قبل الخدمات الأمنية،بأن المنظمات التي يرتبط بها بويافا «لا تمثل خطراً على الأمن القومي» ولذلك عمدت إلي مواصلة العمل مع بويافا. وهي بهذا القول قد صنفت المرشحين للعمل معها إلى فئتين: فئة تشمل أفراداً يمثلون خطراً على الأمن الوطني، والفئة الثانية يندرج تحتها من تستخدمهم شركاء. يبدو أن السيدة فوجلار قد تجاهلت فئة ثالثة تتكون من الأفراد والمنظمات التي، مع أنها لم تتورط في أي نشاط إرهابي، ولم تمثل بأي حال خطراً داهماً ومباشراً على الأمن الوطني، ربما كانت لها أجندة وأفكار لا تتوافق وهدف الحكومة الهولندية المتمثل في التشجيع على الاندماج.

تأثير العالمين ببواطن الأمور

في بعض الحالات، حينما تعترف بعض المنظمات العامة بنقص

الخبرة حول الإسلام، تستعين تلك المؤسسات بخدمات خبراء تستقدمهم من المجتمع المسلم لسد النقص. ولفهمهم للمجتمع فهماً لا يوجد إلا لدى نفر قليل من عناصر الحكومة، فإن مثل هؤلاء يتم الإصغاء إليهم في كثير من الأحيان بانتباه خاص، من قبل كثير من صانعي السياسة. إن فكرة الاستعانة بالخبراء تبدو جيدة، غير أنه ليس من غير الشائع للخبراء هنا أو في أي مجال آخر محاولة التأثير في السياسة منطلقين من وجهات نظرهم الخاصة. وعطفاً على مستواهم التعليمي الرفيع وعلاقاتهم الوطيدة بالمؤسسات السياسية، فمن غير المستغرب في عدد من الاقطار الغربية حصول المتعاطفين مع الإخوان المسلمين على هذه المناصب واستغلالها لتعزيز نفوذ المنظمات ذات الارتباط بجماعة الإخوان المسلمين.

اعتبارات شخصية وسياسية

إن البيروقراطيات كثيراً ما تتأثر بصورة عميقة بآراء بعض الشخصيات الرئيسة فيها. يستخدم أليسون (Allison) عبارة «الأولويات والمفاهيم الضيقة» لوصف ميل أفراد بعينهم لتوجيه قرارات التنظيم البيروقراطي حسب أوضاعهم العقائدية، والشخصية، والأهداف السياسية وضبطها على مسطرة تلك الأوضاع والأهداف[21]. وقد لا يكون لهذا الموضوع أي علاقة في مجال خطب ود المجتمعات الاسلامية؛ ذلك أن تنفيذ السياسة كثيراً ما يكون مبنياً على قرار وزير واحد أومسؤول واحد، وبالتالي فإن الآراء الفردية واعتبارات قلة من الاشخاص ذوي النفوذ يمكن أن تلعب دوراً حاسماً في تحديد أي منظمة إسلامية يمكن العمل

(21) Allison, Essence of Decision, 81,81.

معها، والكيفية التي ينظر بها إلى الإخوان الجدد في الغرب. في عدد من الحالات يعمل المسؤولون الحكوميون على تكوين أفكارهم وبلورتها، سواء مع الخط المتفائل أم المتشائم، بعد تحليل عقلاني أمين لطبيعة الإخوان المسلمين الجدد والطريقة المثلى لخطب ود المجتمع المسلم. ومع ذلك ليس من غير الشائع لدى صانعي السياسة، وبالأخص الذين يشاركون في الانتخابات، تحليل الاعتبارات الخاصة بالعواقب المحتملة لقرارهم حول وظائفهم السياسية.

إن أحد العوامل التي تؤثر بوضوح في مثل تلك القرارات هو أثر أفعالهم في جمهور الناخبين، أو بصورة أكثر تحديداً، في دوائرهم الانتخابية؛ وهذا العامل يمكن أن يعمل في الاتجاهين كليهما. ففي بعض الحالات ربما يخشى صانعو السياسة خطب ود منظمات بعينها خوفاً من رد الفعل السلبي لوسائل الإعلام والجمهور. ومثال على ذلك ما حصل في إيطاليا عام 2007م. فعلى خلفية قيام قادة اتحاد المجتمعات والمنظمات المسلمة لإيطاليا (UCOII) بسلسلة من التصريحات التي أثارت انتقادات قوية من جميع مكونات الطيف السياسي الإيطالي، وغالبية وسائل الإعلام، والعمد في مختلف المدن الكبيرة التي دخلت في السابق في مفاوضات مع الاتحاد للتصريح لبناء مساجد، نجد أن هؤلاء قد سحبوا جميعاً دعمهم[22]. وقد عزوا التحول من ذلك الود بصورة رسمية إلى بعض الجوانب الفنية في الأمور التعاقدية والتشريعات الخاصة بتوزيع المناطق، لكن يعتقد أن هذا الحراك قد أملته حقيقة أن قطاعات كبيرة من الإعلام

(22) إنظر الفصل السادس.

والجمهور قد نظروا إلى الاتحاد نظرة سلبية جداً[23].

علاوة على ما تقدم، فإن صانعي السياسة يمكن أن تؤثر فيهم رغبتهم في الفوز الانتخابي وسط الجالية الإسلامية. فالصوت المسلم صار صوتاً مؤثراً في تحديد نتائج الانتخابات القومية في عدد من الأقطار الغربية، ومن المرجح أن تزداد أهيمته مع الزيادة الملحوظة والمطردة في عدد المسلمين. وتبدو هذه الظاهرة واضحة بصورة خاصة على المستوى المحلي، بالنظر إلى ميل المسلمين إلى التمركز في المناطق الحضرية. ففي مدن مثل روتردام، وامستردام، وبرادفورد، ومالمو وبعض الأقسام الإدارية لمدينتي لندن وباريس، يعد الصوت المسلم أساسياً ومطلوباً بشدة من قبل جميع القوى السياسية. ففي بروكسل، يمثل المسلمون حالياً 17٪ من السكان، بيد أن مختلف التنبؤات تشير إلى أنهم سوف يصبحون أغلبية بحلول عام 2025م[24]. وفي بلد مثل بلجيكا، حيث يكون الصوت الانتخابي في بروكسل في كثير من الأحيان هو الحاسم في السجال والصراع السياسي بين مختلف الأطراف السياسية والفلمنجز (Flemings) والوالونز (Walloons)، فإن من الطبيعي إذاً أن تتنافس القوى كافة في الظفر بأصوات المسلمين.

---

(23) مقابلات مع أعضاء الاتحاد الإسلامي الإيطالي، روما، مايو 2009:
See, for example, Alessandra Arachi, "Stop alla Moschea: ‹Chi la Finanzia?" Genova Chiama Armato, Union Divisa, "Corriere della Sera, September 25, 2007;Magdi Allam," La Moschea di Bologna e I Cedimenti di Cofferati, Corriere della Sera, December 6,2007; Diego Pistacchi, "Ronchi: No alla Moschea degli Intolleranti," Il Giornale, February 3, 2009.

(24) Corinne Torrekens, "La gestion Locale de l'islam a Bruxelles," Cahiers de la securite, P 8 5663. -(2006-07-09)n62, p. 319-160; Stephane Kovacs, " L'islam, premiere religion a Bruxelles dans vingt ans," Le Figaro, March 21, 2008.

وبإدراكهم هذه الفرصة، كثيراً ما حاول الإخوان المسلمون تصوير أنفسهم بأنهم مفتاح هذه الكتلة الانتخابية المتنامية. فمنظمات الإخوان المسلمين تقوم بتوزيع الأدلة والتوجيهات الاسترشادية حول كيفية التصويت، وتنظيم أماكن تسجيل الناخبين، وتشير إلى أي المرشحين يجب تأييده وذلك عبر شبكتها من المساجد. والسياسيون الغربيون الذين يخوضون الانتخابات في المناطق التي تشهد حضوراً أو وجوداً معتبراً للمسلمين لا يمكنهم عدم المبالاة بهذه المبادرات؛ وبالتالي فإن الكثير منهم يخطبون ود المنظمات التابعة لجماعة الإخوان المسلمين بمختلف الاشكال للتعاون المشترك. وحقيقة، في كثير من الأقطار الأوروبية تمكن الإخوان المسلمون من تأسيس علاقات الند بالند (زبون لزبون) مع القوى السياسية،سواء على المستوى المحلي أو القومي، يعد فيها الإخوان المسلمون بتحريك مصادرهم دعماً للحزب في مقابل المكافآت المالية والسياسية.

لقد شكك الكثيرون في وجود «صوت إسلامي» موحد ومتناغم بصورة كلية. لكن هنالك بلا شك وجود أنماط من التصويت. فالمسلمون في أوروبا قد صوتوا بصورة تقليدية لأحزاب اليسار، وهو ميل شائع لدى كل المجموعات المهاجرة. لكن المسلمين لا يصوتون بالضرورة كتلة واحدة قد حددت اتجاهها سلفاً، وإنما ترمي ببطاقات تصويتها خبط عشواء، وبصورة عمياء كدأب الكيانات الدينية المتعايشة معها. بل إن أفضلياتها السياسية تعكس التباين السياسي الاجتماعي لمجتمعاتها. ومن المرجح أن يصوت الجيلان الثاني والثالث من المسلمين الغربيين بطرق أكثر تبايناً في المستقبل. ولعل من دواعي التساؤل وبواعث الشك أكثر فأكثر هو

إدعاء الإخوان المسلمين القدرة على توجيه اصوات الناخبين المسلمين. هل صوت المسلمون لأحزاب بعينها بسبب أن منظمات الإخوان المسلمين المحلية قد طلبت منهم ذلك؟ أم أنهم اختاروا ذلك على أية حال؟ من دون إجابة قاطعة لذلك السؤال، فإن عدداً من صانعي السياسة يميلون باتجاه استراتيجية آمنة للحفاظ على علاقة الزبون لزبون التي تربطهم بالإخوان المسلمين.

مما لا شك فيه أن الإخوان الجدد في الغرب يمكنهم تحطيم وبصورة قاسية مكانة السياسيين والشخصيات العامة البارزة الأخرى، باتهامهم بعواطفهم المناهضة للمسلمين، وبالخوف غير المبرَّر من الإسلام (إسلاموفوبيا). وهذا المصطلح الذي استخدم أول ما استخدم من قبل المستشرق الفرنسي إتيان دينيت (Etienne Dinet) عام 1922م، أصبح شائعاً في لغة السياسة اليوم[25]. وبتعريف مصطلح الاسلاموفوبيا في التقرير المؤثر الصادر في عام 1996م من مؤسسة رنيميدي ترست «Runnymede Trust» التي تتخذ من بريطانيا مقراً لها على أنه «نظرة أو رأي عالمي ينطوي على خوف غير مؤسس من المسلمين وعدم محبة لهم بصورة غير مبررة تنجم عنها ممارسات للاقصاء والتمييز»، فإن هذا المصطلح يؤسس لظاهرة غير محببة تشهدها جميع الأقطار الأوروبية[26].

(25) Jocelyne Cesari, Securitization and Religious Divides in Europe: Muslims in Western Europe after 9/11,
http://euro-islam. info/ei/wp-includes/pdf/securitization_and_religious_divides_in_europe. pdf
(accessed February 14,2009).

(26) Islamophobia: A Challenge for Us All, Runnymede Trust, 1997.

بعض من المجتمع الغربي يسكنه حقيقة خوف غير مبرر من الاسلام، وقد تعرض المسلمون لا ريب إلى ممارسات من التمييز والعنصرية التي تثير الانتباه. غير أن الإسلاموفوبيا اليوم أصبحت سلاحاً سياسياً مفيداً في كنانة الإخوان الجدد في الغرب. داخل المجتمع المسلم كثيراً ما يغالي الإخوان ويسرفون في روايات عن الإسلاموفوبيا الحقيقية، أو المتخيلة لتعزيز الشعور بما أطلقوا عليه اسم «مجتمع تحت الحصار» مع تصوير أنفسهم بأنهم الوحيدون المدافعون عن ذلك المجتمع[27]. وخارجياً، إصبح المصطلح أداة مؤثرة جداً لإخراس أصوات المنتقدين وإجبار صانعي السياسة على العمل مع منظمات الإخوان المسلمين. والاتهام بالإسلاموفوبيا لم يقم فقط على أولئك الذين ينتقدون الإسلام،فإن أي انتقاد لزعيم من زعماء الإخوان المسلمين أو منظمة يقابل بالإتهام بالعنصرية والإسلاموفوبيا. في بعض الحالات يقوم الإخوان، وهم دائماً يعرفون على أي وتر يعزفون، بتفصيل اتهاماتهم حسب البلد الذي يعملون فيه. لذلك، نجد في الولايات المتحدة أن من ينتقدهم يتهم بالمكارثية (McCarthyism)،وفي إيطاليا يتهم بالفاشية، وفي معظم البلدان يتم الاتهام بعقلية ما بعد الاستعمار.

إن سلاح الاسلاموفوبيا قد استخدم بلا شك في إسكات كثير من المنتقدين للإخوان الجدد وحدا بكثير من صانعي السياسة إلى خطب ودهم. إن الوصم بالعنصرية أو الاسلاموفوبيا، سواء أكان يستحقه الشخص أم لا، أصبح من الصعب أن تتحمله أي شخصية عامة، أو

(27) Munira Mirza, Abi Senthilkumaran, Zein Ja'far, Living Apart Together: British Muslims and the Paradox of Multiculturalism, report for the Policy Exchange, 2007,18.

بالأحرى، أي سياسي[28]. و نتيجة مثل هذا التكتيك قد تمثلت تماماً في النقاش الذي حدث بجلسة استماع في 2008 م أمام لجنة الشؤون الخارجية بمجلس النواب الأمريكي، حول ما إذا كانت وزارة الخارجية الأمريكية قد دعمت مالياً وبشكل غير متعمد منظمات إسلامية في الشرق الأوسط. وقد انتقد العديد من منظمات الإخوان المسلمين الجدد، التي تتخذ من الولايات المتحدة مقراً لها، اختيار اللجنة للشهود بأنه وطلبت أن يكون واحد من خبرائهم ضمن الشهود، موضحين أنه بغير ذلك ستكون هنالك إشارة إلى الإسلاموفوبيا. وقد رفض العضو الديموقراطي بالكونغرس، رئيس اللجنة، السيد براد شيرمان (Brad Sherman)،الإذعان للطلب وتطرق لذلك الطلب خلال جلسة الاستماع قائلاً: «اعتقد أن واحداً من أكبر مخاوف الناس في الولايات المتحدة أن يصفك أحدهم بأنك عنصري... أو ربما ينادونك بالإسلاموفوبي» وموضحاً « وما رأيناه من بعض هذه المنظمات هو أن رسالتهم واضحة :»أعطنا مالاً أو سوف نصفك بالإسلاموفوبي»[29]. وعلى الرغم من أن شيرمان لم يتزحزح من موقفه، إلا أن سياسيين آخرين ربما قرروا أن التكاليف السياسية الناجمة عن عدم فعل ذلك قد تكون باهظة جداً.

(28) Bassam Tibi, Islamische Zuwanderung, Die gescheiterte Integration(Munich: DVA,2002),135, interview with Bassaam Tibi, Boston, October 2008.

(29) "Foreign Aid and the Fight against Terrorism and Proliferation : Leveraging Foreign Aid to Achieve U. S. Policy Goals,"hearing held by the U. S. House of Representatives Committee on Foreign Affairs, Subcomittee on Terrorism, Nonproliferation , and Trade, July 31, 2008.

القناعة

يعرف جراهام أليسون (Graham Allison) القناعة بأنها ميل البيروقراطيات المثقلة إلى إقناع نفسها والاكتفاء بالعثور على « إبرة في كومة القش بدلاً من البحث عن الأبرة الأشد حدة في كومة القش»[30]. فبدلاً من السعي إلى الحل الأمثل، تختار البيروقراطيات، في كثير من الأحيان، تلك الحلول التي تلبي معايير الكفاية، وتحل الحاجات الملحة، متجاهلة التداعيات على المدى البعيد. وبتطبيق ذلك على خطب ود الجاليات المسلمة، فإن القناعة توضح لنا لماذا في بعض الحالات تقرر المؤسسات الحكومية الغربية خطب ود منظمات الإخوان المسلمون الجدد في الغرب، و ليس مع المجموعات المنافسة لها.

لقد رأى صانعو السياسة الغربيون أن رغبتهم في إيجاد شركاء من داخل الجاليات الإسلامية قادرين على التمثيل، ومعتدلين، ويعتمد عليهم، تتحطم عند إدراك أنه ليس هنالك أي منظمة قادرة على الوفاء، حتى بأول المتطلبات الثلاثة. و نتيجة لذلك فإنه عليهم أن يختاروا بين العمل مع منظمات تقابل بصورة غامضة تلك المتطلبات، أو عدم العمل مع أي أحد. لذا، فإن منظمات الإخوان المسلمين الجدد، و التي ظلت تدعي بصورة ثابتة تمثيل الغالبية من المسلمين الغربيين، في كثير من الأحيان تقبل كشريك في الحوار. « إن الحكومات دائماً ما تبحث عن منظمات تتحدث إليها» كما توضح أورسولا سبيلر-استيجمان، عميد الخبراء الألمان في موضوع الإسلام حيث قالت:» إن الإسلاميين قادمون[31]. إن الإخوان

(30) Allison, Essence of Decision, 72

(31) Carla Powers, "New Imams, "Newsweek, January 17,2006.

المسلمين الغربيين هم دائماً الفاكهة التي في متناول اليد، والأكثر ظهوراً و الأعلى صوتاً من بين المنظمات الإسلامية، وبذلك يتم خطب ودها من قبل الحكومات الغربية التي تبحث عن الشيء الأفضل التالي وهم متحدث ينوب عنها بالكامل[32].

في كثير من الحالات، يتفق صانعو السياسة مع أجزاء من التقييم الذي قام به المتشائمون وينظرون إلى الإخوان المسلمون الجدد في الغرب بدرجة من الشك. لكن الحاجة إلى وجود شريك تتغلب على هذه الشكوك. وعلاوة على ذلك تميل البيروقراطيات إلى تفضيل العمل مع منظمات مؤسسة تعكس بطريقة ما طريقة تركيبها نفسها. وفي الغالب الأعم فإن منظمات الإخوان المسلمون الجدد في الغرب هي فقط التي لها المصادر التي تمكنها من تركيب هيئة بيروقراطية تتماثل مع البيروقراطية الحكومية، فهي مسجلة قانوناً، ولها هيكل تنظيمي محدد، ومقر لرئاستها مع موظفين محترفين يعملون بنظام الدوام الكامل. والمنظمات المنافسة، وبافتقارها مثل هذا التركيب وظهور الإخوان المسلمين، تجد صعوبات أكثر في الوصول إلي الحكومات[33]. لذلك في بعض الأحيان يتم خطب ود منظمات الإخوان المسلمين الجدد في الغرب شريكاً وحيداً من أجل مقابلة احتياجات المدى القصير من المتحدثين وسط الجاليات المسلمة ولا يتم التفكير في تداعيات تلك العلاقة على المدى الطويل.

(32) Brigitte Marechal, "Dealing with European States,"in Brigitte Marechal, Stefano Allievi, Felice Dassetto, and Jorgen Nielen, Muslims in the Enlarged Europe(Leiden/Boston: Brill, 2003),180.

(33) Stefano Allievi, "Muslims and Politics," in Brigitte Marechal, Stefano Allievi, Felice Dassetto and Horgen Nielen, Muslims in the Enlarged Europe(Leiden/Boston: Brill, 2003),198

التغيير من خلال التودد

رغماً عن كل الصعوبات في وضع سياسة حول الموضوع، فإنه في كثير من الحالات يتم الوصول إلى القرار حول خطب ود المنظمات التابعة لجماعة الإخوان المسلمين وإشراكها بعد تقييم شامل مبني على معلومات موثوقة ومستقلة عن كل الاعتبارات الشخصية والسياسية، وكجزء من خطة مدروسة بعمق وعناية تضع في الحسبان التأثيرات على المدى البعيد. في العديد من الحالات، في واقع الأمر، فإن خطب ود منظمات الإخوان المسلمين الجدد في الغرب وإشراكها ينظر إليه بأنه الطريق الوحيد الممكن للتعامل معهم، والتأثير في تطورهم ليكون في الاتجاه الذي ترغب فيه الحكومة. يعترف معظم المسؤولين الحكوميين، في الوقت الذي لا يتبنون فيه وجهة نظر المتشائمين، بأن هنالك جوانب من فكر الإخوان المسلمين الجدد مثيرة للمشكلات. فهم يجدون أنفسهم أمام معضلة، فكيف للدولة أن تتعامل مع منظمات لا تعترف بالقيم الغربية الاساسية بصورة كاملة، وفي الوقت نفسه لا تؤيد العنف في الغرب، وقد حققت موقعاً ذا نفوذ كبير؟

يعتقد معظم المسؤولين أن رفض أي حوار مع الإخوان المسلمين الجدد هو وضع ايديولوجي وغير عملي. فليس فقط للإخوان موقع ذو تأثير لا يمكن تجاهله، ولكن أن تتم تنحيتهم جانباً قد يجعل من الحركة حركة راديكالية. وفي الوقت نفسه يعترف هؤلاء المسؤولين بالضبابية في الرؤية حول توافق أجندة الإخوان الاجتماعية مع الهدف المتمثل ببناء مجمتع متماسك، ما يجعل اختيارهم شركاء خياراً خطيراً. لذا في كثير من

الأحيان نجد أن المسؤولين الحكوميين يؤثرون نوعاً من الأرض الوسط، أو المنطقة الوسطى، ويعتقدون أن عليهم أن يؤسسوا أشكالاً من الحوار الدائم مع منظمات الإخوان المسلمين وفي الوقت ذاته الكف عن منحهم الدعم المالي والسياسي.

بعض المناصرين لهذه الطريقة العملية يجادلون بأن خطب الود بصورة تدريجية يمكن الحكومة من أن تعرف أكثر عن أنشطة الإخوان وأهدافهم، وهي بذلك تطبق بصورة في نوع من الشك العقيدة التي تقول»اجعل أصدقاءك قريبين، ولكن أعداءك أقرب«. ولذات السبب الذي يجعلهم يرتابون في أهداف الإخوان المسلمون، عليهم الإبقاء على حوار مفتوح معهم. وفوق ذلك، كثيراً ما نجد من يجادل بأن المشاركة في النظام السياسي يمكن أن تكون لها أثر اعتدالي في الإخوان الجدد[34]. ففي الأقطار المسلمة، حيث شاركوا في النظام، تخلت المجموعات الإسلامية، على الأقل علناً، عن بعض مواقفها العقائدية. وبإجبارهم على التعامل مع الموضوعات العملية، يتوجب على الإسلاميين ترك الفقاعة العقائدية، ومراجعة أوضاعهم والتنازل[35]. ويأمل كثير من صانعي السياسة، على الاقل، في أن يحدث ذلك مع الإخوان الجدد في الغرب. الرئيس الفرنسي نيكولاي ساركوزي من بين المؤمنين بشدة بذلك. «إنني ايضاً مقتنع» يجادل ساركوزي في كتابه الصادر في عام 2004 عن الدين والدولة والذي

(34) Jonathan Laurence, "Integrating Islam: A New Chapter in Çhurch -State' Relations," report for the Transatlantic Task Force on Immigration and Integration, October 2007.

(35) See, for example, Amel Boubekeur ,"Political Islam in Algeria," Centre for European Policy Studies working paper no. 268, May 2007.

يشرح فيه رأيه بمنظمات الإخوان المسلمين الجدد المتخذة من فرنسا قاعدة لها « بأنه بمجرد أن يتم دمج شخص راديكالي في تركيبة رسمية فإنه يفقد راديكاليته لأنه صار جزءاً من الحوار»[36].

المفكر الفرنسي جيل كيبل (Gilles Kepel)، واحد من الخبراء الأوروبيين المتقدمين في الشأن الإسلامي، في الوقت الذي نجده ينتقد بشدة أهداف الإخوان الجدد في الغرب، يعتقد أيضاً أن المشاركة المتدرجة ستغير في النهاية الحركة. فهو يقارن بين الإخوان المسلمين الجدد والشيوعيين الأوروبيين، والحركات الشيوعية الأوروبية الغربية المختلفة التي تفككت شذر مذر مع تهاوي أركان الاتحاد السوفييتي في السبعينات. كما بدأت الشيوعية الأوروبية الدخول في عملية اعتدال جعلتها تتخلى عن حلمها بخلق ما يسمى بدكتاتورية الطبقة العاملة، فإن الشيء نفسه قد يحدث مع الإخوان الجدد في الغرب، الذين في نهاية الأمر سيتخلون عن حلم الخلافة العالمية، والتخلي عن بعض الاجزاء من ميراثهم الفكري التي لا تتوافق مع الحياة الديموقراطية الغربية. «وبالطريقة نفسها» كما يقول كيبل«ولعدة عقود مضت، نجد أن أطفال المهاجرين من العمال والشيوعيين إلى فرنسا من أوروبا الشرقية والجنوبية قد وقعوا تحت تأثير الحزب الشيوعي والنقابات العمالية، وهم في الوقت نفسه ظلوا منشغلين دوماً في عملية اندماج تدريجي وتقدم في المجتمع. اليوم نجد هؤلاء المواطنين الفرنسيين ينتمون إلي البرجوازية الصغيرة، وفقدوا كل

(36) Nicolas Sarkozy, La Republique, les Religions, lEsperance(Paris: Editions du Cerf, 2004),100.

الروابط مع الماركسية اللينينية ومع أوطان آبائهم الأصلية[37].

بالطبع، من المستحيل التنبؤ بدخول الإخوان الجدد في الغرب في العملية نفسها والمرور بالتطور والتحول نفسه. إن خطب وأحاديث القادة من جيل الإخوان الجدد المولود في الغرب تبدو أنها تعزز وجهة النظر هذه، على الرغم من أن المتشائمين قد يجادلون بأن الإخوان ماهرون في خداع الغربيين. على اية حال، إن خطب الود المتدرج الذي يقود إلى إضعاف أو ترقيق الأيديولوجية الإسلامية يبدو هو الفكرة التي تقود كثيراً من صانعي السياسة في أسلوب تعاملهم مع منظمات الإخوان الغربيين الجدد.

الحاجة أو إدارك الحاجة

يقوم المسؤولون الحكوميون، وبشكل عرضي، بخطب ود منظمات الإخوان الجدد في الغرب، وبصورة مستقلة، عن تقييمهم الجماعة، لأن العمل معهم في موضوع معين، يمكن أن يحقق هدفاً مؤسسياً. وحتى وكالات الاستخبارات التي تحمل معظم الأفكار السلبية عن الإخوان نجدها تعترف، وفي بعض الحالات، بأنه من مصلحة الدولة تأسيس أشكال من التعاون المحدود حيث إن الإخوان يعتقد بأنهم في وضع فريد لمد يد المساعدة للدولة. وقد شمل هذا التعاون في كثير من جوانبه قضايا الأمن والإرهاب، إذ تحاول بعض الحكومات أن تحول لمصلحتها ذلك النفوذ والشرعية التي يتمتع بها الإخوان الجدد في الغرب وسط المجتمع المسلم،

---

(37) Gilles Kepel, Jihad: Trail of Political Islam(Cambridge, MA: Harvard University Press, 2002),369-70.

وبالأخص وسط الأطراف الراديكالية فيه. وبناء على نظرية السياسة الواقعية الباردة، فإن هذا التحليل يجادل بأنه يمكن استغلال الإخوان كشركاء محدودين، حتى ولو تم النظر إلى هؤلاء الإخوان بصورة سلبية.

خلال السنوات القليلة الماضية،على سبيل المثال، شعرت مختلف الحكومات، وفي أوقات متفاوتة، بالحاجة إلى البحث عن دعم منظمات الإخوان الجدد في الغرب لنزع فتيل التوتر داخل الجاليات المحلية المسلمة. فالسلطات الدنماركية، مثلاً، تعتقد أن الشبكات المؤثرة فيها من قبل الإخوان في الدنمارك كانت حاسمة في حفظ الهدوء داخل البلاد إبان أزمة الرسوم الكرتونية المسيئة للنبي محمد (صلى الله عليه وسلم). وعلى الرغم من أن تلك المنظمات قد ساعدت على تدويل الموضوع بتحريك مجموعات الإخوان المسلمين على مستوى العالم وأن معظم صانعي السياسية الدنماركيين يرى أن تأثيرها في المسلمين الدنماركيين كان سالباً جداً، إلا أن خدمات الأمن الدنماركية تعترف بأن التعاون مع الإخوان كان أساسياً في منع العنف داخل الدنمارك في أوج الأزمة[38].

في بعض الحالات تعدى التعاون الأمني حدود الأوضاع الطارئة ليصير، إن لم نقل سياسة دائمة، نهجاً أو نمطاً مؤسساً. بعض الحكومات الغربية تحاول ان تؤسس علاقة مع الإخوان الجدد في الغرب لخلق نوع

(38) مقابلة مع هانز يورغن بونشيسن، رئيس العمليات السابق في المخابرات الداخلية الدنماركية، كوبنهاغن، نوفمبر 2008:

John Hansen and Kim Hundevadt, Provoen og Profeten: Muhammed Krisen Bag Kulisserne(Aarhus:Jyllands-Postens Forlag, 2006); Pernille Ammitzboll and Lorenzo Vidino, After the Danish Cartoon Controversy," Middle East Quaretrly 14, no. 1(Winter 2007).

من الوئام والإلفة مع المجموعات الإسلامية في العالم الإسلامي إذ ترى في العلاقة الأولى مفتاحاً للثانية. في حالات أخرى، تم أخذ الإخوان المسلمين الجدد في الغرب شركاء في الحرب ضد الإرهاب. وكما سيجري تحليله بصورة كاملة في الباب الثامن، فإن الحكومات الغربية تعتقد أن الإسلاميين الذين لا يحبذون العنف قد يساعدون بدرجة كبيرة على محاربة التطرف العنيف وسط الجاليات الغربية المسلمة، وقد أسست أشكالاً مختلفة من التعاون معهم. وهنالك جدل آخر يقول إن الإخوان الجدد في الغرب يمكنهم مساعدة الحكومات على مكافحة مشكلات الجريمة وأنشطة العصابات في المناطق الحضرية ذات التركيز العالي من السكان المسلمين.

إن فعالية هذه الاستراتيجيات تثير الجدل عالياً، ومن الصعب تحديدها، وبالاخص على المدى الطويل. وفي سياق تنفيذ تلك الاستراتيجات، كثيرا ما تسعى الحكومات إلى إيجاد توازن صعب بين خطب ود منظمات الإخوان وإشراكها لتحقيق أهداف أساسية وفي الوقت نفسه تفادي تمكين الأجندة الاجتماعية للإخوان. وعلى أيه حال، تمثل جهود الإشراك فرصة سياسية مهمة للإخوان الجدد في الغرب الذين يسعون إلى استغلال جميع الثغرات الممكنة لزيادة نفاذهم إلى السلطة ومن ثم زيادة شرعيتهم ونفوذهم.

الفصل الخامس

بريطانيا العظمى

الجزء الثاني من هذا الكتاب يتناول بتحليل وافٍ أوضاع المسلمين والتنظيمات الإسلامية في عدد من الدول الغربية، مع إيراد الأمثلة عن بعض التجارب والأنماط التي تقدم ذكرها في الفصول السابقة. ولعله من المناسب البدء بالوضع في بريطانيا العظمى حيث نشطت تنظيمات الصحوة الإسلامية، التي تعود أصولها في الغالب إلى جنوبي آسيا، بصورة خاصة هناك، ويكشف تحليل الأساليب التي اتبعتها عن تكرار ذات التجارب والأنماط في غالبية البلدان الأخرى. إضافة إلى ذلك، كان لبريطانيا قصب السبق من بين الدول الغربية من حيث المبادرة إلى وضع سياسة للتعامل والتواصل مع أبناء الجالية الإسلامية. كما أن السجال الداخلي والتحولات السياسية تقدم معلومات مفيدة عن الأحداث التي جرت في مواقع أخرى خارج بريطانيا.

قيام شبكة المودودي

يعود أول وجود للمسلمين في بريطانيا العظمى إلى قبل ثلاثة قرون على الأقل، عندما استأجرت شركة الهند الشرقية (بريطانية)

مجموعات صغيرة من البحارة من جنوبي آسيا للعمل في عدد من الموانئ التي تديرها الشركة[1]. إضافة إلى بحارة جنوبي آسيا، كان هنالك وجود لبحارة من اليمن وطلاب من الهند استقروا في مختلف المدن البريطانية في القرن التاسع عشر ومطلع العقود الأولى من القرن العشرين، ولكن لم يستقر المسلمون بأعداد كبيرة في بريطانيا إلا في السنوات التي تلت الحرب العالمية الثانية. وتمتع الهنود والباكستانيون (من باكستان الغربية وباكستان الشرقية التي انفصلت فيما بعد لتصبح بنغلاديش) بوصفهم رعايا سابقين تحت التاج البريطاني بحمل جنسية دول الكومنولث، وكفل لهم ذلك حق الإقامة في بريطانيا والاستفادة من الفرص الاقتصادية التي توافرت نتيجة لازدهار الاقتصاد البريطاني في ذاك الحين. واستقر المهاجرون المسلمون - أغلبيتهم كانت تسعى وراء الحصول على وظائف بسيطة لا تحتاج لمهارات عالية- بصفة نهائية في العاصمة لندن والمدن الصناعية في شمال المملكة المتحدة، وقاد ذلك إلى نشوء جاليات إسلامية كبيرة في مدن برادفورد، وليستر، واولدهام، وبيرمنغهام.

وعلى الرغم من أن الحكومة البريطانية أوصدت أبوابها في وجه المهاجرين القادمين من دول الكومنولث في عام 1962م، إلا إن قوانين لم شمل الأسر وغيرها من القوانين الخاصة بالهجرة سمحت لأعداد السكان المسلمين بالزيادة والنمو في بريطانيا. وكان إحصاء 2001م، وهو آخر

(1) Philip Lewis, Islamic Britain: Religion, Politics and Identity Among British Muslims,(London: I. B. Tauris,1994),

يمكن أن يعود تاريخ من اعتنقوا الإسلام من أشخاص عاديين وتجار مسلمين إلى أواخر القرن السادس عشر انظر:
Nabil Matar, Islam in Britain,1558-1685 (Cambridge :Cambridge University Press,1998).

إحصاء رسمي تم، قد أشار إلى أن تعداد المسلمين قد بلغ 1،6 مليون وهو رقم يمثل 2،7 بالمائة من إجمالي عدد السكان في بريطانيا[2]. كما أن الإحصاءات الأخيرة قد أشارت هي الأخرى إلى الزيادة الملحوظة في عدد المسلمين في بريطانيا منذ ذلك الحين، إذ قدر المكتب الوطني للإحصاء في بريطانيا أن عدد المسلمين في البلاد قد زاد بأكثر من 500،000 نسمة ليصل عددهم إلى 2،4 مليون، وذلك خلال المدة من عام 2004م إلى عام 2008م بمعدل نمو يفوق عشر مرات معدل نمو بقية سكان بريطانيا[3].

وقد اعتنق معظم المسلمين- أغلبيتهم قادمون من جنوبي آسيا- المذهب السني التقليدي ومذاهب أخرى أصلها سني نشأت في شبه القارة الهندية مثل الديوبندية (Deobandi) (الديوبندية طائفة دينية، تنسب إلى جامعة ديوبند – دار العلوم في الهند. وهي مدرسة فكرية عميقة الجذور طبعت كل خريج منها بطابعها العلمي الخاص. المترجم) والبرلفية (Barelvi) النسبة هنا إلى سيد أحمد بارلفي أول مسلم راديكالي جاء من الهند إلى باكستان عام 1820 ليقود أول حركة تمرد ضد الانجليز والسيخ حكام البنجاب وبقيت مواقفه مصدر تأثير وإلهام لدى مقلدي خطه السياسي والمذاهب الصوفية المختلفة[4]. وقد أدى تشظي الشبكات الاجتماعية، والقبلية، والعائلية في الستينات إلى تنافس الجماعات الإسلامية فيما بينها، لبسط نفوذها في أوساط الجاليات الإسلامية،

(2) إحصاء المملكة المتحدة لعام 2001،
http://www. statistics. gov. uk/census2001.asp

(3) Data included in Richard Kerbaj," Muslim Population Rising 10 Times Faster Than Rest of Society," Times of London, January 30, 2009.

(4) وفقاً لكتيب المجلس الوطني الاستشاري للأئمة والمساجد، دليل الممارسات الجيدة للأئمة والمساجد في بريطانيا، فان 68 بالمائة من المسلمين في بريطانيا من أصول جنوب آسيوية.

التي تعود أصولها إلى جنوب آسيا، في بريطانيا من خلال إنشاء المساجد والمدارس والبنيات التحتية لتلبية الاحتياجات الدينية والاجتماعية لهذه الجاليات[5]. وكما حدث في معظم الدول الغربية، نشأت حركات صحوة إسلامية في بريطانيا في ذلك الوقت، غير أن الفضل في قيام الشبكات الإسلامية في الدول الغربية الأخرى يعود إلى الناشطين العرب غير أن في بريطانيا كان لأعضاء الجماعة الإسلامية (Jamat-e- Islami-Jel) القدح المعلى في تكوين الشبكة الإسلامية. وكان للناشطين العرب المنتمين للتنظيمات المختلفة المتفرعة عن الإخوان المسلمين حضور ظاهر في بريطانيا في حقبة الستينات ما ساهم في قيام أبرز منظمتين طلابيتين(جمعية الطلبة المسلمين واتحاد جمعيات الطلبة المسلمين «FOSIS») ونشطت هاتان المنظمتان داخل مختلف المنظمات الإسلامية البريطانية منذ ذلك الحين. غير أن الإسلام والإسلام السياسي في المملكة المتحدة تشكلا وأخذا طابعهما وفقاً لأصول مسلمي جنوبي آسيا الذين تفوقوا على المسلمين الآخرين في المملكة المتحدة من حيث النفوذ والعدد.

وكما سبقت الإشارة إليه، تكونت الجماعة الإسلامية(Jel) في عام 1941م على يد أبو الأعلى المودودي كامتداد لحركة الإخوان المسلمين في شبه القارة الهندية، ونمت وتطورت لتصبح حزباً سياسياً ناجحاً في باكستان[6]. ومع تزايد أعداد المسلمين في بريطانيا شدت أعداد قليلة

(5) Lewis, Islamic Britain,10-48; Jorgen S. Nielsen," Transnational Islam and the Integration of Islam in Europe," in Stefano Allievi and Jorgen S. Nielsen, Muslim Networks and Transnational Communities in and Across Europe(Leiden:Brill,2003),35.

(6) للإطلاع على التاريخ الشامل للجماعة الإسلامية، انظر:

من أعضاء الجماعة الإسلامية الرحال إلى بريطانيا للقيام بأمر الدعوة ونشر الإسلام في المملكة المتحدة. وعلى عكس غالبية المتعاطفين مع حركة الإخوان المسلمين من العرب الذين استقروا في الغرب هرباً من القمع والاضطهاد الذي تعرضوا له في بلدانهم، أو لمواصلة تعليمهم، ولم تكن لهم نوايا مبيتة سلفاً لإنشاء فروع لحركتهم هناك، سافر عدد من ناشطي الجماعة الإسلامية إلى بريطانيا كجزء من خطة أقرها قادة الجماعة في باكستان، لنشر عقيدتهم في كافة أنحاء المعمورة[7]. ونشط أتباع المودودي المقربون منه من أمثال خورشيد أحمد، وخرام مراد، الذين جاشت نفوسهم حماسة وبزوا أقرانهم بحصيلتهم من التعليم الرفيع وإجادتهم للغة الإنجليزية، ليضعوا اللبنات الأولى لشبكة الجماعة الإسلامية في بريطانيا. وقضى الرجلان(خورشيد ومراد) عمريهما في التنقل بين باكستان، حيث شغلا مناصب سياسية رفيعة (خورشيد احمد عضو بالبرلمان لعدة دورات، ووزير في حكومة الجنرال ضياء الحق)، حيث أشرفا على إنشاء عشرات المنظمات[8].

وتكللت أنشطة شبكة المودودي بقيام البعثة الإسلامية في المملكة المتحدة(UKIM) في عام 1962م واتخذت من حي إزلينغتون، الذي شهد نمواً في عدد سكانه من المسلمين في ذلك الوقت، في منطقة شمال لندن مقراً لها[9]. وبعكس الحركة الديوبندية والحركات الصوفية التي لم تخرج

Seyyed Vali Reza Nasr, The Vanguard of the Islamic Revolution: The Jama'at-I Islami of Pakistan(Berkeley: University of California Press,1994)

(7) John L. Esposito and John O. Voll, Makers of Contemporary Islam(Oxford University Press, 2001),39-46.

(8) المرجع السابق.

(9) المسلمون في لندن، تقرير نشرته هيئة لندن الكبرى في أكتوبر 2006

من عباءة التنظيمات المحافظة التي تحاول ببساطة الحفاظ على العادات الاجتماعية والدينية وضمان التزام المسلمين المقيمين في بريطانيا بها، كشفت التنظيمات المنضوية تحت لواء الجماعة الإسلامية صراحة عن أهدافها وأجندتها السياسية. وعّرفت البعثة الإسلامية، بتطبيقها تعاليم المودودي، عن هويتها أنها» منظمة عقائدية» وجاء في إعلان تأسيسها أنها تؤمن» أن الإسلام منهج حياة شامل يجب تطبيقه في مناحي الحياة البشرية كافة «[10]. وبالمثل، أشار إعلانها إلى أن المنظمة تسعى إلى إقامة نظام اجتماعي إسلامي صالح للمسلمين وغير المسلمين المقيمين في بريطانيا على حد سواء»[11]. وامتدح أبو الأعلى المودودي، في خطابه أمام المؤتمر الذي عقدته البعثة في عام 1976م أعضاءها لجهودهم ووصفهم بأنهم «رواد الحركة والقرار الإسلامي في العالم الغربي» وحثهم على مواصلة جهودهم الدعوية في بريطانيا حيث لا يوجد عائق يحول بين جميع البشر واعتناق الإسلام[12]. إدراكاً منها لأهمية نشر تعاليمها وسط أكبر عدد ممكن من الجمهور، شرعت البعثة في إقامة فروع لها في سائر أنحاء بريطانيا. وتعد البعثة الإسلامية في المملكة المتحدة اليوم واحدة من كبريات المنظمات الوطنية، حيث تدير49 فرعاً توفر تعليماً حسب المناهج الإسلامية لآلاف الأطفال المسلمين في بريطانيا[13]. وتبنت شبكة المودودي، مهتدية بخطى تنظيمات الإخوان المسلمين الجديدة في

(10) UK Islamic Mission, An Introduction, as quoted in Gilles Kepel, Allah in the West: Islamic Movements in America and Europe (Palo Alto: Stanford University Press,1997), 131.

(11) التقرير السنوي للبعثة الإسلامية في المملكة المتحدة لعام 1977/1976، نشر في مجلة رابطة العالم الإسلامي، إبريل 1978.

(12) نشر في مجلة رابطة العالم الإسلامي، إبريل 1978.

(13) التقرير السنوي للبعثة الإسلامية في المملكة المتحدة لعام 2005/2004، نسخة بحوزة المؤلف، 2-4.

الغرب وبدعم مادي من دول الخليج العربي، تنظيمات ومبادرات أخرى. وإضافة إلى نشر أفكار المودودي والمفكرين الإسلاميين الآخرين، نشطت الشبكة في إصدار مطبوعات خاصة بها مثل مجلة «بايغام» أو «الرسالة» التي تصدر باللغة الأردية[14]. وفي عام 1982م أنشا خرام مراد لجنة توجيه وقيادة مؤلفة من عشرات العناصر النشيطة في الجماعة الإسلامية تختص بـ« عرض الإسلام على البريطانيين كأسلوب حياة بديل»[15]. بعد عامين من التدريب أسس الناشطون جناحاً للبعثة الإسلامية خاصاً بالتعامل مع قضايا الشباب أطلقوا عليه اسم «منظمة الشباب المسلمين في المملكة المتحدة(Young Muslims UK)» تحت قيادة فاروق مراد نجل خرام[16]. وتسعى منظمة الشباب المسلمين التي استقلت عن الهيكل التنظيمي لشبكة المودودي جاهدة اليوم في كسب قلوب أبناء وبنات المهاجرين المسلمين وعقولهم، من خلال تنظيمها حلقات للدرس وإقامتها معسكرات صيفية ومسابقات للقرآن الكريم، وحتى منافسات رياضية وثقافية تجري فعالياتها في أجواء دينية، مع الحرص على الفصل بين الجنسين. [17]

ونمت شبكة المودودي، التي اتخذت من مسجد شرق لندن الشهير مقراً لها بشكل ملحوظ مع مرور السنين، وضمت تحت لوائها مجموعة متنوعة من المنظمات التي تلبي احتياجات الدوائر الإقليمية المختلفة، أو

(14) Lewis, Islamic Britain, 103

(15) Anthony McRoy, From Rushdie to 7/7: The Radicalisation of Islam in Britain(London: Social Affairs Unit,2006),119.

(16) Lewis, Islamic Britain, 104

(17) (accessed May 5,2009) http:www. ymuk. net/

الفئات الاجتماعية التي تدور في الفلك العقائدي نفسه. وتبرز، في مقدمة هذه المجموعات، المؤسسة الإسلامية التي كانت من بنات أفكار خورشيد أحمد. ونمت هذه المؤسسة هي الأخرى، التي أنشئت في عام 1973م في مكتب صغير مكون من غرفتين في وسط مدينة ليستر، لتصبح واحدة من أكبر مؤسسات المعرفة الإسلامية في أوروبا. في عام 1990م نقلت المؤسسة مكتبها الرئيس إلى قصر مترامي الأطراف في قرية ماركفيلد التي تبعد مسافة بضعة أميال شمال مدينة ليستر(18). وأصبحت المؤسسة منارة لنشر الفكر الإسلامي في الغرب، وتكفلت بطباعة أعمال عدد من المفكرين الإسلاميين وباتت جسراً يربط بين الناشطين العرب ونظرائهم من جنوبي آسيا. وقد مر بعض كبار المفكرين الإسلاميين من كل سائر العالم على المؤسسة إما لحضور الندوات التي تنظمها وإما زملاء زائرين لفترات تطول وتقصر.

مثل أغلبية تنظيمات الإخوان المسلمين الجديدة في الغرب، تطورت شبكة المودودي في بريطانيا تطوراً ملموساً مع مرور الوقت، كاشفة عن نوع من الطبيعة المزدوجة. فمن ناحية، نجد أن الناشطين المرتبطين بهذه الشبكة، خاصة الجيل الثاني منهم الذين ولدوا في بريطانيا، قد اجتهدوا في إعادة تفسير تعاليم المودودي وصياغتها. ففي المؤتمر السنوي للبعثة الإسلامية في عام 1988م أعلن خورشيد أحمد أن السبيل الوحيد المأمون أمام مسلمي بريطانيا، الراغبين في حماية ذريتهم وممتلكاتهم وأعمالهم التجارية هو العمل على جعل السكان الأصليين يقبلون على اعتناق الإسلام حتى يصبحوا أغلبية، أي: أسلمة المجتمع.

(18) http:www. islamic-foundation. org. uk

ولكن ما هو ظاهر للعيان اليوم هو تخلي هؤلاء الناشطين عن هذه الأهداف غير الواقعية، وتعبيرهم بصراحة عن رغبتهم في الإسهام في الحفاظ على لحمة المجتمع الديمقراطي المتعدد الديانات[19]. وشاركت الشبكة في عدة مبادرات للحوار بين الأديان وعملت مع المجالس المحلية في مختلف المدن لإيجاد الحلول لكثير من القضايا والمشكلات التي تواجه الجالية الإسلامية، كما نظمت دورات توعية وتعريف بالإسلام خاصة لرجال الشرطة البريطانيين. وينظر كثيرون في المؤسسة البريطانية إلى المنظمات التابعة للشبكة كشركاء معتدلين يمكن الوثوق بهم والركون إليهم عند الحاجة. وقد امتدح أمير ويلز- الذي صادف جلوسه خلال مأدبة عشاء بمناسبة الذكرى الثلاثين لقيام المؤسسة الإسلامية بجانب خورشيد أحمد- المؤسسة كمثال يحتذي به الآخرون ولم يخف إعجابه ببرنامج الشبكة الخاص بتوفير منح دراسية إسلامية في الغرب[20].

غير أن آخرين لا يشاطرونهم هذا الرأي ويرون خلاف ذلك، إذ يقولون إن شبكة المودودي لم تتخلَّ أو تنفصل أبداً عن ماضيها. وبناء على هذا الرأي فهم يرون أن موقف الاعتدال الذي تبديه الجماعة ما هو إلا محاولة لذر الرماد في العيون، أو قناع تضعه الجماعة على وجهها لخداع الحكومة البريطانية. بزيارة إلى موقع أي من المنظمات التابعة لهذه الشبكة على الإنترنت ستجد أن كتاباتها الرافضة لأي نظام سياسي لا يقوم على أساس الشريعة الإسلامية شيئاً معتاداً ومألوفاً وفي غالب الأحيان

---

(19) Lewis, Islamic Britain, 102

(20) حديث صاحب السمو الملكي أمير ويلز خلال زيارته للمؤسسة الإسلامية في 24 يناير 2003.
http://www.princeofwales.gov.uk / speechandarticles / a_speech_by_hrh_the_prince_of_wales_during_his_visit_to-the_202488901.html

يكون كاتب المقال، أو من ترجمه من ناشطي الشبكة، الذين ينتمون إلى الجيل الثاني من أعضائها، أي: من ولدوا في بريطانيا. وعلى سبيل المثال المقالة التي دبجها المودودي ببراعة في عام 1939م تحت عنوان: «الجهاد في الإسلام» التي لا تزال موجودة على موقع البعثة الإسلامية على الشبكة العنكبوتية منذ إبريل 2009 إلى جانب عشرات المقالات والكتابات الأخرى له تقول: (الحقيقة هي أن الإسلام أيديولوجية ثورية، تسعى إلى تغيير النظام الاجتماعي للعالم بأسره وإعادة بنائه وفقاً لتعاليم الإسلام ومثله»[21]. كما أن الخطب والمحاضرات التي تلقى في المساجد، التي تديرها الجماعة، حملت لهجة مماثلة تتحدث عن عظمة الإسلام وسيادته على سائر الديانات الأخرى، وعن الحاجة إلى تحويل بريطانيا، وكذلك بقية العالم إلى دولة إسلامية[22].

ويدور هذا النقاش اليوم في أروقة البرلمان البريطاني، وأصبحت له تداعيات عملية وتأثيرات ملموسة في صنع القرارات والسياسات بالنظر إلى أهمية شبكة المودودي وتأثيرها ونفوذها على الجالية الإسلامية في بريطانيا. لقد وصل المودوديون إلى بريطانيا مثلهم مثل بقية القوى الكثيرة التي تنافست وسعت إلى كسب النفوذ، ولكن كيف تمكنت شبكتهم أي المودوديون من التقدم على بقية الجماعات مثل الديوبندية، والبرلفية، والصوفية التي كان لها من النفوذ والتأثير في الجالية الجنوب آسيوية ما

(21) Htpp://www. ukim. org/dawahBooks/jihad. pdf(accessed April15,2009)

(22) انظر على سبيل المثال:

Dawah: "Our Purpose, Our Goal," Fiaz Hussein, UK Islamic Mission National Dawah Committee, speech at the 2003 annual conference of the Islamic Mission, http://ukim. org/dawah/dawah%20our%purpose%20our%20goal. (accessed April 15,2009)

لم يكن لشبكة المودودي؟. بالنظر إلى ما حدث في الدول الأخرى، نجد أن أسباب تفوق شبكة المودودي تعود إلى نشاط أعضائها وتوفر الدعم المالي لها وإلى مهاراتها وقدراتها على تعبئة وحشد جموع المسلمين. غير أنه إذا كانت عملية بسط النفوذ في الدول الأخرى تمت بالتدريج، إلا أنه في بريطانيا يمكن أن نعزو تأكيد وإثبات التنظيمات والجماعات الإسلامية لوجودها إلى لحظة محددة من الزمان، التي غالباً ما ينظر إليها بحسبانها معلماً في مسيرة العلاقات بين الغرب والإسلام.

قضية سلمان رشدي وقيام المجلس الإسلامي في بريطانيا

في سبتمبر عام 1988م صدرت عن دار نشر «بنغوين» البريطانية رواية «آيات شيطانية» للكاتب الهندي سلمان رشدي[23]. في روايته تلك تعرض رشدي، صاحب الشخصية المتمردة التي سخرت في كتاباتها السابقة من التقاليد الهندية والبريطانية، إلى حياة الرسول بالتطاول والإسفاف. وعلى وجه الخصوص يشير عنوان الكتاب إلى الاعتقاد بأن بعض آيات القرآن الكريم كانت من وحي الشيطان أملاها على الرسول وأن الشيطان خدع محمداً وجعله يؤمن بأن هذه الآيات وحي من عند الله. وسخرت الأجزاء الأخرى من الكتاب من جوانب حياة الرسول المختلفة ومن عقيدة المسلمين وأهداف أخرى كثر طالتها سخريته وتجريحه.

وانتقد رشدي، المثقف العلماني المسلم، الذي يجد ذاته في

(23) Salman Rushdie, The Satanic Verses (New York: Viking, 1989)

الأوساط الثقافية اللندنية أكثر مما يجدها في المساجد، بشدة الجماعة الإسلامية وهاجمها بعنف في السابق، وكانت روايته «آيات شيطانية» الشرارة التي أشعلت الحريق ودفعت مسلمي جنوبي آسيا إلى حشد قواهم ضد عدوهم اللدود[24]. ونظم ناشطو المؤسسة الإسلامية في مدينة مدراس الهندية حملة لحظر الرواية في الهند، وحثوا زملاءهم في المؤسسة الإسلامية في ليستر على أن يخطوا الخطوة نفسها لمنع الرواية من التداول في بريطانيا[25]. وعلى الفور قام مدير المؤسسة في ليستر الدكتور مناظير إحسان ومحرر إمباكت انترناشيونال(Impact International) حاشر فاروقي، بوضع خطة لحشد المسلمين البريطانيين واصطفافهم. وقاما بمخاطبة عدد كبير من المساجد والمنظمات الإسلامية وقادة الجالية الإسلامية للتنديد بالرواية وكاتبها، وحثوهم على تنظيم حملة لإجبار الناشر على سحب الرواية من أرفف المكتبات وإلى إصدار اعتذار رسمي[26].

بعد ردود الفعل الإيجابية التي تمخضت عنها الحملة، عقد فاروقي وإحسان اجتماعاً ضم أكثر من عشرين هيئة ومنظمة إسلامية، وانتهى الاجتماع بتشكيل لجنة العمل للشؤون الإسلامية في المملكة المتحدة(UKACIA) لتتولى مهمة تنسيق الجهود بين المنظمات والتنظيمات الإسلامية. وترأس اللجنة، التي كانت تمثل مجموعة غير

---

(24) Malise Ruthven, A Satanic Affair: Salman Rushdie and the Wrath of Islam (London: Hogarth Press, 1991), 65-66.

(25) المرجع السابق.

(26) M. M. Ahsan and A. R. Kidwai, eds. , Sacrilege Versus Civility: Muslim Perspective on The Satanic Verses Affair (Leicester: Islamic Foundation, 1993),335-37; Kepel, *Allah in the West*, 130-46.

متجانسة، ضمت طوائف واتجاهات مختلفة، الدبلوماسي السعودي مغرم الغامدي مدير مسجد ريجنت بارك، ولكن كان من الواضح أن إدارة اللجنة للمودوديين[27]. وقد خصت اللجنة الجالية الإسلامية ببعض جهودها واستطاعت أن تجمع 60،000 توقيع لدعم حملة حظر الرواية وطالبت المسلمين البريطانيين بالتأثير في الرأي العام من خلال الكتابة للصحف المحلية، ولممثليهم في البرلمان[28]. وتحركت اللجنة كممثل فعلي للجالية الإسلامية في بريطانيا، وطالبت رئيسة الوزراء البريطانية مارغريت ثاتشر بتغيير القوانين البريطانية الخاصة بالتجديف والإساءة للأديان، وطلبت من دار «بنغوين» إصدار اعتذار رسمي وسحب جميع نسخ الرواية من المكتبات، ودفع تعويض مادي لجمعية خيرية تختارها هي، أي: اللجنة[29].

ولما لم تلق دار «بنغوين» ولا غالبية أعضاء الحكومة البريطانية بالاً للمطالبة، قرر قادة شبكة المودودي تدويل القضية من خلال السعي إلى كسب تعاطف الحكومات المسلمة ودعمها. وفي هذا الشأن سافر إحسان إلى المملكة العربية السعودية حيث التقى الأمين العام لرابطة العالم الإسلامي وغيره من الشخصيات للحصول على دعم لقضيتهم ضد سلمان رشدي وآياته الشيطانية[30]. ولعب سالم عزام أمين عام المجلس

(27) Philip Lewis, "The Bradford Council for Mosques and the Search for Muslim Unity, "in Steven and Ceri Peach, eds. , Islam in Europe: The Politics of Religion and Community (London: McMillan, 1997), 103-29.

(28) UK Muslims Act Against Infamous Book," interview with Manazir Ahsan, Saudi Gazette, December 15, 1988. "

(29) "The Fuss About Fatwa Evades the Real Issue: Sacrilege," interview with Iqbal Sacranie, Impact International, March 12/April 8, 1993.

(30) "UK Muslims Act against Infamous Book".

الإسلامي في أوروبا هو الآخر دوراً رئيساً من خلال اتصالاته مع النخب الحاكمة في العالم الإسلامي. وبنهاية العام، تحركت منظمة المؤتمر الإسلامي التي تضم في عضويتها جميع الدول والحكومات الإسلامية لتعلن التعبئة ضد الرواية ومنعت تداولها، وسعت لدى الدول غير الإسلامية لاتخاذ إجراء مماثل.

وعلى الرغم من هذه الجهود، التي تكررت بأساليب مشابهة بعد نحو عشرين عاماً عقب نشر صحيفة يولاند بوستن الهولندية لرسوم مسيئة للرسول (صلى الله عليه وسلم)، إلا أن لا دار «بنغوين» ولا الحكومة البريطانية تراجعتا عن موقفهما الرافض لمنع تداول الرواية والاعتذار. وفي هذه الأثناء، توافر للمنظمات والاتجاهات الإسلامية الأخرى الوقت لتنظيم تحركاتها ضد الرواية، ولكن بسبب افتقارها الوسائل، والصلات الدولية، والحنكة السياسية، التي ميزت شبكة المودودي، اقتصرت جهودها على النطاق المحلي ولم تتجاوز حدودها المحلية. وفي 14 يناير 1989م نظم المسلمون في برادفورد تظاهرة احتجاج ضخمة، وأحرقوا نسخاً من الآيات الشيطانية علناً، ما أثار ضجة وسط النقاد البريطانيين، الذين قرنوا بين هذه التصرفات وحادثة حرق النازيين الشهيرة للكتب في ثلاثينات القرن العشرين. وبعد شهر من هذه التظاهرة، أصدر رجل الدين الإيراني آية الله الخميني، استجابة لدعوة من أنصاره في بريطانيا، الذين رغبوا في التصدي للمد السعودي في بريطانيا، فتوى أهدر فيها دم سلمان رشدي، ودم كل من له صلة بالرواية ونشرها. وأعقب ذلك حوادث عنف متفرقة وتعرضت محلات بيع الكتب المختلفة في لندن ومواقع أخرى ذات صلة بدار نشر «بنغوين» إلى الحرق لاحقاً. وفي أغسطس فجر الشيعي

اللبناني مصطفى مزه21- عاماً- نفسه عرضاً في غرفة بفندق بادينغتون في لندن أثناء تجميعه قنبلة كان ينوي بها قتل رشدي[31].

وقد حظيت فتوى الخميني وحادثة حرق الرواية في برادفورد باهتمام معظم وسائل الإعلام، واحتلت صورة الرواية حيزاً في الصفحات الأولى للصحف والمجلات ووسائل الإعلام الأخرى خلال الأزمة. ولكن هذه الجهود بدت مثل محاولات مرتجلة واتسمت بسوء التنظيم من جانب الجماعات الإسلامية المتنافسة للاستجابة لدعوة المودوديين، التي أثارت الإعجاب، ورعاتها السعوديين. وقد أثارت الرواية حنق غالبية المسلمين البريطانيين، وسبقت شبكة المودودي الجميع إلى استغلال طوفان المشاعر وترجمتها إلى عمل سياسي نشيط. وقفزت الشبكة التي كانت صغيرة من حيث العدد وغير معروفة حتى ذلك الحين إلى الصفوف الأمامية، وتقدمت الآخرين وخطت نحو قيادة الجالية الإسلامية في بريطانيا. وبينما كانت الاتجاهات الأخرى تكافح من أجل تنظيم استجابة، عرف أعضاء شبكة المودودي، المتمرسون سياسياً والمدربون مهنياً، كيف يحركون الناس واستخدموا جميع الوسائل المتاحة في ظل النظام الديموقراطي ليعبروا عن صوت الجالية الإسلامية وفي الوقت نفسه تعزيز مكانتهم وسطها.

وتعد قضية سلمان رشدي نقطة تحول في تاريخ المسلمين في بريطانيا. ومع أن التعبئة لم تحقق هدفها الرئيس المتمثل في حظر الرواية،

(31) Anthony, Loyd, "Tomb of the Unknown Assassin Reveals Mission to Kill Rushdie," Times of London, June 8, 2005.

إلا أن تأثيرها في الجالية الإسلامية وفي نظرة الرأي العام البريطاني، كانت مهمة في صياغة ورسم صورة التطورات اللاحقة. ويمكن القول إن أبرز أثر هو بروز هوية مشتركة للمسلمين البريطانيين[32]. ويقول عنايات بنغلاوالا، مساعد الأمين العام للمجلس الإسلامي البريطاني، في هذا الصدد :» لقد كانت لحظة الميلاد في التاريخ الإسلامي في بريطانيا، لقد وحدت المسلمين. فقبل ذلك كانوا يعرفون بأنهم جاليات عرقية، ولكن آيات شيطانية جمعتهم، وساعدت على تطوير هوية إسلامية بريطانية«[33]. وفي ذات الموضوع يشير البروفيسور ديلوار حسين من المؤسسة الإسلامية إلى قضية سلمان رشدي على أنها: «علامة فارقة في تاريخ المنظمات الإسلامية في المملكة المتحدة لأنها فعلت كثيراً، فقد صاغت جيلاً من القادة المسلمين الذين شكلوا مستقبل الجالية في بريطانيا»[34]. وعززت مختلف الأحداث، من حرب الخليج إلى النزاع في البوسنة طوال تسعينات القرن العشرين الشعور بالهوية وسط المسلمين البريطانيين، الذين أصبحوا وعلى نحو متزايد أكثر حضوراً في الشأن العام[35]. وأخذوا كذلك في إسماع صوتهم والتعبير عن مطالبهم أمام المسؤولين البريطانيين، بدءاً برغبتهم في الحصول على تعليم إسلامي

(32) Rana Kabbani, "Dislocation and Neglect in Muslim Britain's Ghettos," Guardian, June 17, 2002.

(33) Andrew Anthony, "How One Book Ignited a Culture War," Guardian, January 11, 2009.

(34) Dilwar Hussein, "The Holy Grail of Muslims in Western Europe,"in John L. Esposito and Francois Burgat, eds. , Modernizing Islam: Religion in the Public Sphere in Europe and the Middle East(New Brunswick: Rutgers University Press,2003), 229.

(35) Steven Vertovec, "Muslims, the State and the Public Sphere in Britain, "Gerd Nonneman, Tim Niblock, and Bogdan Szajkowski, eds. , Muslim Communities in the New Europe (Berkshire, UK: Ithaca Press, 1996), 170-73.

في المدارس العامة. وبتلبيتها هذه الاحتياجات، تكون لجنة العمل للشؤون الإسلامية في المملكة المتحدة (UKACIA) وقادتها من شبكة المودودي قد وضعت اللبنات لقيام منظمة دائمة تمثل مصالح الجالية الإسلامية في بريطانيا.

في عام 1995م، شكل عدد من قادة لجنة العمل للشؤون الإسلامية في المملكة المتحدة اللجنة الوطنية المؤقتة لتوحيد المسلمين (NICMU). وهدفت اللجنة المؤقتة إلى القيام بأبحاث مكثفة عن جدوى وخصائص إنشاء هيئة موحدة تمثل مسلمي بريطانيا[36]. وبعد عامين من الدراسات والمشاورات حلت اللجنة المؤقتة نفسها في مايو 1997م، مفسحة المجال أمام قيام منظمة جديدة أطلق عليها اسم المجلس الإسلامي في بريطانيا(MBC)[37]. في بدايات تكوينه مثل المجلس 250 منظمة إسلامية بريطانية، وأتى تشكيله على غرار مجلس نواب اليهود البريطانيين وغيره من المنظمات الإسلامية العاملة في الغرب مثل الجمعية الإسلامية لأمريكا الشمالية والمجلس الإسلامي الأمريكي[38]. وأرسلت المنظمات التابعة للمجلس الإسلامي في بريطانيا مندوبيها لحضور الجمعية العامة للمجلس، الذي انتخب بدوره لجنة عمله المركزية وهيئته التنفيذية[39]. وتم إنشاء المجلس الذي يمول أنشطته في غالب الأحيان من موارده الذاتية (مع أن الحكومة البريطانية كانت تدعم مشاريعه في الغالب) ويعمل باستقلال ويمتاز بحسن التنظيم نسبياً ليكون المنظمة التي تتحدث،

(36) مقابلة مع الدكتور محمد عبد الباري، الأمين العام للمجلس الإسلامي البريطاني، لندن ديسمبر 2008.
(37) 10 Years of Working for the Common Good, MCB brochure.
(38) http://www. mcb. org. uk/downloads/MCB_achievements. pdf.
(39) MCB: Representing Muslims & Serving the Nation, MBC brochure.

حسب كلمات إقبال سكراني، بلسان إسلامي واحد[40].

مثل قيام المجلس خطوة رئيسة للإسلام والمسلمين في بريطانيا، إذ إنه لأول مرة، يتم جمع عدد كبير من المسلمين تحت مظلة واحدة وتحت قيادة مشتركة. وكان هذا الإنجاز رائعاً على نحو خاص، إذا ما نظرنا إلى تنوع المنظمات المنضوية تحت لوائه. غير أن المجلس الإسلامي لم يضم المنظمات الإسلامية العلمانية، ولكنه تألف من مختلف النحل والطوائف الإسلامية، بما في ذلك الشيعة وكان من بين أعضائه مثقفون مسلمون بارزون وعدد من النواب البرلمانيين المسلمين غير أن دور الأخيرين كان رمزياً. وفي حين تعود أصول بعض التنظيمات المنتسبة إلى المجلس إلى منظمات مثل الجماعة الإسلامية والإخوان المسلمين، إلا أنه يوجد أعضاء من أصول عرقية أخرى، أو من خارج منظومة مذاهب جنوبي آسيا مثل: الصوماليين، والعرب، والبوسنيين.

وعلى الرغم من هذا التنوع، إلا أن قيادة المجلس كانت تسيطر عليها عناصر شبكة المودودي، الذين أهلتهم مهاراتهم التنظيمية والسياسية للتفوق على بقية أصحاب المذاهب الأخرى. وكما جاء في مقال افتتاحي في مجلة كيو نيوز (QNews)، وهي مجلة إسلامية بريطانية مؤثرة، فإن «النظرة الفاحصة للجنة العمل المركزية تظهر أن غالبية أعضائها ينتمون أو يتعاطفون مع منظمة بريطانية صديقة حميمة للجماعة الإسلامية في باكستان»[41]. إضافة إلى ذلك، هناك عدد من الناشطين الذين كانوا في

(40) Iqbal Sacranie, quoted in McRoy, From Rushdie to 7/7/, 12.

(41) Faraz Mohammed, "MCB: Dad's Muslim Army," Q-News, April 1998, 12.

سن يافعة خلال الأزمة التي أثارتها رواية سلمان رشدي «آيات شيطانية» تمكنوا من كسب كثير من المهارات، واستطاعوا أن يحتلوا مواقع رئيسة في المجلس الإسلامي منذ البداية. فعلى سبيل المثال لا الحصر، تولى مناظير إحسان مدير المؤسسة الإسلامية منصب مدير شؤون الجاليات في المجلس، كما أن إقبال سكراني، القيادي في لجنة العمل للشؤون الإسلامية في المملكة المتحدة، أصبح أول أمين عام للمجلس.

رحبت السلطات البريطانية، التي كانت تفكر في إيجاد ممثل للجالية الإسلامية في بريطانيا منذ أزمة سلمان رشدي، بإنشاء المجلس ورأت فيه تطوراً إيجابياً. وقد أدى وزير الداخلية في حكومة المحافظين مايكل هوارد وخليفته من حزب العمال جاك سترو، الذي حقق فوزاً ساحقاً في انتخابات عام 1977م، دوراً رئيساً في تشكيل المجلس الإسلامي وتطوره، ورأيا فيه شريكاً مثالياً للبرلمان البريطاني في كل ما يخص الإسلام والمسلمين. وفي الوقت الذي كانت الدول الأوروبية الأخرى تسعى جاهدة إلى إيجاد منظمات يمكن أن تمثل جميع المسلمين، قررت الحكومة البريطانية أن الحل الأفضل هو أن تقدم الدعم لتنظيم تم إنشاؤه على المستوى الجماهيري مرشح لأن تكون له صدقية وشرعية وسط الجالية الإسلامية.

وإذا كان تكوين المجلس الإسلامي استجابة لحاجة الدولة، فقد أثرت اعتبارات أخرى بلا شك في دعم الحكومة له خصوصاً، بعد وصول حزب العمال إلى السلطة. فقد كان حزب العمال، منذ مطلع ثمانينات القرن العشرين، يسعى إلى خطب ود المسلمين وكسب أصواتهم في الانتخابات،

على أمل التعويض عن تآكل قاعدته الانتخابية التقليدية المتمثلة في الطبقة العاملة من أصحاب الياقات البيضاء. وفي ذاك الوقت بدأ صوت المسلمين يكتسب أهمية ملحوظة في أماكن مثل برادفورد وليستر والأحياء الداخلية لمدينتي لندن وبيرمينغهام. ولأن حزب المحافظين عرف في الغالب بمعارضته للهجرة والمهاجرين، فقد كان حزب العمال يحصل على 70 إلى 80 بالمائة من أصوات الناخبين المسلمين،ما سمح له في كثير من الأحيان السيطرة على غالبية الدوائر الانتخابية في مدينة لندن[42]. وقد استمر هذا الاتجاه طوال حقبة التسعينات في القرن العشرين، وتشير التقديرات إلى أن أربعة من بين كل خمسة مسلمين منحوا صوتهم لحزب العمال في انتخابات عام [43]1977.

حاولت شبكة المودودي، منتهزة الفرصة السياسية المتاحة أمامها، تقديم نفسها على أنها الأجدر والأقدر على التحكم في وتوجيه أصوات الناخبين المسلمين المتزايدة. وفي ثمانينات القرن العشرين حاولت التنظيمات التابعة لشبكة المودودي، مثل صندوق وقف التعليم الإسلامي(Muslim Education Trust) حمل المسلمين على التصويت لمرشحين كانت آراؤهم مقبولة نوعاً ما إسلامياً، واتخذت هذه المحاولات شكلاً نظامياً في عام 1997م، ذلك عندما وزعت لجنة العمل للشؤون الإسلامية في المملكة المتحدة منشوراً بعنوان» انتخابات عام 1997م

(42) Steven Vertovect, "Islamphobia and Muslim Recognition in Britain," in Yvonne Yazbeck Haddad, ed. , Muslims in the West: From Sojourners to Citizens (Oxford: Oxford University Press, 2001), 29; Alan Travis, "Muslims Abandon Labour Over Iraq War, "Guardian, March 15, 2004.

(43) Nadeem Azam, "Elections Analysis," Q-News, June 1997.

والمسلمون البريطانيون» على المساجد في أنحاء بريطانيا كافة[44]. وعلى الرغم من أن المنشور لم يؤيد صراحة أياً من الأحزاب المتنافسة، إلا إنه كان محاولة واضحة من اللجنة للتأثير في الناخب المسلم، والأهم من كل ذلك تصويرها، أي اللجنة، على أنها القادرة على تقديم أصوات الناخبين المسلمين، على طبق من ذهب، إلى السياسيين البريطانيين[45]. وكان إقبال سكراني أكثر صراحة ووضوحاً حينما أوضح في مقال له بمجلة كيو نيوز عن الحاجة إلى «تصويت انتهازي» يدعم إمكانات المسلمين في الحصول على عائد من هؤلاء المرشحين، الذين لن يكون بمقدورهم الوصول إلى مجلس العموم بدون أصوات الناخبين الإسلاميين[46].

ولم تضع جهود التعبئة للانتخابات التي قامت بها شبكة المودودي، سدى عند قادة حزب العمال، الذين كانوا يبحثون، كما أسلفنا، عن أفضل السبل لتعزيز علاقاتهم مع الناخبين المسلمين. وأخذ وزير الداخلية المعين حديثاً جاك سترو، (كان هنالك 20،000 ناخب مسلم مسجلون في دائرته في بلاكبيرن في عام 1997)، وبقية قادة حزب العمال ينظرون إلى قادة المجلس الإسلامي في بريطانيا، خصوصاً أولئك الناشطين سياسياً منهم، على أنهم القادرون على توجيه أصوات الناخبين المسلمين، ولذلك سعوا إلى إقامة علاقات وثيقة معهم[47]. وكجزء من هذه العلاقة القائمة

---

(44) Kepel, Allah in the West, 116; Elections 1997 and British Muslims," Q-News, March 14, 1997.

(45) Impact International, April 1997.

(46) Iqbal Sacranie, "Why You Should Exercise Your Vote," Q-News, March 1997, 26.

(47) المجلس الإسلامي البريطاني يستضيف جاك سترو، 2 ديسمبر 1998،
http://www. mcb. org. uk/media/archive/news021298. html

على منفعة متبادلة، وفي بادرة لرد الجميل، تبنى زعماء حزب العمال مبادرات شتى أوصى بها المجلس الإسلامي من المصادقة رسمياً على تقرير البريطاني رونيميد تروست عن الإسلاموفوبيا (رهاب الإسلام أو العداء غير المسوغ للإسلام) إلى سن تشريع يجيز للمدارس الإسلامية تلقي أموال من خزينة الدولة.

توترات ما بعد 11 / 9

مع مرور السنين، نما المجلس الإسلامي من حيث العدد والنفوذ. ومثل أي منظمة أخرى تمثل أقلية أو مجموعة مصالح مشتركة، اعتاد المجلس على التشاور مع المسؤولين البريطانيين على كل المستويات وطور مهاراته في المشاركة بفعالية في النظام. وشكل قادة المجلس مجموعة ضغط لتمرير بعض القوانين والتشريعات، ونظموا لقاءات للحوار بين الأديان، وأصبحوا الناطقين الفعليين باسم مسلمي بريطانيا في وسائل الإعلام ولدى الحكومة. ولم تخل العلاقة بين المجلس والدولة من الخلافات وما يكدر صفوها. فقد أثار رفض المجلس حضور الاحتفال السنوي بذكرى الهولوكوست «المحرقة» واحتفاله هو بضحايا المذابح العرقية الأخرى مثل: «الإبادة الجماعية» في الأراضي الفلسطينية، وفي كشمير، انتقادات واسعة[48]. لكن عموماً، عد المجلس ممثلاً ومحاوراً موثوقاً به في دوائر الدولة، وفرض نوعاً من الاحتكار على علاقة الجالية

(48) الاحتفال بذكرى الهولوكوست –المجلس الإسلامي البريطاني يأسف لإستثناء مأساة الفلسطينيين. البيان الصحفي للمجلس، 26 يناير 2001.
http://web. archive. org/web/20050314235755/http://www. mvb. org. uk/news260101. html

الإسلامية.

أخذت المشكلات تطفو إلى السطح في سبتمبر 2001م، عقب هجمات الحادي عشر الإرهابية ضد الولايات المتحدة. وبعد أن أصبحت الأولوية لقضايا التطرف الإسلامي والتشدد، استعانت الحكومة البريطانية بالمجلس الإسلامي على أمل أن يجيز الأخير قراراتها المتعلقة بسياستها الخارجية- أو على الأقل- شرحها للجالية الإسلامية وأن يؤدي دوراً في القضاء على التطرف وسط أبناء الجالية. ووجد المجلس نفسه في موقف لا يحسد عليه بسبب مطالب الحكومة. كان المجلس يرغب في الحفاظ على علاقته الوثيقة بالحكومة البريطانية وفي الوقت ذاته انتقد عدد من قادة المجلس التدخل البريطاني في الشأن الأفغاني، وبصفة عامة مقاصد وأهداف «الحرب على الإرهاب». إضافة إلى ذلك، علم قادة المجلس أن دوائرهم الانتخابية عارضت بشدة التدخل العسكري البريطاني في أفغانستان، وأن دعمهم العلني سياسات رئيس الوزراء البريطاني توني بلير يمكن أن يتسبب في فقدانهم الشرعية وسط أتباعهم.

وكافح قادة المجلس، الذين وجدوا أنفسهم في ورطة لا يحسدون عليها تمثلت في رغبتهم في المحافظة على علاقتهم بالحكومة، وفي الوقت ذاته رغبتهم وحاجتهم إلى المحافظة على سند أتباعهم، لإيجاد توازن بين هاتين الرغبتين المتعارضتين(49). فمن جانب دانوا علانية الهجمات التي نفذها تنظيم القاعدة والجماعات المحسوبة على التنظيم. وبعد تفجيرات قطار مدريد في عام 2004 م، على سبيل المثال، حرر

(49) مقابلة مع الدكتور محمد عبد الباري، لندن، ديسمبر 2008.

قادة المجلس خطاباً مفتوحاً لجميع الهيئات والمنظمات التابعة للمجلس، حثوهم فيه على إقناع شباب المسلمين بعدم المشاركة في أي نشاط إرهابي، موضحين أن الإسلام يحرم مثل هذه الأفعال، وأنه من الواجب على كل مسلم ومسلمة التعاون مع الشرطة[50]. ولكن على الجانب الآخر، بدأ عدد من المسؤولين البريطانيين يشتكون من أن هذه التصريحات العلنية لا تتوافق مع ما يردده بعض أتباع المجلس داخل مساجدهم،على الأقل حسب رأي المسؤولين الحكوميين، ولم تقترن هذه الأقوال بأفعال تذكر[51]. وقال عدد متزايد من منتقدي المجلس إن الأخير يدعم أجندة الحكومة شفاهة ولكنه على أرض الواقع لا يقدم دعماً محسوساً.

زادت تفجيرات السابع من يوليو 2005 في لندن من حدة التوتر بصورة كبيرة. وفي أعقاب التفجيرات، التي دانها المجلس بشدة، اختار المسؤولون البريطانيون مجموعة من المسلمين البريطانيين المؤثرين ليكونوا مجموعة عمل بهدف تقديم توصيات إلى الحكومة البريطانية تختص بكيفية التعامل مع الإرهاب والإرهابيين. وضمت المجموعة التي أطلق عليها اسم (معاً من أجل مناهضة التطرف) ممثلين لجماعات مختلفة من المسلمين، ولكن كان من الواضح أن عدد مسؤولي المجلس الإسلامي والمنظمات التابعة له ضمن هذه المجموعة قد فاق عدد ممثلي المنظمات الإسلامية الأخرى. وبعد أسابيع من المشاورات أصدرت مجموعة العمل تقريرها النهائي الذي قدم تحليلاً للهجمات والأسباب

(50) دليل المجلس الإسلامي الموجز للأئمة والمنظمات الإسلامية البريطانية، 31 مارس 2004.
http://www. mcb. org. uk/media/presstext. php?ann_id+=80 ,

(51) مقابلة مع البارونه نيفيل-جونز، لندن، ديسمبر 2008، مقابلة مع مسئولي وزارة الداخلية البريطانية، لندن، ديسمبر 2008.

التي قادت إليها، كما قدم حلولاً قصيرة وطويلة الأجل للحيلولة دون وقوع هجمات أخرى[52].

وشكلت مجموعة العمل هذه نقطة تحول في مسار العلاقات بين المجلس الإسلامي والحكومة البريطانية. وتعرضت مجموعة العمل، حتى قبل أن تفرغ من إعداد تقريرها، لانتقادات حادة من جميع الجهات التي أثارت التساؤلات حول خلفية بعض أعضائها. وقال كثيرون إن أفراداً مثل أمين دائرة الإعلام في المجلس عنايات بنغلاوالا الذي وصف ابن لادن بـ «المناضل» قبل خمسة أشهر فقط من وقوع هجمات الحادي عشر من سبتمبر، يجب ألا يكون عضواً في مجموعة شكلت بهدف التصدي للإرهاب[53]. كما أن سلمان رشدي انتقد هو الآخر إقبال سكراني أمين عام المجلس، الذي أعلن في أثناء الأزمة التي أثارتها رواية آيات شيطانية، أن عقوبة الموت أفضل شيء لهؤلاء الذين يسيئون للنبي محمد، وأن الموت» ربما يكون أخف عقوبة « بالنسبة إلى الروائي الهندي. وقال رشدي في معرض انتقاده سكراني « إذا كان السير إقبال سكراني هو أفضل مسلم يمكن أن يقدمه بلير، فذاك يعني أننا نواجه مشكلة حقيقية»[54].

---

(52) Preventing Terrorism Together, Working Group's report, August-October 2005, http://www. communities,gov. uk/documents/communities/pdf/152164. pdf.

(53) Alasdair Palmer, "Top Job Fighting Extremism for Muslims Who Praised Bombers, Telegraph, August 20, 2005; David Cesarani,"A Way out of This Dead End,"Guardian, September 16,2005.

(54) Salman Rushdie, "Bring on the Islamic Reformation,"Washington Post, August 8,2005; AQuestion of Leadership, BBC, August 21,2005; "The Fuss About Fatwa Evades the Real Issue: Sacrilege,"

مقابلة مع إقبال سكراني، مجلة إيمباكت أنترناشونال، 12 مارس/ 8 إبريل 1993.

واتسعت رقعة انتقادات المجموعة وانضم مسؤولون حكوميون إلى المنتقدين عندما أصدرت المجموعة تقريرها. وعلى الرغم من معارضة بعض أعضائها، إلا أن المجموعة لم تول اهتماماً للإيديولوجية التي انطلق منها مفجرو7/7، أو الشبان المسلمون الآخرون، الذين تورطوا في أنشطة إرهابية مماثلة[55]. وبالأحرى أوضحت المجموعة أن« حلول القضايا المتوسطة والطويلة الأجل تكمن في علاج قضايا عدم المساواة والتفرقة والحرمان، وسياسة الحكومة غير المتناسقة خصوصاً سياستها الخارجية[56]. وقال النقاد إن المجموعة التي يحركها المجلس الإسلامي تجاهلت قضايا الإرهاب، التي لا يمكن إنكارها في أوساط الجالية الإسلامية وألقت بمسؤولية الهجمات على الحكومة البريطانية وعلى سياستها الخارجية على وجه الخصوص.

وقال بعض أشد المنتقدين ضراوة إن المجلس ببساطة استغل الهجمات، ليقدم تحليلاً خاطئاً للمشكلة ومجموعة من التوصيات السياسية التي لم تقدم الشيء الكثير لحل قضايا التطرف والإرهاب، وسعى لتمرير أجندته الخاصة[57]. فعلى سبيل المثال، قرن قادة المجلس تطرف بعض المسلمين البريطانيين بحالة الإحباط التي تملكتهم حينما تعرض الإسلام بوصفه ديناً إلى هجوم شرس في وسائل الإعلام البريطانية. أخذ قادة المجلس، مستندين على هذه الحجة، في الضغط على قادة حزب العمال لسن تشريعات تحرم أي نقد للإسلام، وهو ما طالب به قادة

(55) مقابلة مع البارونه كيشور فولكنر، كيمبردج ، مارس 2006، مقابلة مع حارس رفيق، لندن، يناير 2007.

(56) Preventing Terrorism Together, 3.

(57) مقابلة مع دين غودسون، لندن، يناير 2007.

المجلس منذ تفجر أزمة سلمان رشدي. وفي عام 2005 م أجازت الحكومة أخيراً مشروع قانون يقضي بعدم مشروعية أي حديث من المحتمل أن يثير كراهية دينية، أو عنصرية، بغض النظر عن نوايا صاحبه(58). وبموجب هذه الأحكام العريضة يمكن للمدعي أن يثبت أن هناك احتمالاً أن يتأثر ولو شخص واحد فقط بمثل هذا الحديث، حتى يعتبر صاحبه مذنباً، وينال عقوبة بالسجن يمكن أن تصل إلى سبع سنوات. وقد اعترف وزير الداخلية السابق مايك أوبريان صراحة في مقال له بمجلة مسلم ويكلي(Muslim Weekly) أن مشروع القانون هذا (لم يصادق عليه البرلمان) جاء إثر ضغوط مارسها المجلس على الرغم من معارضة كثير من نواب البرلمان على اختلاف احزابهم له(59).

وعلى الرغم من أن حكومة توني بلير قبلت بحجة المجلس في أن مسائل مثل العنصرية والتفرقة والحرمان كان لها دور في تحريض بعض المسلمين البريطانيين على القيام بإعمال إرهابية، إلا أنها لم تقبل بإلقاء اللوم على سياساتها الخارجية أو أنها المتسبب في هجمات 7/7. وقد أدى تدخل بريطانيا في العراق، الذي لم يلق تأييداً شعبياً، إلى تآكل القاعدة الانتخابية لحزب العمال بصورة جوهرية، ولقيت حجة أن منفذي هجمات 7/7 كان يتحركون بدافع من هذا التدخل قبولاً وسط كثير من المواطنين

---

(58) مشروع قانون الكراهية العنصرية والدينية، البرلمان البريطاني،
http://www.parliament.the-stationary-office.co.uk / pa / cm200506 / cmbills / 011 / 06011.i-i.html

(59) « العمال والمسلمون البريطانيون: هل يمكن لنا أن نحلم نفس الحلم» مايك اوبراين، مجلة مسلم ويكلي، العدد 58 لسنة (2004). كتب اوبراين» كان المجلس الإسلامي البريطاني في طليعة الضاغطين على الحكومة بشأن قضايا مساعدة المسلمين. مؤخراً طلب إقبال سكراني، أمين عام المجلس، من توني بلير أن يعلن أن الحكومة ستصدر قانوناً جديداً يحظر التمييز الديني. بعد أسبوعين من ذلك، وفي منتصف خطابه أمام مؤتمر حزب العمال، وعد بلير بأن الحكومة العمالية القادمة ستحظر التمييز على أساس الدين».

البريطانيين. ورأت حكومة بلير أن تقرير المجلس الإسلامي لم يكن أميناً، إذ أنه لم يأخذ في الحسبان عوامل أخرى إلى جانب سياستها الخارجية، ولم يكن مقنعاً سياسياً، لأنه سيقضي على احتكارها لأصوات الناخبين المسلمين. وأخذ عدد من قادة حزب العمال في ترديد بعض الانتقادات ذاتها التي وجهها المجلس للحكومة علانية، والتي كانت مألوفة وسط المحافظين وبعض وسائل الإعلام البريطانية.

ولكن أقسى الانتقادات للمجلس الإسلامي، وربطه التلقائي للإرهاب بالسياسة الخارجية جاء، لدهشة كثيرين من قادة حزب العمال ونجدتهم، من داخل الجالية الإسلامية. وكان واحداً من أعلى الأصوات انتقاداً عاصم صديقي رئيس سيتي سيركل (City Circle) وهي منظمة إسلامية مقرها لندن، تضم في غالبيتها مهنيين شبابا. فقد كتب صديقي في الغارديان منتقداً موقف بعض المنظمات الإسلامية التي لا تزال تصر على لوم السياسة الخارجية البريطانية وتحملها مسؤولية ما جرى من أحداث إرهابية باسم الإسلام، والإسلام منها براء.

وقال صديقي «لا، إنها ليست السياسة الخارجية المسؤولة عن وجود الإرهابيين، بل تركيبتهم الذهنية هي المسؤولة. الأيديولوجية الإسلامية المتطرفة تحتاج إلى من يعريها ويكشف حقيقتها أمام الشباب المسلمين. إنها أداة لإقامة شكل من الحكم يعود إلى القرون الوسطى يصف نفسه بـ«الدولة الإسلامية» وهو نظام عنيف ورجعي وعنصري، يحرف النصوص المقدسة، وديكتاتوري شمولي»[60].

(60) Asim Siddiqui, “Not in Our Name, ”Guardian, July 3, 2007.

ودفع تزايد أصوات المسلمين منتقدي المجلس الإسلامي، بالمسؤولين البريطانيين إلى إعادة تقييم موقفهم من المجلس. هل وضع المسؤولون البريطانيون كل بيضهم في سلة واحدة، عندما اختاروا المجلس ممثلا وحيداً للجالية الإسلامية وتجاهلوا الأصوات الأخرى؟. قال شيتان بات أستاذ علم الاجتماع في جامعة غولد سميثز في عام 2005م: «العدد الهائل من المنظمات التي تتعامل معها الحكومة، واقعة تحت نفوذ، أو يسيطر عليها، أو لا تعدو في حقيقتها أن تكون واجهات للجماعة الإسلامية والإخوان المسلمين، يستند جدول أعمالها بشكل صارم على سياسات اليمين الإسلامي المتطرف، ولا تمثل سياسات غالبية المسلمين في هذا البلد أو تطلعاتهم»[61]. ولاحظ المسؤولون الحكوميون من خلال لقاءاتهم مع أفراد ومنظمات لا تتبع المجلس الإسلامي، أن شريحة كبيرة من السكان المسلمين ينظرون إلى قادة المجلس على أنهم عصبة من رجال أثرياء في منتصف العمر يشتغلون بالسياسة، وينحدرون من جنوبي آسيا وليست لديهم دراية أو معرفة كبيرة بواقع الجالية الإسلامية واحتياجاتها[62]. وقد أظهر استطلاع للرأي العام أجرته القناة التلفزيونية الرابعة في عام 2006م، وشمل ألفاً من المسلمين البريطانيين أن نسبة 4 بالمائة منهم فقط قالوا إن المجلس الإسلامي يمثلهم، غير أن استطلاعاً مماثلاً لمنظمة بوليتيكال إكسجينغ(Political Exchange) رفع النسبة إلى 6 بالمائة[63]. كما أوضحت مجموعات ومنظمات النساء والشباب

(61) Quoted in Martin Bright, When Progressive Treat with Reactionaries: The British State's Flirtation with Racial Islam, report published by the Policy Exchange, 2006, 25.

(62) مقابلة مع روث كيلي ومسئولين من وزارة الداخلية ووزارة شؤون الجاليات والحكومة المحلية، لندن، ديسمبر 2008.

(63) "Attitudes to Living in Britain: A survey of Muslim Opinion," Chanel 4 Dis-

والتنظيمات التي تمثل الطوائف الإسلامية الأخرى مثل الصوفية دون مواربة أن المجلس الإسلامي لا يمثلهم.

وكما بدأت السلطات البريطانية في مراجعة حساباتها الخاصة بالمجلس الإسلامي، ومدى صدقيته وتمثيله الجالية الإسلامية في بريطانيا، فإنها في الوقت ذاته أخذت تسأل نفسها عما إذا كان المجلس يملك صفتين مهمتين تؤهلانه ليكون شريكاً للحكومة: الموثوقية والاعتدال. كما كشفت سلسلة من التحقيقات الصحفية الرفيعة المستوى، تمت خلال عامي 2005 و2006م، عن مواقف متكررة لبعض المنظمات التابعة للمجلس، دلت بجلاء ووضوح على أفكار أثارت غضب المسؤولين البريطانيين واستياءهم، لأنهم رأوا فيها إسهاماً مباشراً في إذكاء نيران التطرف وسط أبناء الجالية الإسلامية في بريطانيا. كما أظهر فيلم وثائقي، عرضته قناة بي بي سي(BBC)، على سبيل المثال، عدة حالات قام فيها خطباء في مساجد تابعة للمجلس الإسلامي بتصوير جهود الحكومة البريطانية ضد الإرهاب على أنها حرب ضد الإسلام والمسلمين. وعندما طلب مراسل بي بي سي جون وير من إقبال سكراني الرد على هؤلاء الخطباء والإعلان بشكل لا لبس فيه عن براءة المجلس من هذه التصريحات رفض سكراني القيام بذلك[64]. وفي حين صرح مسؤولو المجلس عن رفضهم الإرهاب مشيرين إلى أن الإسلام يحض على محاربة

---

patches, August 7, 2006, http://www. imaginate. uk. com/MCC01_SURVEY/Site%20 Download. pdf;Munira

Mira, Abi Senthilkumaran, Zein Ja'afar, Living Apart Together :British Muslims and the Paradox of Multiculturalism, report for the Policy Exchange, 2007, 6.

(64) A Question of Leadership.

الإرهاب ورد العدوان، أثر عن محمد نسيم من جماعة مسجد بيرمينغهام التابع للمجلس الإسلامي قوله علناً إن « التفسير الرسمي لتفجيرات 7/7 لا معنى له، ولا ينبغي أن ينحى باللائمة على المسلمين في ذلك»[65].

ويمكن تفسير الفجوة بين ما صرحت به قيادة المجلس علناً، وما تبشر به بعض المنظمات التابعة له على ضوء حقيقة أن المجلس عبارة عن مظلة لمجموعة مختلفة من المنظمات الإسلامية، يتبنى بعضها وجهات نظر قد لا تشاركها فيها قيادة المجلس[66]. وعلى الرغم من أن إعلان هؤلاء القادة بعدم تبني نظريات المؤامرة ولا القول إن الحكومة تشن حرباً ضد الإسلام، إلا أن كثيراً من المعلقين وصانعي القرار قد حكموا على خطابهم السياسي بعدم الأمانة، بل وصفوا نتائجه بالعكسية. وعلى وجه الدقة، أثارت اتهامات المجلس المستمرة من أن المسلمين يتعرضون للظلم وإلى الاستهداف من قبل السلطات البريطانية في سعيها إلى وقف الإرهاب حنق صانعي القرار البريطانيين. وقد تناول الصحفي البريطاني المسلم كنان مالك هذه الاتهامات وفندها باقتدار في مقال له بمجلة ذي سبيكتيتور(The Spectator) في فبراير 2005م:

لقد تم توقيف ما مجموعه 21.577 وتفتيشهم وفقاً لقوانين الإرهاب. الأغلبية العظمى من بينهم 14.429 كانوا في حقيقة الأمر من البيض. غير أنني عندما أجريت مقابلة مع إقبال سكراني، الأمين العام للمجلس الإسلامي في بريطانيا، أصر على أن « 95 إلى 98 بالمائة من

(65) Alasdair Palmer,"Not in Their Name?" Sunday Telegraph, July 8, 2007.

(66) مقابلة مع الدكتور محمد عبد الباري، أمين عام المجلس الإسلامي البريطاني، لندن، ديسمبر 2008.

الذين تم توقيفهم وتفتيشهم، بموجب قوانين مكافحة الإرهاب كانوا من المسلمين». الرقم الحقيقي في الواقع 15 بالمائة. غير أني أبرزت له عدة مرات الإحصاءات الحقيقية إلا أنه رفض أن يتزحزح عن موقفه. أنا متأكد من أنه كان جازماً فيما يعتقد. ولكن من الواضح أن دعواه بأن جميع من تعرضوا للتوقيف والتفتيش كانوا من المسلمين لم تقم على أساس– ببساطة الأرقام التي قدمها عشوائية. هناك تفاوت في معاملة الآسيويين. الآسيويون يشكلون نسبة 5 بالمائة من عدد السكان، ولكنهم يشكلون نسبة 15 بالمائة من أولئك الذين جرى توقيفهم بموجب قانون الإرهاب[67].

دعمت الإحصاءات التي صدرت عن مدينة لندن ما ذهب إليه مالك. وفي تقرير 2003/2004 عن «الآسيويين» وهو مصطلح يشير بصفة عامة إلى المسلمين وغير المسلمين، كانت نسبة الجنوب آسيويين، وفقاً لقانون الإرهاب لعام 2000، هي 11،5 بالمائة من إجمالي السكان[68]. إذا أخذنا في الحسبان أن المسلمين يشكلون نسبة 8،5 بالمائة من كامل سكان لندن وأن نسبة 12 بالمائة من سكان المدينة تراوح أعمارهم بين 16 و24، نطاق السن الأكثر احتمالاً للتعرض للتوقيف في حملات الدهم والتفتيش، فإن البيانات تكشف أن المسلمين في الواقع تعرضوا للتفتيش أكثر من المجموعات الأخرى ولكن بهامش لا يذكر. ومع هذه المعطيات والبيانات، صرح قادة المجلس في كثير من الأحيان أن المسلمين البريطانيين مستهدفون وقارنوا بين وضعهم ووضع اليهود في ألمانيا في عام 1930[69].

(67) Kenan Malik, “The Islamophobia Myth,” The Spectator, February 2005”

(68) Muslims in London.

(69) Tom Harper, “Ministers Compared to Nazis Over Islam Stigma,” Telegraph, December 18, 2006.

«ثورة» روث كيلي

منذ الأشهر الأولى من عام 2006م شنت أقسام كبيرة من الحكومة البريطانية، بدءاً من وسائل الإعلام وانتهاءً بمختلف مؤسسات الفكر والرأي، حملة شعواء ضد المجلس الإسلامي واحتكاره الظاهر العلاقة مع الحكومة البريطانية. ومع احتدام الجدل حول الاندماج والتطرف في أروقة الجالية الإسلامية، الذي أزكته اعتقالات المسلمين البريطانيين المستمرة، المتورطين في أنشطة إرهابية، شرعت مجموعة السياسة الأمنية الوطنية والدولية الخاصة بحزب المحافظين في دراسة تقرير هاجم الحكومة العمالية لاستمرار دعمها المجلس الإسلامي[70]. وكتب زعيم المحافظين ديفيد كاميرون في هذا الصدد مجادلاً حيث قال:« على صانعي القرار السياسي الكف عن الافتراض بأن الأصوات الأعلى، والعناصر الأكثر تنظيماً وسط الجالية الإسلامية هي بالضرورة من يمثل السكان المسلمين كافة. هنالك خطر من الإذعان للجماعات التي لديها برامج وخطط ترمي إلى دق إسفين بين فصائل المجتمع البريطاني بدلاً عن الحرص على لحمتها وانسجامها، و لا بديل عن مواجهتها»[71].

أدت الضغوط السياسية وإعادة التقييم الحقيقي لدور المجلس الإسلامي وطبيعة علاقته بالحكومة البريطانية إلى إعادة الأخيرة تقييم موقفها من المجلس الإسلامي كلية. وأخذ عدد من النواب البرلمانيين، حتى أولئك الذين دعموه، ينظرون إلى المجلس كجزء من المشكلة، بدلاً

(70) Conservative Party's National and International Security Policy Group's interim report on national cohesion, January 2007.

(71) Graeme Wilson," Cameron Attacks Muslim Hardliners," Telegraph, January 31, 2007.

من أن يكون جزءاً من حلها. لم يقتصر الأمر على عدم الوفاء بما كانت الحكومة البريطانية تتوقعه منه بل أصبح المجلس يمثل عبئاً سياسياً بالنسبة لها مع تصاعد حدة الانتقادات في كل مرة تنشر فيها الصحف تصريحات مثيرة للجدل مصدرها إحدى التنظيمات التابعة للمجلس. وأخذ كبار صانعي القرار يصرحون علانية بأن استراتيجية الحكومة معيبة وأن اختيارها المجلس محاوراً حصرياً كان خطأً من البداية[72].

وأخيراً وقع الطلاق بين المجلس الإسلامي والحكومة في صيف عام 2006 بعد زلتين لقيادة المجلس. وكانت الزلة الأولى في يونيو من العام نفسه، عندما دافع محمد عبد الباري، أمين عام المجلس المنتخب حديثاً، عن قضية الزيجات المرتبة علانية واصفاً إياها بـ« الترتيب الرائع» وأنها «وسيلة الآباء لمساعدة أطفالهم على حسن الاختيار لشريكات حياتهم»[73]. ولم يكن التصريح مستساغاً ولا مناسباً من حيث التوقيت إذ أتى في وقت كانت السلطات تبحث عن حل لمئات من قضايا «جرائم الشرف» التي وقعت بسبب رفض كثير من العرائس الشابات قبول الزيجات التي أرغمن عليها. وفي الحادثة الثانية في أغسطس من العام نفسه، وبعد أن أحبطت السلطات البريطانية مؤامرة خططت لها خلية من المسلمين من مواليد بريطانيا، لتفجير عشرات الطائرات المتجهة إلى الولايات المتحدة، أرسل قادة المجلس وقادة إسلاميون آخرون خطاباً إلى رئيس الوزراء، يستحثونه على مراجعة السياسة الخارجية البريطانية

(72) "How the Government Lost the Plot," The Economist, February 26, 2009.
(73) Alice Thomson, "British Should Try Arranged Marriages," Telegraph, June 10, 2007.

وتغييرها حتى يتسنى هزيمة الإرهاب[74]. ولكن وزراء حكومة العمال، الذين حرصوا على رفض أي محاولة للربط بين الظاهرتين (السياسة الخارجية والإرهاب) سارعوا إلى إدانة الخطاب وشجبه بقوة واصفين إياه بـ«الخطورة بقدر كبير وبالسخف»[75].

وفي يوم 11 أكتوبر 2006م، أدلت وزيرة الدولة لشؤون الجاليات والحكومة المحلية روث كيلي بحديث، رأى فيه كثيرون، تحولاً رسمياً في موقف الحكومة البريطانية من المجلس الإسلامي. وأوضحت كيلي، بإعلانها المعايير التي ستطبقها وزارتها، المكلفة بتنفيذ الجزء الأكبر من مبادرات التوعية، في عملية اختيار الوزارة شركاءها، أن التنظيمات التي لا تشاطر المجتمع البريطاني ولا تؤمن ببعض قيمه الراسخة لن تنال أي دعم من الحكومة. وأضافت قائلة:» مع مرور الوقت سوف ندعم التنظيمات التي تدافع عن قيمنا المشتركة، ولن نفعل الشيء نفسه مع تلك التي لا تدافع عن قيمنا. من خلال دفاعنا وتمسكنا بقيمنا سنحول بين المتطرفين وبين تفريخ أجيال من الإرهابيين في المستقبل»[76]. وأعلنت كيلي، وهي تستدعي رفض المجلس المشاركة في الاحتفال بذكرى يوم الهولوكوست (المحرقة)، أن المجلس الإسلامي لن يتلقى من الآن فصاعداً أي دعم مادي كان يحصل عليه في السابق من الدولة البريطانية.

---

(74) http://news. bbc. co. uk/2/hi/uk_news/4786159. stm?ls.

(75) Ned Temko," Beckett Rejects Link Between Foreign Policy and Terrorism," Observer, August 13, 2006.

(76) Philippe Naughton, "Funding Cut-off Threat by Minister Angers Muslim Groups," Times of London, October 11, 2006.

انطلق موقف كيلي من اعتبارين اثنين[77]. أولاً، كانت تعتقد أن المجلس- كمنظمة- ليس إلا «فزاعة» وأن مسألة تمثيله الجالية الإسلامية مبالغ فيها. وفقاً لكيلي يمثل المجلس جزءاً من الجالية الإسلامية في بريطانيا وأن صانعي القرار السياسي بحصرهم التعامل مع المجلس لوحده قد حرموا أنفسهم من الاستماع إلى بقية الأصوات الإسلامية. إضافة إلى ذلك، سيطرت مجموعة من الأفراد على المجلس، وتعارضت أهدافهم مع غالب أهداف الحكومة البريطانية. واوضحت كيلي، وهي تعترف أن معظم مسؤولي الدولة، ممن تعاملوا مع التنظيمات الإسلامية لم تكن لديهم أدنى معرفة بالتوجهات الإيديولوجية لهذه التنظيمات، أنه ما كان ينبغي أن تكون إدانة الأعمال الإرهابية، التي نفذها تنظيم القاعدة، هي البطاقة التي تؤهل هذا التنظيم أو ذاك لأن يصبح شريكاً موثوقاً به ومعتمداً عند الحكومة البريطانية. وعلى الرغم من أن التنظيمات كانت حرة في اتخاذ أي موقف تريده، فقط الذين طوروا نظام قيم يتوافق مع رؤية المجتمع المتلاحم المتناغم، التي أقرتها الحكومة، هم الذين يحق لهم تلقي أموال دافعي الضرائب البريطانيين. وصنفت كياي المجلس الإسلامي، الذي تلقى 200،000 جنية إسترليني في العامين السابقين، خارج هذه الفئة[78].

فكرت كيلي، بعد أن كسرت احتكار المجلس تمثيل الجالية الإسلامية في بريطانيا، في التواصل مع التنظيمات الإسلامية الأخرى لتطبيق خطة

---

(77) مقابلة مع روث كيلي، لندن، ديسمبر 2008.

(78) مقابلة مع روث كيلي، لندن، ديسمبر 2008،

Toby Helm, "Back British Values or Lose Grants, Kelly Tells Muslim Groups," Telegraph, October 12,2006.

الحكومة الشاملة لدحر التطرف، والتشجيع على ادماج أفراد الجالية الإسلامية في المجتمع البريطاني. ولتحقيق هذا الهدف والغاية، شرعت وزارة شؤون الجاليات والحكومة المحلية في تمويل جماعات تكونت حديثاً وفي بعض الحالات كان الهدف المعلن أن تشكل هذه الجماعات بديلاً أيديولوجياً للمجلس الإسلامي[79]. ولكن سرعان ما أصبح واضحاً أن لا تنظيم من بين هذه التنظيمات والمنظمات لديه حضور مؤثر وفاعل في الساحة مثلما للمجلس الإسلامي ما جعل مهمة البحث عن شركاء آخرين صعبة جداً. وحاولت السلطات، ضمن مساعيها، تفادي هذه المشكلة بإنشاء هياكل استشارية مختلفة، لتكون صوتاً لقطاعات من الجالية الإسلامية غير ممثلة أو ممثلة تمثيلاً ناقصاً مثل: المجلس الاستشاري الوطني للمرأة المسلمة(NMWAG) ولتتحرك على المستوى المحلي[80]. في يوليو 2007 كشفت الحكومة عن برنامج رصدت له 70 مليون جنيه إسترليني لمحاربة التطرف وخصصت معظم المبلغ للمنظمات الشعبية المحلية[81].

كان التحول في العلاقة بين المجلس والحكومة البريطانية، واستبدالها بالمجلس مجموعةً غير متجانسة من المحاورين من الجالية الإسلامية أمراً صعباً. فقد واجهت السلطات، التي لم يكن لديها خطوط إرشادية موحدة توضح الخصائص التي يجب أن تتوافر في الشريك حتى يكون مؤهلاً لحمل هذه الصفة، مشكلات في تحديد هوية هؤلاء الشركاء على المستوى المحلي. إضافة إلى ذلك، لم يكن موقف كيلي يمثل السياسة

(79) هذا هو الحال، على سبيل المثال، بالنسبة لمنتدى المسلمين البريطانيين والمجلس الإسلامي الصوفي

(80) Preventing Violent Extremism: Next Steps for Communities, report by the Department for Communities and Local Government, July 2008,

(81) المرجع السابق،16.

الرسمية للحكومة ولكنه شكل توجهات وزارتها. وبينما اعتمدت خليفتها في كرسي الوزارة هازيل بليرز وعدة وزراء آخرين النهج نفسه الذي خطته كيلي إلا أن هناك من بين المسؤولين الحكوميين الكبار، وبعض الوزارات، من دافع عن المجلس الإسلامي وواصلت بليزر التعامل مع الأخير. وكما سيظهر في الفصل الثامن من هذا الكتاب، نشاهد في كثير من الأحيان أن قطاعات مختلفة من الحكومة البريطانية كانت لديها أولويات متباينة أثرت في قراراتها المتعلقة بالمنظمات التي يمكن عدها شريكة.

أما بالنسبة إلى المجلس الإسلامي فقد أثارت «أزمة كيلي» نقاشاً داخلياً مستفيضاً حامياً دفع بقيادة المجلس إلى إعادة التفكير في أسلوب عمله وتكتيكاته. وعلى الرغم من انتقاد المجلس الوزيرة التي قال عنها أنها كانت تبحث فقط عن مسلمين يبصمون وهم مغمضو الأعين على سياسات الحكومة، إلا أنه تراجع عن بعض مواقفه الأكثر إثارة للجدل، بما فيها مقاطعته الاحتفال بذكرى الهولوكوست[82]. حاول المجلس أيضاً بذكاء تحسين صورته وجاذبيته وسط صانعي القرار السياسي البريطانيين، من خلال تقديم نفسه وتصوير أنه البوابة التي يمكن للبريطانيين أن ينفذوا من خلالها إلى عالم المال الإسلامي. وفي الوقت الذي أخذت فيها الحكومة البريطانية تطبق الإجراءات لتصبح لندن عاصمة النظام المالي الإسلامي، القائم على أحكام الشريعة، الذي كان يحقق معدلات نمو كبيرة وسريعة، رعى المجلس الإسلامي بالتضامن مع منظمة المؤتمر الإسلامي

---

(82) Helm," Back British Values or Lose Grants, Kelly Tells Muslim Groups,"; Representing the Muslims, Serving the Nation, 2006/07 MBC activity report; Vikram Dodd, "Muslim Council Ends Holocaust Memorial Day Boycott," Guardian, December 3,2007.

وبنك التنمية الإسلامي المؤتمر الأول للتمويل والتجارة الإسلامي. وعبر وزير الخزانة في ذاك الوقت غوردون براون، وزعيم المحافظين ديفيد كاميرون، ودوق يورك، وغيرهم من كبار الشخصيات البريطانية عن رضاهم عن المؤتمر الذي حضره نفر من أثرى أثرياء الخليج العربي وبعض المؤسسات المالية الخليجية الغنية، معربين عن أملهم في أن ينجح المؤتمر في جذب أموال النفط إلى لندن[83]. وفي عام 2008، استضاف المجلس الإسلامي مؤتمر التمويل الإسلامي الثاني[84].

ولكن في مطلع عام 2009 نشب خلاف بين المجلس والحكومة البريطانية. ففي فبراير من العام نفسه التقى مائتا ناشط وعالم مسلم، معظمهم ينتمون إلى جماعة الإخوان المسلمين، في فندق باسطنبول، تركيا، للاحتفال بـ«الانتصار» على العدوان اليهودي الشرير على غزة في الشهر السابق[85]. ووقع المشاركون، الذين التقوا تحت شعار الحملة العالمية لمقاومة العدوان، على بيان مشترك عد أي بلد يدعم إسرائيل أو ينشر سفناً للقيام بدوريات في» المياه الإسلامية» قبالة ساحل غزة، أو يحول دون وصول السلاح إلى غزة شريكاً لإسرائيل وفي حالة حرب ضد المسلمين. سخطت السلطات البريطانية، التي كانت تفكر في نشر سفن حربية بريطانية قبالة ساحل غزة، عندما اكتشفت أن داود عبد الله نائب أمين عام المجلس الإسلامي من بين الموقعين على البيان،

(83) برنامج مؤتمر التمويل والتجارة الإسلامي لعام 2006.

(84) برنامج مؤتمر التمويل والتجارة الإسلامي لعام 2008

(85) بيل لاو» رجال الدين يدعون للجهاد مجدداً بسبب العدوان في غزة» أخبار البي بي سي، 17 فبراير 2009، فيكرام دود» الحكومة تعلق علاقاتها مع المجلس الإسلامي البريطاني بسبب غزة» الفارديان، 23 مارس 2009، يمكن الإطلاع على نص الإعلان وقائمة الموقعين عليه على الرابط التالي:
http://islammessage.com/articles.aspx?cid=1&acid=26&aid=7295

وطالبت باستقالته من منصبه فوراً[86]. وفيما أصبح خلافاً علنياً، رفض المجلس طلب الحكومة البريطانية واعتبره محاولة منها لفرض كلمتها على منظمة مستقلة[87]. وفي يوم 13 مارس أرسلت وزيرة شؤون الجاليات والحكومة المحلية هازيل بليرز خطاباً إلى المجلس الإسلامي أعلنت فيه رسمياً تعليق الحكومة علاقاتها بالمجلس[88]. انتقد مسؤولو المجلس هذا الإجراء قائلين إنه ينبغي على الحكومة ألا تسعى في البحث عن شركاء» يرددون مثل «ببغاوات» وجهات نظرها الخاصة بالدوافع الرئيسة التي تقف وراء ظاهرة التطرف والعنف، وينظر إليهم المسلمون البريطانيون كحفنة من الأغبياء المضحكين»[89]. وهدد داود عبد الله بمقاضاة بليرز متهماً إياها بممارسة «البلطجة» موضحاً أنه لم يدع إلى شن هجمات ضد القوات البريطانية أو يدعمها[90].

وجاء قرار بليرز قبل أيام من إعلان الحكومة البريطانية الإستراتيجية الخاصة بمكافحة الإرهاب الدولي، أو ما عرف بكونتست2(CONTEST2). وفي الوقت الذي لم تتطرق فيه إلى المجلس

(86) Jamie Doward," British Muslim Leaders Urged to Quit Over Gaza," The Observer, March 8, 2009.

(87) المجلس الإسلامي البريطاني يرفض اتهامات بلير التي لا أساس لها من الصحة، البيان الصحفي للمجلس، 26 مارس 2009،

Vikram Dodd," Government Suspends Links with Muslim Council of Britain Over Gaza," Guardian, March 23,2009.

(88) خطاب هازل بلير لمحمد عبد الباري، أمين عام المجلس الإسلامي، 13 مارس 2009، الرابط:
http://image.guardian.co.uk / sys-files / guardian / documents / 2009 / 03 / 23 / blears_letter.pdf.

(89) Inayat Bunglawala, "Engagement with Extremists Is Right," Guardian, February 26, 2009.

(90) زعيم مسلم يقاضي بليرز بسبب غزة، أخبار البي بي سي، 4 أبريل 2009.

الإسلامي من قريب أو بعيد، أوضحت الاستراتيجية أن الحكومة لم تعد تؤيد وجهات النظر التي لا تدين العنف بالمستوى المطلوب، وترفض وجهات النظر التي تهدد قيم المجتمع البريطاني المشتركة وتعرض التماسك الاجتماعي للخطر[91]. استراتيجيتنا الخاصة بالحيلولة بين الناس وبين أن يتحولوا إلى إرهابيين لا تقتصر ببساطة على التصدي للعنف والتطرف. بل تختص أيضاً بالتصدي لأولئك الذين يتبنون وجهات نظر وآراء تتسم بالعنف، ولا تنسجم مع قيمنا المشتركة. إن القرارات الخاصة بالمنظمات التي تستحق التمويل منا يتم اتخاذها بعناية فائقة وتخضع لفحص دقيق. كنا واضحين عندما قلنا أننا لن نستمر في تمويل الجماعات التي توفر لدينا الدليل القاطع على تشجيعها الفرقة والتفرق، وتهديد الديمقراطية، ولا تتخذ موقفاً واضحا وبيناً من الإرهاب[92].

على الرغم من أن المجلس الإسلامي لم يكن في حقيقة الأمر منظمة جديدة للإخوان المسلمين في الغرب، لعدم التجانس الجلي والبين بين التنظيمات المنضوية تحت لوائه، إلا أن عدداً كبيراً من قادته كانوا من الإخوان المسلمين، كما وفرت أنماط مشاركته مع الحكومة البريطانية دروساً مفيدة للدول الغربية الأخرى. وقد أثرت المحددات السياسية، والمخاوف الأمنية، والضغوط التي مارستها وسائل الإعلام ومؤسسات الفكر والرأي بقوة على العلاقة بين صانعي القرار البريطانيين والمجلس الإسلامي، محولة إياها من علاقة ثقة متبادلة إلى انعدام ثقة مرير.

---

(91) The United Kingdom's Strategy for Countering International Terrorism (CONTEST 2), HM Government, March 2009.

(92) بيان وزارة الداخلية الخاص ببرنامج البي بي سي مسلم أولاً، بريطاني ثانياً، 16 فبراير 2009، الرابط:
http://news. bbc. co. uk/panorama/hi/front_page/newsid_7888000/7888793. stm.

ويبدو أن الحكم الخاطئ على دور المجلس الإسلامي وطبيعته هو السبب الذي دفع الحكومة إلى تغيير موقفها من المجلس. ومن جانب، ليس من العدل في شيء أن تطلب الحكومة من منظمة دورها الرئيس تمثيل الجالية الإسلامية، أن توافق على سياساتها، وإلا فإن مصيرها النبذ والإبعاد. ومن جانب آخر اختار صانعو القرار المجلس ليكون شريكاً للحكومة لحسابات سياسية خاصة بهم، واقتنعوا بل اقنعوا أنفسهم بصحة ادعاء الجماعة تمثيل معظم المسلمين البريطانيين، ولكنهم لم يقوموا قط بتقييم صحة هذا الادعاء، أو وجهات نظر قادة المجلس والتنظيمات التابعة له.

وكما هو الحال في معظم الدول الغربية، كان الوضع في بريطانيا في حالة حراك دائم. في يناير 2010 عكس وزير شؤون الجاليات والحكومة المحلية الجديد جون دينهام قرارات بليرز، وأعاد علاقات الحكومة بالمجلس الإسلامي. ودافعت الناطقة باسم الوزارة عن القرار مؤكدة أن المجلس سبق له أن عبر عن معارضته الشديدة للهجمات التي استهدفت المصالح العسكرية البريطانية، وأكد دعمه الثابت للقوات البريطانية في سائر أنحاء العالم(93). وكما هو متوقع، انتقد زعماء المحافظين القرار، الذي وصفوه بمجرد محاولة لـ«ترضية» المتطرفين من جانب حفنة من السياسيين الحمقى الخائفين على مقاعدهم قبل حلول موعد الانتخابات القومية القادمة(94). وتسلط هذه القوى المحركة الضوء على العوامل الشخصية والسياسية، التي أثرت في العلاقة المتشابكة بين

---

(93) Tom Whitehead," Government Ties with MCB Restored but not for Deputy", The Telegraph, January 15, 2010.

(94) James Forsyth, "The Government Caves in to the Muslim Council of Britain," The Spectator, January 15, 2010.

المجلس الإسلامي والحكومة البريطانية. التنبؤ بالتطورات المستقبلية صعب. ويبدو من غير المرجح أن تعود السلطات البريطانية إلى النموذج الاحتكاري وتختار ممثلا واحداً للجالية الإسلامية. وفي معرض تعليقه على قرار إنهاء العلاقة مع المجلس الإسلامي قال صادق خان، الوزير المسؤول عن تماسك المجتمع :» ولت أيام السياسيين الكسالى، الذين يقصرون تعاملهم على جماعة أو جماعتين متنفذتين أو زعيم أو زعيمين فقط«[95]. ومع ذلك، فمن المرجح أن يظل المجلس الإسلامي، بالنظر إلى محدودية علاقات منافسيه والنفوذ الكبير الذي لا يزال متوافراً له، واحداً من المحاورين الرئيسين للحكومة.

التعددية الثقافية والإسلام السياسي(الإسلاموية)

في الحين الذي عكفت فيه عدة دول غربية،على مدى الخمسين عاماً الماضية، على تطبيق الأنماط والمفاهيم المختلفة على نموذج الادماج المتعدد الثقافات إلا أننا نجد أن النموذج والتجربة البريطانية في مجال التعددية الثقافية تظل الأقدم من حيث العمر والمتفردة من حيث النوع. يعود تاريخ هذا النموذج إلى سني الاستعمار البريطاني في الهند، في النصف الثاني من القرن التاسع عشر. عندما خلعت قوات المستعمر البريطاني في عام 1857 آخر إمبراطور مغولي، وحينها أشرق الصباح على المسلمين الهنود، الذين حكموا الأغلبية الهندوسية لقرون، ليجدوا أنفسهم فجأة أقلية محكومة تتلقى الأوامر بعد أن كانوا الآمرين

(95) Richard Kerbaj, "Government Moves to Isolate Muslim Council of Britain with Cash for Mosques," Times of London, March 30, 2009.

الناهين والماسكين بزمام الأمور. وفكرت بعض الحركات مثل الديوبندية أن العزلة الدينية ربما تكون الحل الأمثل لمواجهة هذا الوضع المحبط المخيب للآمال. وفي المقابل، رأى دعاة العصرانية من أمثال سيد أحمد خان أن الإسلام والعصرانية لا يتعارضان بل يتوافقان تماماً وشجعوا المسلمين في الإقبال على تعلم اللغة الإنجليزية والنهل من معين العلوم الحديثة المفيدة، إذا ما ارادوا النجاح في مستعمرة الهند[96].

أوجدت مدرسة خان الفكرية قاعدة لها في مدينة علي غار، في ولاية اوتار براديش حيث أنشأت الكلية المحمدية الأنجلو-شرقية الذائعة الصيت (لاحقاً أصبحت تحمل اسم جامعة علي غار الإسلامية). وبرزت صفوة علمانية إسلامية نتيجة لرؤية خان، قدمت نفسها كوسيط مفيد بين المستعمر البريطاني والسكان المسلمين[97]. وبينما بحث الإداريون البريطانيون عن طرق ووسائل لحكم جوهرة التاج البريطاني المترامية الأطراف، ولكن من دون أن يورطوا أنفسهم ويرهقوها بالشؤون الداخلية المعقدة لسكانها المتعددي الأعراق والديانات، سعى المثقفون من خريجي علي غار إلى إقناعهم، أن للمسلمين الهنود وضعاً سياسياً خاصاً، وأن المحافظة على هذا الوضع سيكون في مصلحة بريطانيا والبريطانيين. هذه الصفقة السياسية تمخضت عما أشار إليه جيل كيبل بـ«أول مظهر من مظاهر الطائفية السياسية في تاريخ العالم الحديث»[98]. وتمت ترقية

(96) Moin Shakir, Khilafat to Partition: A Survey of Major Political Trends Among Indian Muslims During 1919-1947(Delhi: Ajanta, 1983), 208.

(97) Dr. Padmasha, Indian National Congress and the Muslims: 1928-1947(New Delhi: Rajesh, 1980), 11-17.

(98) Kepel, Allah in the West, 94.

هذه الرؤية من قبل الزعماء السياسيين الراغبين في الوصول إلى السلطة، من خلال تقديم أنفسهم على أنهم ممثلو المجتمع وأنهم هم القادرون على تحقيق اللحمة والوحدة بين خليط السكان غير المتجانسين على أساس هويتهم الإسلامية. وسرعان ما تلقف الإداريون البريطانيون هذه الرؤية وتبنوها[99]. وفيما بدا كصفقة مقنعة للطرفين، ضمن الزعماء الإسلاميون للبريطانيين أن يحفظوا النظام والأمن العام داخل المجتمع المسلم وأن يوفروا عليهم المشقة وتكلفة تسيير شؤون الحياة اليومية لأفراد هذا المجتمع.

هذا النموذج الطائفي الذي تبناه المستعمر في الهند، وجد طريقه إلى التطبيق في بريطانيا ما بعد الحرب[100]. باعتماده نظاماً يسمح لأبناء ويلز واسكوتلندا وأيرلندا الشمالية أن ينعموا بحمل الجنسية البريطانية، وفي الوقت ذاته يحتفظون بهويتهم القومية، فكر صانعو القرار البريطانيون في أن المهاجرين من الأعراق غير البيضاء يمكن أن يشكلوا الأقلية الرابعة في المجتمع البريطاني. وحتى بعد أن تم تقسيم هذه الفئة إلى سود/وهنود من غربي آسيا وهنود/ ومسلمين، اعتقدت السلطات أن هذه الجاليات يمكن أن تنسجم مع نظام الجنسية المزدوجة القائم. ووفقاً لهذا النظام يتمتع أفراد كل جالية بالجنسية البريطانية وبالحقوق المتساوية، ولكن لن يكون مطلوباً منهم تبني منظومة القوانين الاجتماعية والأخلاقية

(99) Kepel, Allah in the West, 94.

(100) Jonathan Paris," Discussion Paper on Approaches to Anti-Radicalization and Community Policing in the Transatlantic Space," paper prepared for Weidenfield Institute conference, Washington, June 2007; interview with Jonathan Paris, London, December 2008.

للأغلبية، طالما احترموا قانون الأرض ولم يبدر منهم ما يسيء لهذه المنظومة والقانون. وبدلاً عن مجموعة واحدة من الناس توحدهم قيم مشتركة، اختارت السلطات البريطانية « اتحاد جاليات» تحت ظله تعيش كل جالية بمعزل عن الجاليات الأخرى، وفقاً للقيم الخاصة بها[101].

اعتمد نموذج تعدد الثقافات البريطاني التقليدي بقوة على زعماء الجاليات، الذين راحوا يعملون وسطاء موثوقاً بهم بين أفراد الجاليات التي يمسكون بخطامها وبين الدولة، وبموجب هذا النموذج يمكن للأخيرة أن توكل إليهم مهمة إدارة وتوزيع الخدمات المختلفة المقدمة لأبناء جالياتهم. وقد أوكل هذا الدور في مستعمرة الهند في غالب الأحيان للصفوة من خريجي جامعة علي غار العلمانيين الذين أهلتهم إجادتهم اللغة الإنجليزية، ومعرفتهم الأعراف والتقاليد المرعية في الهند، ليكونوا علاقة طيبة مع الإداريين البريطانيين ومن أن يصبحوا على مقربة منهم. ولكن لم تكن هنالك طبقة مماثلة لتلك وسط جموع المهاجرين أصحاب التعليم المتدني القادمين من جنوبي آسيا في بريطانيا ما قبل الحرب. هذا الوضع سمح لشبكة المودوديين، بفضل مواردها الكبيرة، ومهارات أعضائها التنظيمية، وفهمهم الجيد للنظام السياسي البريطاني، تجاوز الجماعات الأخرى في حلبة التنافس على قيادة الجالية الإسلامية في بريطانيا. وكانت التعددية الثقافية، التي لا تبيح فقط للجماعات المختلفة الاحتفاظ بهويتها، بل تشجعها على ذلك، منجم ذهب لشبكة المودودي التي، شأنها شأن سائر الجماعات الإسلامية الأخرى، تقتات على سياسات

(101) Amartya Sen, Identity and Violence: The Illusion of Density (New York: Norton, 2006), 118.

الهوية (السياسات التي تتمحور حول العقائد الدينية أو الانتماءات العرقية). وإضافة إلى ذلك، وفرت التعددية الثقافية لجماعة المودودي فرصة لم يسبق لها مثيل لفرض نفوذهم وسطوتهم على الجالية الإسلامية بتصوير أنفسهم على أنهم المندوبون الموثوق بهم، الذين تبحث عنهم الدولة البريطانية.

إن تحليل القوى المحركة وسط الجالية البنغالية في شرقي لندن يجسد هذه الظاهرة تماماً. فبعد أن أسسوا لأنفسهم وجوداً في حقبة خمسينات القرن التاسع عشر (1850) أخذ المهاجرون البنغال يستقرون في حي هاملتس تاور والأجزاء الأخرى من شرقي لندن في أعداد كبيرة في خمسينات القرن العشرين (1950) مما جعل المنطقة اليوم تسجل أعلى نسبة سكان مسلمين في بريطانيا (36،4 بالمائة حسب إحصاء 2001، 90 بالمائة منهم ينحدرون من مهاجرين بنغال)[102]. وقد غلف البنغال عموماً، خلال ستينات وسبعينات القرن العشرين، هويتهم بإطار عرقي. وعلى الرغم من أن الإسلام يشكل جزءاً مهماً من حياة كثيرين منهم إلا أن البنغال يعدون أنفسهم ببساطة جزءاً من الأقلية غير البيضاء، ولهذا لاذوا بالأيديولوجية العلمانية، غالباً الاشتراكية، لمحاربة قضايا التفرقة، والفقر، والعنصرية. وكان للإسلاميين حضور في الحي، ولكن في الغالب كان الحضور الأبرز والطاغي للعلمانيين والقوى الوطنية.

أدت الاضطرابات العنصرية التي اجتاحت حي بركيستون في لندن عام 1981م،التي أثارها شبان من منطقة الكاريبي وغيرها من حوادث

(102) Muslims in London.

التوتر العنصري، إلى زيادة اهتمام صانعي القرار البريطانيين بالأقليات الدينية والعرقية. ودعا تقرير سكارمان، الذي صدر عقب اضطرابات بريكستون إلى وضع سياسات تدعم المعاملة التفضيلية وفقاً للاختلافات الثقافية. وعلى المستوى المحلي، توصل الرئيس المنتخب الجديد لمجلس بلدي لندن الكبرى، كين ليفنغستون، إلى ضرورة التشديد على تنوع الجاليات المختلفة عرقياً ودينياً. وبدأ ليفنغستون ومجالس المدينة في المناطق التي تقطنها أقلية كبيرة التركيز بصورة أقل في قضايا التفرقة والمساواة الاقتصادية، وبصورة أكبر في سياسات الهوية و على مزيد من الاعتراف بالتنوع[103]. ويقول كنان مالك، وهو متشدد مخضرم من أقصى اليسار البريطاني:» إذا كان اليسار يقول ذات مرة إنه ينبغي معاملة الجميع على قدم المساواة بغض النظر عن اختلافاتهم العرقية،أو الإثنية، أو الدينية، أو الثقافية فقد بات الآن يدفع بفكرة ضرورة التعامل مع الناس المختلفين بطريقة مختلفة بسبب هذه الاختلافات«[104]. من إنكار الحقوق المتساوية جاءت النظرة إلى العنصرية على أنها الحرمان من الحق في أن تكون مختلفاً.

وفي أواخر الثمانينات وبداية التسعينات، بدأت الحكومة البريطانية تأخذ بمفهوم» الجالية الإسلامية « وقررت إقامة المزيد من العلاقات والصلات مع المنظمات الدينية. وقد كانت هيئات مثل الجماعة الإسلامية، المرتبطة بمسجد شرقي لندن وغيرها، مطلوبة للسلطات التي

---

(103) Mirza, Senthilkumaran, and Jaáfar, Living Apart Together, 22-23.

(104) Kenan Malik, *From Fatwa to Jihad: The Rushdie Affair and Its Legacy* (London: Atlantic Books, 2009) xix.

كانت ترى فيها الشريك المثالي لتنفيذ برامج الرعاية الاجتماعية[105]. أخذت السلطات المحلية مثل وحدة الأقليات العرقية بمجلس لندن الكبرى في الاعتماد بصورة متزايدة على المنظمات الدينية، لإدارة برامج مكافحة الجريمة والمخدرات وأنشطة العصابات على أمل أن يلقى أسلوبها القائم على الموعظة الدينية قبولاً عند الشبان المسلمين[106]. ومن هنا برزت النظرة إلى الإسلام، كترياق مضاد للمشكلات الاجتماعية، التي تفشت في أوساط الجاليات الآسيوية. وسمحت الأموال المقدمة من المجالس البريطانية وتلك التي تبرع بها أثرياء من الخارج لتنظيمات المودوديين إحداث تغيير كبير في ميزان القوى لصالحها في شرقي لندن مقابل التنظيمات العلمانية المنافسة.

تبعاً لذلك لعبت التعددية الثقافية دوراً رئيساً في مساعدة التنظيمات الإسلامية، لتصبح صاحبة الكلمة في يومنا هذا في تمثيل الجالية الإسلامية عند الدولة البريطانية، والنخبة المتعلمة والمهنية، التي يمكن للحكومة أن توكل إليها تسيير أمور الحياة اليومية[107]. ويرى كثير من منتقدي التعددية الثقافية أن هذه السياسات عززت تطور

---

(105) Delwar Hussein,"Bengladeshis in East London: From Secular Politics to Islam,"Open Democracy, July 6, 2006, http://www. opendemocracy. net/democracy-protest/bangladeshi_3715. jsp.

(106) John Eade and David Garbin,"Changing Narratives of Violence, Struggle-and Resititance: Bangladeshis and the Competition for Resources in the Global City,"Oxford Development Studies 30, no. 2 (2002).

(107) Carla Power, “New Imams,"Newsweek, January 17, 2006; Sean McLoughlin,"Islam, Citizenship and Civil Society: ‹New'Muslim Leadership in UK," presentation at the European Muslims and the Secular State in a Comparative Perspective conference, European Commission/Network of Comparative Research on Islam and Muslima in Europe, June 30/July 1, 2003.

منظمات قادت المسلمين إلى التعبير عن أنفسهم فقط من خلال هويتهم الإسلامية، وحالت بينهم وبين تشكيل شعور بالولاء لبريطانيا. ويجادل كيبل قائلاً: « شجعت العلاقة الوثيقة بين المساجد والخدمات الاجتماعية على ظهور نوع معين من الزعماء لديهم مصلحة في إدامة حدود الجالية لأن ذلك يجعل منهم عناصر لا يمكن الاستغناء عنها كوسطاء»[108].

ويتساءل البنغالي الحائز على جائزة نوبل في الاقتصاد الدكتور أمرتايا سين «ما الذي يفرض على المواطن البريطاني المسلم أن يعتمد على رجال الدين وغيرهم من زعماء الجالية الإسلامية في إيصال صوته إلى رئيس الوزراء؟»[109]. وفي ذات الموضوع يقول كنان مالك :» لقد تخلى السياسيون، نتيجة لذلك، عن مسؤولياتهم في التواصل المباشر مع الجاليات الإسلامية. بدلاً عن ذلك أوكلوا هذه المسؤوليات من الباطن إلى ما يسمى بقادة الجاليات. وبدلاً من مخاطبة المسلمين بصفتهم مواطنين بريطانيين ومحاولة جذبهم إلى التيار الرئيسي في العملية السياسية، فضل السياسيون، من جميع ألوان الطيف السياسي اليوم، أن ينظروا إليهم على أنهم مجموعة من الناس ولاؤها الرئيس لدينها ولا يمكن استقطابها سياسياً إلا من خلال مسلمين آخرين»[110]. ويعتقد سين ومالك وبقية منتقدي التعددية الثقافية البريطانية أنه بتمكين زعامة تستخدم سياسات الهوية لإقامة «إقطاعيات عرقية» وتعزيز برامجها وتقوية موقفها، تكون السلطات البريطانية قد حرمت الشبان المسلمين البريطانيين من

(108) Kepel, Allah in the West, 114.
(109) Sen, Identity and Violence, 78
(110) Kenan Malik,"What Muslims Want,"Channel 4, August 7, 2006.

الشعور بأن لهم نصيباً في المجتمع البريطاني، ومن الشعور بالانتماء الحقيقي إلى هذا المجتمع»[111]. هذا التحليل مماثل بشكل لافت للنظر لتحليل المؤرخين الذين قدموا تحليلاً للسياسات الطائفية البريطانية في مستعمرة الهند. وكتب ديفيد بيج في عام 1982م في مؤلفه بعنوان(تمهيداً للتقسيم) (Prelude to Partition) «بمعاملة المسلمين كمجموعة منفصلة عزلتهم الحكومة عن بقية الهنود. وبمنحهم دوائر انتخابية منفصلة، تكون الحكومة قد أسست للانفصال والتقسيم. كان هذا واحداً من أهم العناصر التي ساهمت في تطور السياسات الطائفية. ولم يكن السياسيون المسلمون يخاطبون أحداً خلاف المسلمين والسياسيين غير المسلمين لا يخاطبون المسلمين. هذا ما جعل من الصعب على القومية الهندية أن تبرز للوجود»[112].

وبالمثل يقدم إيد حسين، وهو ناشط مسلم من مواليد لندن انشق عن حزب التحرير بعد تخليه عن الإيديولوجية الإسلامية، رصداً أولياً لسياسات التعددية الثقافية وكيف أنها قادته إلى التطرف في بريطانيا اليوم:

الجاليات الإسلامية تعيش في عزلة. كثير من المسلمين يريد أن يعيش بمعزل عن المجتمع البريطاني، سياسة الحكومة الرسمية ساعدتهم في ذلك. ترعرعت وكبرت دون أن يكون لي أي أصدقاء من البيض. يكاد أن يكون جميع الطلاب في مدرستي من المسلمين. لم تكن لي خبرة مباشرة بـ

(111) Malik, From Fatwa to Jihad, 67.

(112) David Page, Prelude to Partition: The Indian Muslims and the Imperial System of Control, 1920-1932(New York: Oxford University Press, 1982), 260.

«الحياة البريطانية» أو «المؤسسات البريطانية». ولهذا كان من السهل على المتطرفين أن يقولوا لي: «أنظر؟ أنت لست جزءاً من المجتمع البريطاني. ولن تكون جزءاً منه. يمكنك فقط أن تكون جزءاً من مجتمع إسلامي.» الجزء الأول مما قالوه كان صحيحاً. لم أكن جزءاً من المجتمع البريطاني: لا شيء في حياتي كانت له علاقة أو صلة بالمجتمع البريطاني[113].

أكد حسين، في مذكراته، التي نشرت عام 2007، مجدداً هذه الرسالة من خلال وصفه حياته في صفوف الجمعية الإسلامية في كلية هاملتس تاور في شرقي لندن، وهي منظمة إسلامية طلابية كان يسيطر عليها أعضاء الجماعة الإسلامية، وكان هو من يقودها قبل أن يلتحق بحزب التحرير الأكثر تطرفاً:

في بريطانيا ذات الثقافات المتعددة في الثمانينات والتسعينات كنا أحراراً في ممارسة طقوسنا الدينية وتطوير ذائقتنا الثقافية وفق ما يحلو لنا. معلمونا تركونا وشأننا طالما لم نكن نمارس إرهاباً على غير المسلمين. لكن الهوية البريطانية والقيم البريطانية المتمثلة في الديموقراطية والتسامح والاحترام والحلول الوسط والتعددية لم تكن تعني شيئاً بالنسبة لنا. مثلهم مثلي، لم تكن لمعظم الطلاب في الكلية رابطة حقيقية تربطهم ببريطانيا. نعم كنا منتسبين لمؤسسة تعليمية بريطانية في لندن، لكن لم يكن بها أي شيء بريطاني أو يدل على أنها بريطانية. كان يمكن أن تكون في القاهرة أو كراتشي. لقد كانت معزولة عن بريطانيا، وكذلك عن ثقافة آبائنا الشرقية. الإسلام السياسي (الإسلاموية) أمدنا بالهدف ووفر لنا

(113) Palmer,"Not in Their Name?".

مكاناً في الحياة. وأهم من كل ذلك، كنا نشعر كما لو أننا الرواد الذين يقفون على حدود المعركة مع الغرب في حديقته الخلفية[114].

لقد كان لكتابات المعلقين المسلمين من أمثال سين ومالك وحسين تأثير كبير في الجدل البريطاني حول التعددية الثقافية، التي وصلت إلى وسط المسرح الوطني بعد أعمال الشغب العرقية التي اجتاحت مختلف المدن البريطانية الشمالية في عام 2001م، وبعد أحداث الحادي عشر من سبتمبر وتفجيرات السابع من يوليو[115]. ومع أن المدافعين عن نموذج التعددية الثقافية التقليدي لا يزالون يحمون ويدافعون عن نموذجهم، إلا أنه يبدو أن غالبية المؤسسة البريطانية تتفق مع التحذيرات التي أطلقها تريفور فيليبس رئيس لجنة المساواة العرقية، الذي أثر عنه قوله في عام 2005م إن بريطانيا تسير مغمضة العينين نحو الانقسام على طول خطوط عرقية ودينية[116]. وبدا أن شرائح كبيرة من المجتمع البريطاني والصفوة السياسية باتت متفقة على أنه ينبغي على التعددية الثقافية معاملة الناس بالتساوي، بغض النظر عن اختلافاتهم الدينية أو العرقية وليس معاملتهم باختلاف لأنهم مختلفون. إضافة إلى ذلك، هنالك فهم متزايد أن المجتمعات العرقية لا تقل تنوعاً عن مجتمع البيض وأن التظاهر بأن شخصاً أو تنظيماً واحداً يمكن أن يمثل جميع مصالحهم المختلفة هو محض خيال مطلق. ونتيجة لهذا الاتفاق الجماعي العريض في الرأي،

---

(114) Ed Hussein, The Islamist (London: Penguin, 2007)74-75.

(115) للاطلاع على النقاش البريطاني حول التعددية الثقافية انظر:
Johnathan Sacks, The Home We Build Together: Recreating Society (London: Continuum, 2007).

(116) "Britian'Sleepwalking to Segregation," Guardian, September 19, 2005.

أخذت بريطانيا، بتأن وتؤدة، تراجع نموذجها المتعدد الثقافات. وعلى أية حال، قدم تطبيق هذا النموذج خلال العقدين الماضيين مثالاً قيماً على قدرة الجماعات الإسلامية على الاستفادة من الظروف السياسية المواتية لتمرير أجندتها.

العراق والقرضاوي واليسار

هيمن الآسيويون القادمون من جنوبي آسيا المنتمون إلى الجماعة الإسلامية على المشهد الإسلامي البريطاني منذ مطلع الستينات، واستقر عدد لا يستهان به من النشاطين العرب المنتمين إلى مختلف التنظيمات الشرق أوسطية المتفرعة من جماعة الإخوان المسلمين في لندن، حيث واصلوا أنشطتهم بهمة وعزيمة ملحوظة. وبرز من بينهم على وجه خاص، نتيجة لخبرته وصلاته وجاذبيته، الدكتور كمال توفيق الهلباوي، أحد أكثر زعماء الإخوان الغربيين الجدد حيوية[117]. ولد الهلباوي عام 1939م في شمال مصر، والتحق بجماعة الإخوان المسلمين منذ أن كان طالباً بالمرحلة الثانوية وشغل مناصب قيادية في التنظيم منذ ذلك الحين. ومع مرور السنين أصبح مشاركاً في الأنشطة الإسلامية في جميع أنحاء العالم. في عام 1972م، كان الهلباوي واحداً من الذين أسسوا الندوة العالمية للشباب الإسلامي بين أفغانستان وباكستان حيث عمل مستشاراً لقيادة المجاهدين (WAMY) بالمملكة العربية السعودية وتنقل في الثمانينات حيث رأس شعبة الدراسات العربية، وعمل محاضراً في الدعوة في معهد

(117) لمعلومات عن حياة الهلباوي: مقابلة مع كمال الهلباوي، لندن ديسمبر 2008، الموقع الشخصي للدكتور الهلباوي على الشبكة: http://www.khelbawy.com/about.html

الدراسات السياسية، مؤسسة الفكر والرأي التابعة لخورشيد أحمد.

في منتصف التسعينات أرسل مجلس شورى جماعة الإخوان المسلمين المصريين الهلباوي إلى بريطانيا العظمى ليؤسس المركز العالمي للمعلومات، وهو أول مكتب للإخوان المسلمين الغربيين الجدد. وكانت لندن بحكم موقعها كمركز إعلامي مهم لوسائل الإعلام العربية والغربية المكان المثالي لهيئة مكلفة بنشر دعوة الإخوان المسلمين على نطاق العالم، وأجاد الهلباوي الإنجليزية بطلاقة، فقد سبق له العيش من قبل في لندن (مدير جمعية رعاية المسلمين في فينسبيري بارك في شمال لندن في مطلع الثمانينات)، ومن ثم فقد كان الهلباوي الشخصية المثالية المناسبة لإدارة المركز. ولكنه سرعان ما اختلف مع قيادة الإخوان المسلمين في مصر وتعطل عمل المركز، ولكن الهلباوي واصل مشاركاته في الأنشطة والفعاليات الإسلامية داخل بريطانيا. ولتعزيز صلاته بالجماعة الإسلامية التي ساهم في بنائها في باكستان، عمل الهلباوي رئيساً للمؤسسة الإسلامية في ليستر، وأصبح عضواً في المجلس الإسلامي في بريطانيا، الذي كان أحد أعضائه المؤسسين وعضواً في لجنة العمل المركزية من عام 2000م إلى عام 2004م.

الانجاز الرئيس الذي يحسب للهلباوي منذ مجيئه إلى بريطانيا كان إنشاؤه الرابطة الإسلامية في بريطانيا (MAB)[118]. تعد الرابطة، التي أُنشئت في عام 1997م للم شمل الناشطين العرب على مختلف سحناتهم وأعراقهم، تنظيماً متطوراً للإخوان الغربيين الجدد من حيث

(118) http://mabonline.net/?page_id=2.

أصولها ومذهبها وصلاتها ومنهجية تفكيرها. ضمت قيادة الرابطة، إلى جانب الهلباوي، ناشطين سياسيين متمرسين من مختلف دول الشرق الأوسط مثل محمد صوالحه، الذي عرفه موقع إسلام أونلاين بعضو اللجنة السياسية للمنظمة الدولية للإخوان المسلمين، وأنس التكريتي، نجل زعيم تنظيم الإخوان المسلمين في العراق، وعزام التميمي، المدير السابق للمكتب البرلماني لجبهة العمل الإسلامي في الأردن، والتي تعتبر فرعاً من الإخوان المسلمين[119]. وانخرط قادة الرابطة، الذين عكس خطابهم عمق خبراتهم السابقة، في عدد كبير من المبادرات وإدارة مؤسسات فكر ورأي ومحطات تلفزة صغيرة، تهتم بالشأن الإسلامي وتتوجه بالخطاب إلى المسلمين، وإصدار مجلات، والمشاركة والحديث في كثير من الأحيان في المؤتمرات في داخل بريطانيا وخارجها. وكانت الرابطة، التي تعد واحدة من الأعضاء المؤسسين للمجلس الإسلامي في بريطانيا، عضواً رئيساً في اتحاد التنظيمات الإسلامية في أوروبا، وهو منظمة لعموم المسلمين في أوروبا، اتخذ من بروكسل مقراً له.

تواصل الرابطة على مستوى القواعد كان محدوداً خلال سنواتها الأولى برغم نشاط قادتها. ولم تنجح الرابطة في أغلب الأحيان في ردم الهوة الإثنية وخطب ود المسلمين البريطانيين من جنوبي آسيا. وقد سنحت الفرصة للرابطة لتأكيد أهميتها في عام 2002م حينما استفحل التوتر بين الولايات المتحدة والعراق. وقام الناشطون المناوئون للحرب، في الأشهر

(119) http://www. islamonline. net/Arabic/news/2004-03/19/article08. shtml ;Michael Whine, "The Advance of the Muslim Brotherhood in the UK, "Current Trends in Islamist Ideology2(September 2005).

التي سبقت النزاع، بالتعبئة في معظم البلدان الغربية وفي تنظيم مسيرات حاشدة ضد الهجوم الأمريكي المحتمل. وفي بريطانيا، شكلت الرابطة اكبر جماعة وأنشطها « تحالف أوقفوا الحرب»(Stop the War Coalition-STWC)، تحت قيادة الحزبين العمال الاشتراكي والشيوعي البريطاني. عقب تشكيله في أعقاب الحرب في أفغانستان في عام 2001م، وجد التحالف المناهض للحرب مادة جديدة للاحتجاج على الصراع الذي لا يحظى بشعبية على نطاق واسع في العراق، وفكر في جذب المزيد من المنظمات الإسلامية لتوسيع قاعدة عضويته وتنويع صفوفها[120].

وعلى الرغم من معارضته الشديدة الحرب، إلا أن قادة المجلس الإسلامي في بريطانيا ترددوا في المشاركة المباشرة في التظاهرات الكبيرة خوفاً من تعرض علاقتهم التي كانت ما تزال طيبة مع الحكومة إلى الخطر[121]. ووجه قادة التحالف المناهض للحرب، الذين كانوا يبحثون عن بدائل، نظرهم تلقاء الرابطة الإسلامية في بريطانيا، بعد تنظيمها لتظاهرة احتجاج كبرى ضد إسرائيل في وسط لندن في أبريل 2002م. وكانت تلك التظاهرة قد حققت صدى طيباً وحظيت أخبارها بتغطية واسعة في وسائل الإعلام إذ احتلت صدر الصفحات الأولى من الصحف بسبب لهجتها القوية ورفعها لشعارات حماس وحزب الله وحرقها لعلمي إسرائيل والولايات المتحدة. وأعجب قادة التحالف بحجم التظاهرة

---

(120) Richard Phillips, ‹Standing Together: The Muslim Association of Britain and the Anti-War Movement," Race & Class50, no. 2 (2008):101-13.

(121) Salma Yaqoob, "British Islamic Political Radicalism," in Tahir Abbas, ed. , Islamic Political Radicalism: A European Perspective (Edinburgh University Press 2007).

وبعدد المشاركين فيها (ما بين 10 إلى 15 ألف متظاهر حسب شرطة سكوتلنديارد و80 ألف وفقاً للهلباوي)[122]. وعلى الرغم من أن منظمات كبيرة مثل المجلس الإسلامي في بريطانيا، والبعثة الإسلامية في المملكة المتحدة (UK Islamic Mission) والتحالف نفسه قدموا دعماً للتظاهرة إلا أن ترتيباتها وتنظيمها انفردت به الرابطة الإسلامية، وكان من المدهش حقاً أن ينجح تنظيم لا يزيد عدد أعضائه عن بضع مئات (400 عضو) في تعبئة هذا الحشد الكبير ما يدل دلالة واضحة على المهارات التي يتمتع بها قادتها ومدى احترافيتهم[123].

وطلب قادة التحالف المناهض للحرب، بدافع العثور على شريك إسلامي ولإعجابهم بمقدراتها على تعبئة وتحريك الحشود، طلبوا من الرابطة الإسلامية الانضمام إليهم[124]. أثار عرض التحالف نقاشاً مكثفاً في أوساط الرابطة التي فكر قادتها ملياً في فوائد نشر رسالتهم على نطاق أوسع ومستوى أرفع، كما أنهم لم ينسوا حساب التكاليف المحتملة والضريبة التي سيدفعونها ثمناً لتحالفهم مع ماركسيين وملحدين ومثليين جنسياً خصوصاً وسط الشرائح الإسلامية الأكثر محافظة في الجالية الإسلامية في بريطانيا[125]. وفي نهاية المطاف، استقر رأي الرابطة على إقامة شكل من أشكال الشراكة على أساس الندية مع التحالف ووافقت على التعاون معه باخلاص، شريطة أن تظل الرابطة كياناً مستقلاً مع احتفاظها

---

(122) مقابلة مع كمال الهلباوي، لندن، ديسمبر 2008 (مشاهد غاضبة من المظاهرة ضد إسرائيل) البي بي سي، 13 أبريل 2002.

(123) http://www. ihrc. org. uk/show. php?id=294; Phillips, "Standing Together".

(124) مقابلة مع كمال الهلباوي، لندن ديسمبر 2008،

Phillips, "Standing Together"

(125) Phillips, "Standing Together".

بأجندتها وبرامجها الخاصة. أيضاً فرضت الرابطة، كشرط ضروري لمشاركتها، أن يكون الطعام المقدم لأعضائها حلالاً والسكن المتاح لهم شرعياً، وأن يتم الفصل بين الجنسين في الاجتماعات والتظاهرات(126). وافق قادة التحالف، على الرغم من احتجاج بعض أعضائه، على كل الشروط التي وضعتها الرابطة(127).

نظمت الرابطة والتحالف أول تظاهرة احتجاج مشتركة في سبتمبر 2002م، شارك فيها جمع غفير في وسط لندن. هذه التظاهرة وغيرها من الأحداث، تميزت بتصميم الرابطة التي احتضنها التحالف على الربط بين المعارضة للحرب في العراق والقضية الفلسطينية. وفرض قادة الرابطة، الذين عبروا في غالب الأحيان عن مساندتهم حماس، على المتظاهرين شعارات تندد بالحرب في العراق وتنادي بالعدل والإنصاف للفلسطينيين ودافعوا عن أن القضيتين لا يمكن الفصل بينهما بل وأكدوا عمق الرابط بينهما(128). وحملت لافتات الرابطة ومنشوراتها شعارات مثل» الحرية لفلسطين»» أوقفوا الحرب في العراق» وبدوره رفع التحالف الشعارات ذاتها غير أنه قدم شعار وقف الحرب على نصرة فلسطين(129).

كان التعاون مع شركاء لا تألفهم النفس، خاصة أولئك المنتمين

---

(126) Phillips, ‹Standing Together”.

(127) Interview with antiwar activist, London, December 2008; for the debate in extreme left circles, see, for example, Jane Kelly and Karen O'Toole, "Alliances and Coalitions in Britain: Stop the War' and ‹Respect," ISG Political Committee, April 2005, http://www. internationalviewpoint. org/spip. php?article672.

(128) مقابلة مع كمال الهلباوي، لندن، ديسمبر 2008.

(129) Phillips, "Standing Together”.

لأقصى اليسار، أسلوباً متكرراً انتهجه الإخوان المسلمون في أنحاء شتى من العالم، من الشرق الأوسط إلى الغرب. وساهمت التوترات المتزايدة على الصعيد العالمي عقب أحداث الحادي عشر من سبتمبر في زيادة حجم الاتصالات بين القوى السياسية، التي على الرغم من تعارض رؤاها تماماً حول عدد من القضايا، خاصة حول دور الدين في المجتمع، إلا أن كراهية الولايات المتحدة وإسرائيل جمعت بينها ووحدتها، لتقف في خندق واحد. وللاستفادة من هذه المشاعر وتعزيز أجندتها، قام الإخوان المصريون، على سبيل المثال، باستضافة المؤتمر العالمي الأول ضد الصهيونية في القاهرة في عام 2002م. ووقع المشاركون في المؤتمر ومن بينهم زعماء غربيون بارزون من أقصى اليسار على «إعلان القاهرة ضد الهيمنة الأمريكية، والحرب على العراق، والتضامن مع فلسطين» وهي وثيقة عرفت الهجمات الفلسطينية ضد إسرائيل بالأعمال المشروعة من أجل التحرير، وأكدت أنه يجب على جميع المشاركين في المؤتمر تأكيد عزمهم على الوقوف بجانب الشعبين العراقي والفلسطيني، والاعتراف بأن الحرب والعدوان عليهما ما هو إلا جزء من مشروع الولايات المتحدة للهيمنة والاستعباد[130].

ويبرز استعداد الإخوان المسلمين للتعاون مع القوى السياسية، التي لا يجمعهم معها شيء كثير، دليلا آخر على مرونتهم وعلى الاستراتيجية

---

(130) رابط إعلان القاهرة:

http://www.counterpunch.org/cairo1227.html, December 27,2002

قائد حركة مناهضة الحرب الأمريكية يلتقي مناهضي الصهيونية المتطرفين في القاهرة. رابطة مكافحة التشهير، 29 ديسمبر 2003. الرابط:

http://www. adl. org/Israel/ramsey_clark. asp

السياسية المتطورة. وقد أقر قادة الرابطة الإسلامية علانية بهذه الاختلافات الأيديولوجية ولكنهم قالوا إن هنالك» أهدافاً أعظم» تنتظر التحقيق من خلال إقامة شراكاتمؤقتة مع اليسار المتطرف[131].

وعلى العكس، يبدو أن قرار قادة التحالف المناهض للحرب مبني على مقدمات وفذلكات أقل وضوحاً. واشتكى أنصار احمد الله، زعيم الجالية البنغالية في شرقي لندن، من أن التحالف المناهض للحرب، في سعيه إلى مد جسور التواصل مع الجالية الإسلامية في بريطانيا، وضع يده في يد الإسلاميين[132]. ومثل مسلمين بريطانيين آخرين، يجادل أحمد الله أن التحالف المناهض للحرب كان يبحث يائساً عن أي شريك إسلامي واختار، متجاهلاً القوى الداخلية المحركة للجالية، التحالف مع الرابطة الإسلامية الأكثر نشاطاً وصخباً. وبإقدامه على هذه الخطوة لم يدخل «التحالف المناهض للحرب» فقط في شراكة مع منظمة يتعارض موقفها حول الكثير من القضايا بشكل صارخ ومباشر مع مواقفه، بل فشل أيضاً في خطب ود الجماعات العلمانية المتعددة من داخل الجالية الإسلامية، التي كانت حريصة بالقدر نفسه على المشاركة في الأنشطة المناهضة للحرب، ولكنها أحجمت عن ذلك بسبب وجود الإسلاميين.

وعلى أية حال، تميز التعاون بين الرابطة والتحالف المناهض للحرب بالنجاح التام، حيث شارك مئات الآلاف في تظاهراتهما ومناسباتهما الأخرى. وقرر قادة التنظيمين، تحدوهم الآمال في الاستفادة من الزخم الذي توفر لهما، توثيق عرى الشراكة بينهما والحفاظ على

(131) "Phillips, "Standing Together.

(132) "Phillips, "Standing Together.

ثباتها واستقرارها. ولهذا كونا في يناير2004م تشكيلاً سياسياً جديداً سمياه حزب ريسبكت/تحالف الوحدة(RESPECT/Unity Coalition)، (الاختصار هنا الأحرف الأولى من جملة«احترام المساواة والاشتراكية والبيئة). وشارك الحزب الجديد في انتخابات بلدية لندن وأيضاً في الانتخابات الوطنية والأوروبية في عام 2005م. خاض الحزب الجديد، آملاً التأثير في الناخبين الناقمين على حزب العمال، الذين يعارضون الحرب، ومستنداً إلى نتائج استطلاعات الرأي التي تشير إلى أن أكثر من نصف المسلمين الذين يؤيدون حزب العمال ينوون التصويت ضد توني بلير، في الانتخابات في انجلترا وويلز منطلقاً من قاعدة الاشتراكية ومعارضة«الاحتلال» في العراق وفلسطين[133]. وضمت قائمة مرشحي الحزب زعماء سياسيين من أقصى اليسار، مثل: النائب البرلماني العمالي المخضرم جورج جالاواي وزعيمة حزب العمال الاشتراكيين ليندسي جيرمان، وأعضاء الرابطة الإسلامية أمثال انس التكريتي، وغيرهم من الناشطين الإسلاميين أمثال محمد نسيم، وسلمى يعقوب، وإيفون رايدلي، الصحفية البريطانية التي اعتنقت الإسلام بعد احتجازها رهينة من قبل طالبان.

وعلى الرغم من أن وضع حزب العمال في الانتخابات لم يتأثر كثيراً من الحركة المناوئة له، بسبب مشاركته في حرب العراق إلا أن حزب ريسبيكت تمكن من كسب عدد غير كبير من مؤيديه. وعلى الرغم من الأداء الجيد لبعض مرشحي حزب ريسبيكت في المناطق التي تقطنها

(133) Alan Travis,"Muslims Abandon Labour Over Iraq War,"Guardian, March 15, 2004.

أغلبية مسلمة، إلا أن جورج جالاواي، الذي ترشح في دائرة في شرقي لندن كان الوحيد من مرشحي الحزب، الذي تمكن من الفوز بمقعد في انتخابات 2005م الوطنية. يبدو أن الحزب منذ ذلك الحين، فقد زمام أموره وغرق في خلافاته الداخلية. وواجهت الرابطة الإسلامية نفسها انقساماً داخلياً حاداً، إذ اختار زعماؤها من الجيل القديم مثل الهلباوي العودة إلى قواعدهم، متحججين بأن انغماس المنظمة في الأنشطة السياسية قد صرفها عن هدفها الرئيس في الدعوة إلى الإسلام. أما الآخرون من أمثال صوالحه، والتكريتي، والتميمي فأسسوا جماعة موازية سموها مبادرة المسلمين البريطانيين(BMI) ومن خلالها واصلوا أنشطتهم السياسية بما في ذلك تعاونهم مع التحالف المناهض للحرب.

لم تكن تجربة الرابطة الإسلامية مع التحالف المناهض للحرب غزوة المنظمة الوحيدة للمشهد السياسي. ففي يوليو 2004م، لعبت الرابطة دوراً حاسماً في جدل ساخن وعام تركز في شخص عمدة لندن في ذاك الوقت كين ليفنغستون. كان الجدل قد بدأ عندما استضافت الرابطة الإسلامية اجتماعاً للمجلس الأوروبي للإفتاء والبحوث وهو هيئة فقهية يرأسها الشيخ القرضاوي. وعقب الاجتماع، عقد ليفنغستون، الذي كان عائداً لتوه إلى صفوف حزب العمال بعد تعليق عضويته أربع سنوات، مؤتمراً صحفياً في قاعة مدينة لندن بمشاركة القرضاوي انتقدا فيه قرار البرلمان الفرنسي حظر ارتداء الحجاب فيالمدارس الحكومية(134). وواجه قرار ليفنغستون رعاية القرضاوي وتوفير منبر له عاصفة من

(134) Why the Mayor of London Will Maintain Dialogues with All of London's Faith Communities, a dossier published the Greater London Authority, January 2005.

الانتقادات الشديدة من مختلف الجهات. واجتمع تحالف مكون من منظمات لندنية شتى ضم جماعات المثليين واليهود والسيخ ليعبروا عن رفضهم لفكرة المؤتمر الصحفي وأخذوا في تهيئة الرأي العام ضده حتى قبل موعد انعقاده بأسابيع(135).

وفي ردة فعل على الجدل، دافعت الرابطة الإسلامية والمجلس الإسلامي في بريطانيا بقوة عن القرضاوي. واصدر المجلس الإسلامي بياناً صحفياً دان فيه ما أسماه بعملية « قتل الشخصية» الذي مارسها اللوبي الصهيوني لتشويه سمعة القرضاوي، صوت العقل والفهم(136). استعار ليفنغستون العبارات نفسها ليمتدح عالم الدين المصري بصفته واحداً من أبرز العلماء المسلمين المعتدلين في العالم (137). وقال العمدة: ليفنغستون « المكانة التي يحتلها الشيخ القرضاوي وسط المسلمين، حسب اعتقادي، تماثل مكانة البابا. وهو من أعقل العلماء المسلمين على الإطلاق». وأضاف أن الهجوم على الشيخ القرضاوي لا يزيد على كونه « فورة هستيرية من العنصرية والخوف من الإسلام»(138).

مع استمرار تداعيات الهجوم والجدل لأشهر، كلف لفينغستون

(135) "Mayor Livingstone and Sheikh Qaradawi: A Response by a Coalition of Many of London Diverse Communities, "document in possession of the author.

(136) "MCB Decries Character Assassination of Dr. Al-Qaradawi," July 7, 2004, http://www. mcb. org. uk/media/presstext. php?ann_id=102(accessed January 12,2009)

(137) Mayor's statement at MQT on the visit of Dr . Al-Qaradawi, City of London, July 15, 2004, http://www. london. gov. uk/view_press_release. jsp?releaseid=3862.

(138) Richard Ford ,"Livingstone Likens Bomb Apologist to Reformer Pope John," Times of London, September 14,2005.

معاونيه إعداد ملف خاص عن الشيخ القرضاوي، قام بنشره في يناير 2005م للرد على من انتقده بسبب رعايته للأخير. وقال ليفنغستون وهو يصف القرضاوي بـ» التقدمي» إن الشيخ عارض بصراحة ظلم مثليي الجنس(الشواذ) في مقابلة أجرتها معه صحيفة الغارديان خلال زيارته التي أوضح فيها أن المسلمين» غير مطالبين» حسب عقيدتهم» إعلان حرب ضد المثلية الجنسية والمثليين»[139]. أما في معرض رده على الاتهام الموجهة للشيخ القرضاوي بمعاداة السامية فقد قال ليفنغستون إن القرضاوي أوضح تماماً خلال حديثه في قاعة مدينة لندن معارضته التامة لمعاداة السامية وأنه يعتبر» اليهودية واحدة من أعظم الديانات في الكون، وأن المسلمين واليهود عاشوا في سلام في الشرق الأوسط لمئات السنين». وسعت أجزاء الملف الأخرى إلى الرد على منتقدي القرضاوي وتفنيد ادعاءاتهم متهمة إياهم بالاعتماد على ترجمات غير دقيقة لخطب الشيخ من قبل مواقع اليمين الإسرائيلي التي نشرتها على الشبكة العنكبوتية مثل معهد بحوث إعلام الشرق الأوسط(ميمري).

في الحقيقة، يبدو أن ليفنغستون قرر الاعتماد على حفنة من التصريحات التي أدلى بها القرضاوي خلال إقامته في لندن، وأهمل تصريحاته الأخرى. وفي هذا الصدد كتب عبد الرحمن الراشد مدير عام قناة العربية التلفزيونية في افتتاحية خلال «أزمة القرضاوي» يقول» هذه التصريحات الصادرة عن القرضاوي في لندن لا تتطابق مع تلك التي يقولها في الدوحة، والتي يمكن الاطلاع عليها في الموقع الخاص به على

(139) Why the Mayor of London Will Maintain Dialogues with All of London's Faith Communities

الإنترنت»[140]. ومضى الراشد قائلاً:»في الحقيقة، قبل أسبوعين فقط من زيارته للندن قال القرضاوي في برنامجه الأسبوعي على قناة الجزيرة إن» طغيان اليهود كطائفة واضح وجلي، وهذا ما يعني أنه في حين قد يكون هنالك بعض الطغاة وغير الطغاة في الغرب إلا أن طغيان اليهود مشهود وعظيم، ولا يضاهيه أي طغيان آخر»[141]. وتبقى الحقيقة هي وفي واقع الأمر أن الكثير من خطب القرضاوي التي استخدمها منتقدوه كسلاح ضده كانت نتاجا لترجمة قامت بها مواقع ذات صلة بالإسرائيليين (لكنها على كل حال، عرضت شريطاً بالنص العربي الأصلي في أسفل الشاشة) غير أن خدمة بي بي سي الدولية ترجمت خطبة للشيخ في جامع عمر بن الخطاب في الدوحة قبل شهر من زيارته إلى لندن دعا فيها على أعداء الإسلام من اليهود المغتصبين الظالمين الطغاة[142].

غير أنه يصعب القول ما إذا كان ليفنغستون قد قرر رعاية القرضاوي ثم الدفاع عنه لاحقاً، لأنه لم يكن يعلم شيئاً عن بعض تصريحاته، أو أن قراره، استند على دراسة وحسابات دقيقة. غير أن أتما سينغ مستشار ليفنغستون لشؤون جنوب آسيا يعتقد أن القرار كان لاعتبارات سياسية. ويدعي سينغ أنه نصح العمدة بعدم رعاية القرضاوي علانية وأنه نصح

(140) Abdel Rahman al-Rasheed, "Qaradawi: Moderate and Extremist, "Arab News, July 17, 2004.

(141) المرجع السابق.

(142) تقارير رصد الأحداث الدولية- البي بي سي/ الشرق الأدنى والشرق الأوسط: استعراض لخطب الجمعة، 4 يونيو 2004 (نشرت 7 يونيو 2004). خطب القرضاوي الداعية لقتل اليهود كثيرة. إحدى هذه الخطب المباشرة ألقيت في يناير 2009 قال فيها أن الله على مر التاريخ سلط على اليهود من عاقبهم على فسادهم في الأرض وأن أخر عذاب لحق بهم كان على يد النازيين- رغم انهم أي اليهود بالغوا في وصف عذاب النازيين لهم- وأن الله رد كيدهم في نحرهم. وأن هذا العقاب إلهي. وبأذن الله سيكون عقابهم التالي على يد المؤمنين (ميمري 3 فبراير 2009).

كذلك باستبعاد المجموعات الأقلية الأخرى مثل اليهود والمثليين والسيخ. لكن ليفنغستون، كما يقول سينغ، كان أكثر اهتماما بأصوات الناخبين المسلمين واعتقد أنه بالتقرب من القرضاوي يمكن أن ينالها[143].

استمرت الشراكة بين ليفنغستون والرابطة الإسلامية حتى في ظل الجدال والخلاف على القرضاوي. وفي عام 2006م، على سبيل المثال، نظم ناشطو الرابطة ومبادرة المسلمين البريطانيين أول معرض إسلامي في لندن استمر لأربعة أيام ضمت فعالياته محاضرات وأفلاماً وورشاً فنية ومسابقات للقرآن وسوقاً خيرياً كبيراً[144]. وتلقى الحدث الذي استقطب عشرات الآلاف من الزوار جزءاً من تمويله (200 ألف جنيه إسترليني) من ليفنغستون الذي شرَّف رسمياً حفل الافتتاح[145]. وفي عام 2008 عندما سعى ليفنغستون إلى الحصول على فترة ثانية كعمدة للمدينة أمام مرشح المحافظين بوريس جونسون، رد زعماء الرابطة الإسلامية الجميل إلى ليفنغستون وهبوا لدعمه ونصرته ونشروا افتتاحيات في مختلف صحف لندن وخاطبوا التجمعات وأسسوا موقعاً على الشبكة العنكبوتية بعنوان «مسلمون من أجل كين» (Muslims 4 Ken)[146]. ولكن مع كل هذه الجهود خسر ليفنغستون السباق على منصب عمدة لندن بفارق 8،5 بالمائة في

---

(143) "Mayor Culpa, "Private Eye, March 21, 2008.

(144) http://islamexpo.info/index.php?option=com_frontpage&Itemid=1

(145) David Rich, "The Muslim Brotherhood in Great Britain,".

كان المجلس الوطني القطري للثقافة أكبر راع لهذه المناسبة حيث تبرع بما يقارب المليون جنية إسترليني. بالنسبة لحضور ليفنغستون للمؤتمر أنظر:

http://islamexpo.info/images/stories/programme_2070617.30.pdf.

(146) http://www.muslimsforken.blogspot.com/ (accessed January 7, 2009); "Open Letter: Give Ken a Third Term," Guardian, January 3, 2008, http://www.guardian.co.uk. commentisfree/2008/jan/03/supportingkenlivingstoneas (accessed January 7, 2009).

الأصوات لصالح منافسه.

وتسلط تجارب التحالف ضد الحرب وريسبيكت(RESPECT) والرابطة الإسلامية /المبادرة، مع ليفنغستون، الضوء على نمط تطور فصيل واحد،على الأقل، من الإخوان الغربيين الجدد تمكن فيما يبدو من إقامة شراكة دائمة تنقص أو تزيد مع اليسار المتطرف. بالنسبة إلى البعض، خاصة وسط الحرس القديم، ربما يكون مثل هذا التعاون محض تكتيك يمكن التخلي عنه متى انتفت الحاجة إليه أوعندما لا تعود له فائدة. ولكن بالنسبة لبعض الناشطين المولودين في بريطانيا، ممن كانت لهم جذور إسلامية، يمكن أن يكون هذا التعاون قناة تواصل مستقرة يعبرون من خلالها عن آرائهم. إن أفراداً مثل أسامة سعيد، الرئيس الشاب لفرع الرابطة الإسلامية في اسكوتلندا، وسمية الغنوشي، ابنة راشد الغنوشي كاتبة العمود البارزة، يقفان مثالين بارزين لناشطي الجيل الثاني من الإسلاميين، الذين لا ينتمون إلى فئة محددة سلفاً حيث إن خطابهم السياسي كان خليطاً بين المفاهيم الإسلامية التقليدية والماركسية، والمفاهيم الديمقراطية الليبرالية. وعلاوة على ذلك، يمكن عد حزب ريسبيكت، على الرغم من مشكلاته الداخلية، نموذجاً مهماً قرر الإسلاميون من خلاله التعبير عن إحباطهم من الحرب في العراق وقضايا السياسة الخارجية البريطانية الأخرى، من خلال صناديق الاقتراع بدلاً عن العنف[147]. خلاصة الأمر يمكن القول إن بالإمكان تطور أجزاء من الحركة الإسلامية في هذا الاتجاه، موفرة الأدلة الداعمة لادعاء كيبل من أن الإسلاميين الغربيين سيخضعون للتطور نفسه الذي خضع له

(147) Yaqoob, "British Islamic Political Radicalism".

الشيوعيون الأوروبيون وسيمرون بالمراحل نفسها التي مر بها الشيوعيون.

الفصل السادس

ألمانيا

في مايو 1999م أجاز البرلمان الألماني تشريعاً تاريخياً أحدث تغييراً جوهرياً في قوانين المواطنة[1]. وذلك بتغيير مسوغات الحصول على الجنسية الألمانية من الوراثة إلى الميلاد على التراب الألماني، ما سهل على كثيرين الحصول على الجنسية الألمانية، وذلك حين تأكد للحكومة الألمانية أن الملايين من العمال المهاجرين وعائلاتهم ممن استقروا بالبلاد منذ منتصف الخمسينات من القرن العشرين قد انصهروا في المجتمع الألماني ولا ينوون العودة إلى أوطانهم. يرى السياسيون الذين أجازوا تلك التشريعات، بأغلبية مطلقة، أن سن قوانين للحصول على الجنسية أكثر مرونة هو أحد العناصر الضرورية ضمن استراتيجية تهدف لتعويض البلاد عن ضعف سجل التجانس العرقي لديها. ومن ناحية أخرى، وبسبب تأخر جهود الحكومة، أصبحت عملية دمج ملايين المهاجرين من ذوي التعليم البسيط مهمة عسيرة. وعلى الرغم من أن أغلبية هؤلاء العمال المهاجرين وعائلاتهم من صغار السن – حيث يمثل

(1) http://www. london. diplo. de/vertretung/london/en/06/other_legal_matters/Reform_Germanys_citizenship_seite. html (accessed March 11, 2009).

أبناء المهاجرين تحت سن الخامسة عشرة ثلث الأقليات الموجودة بالبلاد (45% من سكان المدن التي يزيد عدد سكانها على 200،000) – فإن هؤلاء المهاجرين يمثلون نسباً عالية من جمهور العاطلين وذوي المستويات التعليمية المتدنية والمجرمين[2].

وقد تمثلت المشكلة الكبرى في المهاجرين من الجنسية التركية. فمنذ عقد الخمسينات دفعت العلاقات المتميزة بين تركيا وألمانيا مئات الآلاف من العمال غير المهرة بمنطقة الأناضول للهجرة إلى ألمانيا حيث أسهموا بقدرٍ كبير في النهضة الاقتصادية التي حققتها ألمانيا. بعض منهم عاد إلى بلاده بعد قضائه بضع سنوات من العمل في المصانع الألمانية، بينما آثر آخرون البقاء في ألمانيا بصحبة عائلاتهم. تشير الإحصائيات التي صدرت مؤخراً إلى أن هناك ما يقدر بـ 2،6 مليون تركي يعيشون في ألمانيا، وهم يمثلون أكبر فئات المهاجرين المسلمين في البلاد الذين يقدر عددهم بـ 3،8 إلى 4،3 ملايين (أكبر الجاليات الإسلامية في أوروبا بعد فرنسا)[3]. على الرغم من قصص النجاح التي تُحكى فإن ذوي الأصول التركية في ألمانيا، من المواطنين والأجانب، ما زالوا متخلفين عن أندادهم من الأصول العرقية الأخرى في ألمانيا من حيث الدخل والتعليم. وقد أدى هذا التمايز إلى تولد إحساس لدى أبناء هذه الجالية، حتى المولودين منهم في ألمانيا، بأنهم يعيشون اغتراباً حقيقياً عن المجتمع الألماني، بل إن ثلثيهم يرون أنهم ضحايا التمييز العنصري

---

(2) Muslimisches Leben in Deutschland, report by the Federal Ministry of Interior for the Deutsche Islam Konferenz, June 2009, 232-36, "Two Unamalgamated Worlds," The Economist, April 3, 2008

(3) Muslimisches Leben in Deutschland, 57-84.

في ألمانيا[4].

تقف مسألة الاعتراف الرسمي بالإسلام والمسلمين شاهداً على ذلك الإحساس بالتمييز لدى الألمان من ذوي الأصول التركية والصعوبات التي تواجهها الدولة الألمانية في تلبية احتياجات هؤلاء القادمين الجدد. بشكل عام، يشجع النظام الألماني على وجود تعاون قوي بين الدولة والجماعات الدينية. حيث تتمتع تلك الجماعات بكثير من المزايا بما في ذلك الإعفاء الضريبي والحق في جمع «الضريبة الكنسية» الخاصة التي تبلغ 9% من دخل الأعضاء والتي يدفعونها لمنظمتهم الدينية[5]. ولكن من أجل ممارسة مثل تلك الأعمال يجب حصول الجماعة الدينية على اعتراف بتصنيفها كـ«مؤسسة بموجب القانون العام (كور)»، ويستوفى هذا الإجراء الرسمي بتوافر شروط معينة تتمثل في تمتع تلك المنظمة بسمات تنظيمية معينة مثل عدد معين من الأعضاء، وهيكل تنظيمي هرمي، وتاريخ طويل من العمل العام داخل ألمانيا.

وقد حصل على ذلك الاعتراف (كور) بعض الجماعات الدينية مثل «الكنيسة البروتستانتية»، و«الكنيسة الكاثوليكية»، و«المجلس المركزي لليهود الألمان»، كجماعات دينية قائمة منذ زمن بعيد، وهم من يتمتعون بملايين الماركات من المنح والهبات التي تجود بها الحكومة الألمانية على

(4) «Two Unamalgamated Worlds,"

(5) Yasemin Karakasouglu and Gerd Nonneman, “Muslims in Germany,”, in Gerd Nonneman, Tim Niblock, and Bogdan Szajkowski, eds. , Muslim Communities in the New Europe (Berkshire, UK: Ithaca Press Paperbacks, 2006), Carolyn M. Warner and Manfred W. Wenner, “Religion and the Political Organization of Muslims in Europe,” Perspectives on Politics 4, no. 3 (September 2006): 457-79.

مثل هذه الجماعات سنوياً. ولكن إدراج المنظمات والجماعات الإسلامية ضمن تلك الآلية كان أمراً بالغ الصعوبة. فالنظام قد سُنَ أصلاً لخدمة جماعات دينية متجانسة بقيادة تحظى باعتراف واسع النطاق إن لم تكن منتخبة. كما أن كل جماعة دينية يجب أن تمثلها منظمة واحدة فقط تثبت تمثيلها لأغلبية التابعين لديانتها، تعمل على أساس نظم داخلية محددة، ويكون لها تاريخ طويل من العمل المنظم والمستقر وقادرة على الاستمرار على تلك الحالة مستقبلاً.

تلك الشروط،التي تم تصميمها في عصر كانت تسود فيه الجماعات المسيحية واليهودية فقط، يصعب توافرها في الجماعات الإسلامية التي لم تكن لديها مؤسسات كنسية. في ظل تلك الظروف كانت للمسلمين الذين يعيشون في ألمانيا المئات من التنظيمات، كثير منها مسجل كمؤسسات رسمية. ولكن على الرغم من المحاولات التي بذلتها تلك المنظمات لم ينجح إلا «المجلس المركزي للمسلمين في ألمانيا» ومقره برلين في الحصول على وضعية «جماعة دينية» عامة. وقد رفضت السلطات الألمانية عدداً من الطلبات التي تقدمت بها جماعات إسلامية للحصول على تلك الوضعية بحجج مختلفة، أهمها أن تلك التنظيمات لا تستوفي شرط تمثيلها لنسبة معينة من الذين يدينون بدينها. حتى عندما حاولت مجموعة من التنظيمات الإسلامية الانضواء تحت راية منظمة موحدة للحصول على وضعية «كور» فإن السلطات الإسلامية قابلت طلباتهم بالرفض. إن عدم الاعتراف الرسمي بالجماعات الإسلامية، على الرغم من عدم التعرض لحقوق هؤلاء المسلمين التي يكفلها لهم الدستور، يعني أن الجالية الإسلامية بشكل عام لا تتمتع بالمزايا والهبات التي تمنحها

الحكومة الألمانية لجماعات دينية أقل منها حضوراً وتاثيراً.

مجتمع منقسم

لقد دار كثير من الجدل حول أسباب عدم الاعتراف الرسمي بالجماعات والمنظمات الإسلامية. فالحكومة الألمانية تتذرع بأنها تحتكم إلى القانون الذي لا يمكن تغيير بنوده من أجل المسلمين. أما الناقدون لموقف الحكومة فيرون أنه ليس من العدل و«لا يستوي الأمر» بأن يُطلب من المسلمين أن ينظموا أنفسهم بطريقة تناقض طبيعة دينهم[(6)]. ويتهمون السلطات الألمانية بعدم المرونة، بل وفي بعض الحالات، بمعاداة المسلمين بتفسيرها القانون بطريقة تمنع المسلمين من التمتع بالحقوق نفسها التي يتمتع بها المسيحيون واليهود.

على الرغم من وجود بعض الحقيقة في تلك الاتهامات إلا أن الانقسامات التي يعانينها المجتمع المسلم في ألمانيا قد أدت دوراً رئيسياً في عدم حصول تنظيماتهم على اعتراف رسمي. كما ذكرنا آنفاً يمثل الأتراك ثلثي المسلمين الألمان، مع وجود عدد لا يستهان به من مسلمي المغرب، فلسطين، والبوسنة إضافة إلى أعداد وافرة من المهتدين[(7)]. ولكن حتى الألمان من ذوي الأصول التركية لا يشكلون جماعة متجانسة بل منقسمة على نفسها. يقوم الانقسام الأول على أسس عرقية، حيث

(6) "Islam and Muslims in Germany: An Overview by Ibrahim El-Zayyat," Islamism Digest 3, no. 1 (January 2008).

(7) For numbers: Federal Ministry of Interior, http://www. bmi. bund. de/nn_1026710/ Internet/Content/Themen/Deutche_Islam_Konferenz/DatenUNDfAKTEN/Islakonferenz_Kurzinfo_en. html (accessed September 8, 2008).

600،000 من جملة الـ 2،5-2،7 مليون تركي الذين يعيشون في ألمانيا هم من الأكراد الذين لديهم منظماتهم ومساجدهم الخاصة. الدين هو المصدر الثاني لذلك الانقسام، فعلى الرغم من أن أغلبية الأتراك الألمان ينتمون إلى المذهب السني فإن هناك أكثر من نصف مليون من العلويين، وهم جماعة دينية تتبع مذهباً دينياً بدعياً، إضافة إلى جماعات من الشيعة والأحمدية وبعض أتباع الطرق الصوفية الذين لديهم منظماتهم الخاصة.

وأخيراً، تأتي السياسة كمصدر آخر للانقسام داخل الجالية الإسلامية في ألمانيا. حيث تشتد الخلافات السياسية على نمط ما يجري في أوطان هؤلاء المهاجرين. فعلى سبيل المثال انتقل الصراع بين الكماليين والإسلاميين من تركيا إلى ألمانيا. حيث يسود الصراع بين هاتين الجماعتين– الكماليون يتبعون مؤسس تركيا الحديثة كمال أتاتورك الذي ينادي بالفصل بين الدين والدولة، بينما ينادي الإسلاميون بدولة الخلافة وأن يؤدي الإسلام دوراً كبيراً في الحياة العامة - الحياة السياسية في تركيا منذ نشأتها في العام 1923. [8] وقد انتقل هذا الصراع في السنوات الثلاثين الماضية إلى المجتمع التركي في أوروبا وخاصةً ألمانيا التي توجد فيها جالية تركية كبيرة. [9]

يعود تاريخ دخول الإسلاموية التركية، أو ما يسمى بالإسلام

---

(8) M. Hakan Yavus, Islamic Political Identity in Turkey (New York: Oxford University Press, 2003).

(9) For General Overview of German Muslim organizations, see Nils Feindt-Riggers and Udo Steinbach, Islamische Organisationen in Deutschland (Hamburg: Deutsches Orient-Institute, 1997).

السياسي، إلى أوروبا إلى عام 1971م عندما قام العسكر في تركيا بانقلاب سلمي أصدر بعده المجلس الدستوري الحاكم قراراً بحظر كثير من الأحزاب التركية بما فيها «حزب النظام الوطني». [10] مؤسس هذا الحزب هو نجم الدين أربكان، المهندس الذي تلقى تعليمه في ألمانيا والذي يعد، بلا منازع، الأب الروحي للإسلام السياسي في تركيا. بعد إكمال دراسته أقام أربكان لمدة مؤقتة في ألمانيا عاد بعدها إلى تركيا حيث ألف مجموعة من التنظيمات لمناهضة الموقف الرسمي للحكومة التركية حيال الإسلام. في عام 1996م أصبح نجم الدين أربكان رئيساً للوزراء. بدأ كثيرون من أتباعه الانتشار في دول أوروبا، فرنسا، هولندا، سويسرا، النمسا، وبأعداد كبيرة في ألمانيا[11].

بقي الناشطون التابعون لأربكان في أوروبا على صلة دائمة بقائدهم الذي أسس في عقد الستينات من القرن العشرين حركة فكرية أسماها (ملي جوروش) أو «فكر الأمة» كمنظمة إسلامية ذات توجه وطني قوي[12]. وقد تمثلت الرسالة الرئيسة لتلك الحركة في العدالة الاجتماعية والهوية التركية القوية اللتين ترتبطان بالالتزام الجدي بالإسلام كنظام متكامل.

---

(10) David Shankland, Islam and Society in Turkey (Huntingdon: Eothen Press, 1999), 87-90.

(11) Stephen Kinzer, Crescent and Star: Turkey Between Two Worlds (New York: Farrar, Straus & Giroux, 2001), 63-64, Amel Boubekeur, "Political Islam in Europe: A Changing Landscape," in Amel Boubekeur, Samir Amghar, and Michael Emerson, eds. , European Islam: The Challenges for Public Policy and Society (Brussels: CEPS/Open Society Institute, 2007), interview with Turkish activist, Cologne, July 2007.

(12) Lars Pedersen, Newer Islamic Movements in Western Europe (Aldershot: Ashgate, 1999), 56-9.

وقد هدفت الخطة الأصلية لتلك الحركة إلى إعادة هيكلة المجتمع في تركيا بناءً على المفهوم الاجتماعي الديني (عدل دوزين) أو«النظام العادل»، والقضاء على العلمانية، وقيام «تركيا العظمى» على خطى الإمبراطورية العثمانية، وأخيراً ترسيخ العدالة في جميع أنحاء العالم الإسلامي.

انتبهت السلطات التركية لتلك الأفكار التي تنادت بها حركة أربكان فقامت بحظر كل المنظمات السياسية التي أقامها أربكان خلال عقدي الثمانينات والتسعينات من القرن العشرين. ولكن نشطاء ملي جوروش لم يواجهوا مثل تلك الإجراءات القمعية في أوروبا حيث قوانين حرية التعبير وعدم التفات سلطات تلك البلاد إلى ما يقومون به، وذلك ما مكنهم من نشر أفكارهم وإقامة عدد من الشبكات. فبنهاية السبعينات أوجدت ملي جوروش لها موطئ قدم في ألمانيا حيث وضعت مركزها الرئيسي لعموم أوروبا، بينما تأسس الفرع المحلي في 1985م(13). في السنوات التي تلت ذلك تحولت الجماعة إلى «جمعية ملي جوروش الإسلامية» واتخذت من ضاحية كاربين في كولونيا مقراً لها.

في يومنا هذا تبلغ عضوية ملي جوروش ما يقارب ربع مليون عضو ومناصر في وسط الجالية التركية في الدول الأوروبية الغربية تتركز أغلبيتهم في ألمانيا(14). لقد وجدت رسالة الجماعة بيئة خصبة وسط جماهير الأتراك من ذوي المستوى التعليمي والمعيشي المتدني في أوروبا

(13) http://www. igmg. de/verband/islamic-community-milli-goerues/historical-development-of-the-igmg. html?L=html. html. html (accessed May 2,2009).

(14) Boubekeur, "Political Islam in Europe", annual report of the Office for the Protection of the Constitution, 2006, 213.

الذين رأوا في رسالة الجماعة التي تدعم الالتزام الديني والهوية التركية مخرجاً من حالة الاغتراب التي يعيشونها في المجتمعات الأوربية. ومن ناحيتهم، استخدم نشطاء ملي جوروش، من ذوي التعليم العالي، كثيراً من وسائل التعبئة الحديثة لنشر رسالتهم داخل الجاليات التركية في أوروبا. تدعي الجماعة بأنها تشرف على خمسمائة إلى سبعمائة مسجد في أوروبا أغلبيتها في ألمانيا(15). وتتبع تلك المساجد نظام الأغراض المتعددة حيث يقدم المسجد سلسلة من الخدمات والنشاطات من اللحوم الحلال التي تذبح حسب الشريعة الإسلامية إلى خدمات الترجمة والمكتبات، وحتى رياض الأطفال، وجميعها تتبع رسالة ملي جوروش.

ليس كمثل منظمات الإخوان الغربيين الجدد، حققت ملي جوروش نجاحاً نسبياً في خلق حركة جماهيرية. أحد أسباب ذلك، خاصةً في سني الحركة الأولى، هو عدم المنافسة من قبل الحكومة التركية. ففي تركيا تسيطر الحكومة على الحياة الدينية في البلاد من خلال وزارة الشؤون الإسلامية التي يشار إليها بعبارة «ديانات». أسس أتاتورك تلك الوزارة بعد قضائه على الخلافة العثمانية لإدارة المساجد، كتابة خطب الجمعة وتوزيعها على الأئمة، إضافة إلى مراقبة التوجهات والنشاطات الدينية بالبلاد(16). وهكذا عندما شرع نشطاء ملي جوروش في التأسيس

(15) Annual report of the Office for the Protection of the Constitution, 2008, 210, annual report of the Bavarian Verfassungsschutz 2008, 47, Islamistische Organisationen in Nordrhein-Westfalen, publication by the Ministry of Interior of Nordrhein-Westfalen, November 2008, 63.

(16) Ali Bardakoglu, "Moderate Perception of Islam and the Turkish Model of Diyanet: The President's Statement," Journal of Muslim Minority Affairs 24, no. 2 (October 2004).

لشبكاتهم في أوروبا في سبعينات القرن العشرين لم تكن هناك منافسة لنشاطاتهم من قبل الحكومة التركية فوجدوا مجالاً أوسع للنشاط والحركة عما هو عليه الحال في بلادهم.

في منتصف الثمانينات بدأت الحكومة التركية تستشعر فقدانها لأي تأثير في أتراك الشتات وتنازلها عن دورها حيالهم لجماعة ملي جوروش[17]. من هنا قررت إنشاء «الاتحاد الإسلامي التركي» (ديتيب) (DITIB) كفرع لوزارة الشؤون الإسلامية (ديانات) في أوروبا للإشراف على نشاطات المهاجرين الأتراك وعائلاتهم[18]. فأصبحت هذه المنظمة الذراع الطولى للدولة التركية في أوروبا، وقامت بتأسيس شبكة واسعة من المراكز الإسلامية لغرض المحافظة على الروابط الثقافية والسياسية بين أتراك الشتات ووطنهم الأم ونشر مفهوم أنقرة للإسلام.

يعكس الهيكل التنظيمي الحالي للمجتمع الألماني - التركي هذا التاريخ من الخلافات والانقسامات. فحسب الحكومة الألمانية تعد أغلبية الجالية التركية، 85% إلى 90%، غير منتمين لأية منظمة دينية رسمية معترفٍ بها[19]. فبعضهم ينتمي للمذهب العلوي وآخرون يتبعون بعض

---

(17) Werner Schiffauer, “From Exile to Diaspora: The Development of Transnational Islam in Europe,” in Aziz Al-Azmeh and Effie Fokas, eds. , Islam in Europe: Diversity, Identity and Influence (Cambridge: Cambridge University Press, 2007).

(18) مقابلة مع مسؤول حكومي تركي، اسطنبول، يونيو 2008، في:
Bardakoglu, “Moderate Perception of Islam and the Turkish Model of Diyanet. ”

(19) مؤتمر الإسلام الألماني (DIK)، وثيقة قدمها مسؤولون بوزارة الداخلية الفيدرالية ، برلين ، نوفمبر 2008 ، نشرت بموقع:
http://www.bmi.bund.de/nn_1026710/Internet/Content/Themen/Deutsche_Islam_Konferenz/DatenUndFakten/Islamkonferenz_Kurzinfo_en.html (accessed September 8,2008).

الطرق الصوفية ولديهم منظمات يقتصر نشاطها على المستوى المحلي. ويبقى على الساحة المنظمتان المتعاديتان: ديتيب وملي جوروش اللتان أدى الصراع بينهما إلى ترسيخ الانقسام وسط الجالية التركية المنظمة وأدى التخاصم الفكري بينهما وعدم قدرة أي منهما على تمثيل أغلبية الألمان الأتراك إلى عدم وجود منظمة يتوحد تحت لوائها أغلبية المسلمين الأتراك في ألمانيا وتستطيع المطالبة شرعياً بوضعية «كور» والاعتراف بها كمنظمة رسمية.

لا تكتمل بانوراما المشهد الإسلامي في ألمانيا من دون ذكر «الجمعية الإسلامية في ألمانيا» (IGD). تأسست الجمعية عام 1960 ومقرها بالمركز الإسلامي في ميونيخ. وكما أشرنا في الفصل الثاني، تمثل الجمعية أول مسجد بناه أعضاء جماعة الإخوان المسلمين ومناصريهم في أوروبا. وعلى مر الأزمان توسعت الجمعية في عموم ألمانيا وهي تشرف الآن على 120 مسجداً موزعة بكل أنحاء ألمانيا (تتشكك الحكومة الألمانية في هذا الرقم)، وظلت الجمعية تحافظ على ارتباط فكري ووظيفي بمؤسسيها في جماعة الإخوان[20]. فلا غرو أن عدداً من كبار قادة جماعة الإخوان المسلمين المصرية، بمن فيهم المرشد السابق محمد عاكف، الذي خدم لمدة طويلة إماماً للمسجد بين عامي 1984 و1987، قد قضوا عمراً طويلاً في ميونيخ[21]. وفي عام 2002م انتقلت قيادة الجمعية من

(20) "Islam and Muslims in Germany", interview with official at the Landesverfassungsschutz Baden-Wurttemberg, Stuttgart, November 2008, interview with Bavarian Landesamt fur Verfassungsschutz officials, Munich, May 2009.

(21) Islamistische Organisationen in Nordrhein_Westfalen, 44, Ian Johnson, "The Brotherhood's Westward Expansion," Current Trends in Islamist Ideology, February 5,2008.

غالب هيمات، رفيق درب يوسف ندا رئيس بنك التقوى، والذي اتهمته الأمم المتحدة بتمويل الإرهاب، إلى أحد قادة الإخوان المصريين ويدعى إبراهيم الزيات البالغ من العمر 34 سنة[22].

إذا كانت الجمعية الإسلامية في ألمانيا (IGD)، بفضل تاريخها، تمثل نموذجاً لمنظمات الإخوان الغربيين الجدد، فإن وجود سمات ومزايا أخرى تجعلنا نتيقن من أن الزيات، هو الآخر، نموذج للأخ المسلم الغربي الجديد. فمن ناحية يمثل النشاط الإسلامي شأناً عائلياً بالنسبة إليه. فوالده، فاروق، كان قد ترك مصر خلال عقد الستينات واستقر في ألمانيا حيث اقترن بإحدى الألمانيات ممن اعتنقن الإسلام، وأصبح إماماً لمسجد في ماربورج، مدينة جامعية بشمال فرانكفورت[23]. لدى الزيات الأب ستة من البنين والبنات أصبحوا جميعهم من الناشطين الإسلاميين بمختلف المنظمات، من المؤسسات الخيرية إلى الاتحادات الطلابية. فبلال الزيات، على سبيل المثال، هو أحد المؤسسين وعضو في «منظمة الشباب الألماني المسلم» وأحد المسؤولين في «اتحاد الطلاب المسلمين»[24]. أما منال الزيات، التي تزوجت من أحد أبناء كمال الهلباوي، فقد تخرجت في «المعهد الأوروبي للعلوم الاجتماعية» (IESH) وانضمت إلى عدد من المنظمات الإسلامية بعدد من الدول الأوروبية[25].

(22) Filing of the Islamische Gemenischaft in Deutschland at the Munich Amtsgericht, February 28,2002.

(23) مقابلة مع كمال هلباوي، لندن، ديسمبر 2008، مقابلة مع يوسف ندا، كمبيوني دي إيتالي، 14 يوليو 2008، مقابلة مع أحد مسئولي السلطات الأمنية الألمانية، كولونيا، أبريل 2005، ملفات:
Islamische Gemeinschaft Marburg/ Omar Ibn al-Khattab Moschee at the Frankfurt Auslanderamt, January 25, 1990.

(24) مقابلة مع أحد مسؤولي الأمن الألمان، كولونيا، أبريل 2005

(25) مقابلة مع كمال هلباوي، لندن، ديسمبر 2008، مقابلة مع أحد مسؤولي الأمن الألمان، كولونيا، أبريل 2005

إبراهيم الزيات، المولود في عام 1968م، هو الابن الأكبر لفاروق الزيات وأكثرهم نشاطاً. ففي ألمانيا كان رئيساً لاتحاد الطلاب المسلمين قبل توليه رئاسة الجمعية الإسلامية في ألمانيا (IGD). كما أنه كان مشاركاً في كثير من المنظمات الأوروبية. بين عامي 1996 و2002م شغل الزيات منصب رئيس «منتدى منظمات الشباب والطلاب الأوروبيين المسلمين» (FEMYSO) الفرع البلجيكي لـ «اتحاد المنظمات الإسلامية في أوروبا» (FIOE) وأحد كبار نشطاء المنظمة حيث قام بتأسيس قسم العلاقات العامة فيها وتولى رئاسته[26]. كما كان للزيات ارتباطات بكل من «المعهد الأوروبي للعلوم الاجتماعية» (IESH)، و«الندوة العالمية للشباب الإسلامي» (WAMY) ومنظمة الإغاثة الإسلامية العالمية ويشغل فيها مناصب بارزة. بإجادته لغات عدة أصبح الزيات ضمن حضور اجتماعات سياسية عالية المستوى وندوات حوار بين الأديان وفعاليات بكل أنحاء أوروبا، وظهر في كثير من المناسبات متحدثاً للبرلمان الأوروبي ومؤسسات سيادية كبرى[27].

لم يقف انشغال الزيات بالشأن السياسي حائلاً بينه وبين نجاحه كرجل أعمال. فهو الحاصل على درجة الماجستير في الاقتصاد من جامعة ماربورج ويدير عدداً من شركات الاستثمار العقاري[28]. يتمثل

(26) مقابلة مع أحد مسئولي الأمن الألمان، كولونيا، أبريل 2005 على الموقع:
http://p9445. typo3server. info/56. 0. html (accessed November 21,2008).

(27) أنظر، كمثال، الحلقة الدراسية حول التقارب والتباين التي نظمتها رابطة الأحرار والديموقراطيين في أوربا على الموقع:
http://www.alde.eu / index.php?id=129&detail=16367&album=0 (accessed May 5,2009).

(28) "Islam and Europe: Ibrahim El-Zayyat Discusses the Future," Islamism Digest 3, no. 2 (February 2008), 16.

جانب من عمله التجاري في شراء العقارات لبناء المساجد وتقديم النصح للمنظمات الإسلامية حول كيفية الحصول على تصاريح بناء المساجد واستكمال بقية الإجراءات الرسمية. كما يقوم الزيات من خلال عمله بتقديم خدمات استشارية حول سوق العقار في ألمانيا للمستثمرين العرب[29]. فليس من المستغرب، إذن، وبفضل خبراته وصلاته، أن يتربع الزيات على رأس «الوقف الأوروبي»، الذراع المالي للإخوان الأوروبيين الجدد في بريطانيا[30].

يصف مدير الخدمات الأمنية بولاية شمال الراين-ويستفاليا هارتويغ موللر الزيات بأنه «إخطبوط شبكة المنظمات الإسلامية»، حيث يشغل أيضاً عضوية مجلس إدارة «أوقاف مؤسسة ميلي جوروش التركية» (EMUG)، الشركة الألمانية التي تدير وتشرف على سلسلة مساجد ملي جوروش في مجمل أوروبا[31]. فعلاقته بملي جوروش لا تثير الدهشة أو علامات الاستفهام لأنها تقوم على روابط فكرية. ولكن، كما هي العادة في أوساط الإخوان الغربيين الجدد، تتداخل الصلات الفكرية والدينية والمالية مع العلاقات الشخصية. فالزيات متزوج من صبيحة أربكان، ابنة أخ نجم الدين أربكان. وجميع أصهار أربكان، مثل آل الزيات، مشاركون

---

(29) Uta Rsche, "Spinne im Netz der Muslime in Deutschland: Die Macht des Ibrahim El Zayat," Frankfurter Allgemeine Zeitung, May 11,2007.

(30) Extract from the Central Register of Charities Maintained by the Charity Commission for England and Wales, http://www. charity-commission. gov. uk (accessed July 21,2008), "Rasche, Spinne im Netz der Muslime in Deutschland".

(31) Andrea Brandt, "Wendiger Weltmann," Der Spiegel, March 25,2008, interview with German security authorities, Cologne, April 2005, Helmut Frangenberg and Detlef Schmalenberg, "El-Zayat, der Herr der Moscheen," Kolner Stadt-Anzeiger, March 20, 2009 , Islamistische Organisationen in Nordrhein-Westfalen, 44.

فاعلون في النشاطات الإسلامية. فشقيق صبيحة، محمد صبري، هو الرئيس السابق لملي جوروش في ألمانيا، وصبيحة نفسها، التي ولدت وتلقت تعليمها الجامعي في ألمانيا، كانت إحدى الناشطات بالمنظمات النسوية للمسلمات في ألمانيا إضافة إلى مشاركتها في كثير من مبادرات الحوار بين الأديان[32].

يمثل الاتحاد الشخصي والمالي بين قيادات ملي جوروش والجمعية الإسلامية في ألمانيا نتاجاً طبيعياً للتوحد الفكري. وعلى الرغم من أن الأولى تختص بالجالية التركية والأخرى تخص الجالية العربية، فإن الجماعتين، حسب تعبير الزيات «منظمتان للمسلمين» يتبعان الرؤية للإسلام نفسها كنظام متكامل، وتمتد جذورهما إلى فكر الإخوان المسلمين[33].

الخدمات الأمنية وانعدام الشركاء «المثاليين»

إن الانقسامات التي تعاني منها الجاليات الإسلامية في ألمانيا هي، إذن، العامل الرئيسي في عدم حصولها على اعتراف رسمي من قبل الحكومة الألمانية. يشير بعضهم إلى أن الاعتبارات الخاصة بطبيعة المنظمات الرئيسية التي سبق أن حصلت على وضعية «كور» هي التي أدت دوراً كبيراً في تحديد توجهات السلطات الألمانية في ذاك الخصوص وأدت إلى انكفائهم على تلك المسوغات ورفض أي تعديل أو تغيير للأحكام

---

(32) Biography of Sabiha Erbakan El Zayat: http://www. pferdt. de/wp-content/uploads/2006/08/participants_fotoprofile. pdf (accessed March 17, 2009).

(33) "Islam and Muslims in Germany".

القانونية التي تنظم عمل الجماعات الدينية.

فلعدة سنوات ظلت الحكومة الألمانية توكل مهمة إدارة الشؤون الإسلامية في ألمانيا لفرع وزارة الشؤون الإسلامية التركية «ديتيب». لقد أدت العلاقات المتميزة بين تركيا وألمانيا وتقدير الأخيرة للتوجه الإسلامي الذي تقوده «ديتيب» ببرلين وجميع حكومات الولايات الألمانية، المفوضة دستورياً بالنظر في القضايا الدينية، إلى أن توثق علاقاتها بـ «ديتيب» كتعويض عن اعترافها الرسمي بالجماعات والمنظمات الإسلامية. فقد تم توقيع عدد من الاتفاقيات بين الحكومتين التركية والألمانية التي تبيح لأئمة وزارة الشؤون الإسلامية التركية (ديانات) الحصول على تأشيرات دخول إلى ألمانيا لإمامة مساجدها متبعين الخطب والدروس المواعظ التي تصدرها أنقرة[34].

ولكن مع إدراك السلطات الألمانية أن الأتراك في ألمانيا لم يعودوا مجرد مهاجرين بل أصبحوا جزءاً من المجتمع الألماني، أصبح عليها إعادة النظر في ذلك النهج. هكذا أصبحت الحكومة الألمانية، مثل نظيراتها الأوروبيات، في مواجهة معضلة كيفية التعامل مع «إسلام السفارات». فمن ناحية كانت «ديتيب» تفسر وتنشر الإسلام بطريقة تعد معتدلة وتسعى إلى تحقيق التعايش بين الأديان في مجتمع علماني في تركيا أو في ألمانيا. هكذا خطر للسلطات الألمانية أن الإسلام، كما تراه «ديتيب»، يحقق نوعاً من التوازن بين مختلف الأنماط الإسلامية وتعد ذلك

---

(34) Jonathan Laurence, “Islam and Citizenship in Germany,” Transatlantic Dialogue on Terrorism, Center for Strategic and International Studies, Washington, DC, September 2007.

أمراً مفيدا لمصالحها. ولكن «ديتيب» تسعى من ناحية أخرى، إلى توطيد العلاقة بين أنقرة والأتراك الألمان بما يناقض توجهات الحكومة الألمانية التي تبحث عن وسيلة لدمج هؤلاء الأتراك في مجتمعها وضمان ولائهم لوطنهم الجديد ألمانيا. كما أن الإشارة إلى منظمة داخل السفارة التركية في برلين كممثل للمسلمين الألمان يبدو أمراً مناقضاً للأهداف المعلنة للحكومة الألمانية لبناء مفهوم ألماني للإسلام.

في كل الأحوال، لا تعدو «ديتيب»، التي لم تتقدم بطلب للحصول على وضعية «كور»، أن تكون واحدة من المنظمات الإسلامية الرئيسة التي تعمل في ألمانيا. فهناك ملي جوروش والجمعية الإسلامية في ألمانيا (IGD)، اللتان حلتا بديلاً عن منظمتين جامعتين هما «إسلامرات» و «زينترالرات»، وظلتا تسعيان إلى الحصول على وضعية «كور» بحجة سيطرتهما على إدارة العدد الأكبر من مساجد ألمانيا[35]. ولكن السلطات الألمانية كررت رفضها لطلباتهم مشيرةً إلى أنهم لا يسيطرون على ذلك العدد من المساجد التي يدعونها، كما أن وجود منظمات إسلامية أخرى منافسة لهم يجعلهم لا يمثلون «منظمات جامعة». فالجمعية الإسلامية في ألمانيا (IGD) على سبيل المثال، التي تسيطر على «زينترالرات» تدعي أنها تشرف على ما يقارب 500 مسجد، على الرغم من أن بعض المحللين يشيرون إلى أنها لا تتجاوز 200 مسجد بينما ترى السلطات الألمانية أن

(35) interview with official at the Landesverfassungsschutz Baden-Wurttemberg, Stuttgart, November 2008, interview with Federal Ministry of the interior officials, Berlin, November 2008, "Islam and Identity in Germany," report by the International Crisis Group, March 14, 2007, page 10.

تلك الجمعية لا تمثل أكثر من 3% من المسلمين الألمان[36]. وبناءً عليه رفض طلبها للحصول على وضعية «كور» في عام [37]2001.

ولكن بجانب عدم تمثيلها لعدد كاف من المواطنين وعدم استيفائها شروطاً رسمية أخرى فإن هناك عوامل أخرى أثرت في قرار السلطات الألمانية برفض الاعتراف الرسمي بتلك المنظمات. على رأس تلك العوامل التقييمات التي أصدرها جهاز الأمن الألماني بخصوص كل من ملي جوروش والجمعية الإسلامية في ألمانيا على المستويين الفيدرالي والولائي. فكلٌ من «هيئة حماية الدستور» (BFV) ووكالات الاستخبارات بأغلبية الولايات الألمانية الست عشرة تصف كلا المنظمتين بصفات سلبية وأنها منظمات متطرفة تهدد الحياة الديمقراطية في ألمانيا. فقد جاءت التحليلات حول تلك المنظمات بالتقارير السنوية لمجمل وكالات الاستخبارات الفيدرالية والولائية تصفها بأنها «منظمات أجنبية متطرفة»[38].

(36) http://www. zerntralrat. de/2593. php#beauftragte (accessed November 21,2008), "Islam and Identity in Germany," 10, "Islam and Muslims in Germany,", *Warner and Wenner*, "Religion and the Political Organization of Muslims in Europe," 467, Islamunterricht, publication provided by the North Rhine-Westphalia Ministry of Education, Dusseldorf, November 2008, interview with official at the Landesverfassungsschutz Baden-Wurttemberg, Stuttgart, November 2008, interview with Federal Ministry of the interior officials, Berlin, November 2008.

(37) Jytte Klausen, The Islamic Challenge: Politics and Religion in Western Europe (New York: Oxford University Press, 2005), 31-33.

(38) Annual report of the office for the Protection of the Constitution, 1999, 165, Islamistischer Extremismus and Terrorismus, publication of the Landesamt fur Verfassungsschutz Baden-Wuttemberg, April 2006, Islamische Gemeinschaft in Deutschland Innenministerium, Nordrhein-Westfalen, http://www. im. nrw. de/ sch/580. htm (accessed March 11,2009), annual report of the Landesamt fur Verfassungsschutz, Hansestadt Hamburg, 2001, Islamismus, report by Landesamt fur

وعلى الرغم من اعتراف تلك التقارير بأن كلاً من ملي جوروش والجمعية الإسلامية في ألمانيا يعملان ضمن الأطر الديموقراطية للدولة ولا تتبنيان العنف داخل ألمانيا، فإن تقييم الأجهزة الأمنية الألمانية لأهداف تلك المنظمات يبدو بغير مسوغ. نقرأ في أحد التقارير الصادرة عن «هيئة حماية الدستور» (BFV) في عام 2000م ما يلي: «هذه الجماعات الإسلامية «القانونية» تمثل تهديداً للحمة الاجتماعية في بلادنا» ويمضي التقرير قائلاً: «فنشاطاتها التعليمية والمساندة ذات التوجه الإسلامي، خاصة في أوساط أبناء المهاجرين من الأطفال والمراهقين، تهدف لنشر خطاب إسلامي في المجتمع الألماني. وهذا التوجه يناقض ما تسعى إليه الدولة الألمانية على المستويين الفدرالي والولائي لدمج هؤلاء المهاجرين بالمجتمع الألماني. كما أن هناك خطراً من أن تؤدي مثل تلك التوجهات والأفكار إلى خلق بيئة لنمو التطرف»[39]. وفي كل تقاريرها السنوية وتصريحاتها العامة تتحدث أجهزة الأمن الألمانية عن الآثار السلبية لنشاطات ملي جوروش والجمعية الإسلامية في ألمانيا على التماسك الاجتماعي وعلى أمن البلاد إجمالاً في المدى البعيد بسبب توجهها نحو خلق «عقلية الأنا وإلغاء الآخر» وهذه هي الخطوة الأولى باتجاه التطرف والعنف[40]. كما أن السلطات الألمانية تتهم ملي جوروش بنشر الأفكار المناهضة للسامية، العمل ضد النظام الديموقراطي، والسعي إلى إقامة نظام إسلامي متشدد يصادر حقوق الجماعات الدينية الأخرى[41].

Verfassungsschutz, Hessen, http://www. verfassungsschutz-hessen. de/downloads/ islam. pdf (accessed January 24,2008).

(39) التقرير السنوي لهيئة حماية الدستور، 2005، 190.

(40) Interview with official at the Landesverfassungsschutz Baden-Wurttemberg, Stuttgart, November 2008.

(41) أنظر ضمن التقارير العديدة لجهاز الأمن الألماني تقرير 2008 الصادر عن the Bavarian Verfas-

وقد تصدت ملي جوروش من ناحيتها لمثل تلك الاتهامات وأقامت دعاوى قضائية ضد كثير من الأجهزة الأمنية الألمانية بمختلف الولايات مدعية أن تقارير تلك الأجهزة عارية من الصحة، ومتحاملة، ومبنية على معلومات ملفقة وغير صحيحة[42]. كما تتهم ملي جوروش الأجهزة الأمنية بالترجمة الخاطئة لبعض ما ينشر في صحيفة «ميللي غازيت»، الصحيفة الرسمية لملي جوروش التي تصدر في تركيا. كما يدعي مسؤولو ملي جوروش الألمانية أن بعض ما ينشر بتلك الصحيفة لا يمثل بالضرورة وجهة نظرهم لعدم وجود علاقة عضوية بينهم وبين تلك الصحيفة التي تدار في تركيا[43]. في بعض الحالات نجحت ملي جوروش في استصدار قرارات من المحكمة لمصلحتها تمنع الأجهزة الأمنية من التغول على المنظمة وكيل الاتهامات لها جزافاً ضمن تقاريرها[44]. كما سعت ملي جوروش خلال السنوات القليلة الفائتة إلى تحسين صورتها عند الجمهور الألماني. حيث عبر مسؤولوها في كثير من المناسبات عن رغبتهم في التعاون مع السلطات الألمانية لدمج الجاليات التركية في المجتمع الألماني والسعي إلى «تحصينها ضد التطرف والإرهاب»[45].

---

sungsschutz ، 43-45.

(42) مقابلة مع برهان كيسيسي ، رئيس الاتحاد الإسلامي في برلين ، برلين ، نوفمبر 2008 ، مقابلة مع مسئول لدى Landesverfassungsschutz Baden-Wurttemberg ، شتوتجارت ، نوفمبر 2008 ، مقابلة مع مسؤولي وزارة الداخلية الفدرالية ، نوفمبر 2008.

(43) Rainer Sollich, "Dialogue with Extremists?" Deutsche Welle, July 21, 2006.

(44) See, for example, Milli Gorus' 2005 press release on their case against the Verfassungsschutz of North Rhine-Westphalia, "Verfassungsschutz NRW raumt Verbreitung von Unwahrheiten," December 17, 2005, http://www. igmg. de/verband/presserklaerungen/newsdetails-press/verfassungsschutz-nrw-raumt-verbreitung-von-unwahrheiten-ein/3. htlm (accessed September 12,2008), report for the first semester of 2003 of the Verfassungsschutz of the Ministry of the Interior of Bavaria, 43.

(45) "Two Unamalgamated Worlds,"

ولكن، فيما يبدو، لم تنطلِ تلك الأفكار على الأجهزة الأمنية الألمانية. فهم يرون أن العلاقة بين ملي جوروش في ألمانيا والجماعة الأم في تركيا غير رسمية لكنها قوية[46]. فنجم الدين أربكان، على الرغم من عدم توليه لأي منصب رسمي، لا يزال هو الزعيم الروحي للحركة ويرحب به كبطل في كل المؤتمرات التي تعقدها في ألمانيا[47]. كما أن السياسيين الإسلاميين الأتراك كثيراً ما يشاركون في فعاليات ملي جوروش في ألمانيا ويسهمون في جمع التبرعات لها، كما أن مسؤولي ملي جوروش الألمانية يعودون إلى تركيا للترشح للانتخابات هناك[48]. كذلك يتم توزيع صحيفة «ميللي غازيت»، التي لا ترتبط عضوياً بجماعة ملي جوروش في ألمانيا، بكل المراكز الإسلامية التي تسيطر عليها الحركة في ألمانيا. ولتأكيد ذلك الرابط أشارت السلطات الألمانية إلى مقولة لأحد مسؤولي ملي جوروش في ألمانيا جاء فيها: «تمثل ميللي غازيت أمل حياتنا. فيجب علينا جميعا مساندتها بكل ما نملك، ونقرأها وندفع الآخرين إلى قراءتها»[49]. على

---

(46) التقرير السنوي لهيئة حماية الدستور، 2006، 213-16، مقابلة مع أحد المسؤولين لدى Landesverfassungsschutz Baden-Wurttemberg، شتوتجارت، نوفمبر 2008، مقابلة مع مسؤولي وزارة الداخلية الفدرالية، برلين، نوفمبر 2008، مقابلة مع مسئولي Bavarian Landesamt fur Verfassungsschutz، ميونيخ، مايو 2009، مقابلة مع مسؤولي وزارة الداخلية في نوردنهاين ويستفالين، دوسلدورف، مايو 2009، التقرير السنوي لـ the Bavarian Verfassungsschutz.

(47) التقرير السنوي لهيئة حماية الدستور، 2006، 213، مقابلة مع مسؤولي Bavarian Landesamt fur Verfassungsschutz، ميونيخ، مايو 2009.

(48) Interview with official at the Landesverfassungsschutz Baden-Wurttemberg, Stuttgart, November 2008, interview with Federal Ministry of the interior officials, Berlin, November 2008, see also Valerie Amiraux, "Turkish Political Islam and Europe: Story of an Opportunistic Intimacy," in Stefano Allievi and Joergen S. Nielsen, eds. , Muslim Networks and Transnational Communities in and Across Europe (Leiden/Boston: Brill, 2003), Martin Spiewak and Wolfgang Ochatius, "Mit Koran und Grundgesetz," Die Zeit, February 4, 1999.

(49) تقرير هيئة حماية الدستور، 2006، 213-16.

العموم، يصر المسؤولون الأمنيون في ألمانيا على اتهام قادة ملي جوروش في ألمانيا بإقامة صلات بمصادر الإرهاب الخارجية، ما دفع بصحيفة ميللي غازيت وملي جوروش في تركيا للاعتقاد بذلك ولكنهم اعترفوا بعدم قدرتهم على إقرار ذلك علناً[50].

لقد نسفت الأجهزة الأمنية في ألمانيا كل الجهود التي بذلتها ملي جوروش من أجل تحسين صورتها والظهور بمظهر الشريك المعتدل للدولة الألمانية، حيث نعتتها بأنها «منظمة بوجهين»[51]. وجاء في تقرير صادر في 1999م عن «هيئة حماية الدستور» (BFV) أنه: «على الرغم من تظاهر ملي جوروش في تصريحاتها العامة بالتزام المبادئ الأساسية للديمقراطية الغربية، فإن القضاء على النظام العلماني في تركيا وإقامة دولة إسلامية ونظام اجتماعي إسلامي، لا تزال في صلب أهداف هذه الجماعة»[52]. وفي إشارة إلى نشاطات هذه الجماعة في ألمانيا، يشير تقرير للهيئة صادر في 2000م إلى أنه: «على الرغم من تظاهر ملي جوروش في السنوات الأخيرة بأن عضويتها أصبحت أكثر استعداداً للاندماج في المجتمع الألماني والالتزام الصارم بالدستور الألماني، فإن مثل تلك الإعلانات تقوم على حسابات تكتيكية ولا تعكس أي تغيير حقيقي في توجهات المنظمة»[53].

---

(50) Interview with official at the Landesverfassungsschutz Baden-Wurttemberg, Stuttgart, November 2008, interview with Federal Ministry of the interior officials, Berlin, November 2008, interview with Bavarian Landesamt fur Verfassungsschutz officials, Munich, May 2009.

(51) Islamistische Organisationen in Nordrhein-Westfalen, 71.

(52) تقرير هيئة حماية الدستور، 1999، 165.

(53) تقرير هيئة حماية الدستور، 2000، 198.

في ذات المنحى تسير العلاقة بين الجمعية الإسلامية في ألمانيا (IGD) والأجهزة الأمنية الألمانية. فقد وصفت بعض التقارير الصادرة عن وكالات الاستخبارات في غالبية الولايات الألمانية الجمعية الإسلامية في ألمانيا (IGD) على أنها تمثل أحد فروع جماعة الإخوان المسلمين، مشيرين إلى صلاتها التاريخية والفكرية بحركة الإخوان[54]. فقائدها إبراهيم الزيات اعترف بأن للجمعية الإسلامية في ألمانيا (IGD) «جذور في حركة الإخوان المسلمون»، ولكنه استدرك قائلا :«إننا لا نخضع لسيطرة أو قيادة الإخوان المسلمين. » ويضيف «أما إذا تحدثت عن التأثير فإن كل المنظمات الإسلامية بدول الغرب والعالم الإسلامي تسير على هدي النهج الفكري للحركة الإسلامية»[55].

يعد الرأي المعلن للزيات حول أثر الإخوان المسلمين في الجمعية الإسلامية في ألمانيا (IGD) وعليه شخصياً نموذجاً للأنماط السائدة بكل الدول الغربية الأخرى. فقد أشار الزيات إلى حركة الإخوان المسلمين بأنها «أكبر حركة إصلاح إسلامية في القرن العشرين» على الرغم من قوله أنه يخالفها الرأي حول بعض المسائل[56]. يقول الزيات في مقابلة أجرتها معه صحيفة «Frankfurter Allgemeine Zeitung» في عام 2007م

(54) Islamistischer Extremismus and Terrorismus, publication of the Landesamt fur Verfassungsschutz Baden-Wuttemberg, April 2006, 29, Islamistische Organisationen in Nordrhein-Westfalen, 42-43, annual report of the Landesamt fur Verfassungsschutz, Hansestadt Hamburg, 2001, 46, Islamismus, report by the Landesamt fur Verfassungsschutz, Hessen, http://www. verfassungsschutz-hessen. de/downloads/ islam. pdf (accessed January 24,2008)

(55) "Islam and Muslims in Germany. "

(56) Rsche, "Spinne im Netz der Muslime in Deutschland", "Wie Friedlich Sind Muslime?" Die Welt, September 7,2008.

«إن الحركة تناصر حرية المرأة وتسعى في حل المشكلات الاجتماعية وتطوير تفسير القرآن للتكيف مع الأحوال الماثلة. إنها تمثل كل الأهداف التي أصبو إلى تحقيقها»[57].

من ناحية أخرى، ينفي الزيات أن يكون عضواً بجماعة الإخوان المسلمين. ففي العام 2005م، على سبيل المثال، قام بمقاضاة أحد أعضاء البرلمان الألماني الذي وصفه بأنه أحد مسؤولي جماعة الإخوان المسلمين ولكن المحكمة رفضت الدعوى[58]. ولكن الأوضاع تكشفت عندما أصدرت إحدى المحاكم العسكرية في مصر في عام 2008م حكماً غيابياً على الزيات بالسجن لمدة عشر سنوات لتقديمه الدعم المالي لفرع جماعة الإخوان في مصر[59]. ولكن الزيات رفض ذلك الحكم الذي صدر عن محكمة عسكرية واستند، حسب قوله، إلى أدلة سرية. ثم جاء الخبر اليقين من نشرة صحفية أصدرتها في وقت سابق للمحاكمة شبكة «إخوان ويب»، الموقع الرسمي للإخوان باللغة الإنجليزية على الإنترنت، التي وصفت الزيات بأنه أحد «أعضاء جماعة الإخوان المسلمين» الذين حاكمتهم السلطات المصرية من دون وجه حق. وقد اتصل الزيات بالمسؤولين عن الموقع وطلب منهم إصدار تصحيح للمعلومة معلناً، في مراسلة تالية، أنه «ليس عضواً بجماعة الإخوان المسلمين ولا تربطه صلة

(57) Rsche, "Spinne im Netz der Muslime in Deutschland", http://www. islam. de. 844. php.

(58) "Kristina Kohler gewinnt Verfahren gegen El Zayat," press release on Kristina Kohler's Web site, November 16, 2005, http://www. kristina-koehler. de/presse/mit-teilungen/2005/kristina-koehler-gewinnt-verfa/ (accessed March 17, 2009).

(59) مقابلة من أحد المسؤولين بالحكومة المصرية، القاهرة، ديسمبر 2008.

بأية منظمة تتبع للإخوان»[60].

يعكس موقف الزيات مدى صعوبة تحديد حركة الإخوان المسلمين الحديثة وتعريفها. من الناحية الشكلية والفنية ليس هناك من دليل أو مستمسك بأن الزيات «عضو» أو «مسؤول» رسمي بالجماعة. فالرجل، المولود في ألمانيا، لم يكن ضمن الجماعة التي شكلت العضوية الرسمية للحركة في مصر أو أي من دول الشرق الأوسط. ولكنه في ذات الوقت يبقى أحد رموز الإخوان الغربيين الجدد. فصلاته الشخصية والتزامه الصارم فكر الإخوان المسلمون وطبيعة نشاطه تجعل منه ليس فقط مجرد «عضو» بل لاعباً رئيسياً في الشبكة غير الرسمية للإخوان الغربيين الجدد. وهذا، في اعتقادي، ما جعل شخصيات بارزة في جماعة الإخوان المصرية مثل يوسف ندا وكمال هلباوي وعبد المنعم أبو الفتوح يتحدثون عنه بإجلال ويذكرون تفاصيل اتصالاتهم به. وبينما يؤكدون أنه ليس عضواً رسمياً بالجماعة فإنه «يعمل من أجل الإسلام في ألمانيا وأوروبا» كتأكيد خفي لدور هذا الرجل[61].

هذا النوع من الغموض هو ما دفع بأجهزة الأمن الألمانية إلى تقييم ادعاءات الجمعية الإسلامية في ألمانيا (IGD) الاعتدال بأنها لا تختلف كثيراً عما ظلت تردده ملي جوروش. فقد ظلت الجمعية الإسلامية

---

(60) «إبراهيم الزيات يقول بأنه ليس عضواً بجماعة الإخوان المسلمين»، إخوان ويب، 6 مايو 2007، http://www.muslimbrotherhood.com.uk / home.asp?zPage=Systems&System=Press.R&Press=Show&Lang=E&ID=6372 (accessed May 28,2009).

(61) مقابلة مع يوسف ندا، كمبيوني دي إيتالي، 14 يوليو 2008، مقابلة مع كمال هلباوي، لندن، ديسمبر 2008، مقابلة مع الدكتور عبد المنعم أبو الفتوح، القاهرة، ديسمبر 2008.

في ألمانيا (IGD) وتابعتها «زينترالرات» تعبران عن رغبتهما في بناء الجسور بين المسلمين والمجتمع الألماني وذلك من خلال مشاركتهما في مبادرات رفيعة المستوى مثل الحملة ضد الزيجات المرتبة. وفي عام 2002م، وفقاً للتحقيقات التي تمت بعد أحداث الحادي عشر من سبتمبر، أصدرت «زينترالرات» ما أسمته «الميثاق الإسلامي»، حيث أقرت في تلك الوثيقة قبولها المطلق بسيادة القانون الألماني على أحكام الشريعة الإسلامية لأغراض تمكين الاندماج بالمجتمع الألماني. وقد جاء بتلك الوثيقة: «ليس من أهدافنا إقامة دولة دينية، بل نقبل بالنظام القائم في جمهورية ألمانيا الاتحادية حيث العلاقة بين الدين والدولة يسودها الانسجام والتفاهم»(62). من ناحية أخرى تخلى إبراهيم الزيات، الذي أصبح هدفاً للنقد في مختلف الأجهزة الإعلامية، عن دوره الإعلامي، وأصبح اليكس أيوب كوهلر، الذي اهتدى إلى الإسلام حديثا، والناشط الشاب أيمن مزياك هما الشخصان الناطقان باسم المنظمة.

تتشكك الأجهزة الأمنية في ألمانيا في صدقية مثل تلك المبادرات وتنظر إليها على أنها مجرد مظاهر للاستهلاك العام ولا تتوافق مع حقيقة ما يردده أعضاء الجمعية الإسلامية في ألمانيا (IGD) و«زينترالرات» داخل مساجدهم ونشراتهم الداخلية(63). السلطات الألمانية، من ناحيتها، ترى الجمعية الإسلامية في ألمانيا (IGD) وملي جوروش منظمات لا تتمتعان

(62) http://zentralat. de/3037. php (accessed November 22,2008).

(63) Interview with with official at the Landesverfassungsschutz Baden-Wurttemberg, Stuttgart, November 2008, interview with Federal Ministry of the interior officials, Berlin, November 2008, interview with Bavarian Landesamt fur Verfassungsschutz officials, Munich, May 2009, interview with Nordrhein-Westfalen Ministry of the Interior officials, Dusseldorf, May 2009.

بالشفافية، وبناءً على ذلك أخضعتهما لسلسلة من التحقيقات حول عدد من المخالفات والجرائم المالية. ففي عام 2002م، على سبيل المثال، خضع الزيات لتحقيقات حول تورطه في نشاطات غسيل الأموال(64). كما أخضعت بعض المساجد التابعة لملي جوروش ومركزها الرئيسي أيضاً لتحقيقات حول ذات التهمة(65). أما التحقيقات الكبرى فقد أجريت في عام 2009م عندما داهمت السلطات الألمانية بعض المساجد والمنازل الخاصة بقيادات ملي جوروش والجمعية الإسلامية في ألمانيا (IGD) حيث تتهم السلطات الألمانية الزيات ومسؤولين آخرين بالمنظمتين بالتورط في جرائم احتيال وتزوير واختلاس وممارسات مالية غير قانونية(66).

مأزق التعليم

كان للسياسة المتشددة التي اتبعتها الأجهزة الأمنية الألمانية تداعيات كثيرة على عملية الاندماج في المجتمع الألماني. وعلى الرغم من عدم إلزامية تقييمات تلك الأجهزة فإنها أصبحت مؤشرات تهتدي بها كل قطاعات الحكومة الألمانية على كل مستوياتها الفدرالية والولائية.

---

(64) Interview with German security authorities, April, 2005, Ian Johanson, "How Islamic Group's Ties Reveal Europe's Chanllenge," Wall Street Journal, December 29,2005.

(65) In 2004: see copy of the search warrant available at: www. igmg. de/download/040930-Durchsuchungsbeschluss-byren. pdf (accessed February 15,2005), in 2008, see Udo Beibel, "Razzia bei Milli Gorus," Kolner Stadt-Anzeiger, August 26, 2008.

(66) Bavarian police Web site, March 10,2009, http://www. polizei. bayern. de/muenchen/news/presse/aktuell/index. html/89241 (accessed March 11,2009), Ralph Hub, "Razzia in der Moschee in Freimann," Abendzeitung, March 10,2009, Helmut Frangenberg, "Ermittungen gegen Islam-Funktionare," Kolner Stadt-Anzeiger,March 19,2009.

وعلى ضوء تلك المؤشرات وجد جميع المسؤولين الذين أسندت إليهم مهمة دمج الجاليات الإسلامية بالمجتمع الألماني أنفسهم في مأزق. يعلق أحد السياسيين في هذا السياق بقوله: «لا نستطيع مقابلة نصف المسلمين بالمدينة لأن «هيئة حماية الدستور» (BFV) تقول أنهم يمثلون خطراً على قيمنا»[67]. كما أن كثيرين انتقدوا وضع كل من ملي جوروش والجمعية الإسلامية في ألمانيا (IGD) على القائمة السوداء معلقين على ذلك بقولهم إن التقارير الاستخباراتية أداوت «ممعنة في تبلدها» تضع كل المنظمات الإسلامية في صعيد واحد،و تساوي بين تلك التي تنبذ العنف والجماعات التي تنتمي إلى «القاعدة»[68]. بينما يوافق آخرون على التحليلات والتقييمات التي توصلت لها تلك الأجهزة الأمنية ولكنهم يرون أن التعاطي مع ملي جوروش والجمعية الإسلامية في ألمانيا (IGD) أمرٌ لا مناص منه لعدم وجود بدائل أخرى.

يعد مجال التعليم والمناهج الدراسية المعترك الذي تتكشف فيه مثل تلك المشكلات. تشير المادة 7-3 من الدستور الفيدرالي إلى أن أمر التعليم متروك لكل ولاية لتحديد مناهجه التي تتضمن مناهج دينية تتناسب مع المعتقدات الدينية لمجتمع كل ولاية. بناءً عليه تقوم كل ولاية بعقد اتفاقيات مع كل جماعة دينية لديها تلاميذ يدرسون بالمدارس الحكومية، توفر لهم الدعم المالي اللازم وتترك أمر تحديد المحتوى التعليمي الديني واختيار المدرسين لتلك الجماعة. فبينما تعلم كل ولاية ما الجهات التي يمكن أن تتولى تعليم أبناء المسيحيين فإن عدم وجود منظمات إسلامية

(67) Klausen, The Islamic Challenge, 43.

(68) "Islam and Identity in Germany," 16.

معترف بها قد أدى إلى مشكلات جمة. فأي من الجماعات الدينية التي تقدمت بطلب للحصول على وضعية «كور» يمكن عدها «الجهة الدينية» التي يفوضها الدستور بالإشراف على التعليم الديني لأكثر من 700،000 طالب مسلم بمدارس التعليم العام الألمانية؟[69].

لقد عالجت كل ولاية من الولايات الست عشرة ذلك الأمر على طريقتها. فبعضها أسند مهمة تدريس المناهج الدينية لـ «ديتيب» التركية، حتى لو كان منهجها الدراسي لا يتوافق مع غير الأتراك أو حتى مع الأتراك الذين لا يتفقون مع الرؤية الدينية لوزارة الشؤون الإسلامية التركية[70]. هناك بعض الحالات القليلة التي أنشأت فيها جاليات مسلمة صغيرة منابر شاملة على المستوى المحلي، جعلت السلطة المحلية توقع معها اتفاقيات بشأن الإشراف على التعليم الديني لأبنائها، حتى من دون الحصول على اعتراف رسمي أو وضعية «كور»[71]. وفي حالات أخرى كانت الحكومات الولائية تستقبل عشرات الطلبات من منظمات إسلامية مختلفة. وكانت الطلبات المستوفية لأغلب الشروط تأتي من «إسلامرات» و «زينترالرات» التي كانت قدراتهما التنظيمية تفوق تلك التي لدى المنظمات الأخرى. في ظل تلك الأوضاع أصبح أمام السلطات الألمانية خياران، إما التعاقد بشأن المنهج الإسلامي مع منظمات تعدها الأجهزة الأمنية مهددة للنظام الديموقراطي، ومن ثم تمنح تلك المنظمات منبراً لنشر أفكارها الهدامة

---

(69) Albrecht Fuess, "Islamic Religious Education in Western Europe: Models of Integration and the German Approach," Journal of Muslim Minority Affairs 27, no. 2 (August 2007).

(70) "Islam and Identity in Germany," 7.

(71) That is the case, for example, in lower Saxony with the Landesverband Shura-Niedersachsen and in the Bavarian city of Erlangen.

وسط الشباب الألماني المسلم، وإما إلغاء برنامج المناهج الإسلامية كليةً ما يدعم الاعتقاد السائد لدى الجالية الإسلامية بأن السلطات الألمانية تشن حملة تمييز ضد الإسلام[72].

تجلت تلك الإشكالية بشكل واضح في شمال الراين – ويستفاليا، الولاية الألمانية التي تعيش فيها أكبر الجاليات الإسلامية (مسلم ألماني واحد من كل ثلاثة مسلمين يعيش في هذه الولاية، ويقدر عدد الطلاب المسلمين بمدارس الولاية بحوالي 310،000 طالب من جملة 2. 9 مليون طالب مسلم)[73]. في أواخر السبعينات من القرن العشرين، وبعد فشل المفاوضات مع الجماعات الإسلامية، توصلت وزارة التعليم بولاية شمال الراين – ويستفاليا إلى أن مسألة إقامة شراكة مع الجالية الإسلامية بتلك الولاية أمر غير ممكن بسبب عدم وجود منظمة يمكن أن تكون ممثلاً حصرياً للجالية، حيث تمنع الصراعات داخل تلك الجماعات تكوين منظمة تمثلهم بشكل حقيقي. فقررت الوزارة بناءً عليه الاستغناء عن مثل تلك التنظيمات وأن تضع بنفسها المنهج الدراسي للطلاب المسلمين في الولاية وتتولى عملية تدريسه مباشرة من دون مساعدة من الجالية

(72) Interview with official at the Landesverfassungsschutz Baden-Wurttemberg, Stuttgart, November 2008, interview with Federal Ministry of the Interior officials, Berlin, November 2008, interview with Ulla Ohlms and other officials at the North Rhine-Westphalia Ministry of Education, Dusseldorf, Novermber 2008, interview with Burhan Kesici, head of the Islamic Federation of Berlin, November 2008, see also Joel S. Fetzer and J. Christopher Soper, Muslims and the state in Britain, France and Germany (New York: Cambridge University Press, 2005), 108.

(73) *Muslimisches Leben in Deutschland, Islamunterricht*, publication provided by the North Rhine-Westphalia Ministry of Education, Dusseldorf , November 2008, interview with Ulla Ohlms and other officials at the North Rhine-Westphalia Ministry of Education, Dusseldorf, Novermber 2008.

الإسلامية[74]. هكذا شرع مهندسو المناهج التعليمية بالوزارة في وضع منهج دراسي يرونه ملائماً لقيم المجتمع الألماني، بل ومضوا أكثر من ذلك بالقول: «نرحب بديموقراطية نشر الإسلام في خارج ألمانيا (العالم الإسلامي)»[75].

لم يكن من المستغرب قيام كلٍ من «إسلامرات» و «زينترالرات»، وكلاهما يتخذ من الولاية نفسها مقراً له، بالتصدي لبرنامج شمال الراين – ويستفاليا أمام المحاكم[76]. إذ جاء في دعواهما أن حكومة الولاية تتدخل في شأن كفله الدستور الفدرالي للجمعيات الدينية، وسعتا في ذات الوقت إلى فرض برنامجهما. وبعد معركة قانونية حامية وأخذٍ وردٍ داخل محاكم الولاية صدر قرار المحكمة الإدارية الفدرالية في عام 2005م. وقد جاء في حيثيات الحكم أنه حتى المنظمات التي لا تمثل كل المؤمنين بديانتها لديها الحق الدستوري في الدخول في اتفاقية مع حكومة الولاية بخصوص المنهج التعليمي في منطقتها بحجة وجود فرق إسلامية كثيرة لكلٍ منها مريدوها وأتباعها. ولكن المحكمة لم تستدل به على امتلاك «إسلامرات» و «زينترالرات» للحد الأدنى من تلك الشروط فأحالت القضية

(74) Margrete Sovik, "Islamic Religious Instruction in North-Rhine-Westphalia (1979-1999): Constructing a German Muslim Identity Between Authenticity and Responsibility," in Stephen G. Ellis and An Katherine Isaacs, eds. , Citizenship in Historical Perspective (Pisa University Press, 2006), 318-24.

(75) Klaus Gebauer, architect of the North Rhine-Westphalia's program, interviewed in Fetzer and Soper, Muslims and the State of Britain, France and Germany, 114, Jorgen Nielsen, Muslims in Western Europe (Endiburgh: Endiburgh University Press, 2004), 38.

(76) For an extensive analysis of the legal cases, see: Sovik, "Islamic Religious Instruction in Public Schools: A Comment on the Decision of the Federal Administrative Court of 23, February 2005," German Law Journal 6, no. 10: 1319-34.

مرة أخرى إلى المحكمة الإدارية بولاية شمال الراين – ويستفاليا.

في حكمها فتحت المحكمة الفيدرالية الباب أمام المنظمتين لطرح دفوعاتهما واعترفت بحقهما في الدخول في اتفاقيات مع حكومة الولاية حتى لو لم يعدوا ممثلين لغالبية المسلمين. كما جاء في حيثيات الحكم أن على محكمة الولاية استيضاح توافر بعض الشروط قبل اعترافها بالمنظمتين كجماعات دينية نظامية، ما أتاح الفرصة أمام محكمة الولاية لرفض طلبهما بذريعة عدم توافر تلك الشروط. فبجانب شرطي حجم العضوية وتاريخ الوجود بالبلاد أضافت المحكمة شرطاً آخر بألا تكون المنظمة صاحبة الطلب قد قامت بأي نشاط يشكل تهديداً للمبادئ الدستورية الرئيسة. ولكن حكومة الولاية لا تستطيع أن تطلب من المنظمة الدينية التي ترغب في الدخول معها في اتفاقية أن تكون منظمة محايدة أو أن تقر بأن كل الأديان متساوية. كما يجب أن تتوافر للمنظمات حرية الدعوة لتقويض النظام الديموقراطي وإقامة الدولة الدينية. وبشكل عام تعد المنظمة الدينية مهددة للنظام الدستوري إذا لم «تتح للتطور الطبيعي أن يغير النظام الحالي بل تعمد بنفسها لتقويض أسس النظام ودعائم الدولة من خلال الهجمات العدائية المتكررة» التي قد تكون بمجرد القول فقط[77].

لم تنقطع الاتصالات واللقاءات بين مسؤولي وزارة التعليم في ولاية شمال الراين – ويستفاليا وممثلي منظمتي «إسلامرات» و

(77) المرجع السابق، 1332.

«زينترالرات»[78]. ومع أخذهم في الحسبان تحذيرات السلطات الأمنية بشأن تلك المنظمات، لم تتوقف محاولات مسؤولي التعليم لإيجاد حل لتلك المسألة الشائكة، ولم يستبعدوا الدخول في شراكة مع تلك المنظمات إذا استوفت الحد الأدنى من الشروط الرسمية. في هذا الأثناء وقعت الوزارة اتفاقية مع جماعة العلويين التي كانت تدير برنامجاً تعليمياً خاصاً لأطفال العلويين بالمدارس الخاصة على الرغم من عدم حصولها على وضعية «كور»[79].

لقد أدت المسائل القانونية التي أثارتها المنظمات الإسلامية بسبب استبعادها عن العملية التعليمية إلى نتائج أخرى في مدينة برلين التي تخضع لأحكام دستورية مختلفة بعض الشيء حول تلك المسألة[80]. ففي مطلع الثمانينات وقعت مدينة برلين اتفاقية مع الحكومة التركية أوكلت بموجبها إلى «ديتيب» مهمة تدريس المواد الدينية بمدارس التعليم العام[81]. وواجه ذلك القرار معارضة من «الاتحاد الإسلامي في برلين» (IFB) الذي سبق له أن تقدم بطلب لتدريس برنامجه الخاص. وبعد معركة قانونية طويلة استمرت لأكثر من خمس عشرة سنة قررت المحكمة

---

(78) Interview with Ulla Ohlms and other officials at the North Rhine-Westphalia Ministry of Education, Dusseldorf, November 2008.

(79) interview with Ulla Ohlms and other officials at the North Rhine-Westphalia Ministry of Education, Dusseldorf, Novermber 2008, Alevitischer Religionsunter-richt, report by the North Rhine-Westphalia Ministry of Education, copy in possession of the author.

(80) Article 141 of the Federal Constitution, the so-called Bremen Clause, exernpts the city-states of Berlin and Bremen from applying sections of Article 7. See Zacharias, “Access of Muslim Organizations to Religious Instruction in Public Schools,”.

(81) Lars Pedersen, Newer Islamic Movements in Western Europe (Aldershot: Ashgate, 1999), 27-31.

الإدارية العليا في برلين في عام 1998م إلغاء الاتفاقية مع «ديتيب» وإسناد المهمة التعليمية للاتحاد الفدرالي في برلين (IFB) واعتبرته الجهة الدينية التي تقوم بتدريس العلوم الإسلامية حسب قوانين المدينة، على الرغم من عدم حصوله على وضعية «كور»[(82)]. ومنذ ذلك التاريخ، وعلى الرغم مما واجهته حكومة برلين من معارضة، أصبح الاتحاد الإسلامي في برلين مسؤولاً عن تدريس المواد الإسلامية لآلاف الطلاب المسلمين بالمدينة[(83)].

ومع استقلاليته، ظل الاتحاد الإسلامي في برلين، في نظر السلطات الألمانية، مجرد فرع لمنظمة ملي جوروش[(84)]. كما أن عدداً من المنظمات التي كانت تتبع الاتحاد تنتمي إلى ملي جوروش، وحسب هيئة حماية الدستور، كان الرئيس السابق للاتحاد الفيدرالي، نائل دورال، نائباً لرئيس ملي جوروش[(85)]. وقد أشار بعض الناقدين إلى كثير من العيوب والأخطاء في المناهج الدراسية للاتحاد وعدم كفاءة مدرسيه الذين لا يحملون أية مؤهلات أكاديمية[(86)]. وقد أشارت بعض التقارير الإعلامية،

(82) Islamische Foderation in Berlin: Die Kinder sind unsere Zukunft, brochure provided by the Islamic Federation of Berlin, Fetzer and Soper, Muslims and the State in Britain, France and Germany, 115.

(83) Interview with Burhan Kesici, head of the Islamic Federation of Berlin, November 2008.

(84) interview with official at the Landesverfassungsschutz Baden-Wurttemberg, Stuttgart, November 2008, interview with Federal Ministry of the interior officials, Berlin, November 2008, see also Pdersen, Newer Islamic Movements in Western Europe, 78-88.

(85) Gilbert Schomaker, "Senat Will Islamkunde an Schulen mit Neuen Argument Stoppen," *Berliner Zeitung*, July 29, 2000.

(86) Steven Pfaff and Anthony J. Gill, "Will a Million Muslims March?: Muslim Interest Organizations and Political Integration in Europe," Comparative Political Studies

بعد أحداث الحادي عشر من سبتمبر، من طرف خفي إلى العلاقة بين الاتحاد الإسلامي في برلين في ألمانيا والإرهاب. بينما علت أصوات أخرى تكيل الاتهامات للاتحاد، حيث يقول كلاوس بوقر، العضو ببرلمان ولاية برلين والمختص بالشؤون التعليمية: «لا يمكنني القول أنهم يدرسون طلابهم كيف يصنعون القنابل ولكني أعتقد بأنهم يرفضون مجتمعنا ويدرسون أبناءهم نموذجاً إسلامياً غير متسامح»[87]. أما أوزكان موتولو، الناطق الرسمي باسم حزب الخضر والمختص بالمسائل التعليمية في مجلس نواب ولاية برلين فيقول: «أعتقد بأنهم يؤدون عملاً جيداً بعدة طرائق مثل تعليم المرأة المسلمة القراءة ووضع برامج لمساعدة التلاميذ في أداء واجباتهم المدرسية. ولكنهم في ذات الوقت يقولون: إننا لا ننتمي لهذا المجتمع. إننا مختلفون عنه»[88].

يرد مسؤولو الاتحاد الإسلامي في برلين على تلك الاتهامات بأنها لا تقوم على أية أسس أو دليل وأنها ذات دوافع سياسية[89]. بعض الانتقادات كان مصدرها المستويات القاعدية، أولئك الذين شهدوا واقع تطبيق تلك البرامج. فماريون بيرننج، مديرة مدرسة مقاطعة نيوكولن في برلين حيث يمثل أبناء المهاجرين أكثر من 92% من إجمالي الطلاب حكت على الملأ تجربتها السلبية في العمل مع الاتحاد الإسلامي في برلين[90]. حيث المشاركة في التعليم الإسلامي عمل تطوعي، حسب

39 (2006), 803-28.

(87) Richard Bernstein, "Lessons of Islam in German Classrooms," New York Times, June 30,2004.

(88) المرجع السابق.

(89) مقابلة مع برهان كيسيسي، رئيس الاتحاد الإسلامي في برلين، برلين، نوفمبر 2008

(90) Interview with Marison Berning, Berlin, November 2008, Bernstein, "Lessons

القانون، تقول بيرننج إن بعض الأعضاء بالاتحاد كانوا يقفون يوماً خارج مبنى المدرسة للمساعدة على تقديم بعض أولياء الأمور لأوراق أبنائهم لقبولهم بالمدرسة، وكانوا يقولون لهؤلاء التلاميذ وآبائهم «إذا لم يقبلوكم فإن الله سيعاقبهم»[91]. إضافة إلى ذلك، وبالمخالفة لقرارات المحكمة، كانت الدروس تلقى على الطلاب خلف الأبواب المغلقة وباللغة التركية وليست الألمانية. تقول بيرننج إنه وبعد أشهر قليلة فقط من بدء الاتحاد الإسلامي في برلين تقديم دروسه الدينية تغيرت العلاقات داخل المدرسة بشكل حاد، حيث رفض الطلاب المسلمون المشاركة في نشاطات يختلط فيها الذكور والإناث، كما بدأوا يسخرون من المعتقدات الدينية لزملائهم غير المسلمين. وقد رد مسؤولو الاتحاد الإسلامي في برلين على ترهات بيرننج بأنها عارية من الصحة بل وأعلنوا أن دروسهم قد كان لها أثر إيجابي على مجتمع المدرسة[92].

مؤتمر الإسلام الألماني ونُذُر المستقبل

لقد برزت قضايا الاندماج والتطرف والتعليم والتمييز التي تحيط بالجالية الإسلامية إلى واجهة الجدل السياسي في ألمانيا منذ أحداث الحادي عشر من سبتمبر. ولتجنب المشاكل والصعوبات التي واجهتها الحكومات السابقة حول تلك القضايا، قرر وزير الداخلية الاتحادي الجديد فولفجانغ شويبله، في عام 2006م عقد ما أسماه «مؤتمر الإسلام

---

of Islam in German Classrooms,"

(91) Interview with Marison Berning, Berlin, November 2008,

(92) مقابلة مع برهان كيسيسي ، رئيس الاتحاد الإسلامي في برلين ، برلين ، نوفمبر 2008

الألماني» (DIK)[93]. وعد المؤتمر مكاناً شبه دائم، تمتد أعماله لأربعة أعوام، لالتقاء المسؤولين الحكوميين بكل المستويات الفدرالية والولائية والمحلية بمشاركة زعماء إسلاميين بارزين. عقد المؤتمر أولى جلساته في سبتمبر 2006م، وأصبح ينعقد مرتين في العام بهيئته الكاملة، ولعدة مرات لمجموعات عمل صغيرة لبحث قضايا محددة من التعليم إلى الإرهاب، ومن بناء المساجد إلى الاعتراف بالجماعات والمنظمات الإسلامية.

وقد بنى شويبله فكرته على أن المسلمين الألمان ليست لديهم قيادة موحدة وأن مثل هذا المؤتمر، الذي يجمع شملهم بشكل منتظم، سوف يساعدهم على تكوين مثل تلك القيادة[94]. وقد تمثلت الصعوبة الأولى التي واجهها شويبله في كيفية اختيار المشاركين في المؤتمر حيث كان يواجه بالنقد من جهاتٍ ما في كل اختيار يقدم عليه[95]. فقد قال بعض الناقدين، على سبيل المثال، إن دعوته لـ «ديتيب» كمنظمة تابعة للحكومة التركية لمناسبة تهدف لتأليف إسلام ألماني لا تبدو ملائمة. بينما رأى آخرون أنه بدعوته لمنظمات مثل «إسلامرات» و«زينترالرات» يخالف تحذيرات الأجهزة الأمنية منها. بينما لم يوجه كثير من النقد لدعوته لمنظمتين أخريين هما: («الجماعة العلوية» و«رابطة المراكز الثقافية الإسلامية» (VIKZ) وهي منظمة ترتبط بالإخوان السليمانيين

(93) Interview with Federal Ministry of the interior officials, Berlin, November 2008, brochures provided to the author by the officials. For more information on the initiative, see the official Web site: http://www. deutsche-islam-konferenz. de/cln_092/SubSites/DIK/DE/Startseite/home-node. html?_nnn=true (accessed March 11,2009).

(94) Interview with Federal Ministry of the interior officials, Berlin, November 2008,

(95) For a good commentary on these issues, see Markus Wehner, "Am Tisch mit Islamisten und Orthodoxen," Frankfurter Allgemeine Zeitung, March 12, 2008.

الأتراك). بعض النقاد تساءلوا عن قرار شويبله بإحاطة قادة المنظمات الخمس الكبرى بعشرة من الناشطين والمفكرين الإسلاميين الذين ليست لديهم ارتباطات بأية جهة. حيث يرى الناقدون أن هؤلاء العشرة، الذين دعاهم شويبله لتمثيل الغالبية الصامتة للمسلمين غير المنتمين لتنظيمات والعلمانيين، ليس لهم مكان في تجمع يفترض أنه يهدف لبحث مسائل دينية بحتة. بل إن إبراهيم الزيات قد اتهم بعضاً منهم بتبني «أفكار تدعم الخوف من الإسلام»[96].

برغم تلك الانتقادات، بدت اختيارات شويبله مقبولة بعض الشيء. فعلى الرغم من علمه بتداعيات دعوة منظمات مثل «ديتيب»، «إسلامرات» و«زينترالرات»، إلا أنه أبدى كثيراً من الواقعية حيث يقول إنَّ تلك المنظمات موجودة في الواقع ولا يمكن تجاهلها لمجرد خلافنا معها في الرأي. فهو يرى أن ضم منظمتي «إسلامرات» و«زينترالرات» يهدف أصلاً للتقرب من هذه المنظمات وكسب ودها أملاً في أن يؤدي هذا التقارب إلى تحويلها إلى منظمات أكثر اعتدالاً، وبمشاركتهم في مثل هكذا تجمع سوف يبتعدون عن مثل تلك المواقف التي تراها السلطات الألمانية مخالفة لقيم المجتمع الألماني. كما يبرر شويبله ضمه أولئك المحايدين لتحقيق التوازن في تركيبة «مؤتمر الإسلام الألماني» (DIK) والسماح بسماع صوت الغالبية الصامتة غير المنظمة.

لم يحقق المؤتمر، الذي عقد اجتماعه الأخير بكامل عضويته في يونيو 2000م، النتائج المرجوة – وهو ما توقعته السلطات الألمانية منذ

(96) “Islam and Muslims in Germany.”

البداية – ولكنه على أية حال شكل خطوة أولى باتجاه التأسيس لحوار دائم بين الدولة الألمانية ومواطنيها المسلمين من جهة وبين هؤلاء المسلمين بمختلف طوائفهم من الجهة الأخرى[97]. تمثلت إحدى أبرز نتائج المؤتمر في تشكيل هيكل وحد، ولو بشكل مؤقت، بين أربع من المنظمات الخمس المشاركة. ففي مارس 2007 اجتمعت كل من «ديتيب»، و«رابطة المراكز الثقافية الإسلامية» (VIKZ)، وإسلامرات وزينترالرات لتأليف ما أسموه «المجلس التنسيقي لمسلمي ألمانيا» (KRM)[98]. وادعى هؤلاء أن منظماتهم تمثل مجتمعة 85% إلى 90% من المساجد والهيئات الإسلامية في ألمانيا، وذلك في سياق محاولتها الحصول على وضعية «كور»[99]. ولكن الدراسات التي أجرتها وزارة الداخلية الألمانية أثبتت خلاف ذلك، حيث كشفت الاستطلاعات التي أجريت في وسط المسلمين الألمان بأن 25% منهم فقط أقروا بتمثيل منظمات المجلس التنسيقي لهم وما لا يتجاوز 2% فقط منهم يرون بأن المجلس نفسه يمثلهم[100]. وبناءً عليه فإن السلطات الألمانية أبدت تفاؤلاً حذراً حيال المجلس وتمثيله للمسلمين، وعلى الرغم من إعلانها رغبتها في التعامل معه إلا أنها لم تخفِ تشككها في استمراره، فهو في نظرها، مجرد هيئة مؤقتة تبحث عن وضعية «كور» وتفتقد الوحدة الداخلية، وتتنازعها الصراعات الداخلية التي سرعان ما ستعصف بها

---

(97) أنظر ملاحظات وزير الداخلية فولفجانغ شوييله التي أبداها في بداية الجلسة الكاملة الأخيرة للمجلس التنسيقي لمسلمي ألمانيا المنعقدة في 25 يونيو 2009م.

(98) http://www. bmi. bund. de/nn_1026710/Internet/Conten/Themen/Deutsche_Islam_Konferenz/DatenUndFakten_Kurzinfo_en. html (accessed September 8, 2008).

(99) "Official Recognition of Islam in Germany?" Der Spiegel, April 16,2007, "Islam and Muslims in Germany. "

(100) Muslimisches Leben in Deutschland, 173

بمجرد حصولها على الاعتراف الذي تسعى لنيله [101].

كما يعكس تشكيل «المجلس التنسيقي لمسلمي ألمانيا» (KRM) تطوراً آخر. فإذا لم يكن التحالف بين «رابطة المراكز الثقافية الإسلامية» (VIKZ) وإسلامرات وزينترالرات أمرا مستغربا فإن انضمام «ديتيب» لهذا التحالف يبدو كذلك. فلسنوات طويلة ظل الصراع بين «ديتيب» الأتاتوركية و«ملي جوروش» الإسلامية على أشده مما أدى إلى انقسام الجالية التركية في ألمانيا في مسألة ولائها لكلتا المنظمتين وعجزها عن تأليف هيئة موحدة للأتراك الألمان. فالوضع الجديد لـ«ديتيب» هو نتاج مباشر للتغيير الذي حدث في تركيا منذ العام 2002 عندما فاز حزب «العدالة والتنمية» (KLP) بنتيجة الانتخابات التركية. فقيادات حزب العدالة والتنمية نشأت وترعرعت داخل حركات وأحزاب نجم الدين أربكان، حيث كان كلٌّ من رئيس الوزراء الحالي رجب طيب أردوغان ورئيس الجمهورية عبد الله غول من كبار قادة حزب الرفاه الذي أسسه أربكان في تسعينات القرن العشرين. ويرى كثير من المسئولين والمراقبين الألمان بأن التغييرات الفكرية التي تجري في أنقرة قد أثرت على توجه «ديتيب» التي أصبحت أقل علمانية[102]. وهكذا أصبح التحالف بين «ملي جوروش» و «ديتيب» أمراً ممكناً وجائزاً.

---

(101) Interview with official at the Landesverfassungsschutz Baden-Wurttemberg, Stuttgart, November 2008, interview with Federal Ministry of the interior officials, Berlin, November 2008

(102) Interview with official at the Landesverfassungsschutz Baden-Wurttemberg, Stuttgart, November 2008, interview with Federal Ministry of the interior officials, Berlin, November 2008, interview with Turkish journalist, Istanbul, June 2008.

الفصل السابع

الولايات المتحدة

تمثل حالة الجالية المسلمة والإخوان المسلمين في الولايات المتحدة خروجاً عن المألوف لدى مقارنتها بالحالة الأوروبية. فهم في أمريكا أكثر ثراءً وأرفع تعليماً عن المسلمين الأوروبيين وحتى عن مواطنيهم من غير المسلمين. كما أن المسلمين الأمريكيين واجهوا مشاكل أقل في الاندماج بالمجتمع الأمريكي الذي يختلف عن المجتمعات الأوروبية باستيعابه لملايين المهاجرين منذ نشأته. هذا إضافة إلى صفتي الفصل بين الكنيسة والدولة والموقف المتسامح حيال تعدد الأديان الذي تمتعت به الولايات الأمريكية منذ عهد الآباء المؤسسين، ومن ثم لم يواجه المسلمون في أمريكا مشاكل تتعلق بالاعتراف أو تأطير عقائدهم ضمن مؤسسات كما هو الحال في المجتمعات الأوروبية[1].

من ناحية أخرى، استطاعت شبكات الإخوان الغربيين الجدد المقامة في أمريكا الاستفادة من تلك المعطيات وترسيخ وجودها وتقوية مؤسساتها بشكل يفوق نظيراتها في أوربا من حيث التنظيم والأموال

(1) Jocelyne Cesari, When Islam and Democracy Meet: Muslims in Europe and in the United States (New York: Palgrave MacMillan, 2004), 80.

والوصول إلى مؤسسات السلطة. كما أن الحالة الأمريكية تعتبر متفردة بسبب ذلك الكم الهائل من المعلومات حول تنظيم وعمل شبكات الجماعة المتوفرة لأجهزة الدولة والجمهور. الشاهد على ذلك أنه في عام 2007م وأثناء محاكمة «مؤسسة الحرمين» (HLF)، مؤسسة خيرية منشؤها تكساس، التي اتهمتها السلطات الأمريكية بتقديم الدعم المالي لحركة حماس، قدم مكتب المدعي العام،كدليل، آلاف الصفحات من الوثائق الداخلية لجماعة الإخوان المسلمين[2]. ذلك الحجم من الوثائق، التي اعترض المتهمون على صدقيتها، تشكل مخزوناً غير مسبوق من المعلومات السرية حول منظمة يفترض حرصها على حفظ مثل تلك المعلومات في حرزٍ أمين[3].

الأصول

حتى عقد الستينات من القرن العشرين كانت أغلبية المسلمين في الولايات المتحدة من ذوي الأصول الأفريقية. فكما عرف الإسلام طريقه إلى زنوج غرب أفريقيا منذ القرن السابع عشر، فقد وجد هذا الدين أتباعاً له وسط الزنوج الأمريكيين في العقود الأولى من القرن العشرين

(2) United States v. Holy Land Foundation et al. , 3:04-cr-240 (ND, TEX.). The documents are available at the NEFA Foundation's Web site: http://www. nefafoundation. org/hlfdocs. html.

(3) مقابلة مع باري جوناس قاضي المحكمة لدى قسم مكافحة الإرهاب التابع لوزارة العدل والمدعي العام في قضية مؤسسة الحرمين ، واشنطون دي سي، يونيو 2009م. تمكنت السلطات الأمريكية من العثور على أكثر الوثائق إثارةً حول تاريخ وتنظيم وأهداف جماعة الإخوان المسلمين في الولايات المتحدة لدى مداهمتها منزل إسماعيل سالم البراص أحد المسؤولين المقربين من قائد حركة حماس موسى أبو مرزوق. السيد البراص ، المقيم في انانديل بولاية فرجينيا ، تم اعتقاله في أغسطس 2004 بواسطة شرطة ماريلاند عندما قبض عليه وزوجته أثناء قيامهم بتصوير جسر بحيرة جيسابيك بالفيديو.

حيث وجد الدعاة المسلمون المهيبون جمهوراً مستعداً لقبول دعوتهم وسط السود المنبوذين في تلك المجتمعات الذين هاجروا من الجنوب إلى المدن الصناعية في الشمال. وقد اتجهت الحركات الدينية التي قامت في تلك الأزمان، مثل «جماعة موريش سينس تمبل» و «أمة الإسلام» للجمع بين العقيدة الإسلامية وتعاليم أديان أخرى وتأليف رسالة فقهية قوية تدعم الاعتداد العنصري لديهم، لقد أوجدوا لأنفسهم مذهباً إسلامياً منحرفاً لا يمت كثيراً إلى الإسلام السني التقليدي، ولكنه بأي حال كان مناسباً للاحتياجات الخاصة للأمريكيين الأفارقة[4].

على الطرف الآخر كانت هناك مجتمعات إسلامية صغيرة من المهاجرين من لبنان والدول العربية الأخرى ممن استقر بهم المقام في الولايات الأمريكية منذ أواخر القرن التاسع عشر. وقد تزايدت تلك الهجرات وبدأ أفرادها الاندماج في المجتمع الأمريكي. وفي عقد الخمسينات شكلت بعض المنظمات المحلية التي أسسها المهاجرون العرب المسلمون إطاراً تنظيمياً أسموه «اتحاد الجمعيات الإسلامية» (FIA)[5]. بجانب وجود عدد لا يحصى من المنظمات الأمريكية التي تستهدف جماعات دينية وعرقية متباينة، فإن اتحاد الجمعيات الإسلامية

(4) Edward E. Curtis, Islam in Black America (Albany: State University of New York Press, 2002), Robert Dannin, Black Pilgrimage to Islam (New York: Oxford University Press, 2002), Aminah Beverly McCloud, African American Islam (New York: Routledge, 1995).

(5) Aslam Abdullah and Casser Hathout, The American Muslim Identity: Speaking for Ourselves (Pasadena, CA: Dawn, 2003), 25-30, Ilyas Ba-Yunus and Kassim Kone, Muslims in the United States (Westport: CT: Greenwood Press, 2006), 46-49, Gutbi Mahdi Ahmed, "Muslim Organizations in the United States," in Yvonne Yazbeck Haddad, ed. , The Muslims of America (Oxford: Oxford University Press, 1991), 12-14.

هدف إلى المحافظة على الإرث الثقافي والعلاقات الأسرية بين المسلمين الأمريكيين ذوي الأصول العربية، حيث سعى إلى تنظيم مؤتمر سنوي يجمع شمل الأسر من كل أصقاع الولايات المتحدة [6].

إن محدودية أهداف ونشاطات الاتحاد التي انصبت على تلبية احتياجات المهاجرين العرب أهملت جانباً مهماً من تلك المجتمعات هو الجانب الطلابي، حيث بدأ هؤلاء الطلاب يصلون إلى الولايات المتحدة بأعداد غفيرة منذ مطلع الستينات من القرن العشرين. فخلال الفترة بين عقدي الخمسينات والستينات كان هناك أكثر من نصف مليون طالب بالجامعات الأمريكية قادمين من مختلف أنحاء العالم الإسلامي ومن آسيا وأفريقيا وأمريكا اللاتينية باحثين عن درجات علمية معترف بها دولياً في الطب والهندسة وفروع المعرفة العلمية الأخرى [7]. لقد شجعت السلطات الأمريكية تلك الظاهرة حيث وجدوها فرصة ذهبية لبلادهم لإقامة علاقات متميزة مع الصفوة المستقبلية لدول العالم الثالث حديثة الاستقلال. فبافتقارهم لأية صلات تاريخية كتلك التي أقامها المستعمرون الأوروبيون مع تلك الدول، وجد الأمريكيون في وجود مئات الألوف من الطلاب في مدنهم الجامعية فرصة طيبة لإقامة مثل تلك الصلات. فكما فعلت موسكو في سنوات الحرب الباردة بفتح أبواب مؤسساتها الدراسية للقادة المستقبليين للدول التي كانت الدولة السوفييتية تسعى للاستئثار بولائها، فكذلك فعلت واشنطن.

(6) Ba-Yunus and Kone, Muslims in the United States, 47.

(7) History of ISNA, documentary available at http://www. isna. net/ISNAHQ/pages/ Documentary. aspx (accessed March 22, 2009).

لقد قام أبناء الصفوة الحضرية بالعالم الإسلامي من الدارسين بالجامعات الأمريكية بتشكيل أولى المنظمات الطلابية التي تلبي احتياجاتهم الدينية الأساسية[8]. وحيث إن مناصري القومية، التي تمثل الفكر السائد في ذلك الوقت بالعالم الإسلامي، لم يكونوا مهتمين كثيراً بالشأن الديني، فإن الأفراد الذين سبق لهم العمل ضمن المنظمات الإسلامية في بلدانهم بدأوا يشكلون النواة الأولى لجماعات طلابية صغيرة من المقيمين بالمدن الجامعية[9]. لقد توصل أولئك الطلاب إلى أن اتحاد الجمعيات الإسلامية وطبيعته غير السياسية لا يعكس الإسلام كمنهاج حياة متكامل، ومن ثم بدأوا يستشعرون الحاجة لإقامة منظمتهم القومية الخاصة. وفي شتاء 1963م التقى مائة من الطلاب الذين يمثلون أقل من عشرين منظمة طلابية إسلامية بمناطق عديدة بالولايات المتحدة، التقوا بمساكن جامعة الينوي في اربانا - تشامبين، مدينة جامعية تقع على مسافة أقل من مائة ميل من مدن شيكاغو، وانديانابولس، وسانت لويس في قلب الغرب الأوسط الأمريكي[10]. شهد ذلك اللقاء ولادة «اتحاد الطلاب المسلمين» (MSA) كأول منظمة أمريكية للطلاب المسلمين.

لقد ولد اتحاد الطلاب المسلمين طفلاً شرعياً لمجموعة صغيرة من الطلاب النشطاء الذين ينتمون إلى عدة دول إسلامية جمعتهم رؤية موحدة للإسلام السياسي. وقد ضم الاتحاد في عضويته ناشطين من

(8) Abdullah and Hathout, The American Muslim Identity, 25-30, Karen Leonard, "South Asian Leadership of American Muslims," in Yvonne Yazbeck Haddad, Muslims in West: From Sojourners to Citizens (Oxford: Oxford University Press, 2001), 234.
(9) Gutbi Mahdi Ahmed, "Muslim Organizations in the United States," 14-16.
(10) Ba-Yunus and Kone, Muslims in the United States, 49.

خلفيات متباينة، بما في ذلك أتباع المذهب الشيعي، ولكن الدور الأكبر هو ما لعبه أعضاء وأنصار فروع جماعة الإخوان المسلمين الذين توافدوا على الولايات المتحدة منذ مطلع الخمسينات[11]. فعلى الرغم من أن اتحاد الطلاب لم يكن منظمة إخوانية «بحتة» فإن علاقته بتلك الجماعة لم تكن تخفى على أحد[12]. فمنذ تأسيسه ظل أعضاء جماعة الإخوان المسلمين يتولون أعلى المناصب فيه مؤثرين على فكره وتوجهاته. ومن ناحية أخرى أصبح اتحاد الطلاب يمثل منظومة موازية للجماعة، فعلى الرغم من استقلاليته التنظيمية فإنه ظل بالنسبة للإخوان معقلاً لتفريخ الأعضاء الجدد ومرتعاً لنشر أفكارهم[13].

على الرغم من ارتباطه ابتداءً باتحاد الجمعيات الإسلامية فإن اتحاد الطلاب ما لبث أن خرج من عباءة تلك المنظمة لينشر فروعه في مئات المدن الجامعية لينتظم في صفوفه الآلاف من الأعضاء والمناصرين الجدد. فبينما انحصر نشاط اتحاد الجمعيات الإسلامية في عقد لقاء سنوي يجتمع فيه أعضاؤه للاحتفاء بهويتهم المشتركة، كان لدى اتحاد الطلاب العديد من الأجندة الطموحة. لقد بدأ اتحاد الطلاب إصدار

(11) Steve A. Johnson, "The Muslims of Indianapolis," in Yvonne Yazbeck Haddad and Jane Idleman Smith, eds. , Muslim Communities in North America (Albany: State University of New York Press, 1994), 270-71.

(12) Noreen S. Ahmed-Ullah, Sam Roe, and Laurie Cohen, "A Rare Look at Secretive Brotherhood in America," Chicago Tribute, September 19,2004, "A Little Taste of History," MSA-National Web site (archive), http:/web. archive. org/web/20060118061004/ http:///www. msa-national. org/about/history. html (accessed October29,2007), "Ikhwan in America," Government Exhibit 003-0089 in United States v. Holy Land Foundation.

(13) "Ikhwan in America," Government Exhibit 003-0089 in United States v. Holy Land Foundation.

صحيفته «الاتحاد» التي تناولت على صفحاتها كثيراً من المسائل العميقة، من الأحداث السياسية في العالم الإسلامي إلى الجدل الفقهي الذي يدعم أفكار حسن البنا والمودودي وسيد قطب[14]. أما المؤتمر السنوي للاتحاد، الذي يعقد في عطلة نهاية الأسبوع التي تصادف عيد العمال، فإنه يجتذب إلى أروقته الآلاف من الحاضرين. ففي الوقت الذي كان فيه الإسلام مجهولاً في أمريكا مثل ذلك النوع من المؤتمرات مناسبة فريدة للمسلمين من كل الأعراق ليجتمعوا معاً، يتسوقون في بازار إسلامي، يشترون كتباً إسلامية، يستمعون لخطباء مسلمين، ويقابلون مسلمين آخرين يحملون نفس العقيدة. امتداداً لذلك النشاط قام اتحاد الطلاب بتأسيس منظومات مهنية مثل «جمعية الأطباء المسلمين» (IMA)، و«جمعية العلماء والمهندسين المسلمين»، ومنظمات أخرى تقوم على أسس عرقية مثل «رابطة الشباب العربي المسلم» و «جماعة الدراسات الإسلامية الماليزية» (MISG)[15]. كما أقيمت منظمات أخرى لتلبية الاحتياجات المتنامية للاتحاد مثل: «الوقف الإسلامي لأمريكا الشمالية»، المؤسسة المالية القابضة للاتحاد، «خدمة الكتاب الإسلامي» و «مطبوعات الوقف الأمريكي»[16].

إن نجاح اتحاد الطلاب المسلمين، كغيره من منظمات الإخوان المسلمين الغربيين الجدد، كان مبعثه النشاط المحموم لقياداته وسهولة

(14) Kambiz Ghanea Bassiri, Competing Visions of Islam in the United States (Westport, CT: Greenwood Press, 1990), 26.

(15) Mohamed Nimer, Muslim Community Life in the United States and Canada (New York: Routledge, 2002), 64.

(16) Johnson, “The Muslims of Indianapolis,” 270-72.

الحصول على المال. فقد تمكن القادة التاريخيون للاتحاد «الأكراد الثلاثة» - برزنجي وتوتنجي والطالب - من تطوير علاقات مع حلقات مؤثرة بالخليج العربي مما مكنهم من الوصول إلى مصادر المال بما لم تستطعه منظمة إسلامية أمريكية أخرى. فقد وصف إيمان الحق، أستاذ الدين بجامعة بيندكتين هؤلاء الثلاثة بأنهم «في وضع يعكس الحالة الإسلامية الأمريكية. إن لديهم صلات قوية في الشرق الأوسط جعلتهم قادرين على جلب المال لبناء أنواع من المؤسسات»[17].

بنهاية عقد السبعينات وبداية الثمانينات من القرن العشرين أدرك قياديو اتحاد الطلاب المسلمين بأن منظمة طلابية، مهما بلغت من التعقيد والانتشار، لن تستطع تلبية احتياجات المجتمع المسلم الذي يتزايد أفراده القادمون إلى الولايات المتحدة. بناءً عليه قاموا بتأسيس «الجمعية الإسلامية لأمريكا الشمالية» (ISNA) كمظلة تنظيمية لتنسيق أعمال اتحاد الطلاب والجماعات الأخرى التي انبثقت عنه. إن الانطلاق من حركة «للطلاب» إلى منظمة «للراشدين» تلبي احتياجات كافة قطاعات المجتمع المسلم في الغرب هو نفس نهج التطور الذي سلكته شبكات الإخوان المسلمين في كل دول الغرب. وقد برز ذلك التوجه في الوثائق الداخلية والأحاديث الخاصة لأعضاء جماعة الإخوان المسلمين التي كشفت عنها هيئة المحكمة التي انعقدت لمحاكمة «مؤسسة الحرمين» (HLF). أحد المصادر الأخرى التي وثقت للسنوات الأولى من رحلة الإخوان المسلمين بالولايات المتحدة، والأكثر صدقية وشمولية، هي إحدى

(17) Ahmed-Ullah, Roe, and Cohen, "A Rare Look at Secretive Brotherhood in America,"

المحاضرات التي ألقاها أمام أعضاء الجماعة بمدينة كنساس في مطلع الثمانينيات زيد النعمان مسؤول المكتب التنفيذي للإخوان المسلمين في الولايات المتحدة[18].

أهم ما تناولته محاضرة النعمان هو وصفه لمستوى التنظيم لدى الجماعة. فعلى الرغم من أن الجماعة كانت حديثة عهد بالمجتمع الأمريكي إلا أن النعمان يصف لنا تنظيماً بالغ التعقيد. فقد أفاد بأن لدى الجماعة أكثر من عشرين جهازاً وجمعية تعمل ضمن منظومة هرمية محكمة يلتقي أعضاؤها بشكل منتظم. فبينما تنشغل بعض الجمعيات بمناقشة النواحي الأمنية ومناهج الدعوة، تكون الأجهزة المركزية للتنظيم منشغلة بوضع خطط عمل طويلة الأجل. فحسب النعمان أجاز مجلس الشورى التابع للإخوان في الولايات المتحدة خطة خمسية لنشاطات الجماعة، بينما تولى المكتب التنفيذي، الذي ينتمي إليه النعمان، مهمة وضع برامج عمل سنوية لتنفيذ قرارات مجلس الشورى.

حسب ما قاله النعمان كانت الخطة الخمسية -1975 1980 مجرد «عمل عام»، ولكن الخطة التي تلتها، 1981-1985 أبرزت تحولاً كبيراً في رؤى وأهداف الإخوان الأمريكيين. فقد تفهم مجلس الشورى والمكتب التنفيذي أن حصر نشاطات الحركة في المنظمات الطلابية يحد من توسعها، فلا بد إذن من إيجاد تنظيم أكثر شمولية. وتوصلوا إلى أن الحل يكمن في تشكيل شبكة دائمة من المنظمات – وليس مجرد جماعات

(18) Ikhwan in America," Government Exhibit 003-0089 in United States v. Holy Land Foundation. "

طلابية تتغير عضويتها مع تخرج أعضائها – لتنفيذ تلك الخطط الخمسية. ويعلق النعمان بقوله «إن ما يجب أن تكون عليه الحركة هو أن تكون حركة لجميع المقيمين» مشيراً إلى هذه المرحلة على أنها تمثل مرحلة «استقرار الدعوة». وهكذا يجب النظر إلى الانتقال من «اتحاد الطلاب المسلمين» MSA إلى «الجمعية الإسلامية لأمريكا الشمالية» (ISNA)، المنظمات التي ظلت تحت سيطرة الإخوان المسلمين، على ضوء هذا التغيير في استراتيجية الجماعة الأمريكية.

لقد جاء التوضيح لعبارة «استقرار الدعوة» بإحدى الوثائق التي قدمتها السلطات الأمريكية كأحد أدلة الاتهام في محاكمة «مؤسسة الحرمين» (HLF). تتألف الوثيقة التي حملت عنوان «مذكرة توضيحية حول الأهداف الاستراتيجية للجماعة في أمريكا الشمالية» من 18 صفحة وهي مذكرة داخلية مرسلة من محمد أكرم، عضو مجلس شورى الإخوان الأمريكيين، إلى بقية أعضاء المجلس في عام 1991م[19]. حيث يذكر أكرم، الذي يعمل حالياً أميناً عاماً لمؤسسة القدس الدولية، وهي مؤسسة لبنانية يرأسها يوسف القرضاوي، «يعلم الجميع أنه مما لا مندوحة لنا عنه أن نعمل جميعا على «استقرار» و«تمكين» الإسلام وحركته في هذا الجزء من العالم (أمريكا)» ويسترسل أكرم موضحاً أن «الإسلام وحركته»، والتي يقصد بها حركة الإخوان المسلمين، يجب أن «يصبحا جزءا من البلد الذي توجدان فيه» وواصل القول:

(19) "An Explanatory Memorandum on the Strategic Goals for the Group in North America," Ikhwan in America," Government Exhibit 003-0085 in United States v. Holy Land Foundation.

«إن الهدف الاستراتيجي العام لحركة الإخوان في أمريكا الذي أجازه مجلس الشورى في مؤتمره التنظيمي الذي عقد في 1987م هو «تمكين الإسلام في أمريكا الشمالية، وهذا يعني: تشكيل حركة إسلامية فاعلة ومستقرة يقودها الإخوان المسلمون تتبنى قضايا المسلمين محلياً وعالمياً، وتعمل على توسيع قاعدة المسلمين وتوحيدهم وتوجيههم وطرح الإسلام كبديل حضاري ودعم الدولة الإسلامية أينما نشأت». وقد حدد المجلس أولوية عمل الجماعة في السعي نحو «الاستقرار». »

وقد رأى أكرم بأن الخطوة الضرورية التي يجب اتخاذها لتحقيق «استقرار الدعوة» هو الانتقال بالجماعة من حركة صفوية إلى حركة جماهيرية. وفي هذا الصدد يرى أكرم أنه على الرغم من ضرورة الإبقاء على بعض نشاطات وأهداف الحركة طي الكتمان فإن على الحركة، ومن أجل تحقيق الانتشار، أن تكون أكثر انفتاحا على من حولها وخاصة المجتمعات المسلمة في أمريكا الشمالية التي يرى أكرم بأن «استيعابهم وكسبهم بكل أعراقهم وألوانهم في أمريكا وكندا» يعد أمرا ضروريا لمشروع «الاستقرار» وأننا يجب أن «نتعلم فن التعامل مع الآخرين»، حيث يرى أن إتقان «فن التحالفات والائتلافات وفن استيعاب الآخرين ومبادئ التعاون» هي أمور مهمة. فالسيد أكرم يرى أن على الحركة، من أجل نشر رسالتها وسط المسلمين الذين يعيشون في الولايات المتحدة، أن تصبح أكثر انفتاحا وقادرة على الوصول إلى أعضاء وحلفاء جدد.

ولكن أكرم لم ينس أن يذكر الذين يقرؤون مذكرته بالقصد الحقيقي وراء «استقرار الدعوة» حيث يقول:

«إن عملية الاستقرار هذه هي «عملية حضارية جهادية» بكل ما تحمله تلك العبارة. وعلى الإخوان أن يفهموا بأن عملهم في أمريكا هو جهاد أكبر للقضاء على الحضارة الغربية من الداخل «وهدمها» بأيدينا وأيدي أهلها حتى تزول ويسود دين الله فوق كل الأديان. فمن دون هذا الفهم سنكون على غير مستوى التحدي ولسنا مهيئين بعد لخوض غمار الجهاد. إن الجهاد فرض على كل مسلم ويجب عليه أن ينفر إليه أينما حل وحتى تقوم الساعة. فلا يجوز إذن ترك أمر الجهاد إلا من قبل أولئك الذين تثاقلوا إلى الأرض. »

ومن المهم لتحقيق هذا الهدف أن يتم تطوير ما أسماه أكرم «العقلية التنظيمية» التي ضرب لها مثلا ما جاء به النبي محمد (صلى الله عليه وسلم) («الرائد الأول لهذه الظاهرة») ثم مؤسس جماعة الإخوان المسلمين حسن البنا («رائد الدعوة الإسلامية المعاصرة»)، حيث كتب أكرم مخاطباً أعضاء مجلس الشورى «يجب أن نقول إننا نعيش في بلد لا يفهم إلا لغة المنظمات، ولا يحترم ولا يقيم وزناً لأية جماعة لا يجمعها وعاء تنظيمي قوي وفاعل».

فعلى المستوى المحلي يرى أكرم بأن على الإخوان تطوير مراكز إسلامية متعددة الأغراض يتوالد داخلها الأنصار والمريدون لحركتهم، أي أن تصبح تلك المراكز «كخلية النحل التي تنتج عسلاً صافياً». وإذا كانت تلك المراكز الإسلامية أو المساجد المتعددة الأغراض تمثل وحدات محلية للحركة بالولايات المتحدة فإن على الإخوان، كما يرى أكرم، أن يجعلوها كذلك على المستوى القومي، ويقول في ذلك «للتمكن

من استكمال عملية الاستقرار فإنه يجب علينا أن نخطط ونعمل منذ الآن لتهيئة أنفسنا وإخواننا وتنظيماتنا وقطاعاتنا ولجاننا للتحول إلى منظمات شمولية بطريقة تدريجية وممنهجة تناسب احتياجاتنا وواقعنا». تفصل الصفحات الخمس الأخيرة من مذكرة أكرم كيف يستطيع الإخوان تشكيل المنظمات التي تنشر، من خلال عملها على كل المستويات، أجندة الجماعة. ويشير في هذا الصدد إلى وجود مثل تلك التنظيمات ولكنها تعمل من دون سيطرة مركزية لتنظيم عملها. فالهدف إذن هو دمج هذه المنظمات وتنسيق أعمالها بطريقة محكمة. وفي نهاية المذكرة أرفقت صفحة تضم قائمة بـ 29 منظمة إسلامية أمريكية تشمل «المعهد العالمي للفكر الإسلامي»(IIIT)، «دار الوقف الإسلامي في أمريكا الشمالية» (NAIT) «جمعية الطلبة المسلمين» (MSA)، «الجمعية الإسلامية لأمريكا الشمالية» (ISNA) والعديد من الجماعات الأخرى التي تنتمي إلى الحركة والتي هي بحاجة لتخطيط مركزي. وقد جاءت في صدر تلك الصفحة عبارة تحمل الكثير من الأمل: («تخيل أن تتحرك كل هذه المنظمات وفقا لخطة موحدة») ما يؤكد الدعوة للتنسيق والتنظيم الموحد لتحقيق الأهداف.

وعلى الرغم من عدم وجود دليل بأن ما جاء بمذكرة أكرم أو أية خطة مثيلة أخرى قد أجيز رسمياً من قبل مجلس شورى الجماعة، فإن ما جاء به أكرم يعكس التطور الذي جرى في أوساط منظومتي «الاتحاد الإسلامي لأمريكا الشمالية» و«اتحاد الطلاب المسلمين» خلال الثلاثين سنة الماضية. فقد وسعت أغلبية المنظمات التي ورد ذكرها بملحق المذكرة من عملياتها وأقامت لها فروعاً كثيرة. فعلى الرغم من أن تشكيلة

تلك المنظمات لم تتجاوز بضع مئات من الناشطين وآلاف قليلة من الأعضاء، فإنها قد شكلت شبكة محكمة من المنظمات التي على الرغم من وجود بعض الخلافات العابرة بينها، ظلت تعمل وفق نظام محكم يقوم على توزيع الأدوار مما مكنها من تجاوز كل المنظمات الإسلامية المثيلة ليس في الولايات المتحدة فحسب بل في الدول الأوروبية أيضاً.

انطلاقا من مقرها في إنديانابولس أصبحت « الجمعية الإسلامية لأمريكا الشمالية » (ISNA) وعاءً تنظيمياً يجمع العديد من المنظمات التي أشار إليها أكرم في قائمته كمنظمات تابعة للإخوان المسلمين. وقد ركزت الجمعية جهودها لخدمة الاحتياجات الدينية للمسلمين الأمريكيين. كما تركزت جهود «الحلقة الإسلامية لأمريكا الشمالية» (ICNA)، الوارد ذكرها بقائمة أكرم، على خدمة المهاجرين من دول جنوب آسيا تحت رئاسة عدد من أعضاء ومناصري «الجماعات الإسلامية»[20]. كما ضم «المعهد العالمي للفكر الإسلامي» (IIIT) كوكبة من كبار مفكري الحركة الإسلامية العالمية[21]. ففي أواخر السبعينات من القرن العشرين استقر مؤسسوه، بمن فيهم الأكراد الثلاثة، بإحدى ضواحي واشنطن العاصمة حيث أقاموا سلسلة معقدة من النشاطات المالية والسياسة والدينية التي أنفقوا فيها ملايين الدولارات.

تمثل مؤسسة «سار» (SAAR) ومقرها شمال فرجينيا، المؤسسة القابضة لتلك المنظمات، نموذجاً حياً لدخول الإخوان الغربيين الجدد

(20) Leonard, "South Asian Leadership of American Muslims," 238.
(21) Johnson, "The Muslims of Indianapolis," 270-71.

إلى عالم المال. فقد قامت هذه المؤسسة على دعم مالي غير محدود من المتبرعين الخليجيين وعلى رأسهم عائلة الراجحي، إحدى العائلات الأكثر ثراءً بالمملكة العربية السعودية. حيث يقول نائب رئيس المؤسسة يعقوب ميرزا، الرئيس السابق لاتحاد الطلاب المسلمين، وهو يشرح طريقة المؤسسة في جمع الأموال في بداية الثمانينات: «لقد طلبنا من المستثمرين منحنا مبلغاً كبيراً واحداً بدلاً عن مبالغ صغيرة في كل عام. وبهذه الطريقة استطعنا جمع 10 ملايين إلى 20 مليون دولار سنوياً»[22]. وقد كشف تحقيق أجرته «واشنطن بوست» المزيد من المعلومات حول النشاطات المالية لمؤسسة «سار»:

«في عام 1984م تسلم يعقوب ميرزا، الباكستاني الجنسية والحاصل على درجة الدكتوراة في الفيزياء من جامعة تكساس في دالاس، أموالاً من آل الراجحي لإقامة مؤسسة «سار» في فرجينيا بهدف نشر الإسلام والقيام ببعض الأعمال الخيرية. ميرزا، من ناحيته، بدأ البحث عن شركاء تجاريين آخرين لسار، فقام باستثمار جزء من أموال الراجحي لدى المطور العقاري في واشنطن محمد حديد، فتمكن من خلال تلك العلاقة تحويل «سار» إلى أحد أكبر ملاك العقارات في المنطقة في ثمانينات القرن العشرين. كما أصبحت شبكة «سار» واحدة من أكبر مزارعي التفاح بجنوب الولايات المتحدة ومالكة لأكبر مزارع الدواجن في أمريكا، دواجن مارجاك في جورجيا. وقد علق أحد رجال الأعمال

(22) Harry Jaffe, "Unmasking the Mysterious Mohamed Hadid," The Business of Washington, March 1988, http://www. mohamedhadid. com/press. php?id=200403280001 (accessed April 15,2009), Steven Merley, The Muslim Brotherhood in the United States, research monograph for the Hudson Institute, April 2009, 28.

من الذين تعاملوا مع «سار» بأن «الأموال تأتيهم بسهولة. فإذا أرادوا بضعة ملايين من الدولارات فإنهم يتصلون بأحد أفراد عائلة الراجحي فيرسلونها لهم على الفور»[23].

إن الحصول على الأموال بتلك السهولة هو ما عجل بعملية «استقرار الدعوة» ومكن الإخوان في أمريكا من تطوير المزيد من المنظمات في زمن وجيز. ففي نهاية الثمانينات، التي مثلت نهاية مرحلة «الاستقرار»، بدأ الإخوان التوجه نحو التأثير على الحياة السياسية. ففي عام 1986م أعلنت «لجنة التخطيط» التابعة للجمعية الإسلامية لأمريكا الشمالية (ISNA) أنه «للتأثير على القرار السياسي والتشريعي في أمريكا الشمالية، فإن على الاتحاد تدشين حملة لتوعية المواطنين المسلمين بحقوقهم الانتخابية وتعبئتهم للتصويت على المسائل التي تخدم الإسلام والمسلمين»[24]. وفي بضع سنين أنشأت العديد من المنظمات لتعزيز مشاركة الشبكة في الحياة السياسية الأمريكية. ففي عام 1990م قام محمد أبو سعود، أحد أبرز القادة المصريين لحركة الإخوان المسلمين وأحد المؤسسين للنظام المصرفي الإسلامي الحديث، مع بعض النشطاء الآخرين، بتأسيس «المجلس الإسلامي الأمريكي» (AMC). ترأس المجلس عبد الرحمن العمودي، الذي خدم كممثل للجمعية الإسلامية لأمريكا الشمالية في منطقة واشنطن والمساعد التنفيذي لرئيس «سار»[25]. من مقره في

(23) Douglas Farah and John Mintz, "U. S. Trails Va. Muslim Money, Ties," Washington Post, October 7,2002.

(24) Quoted in Steve A. Johnson, "Political Activity of Muslims in America," in Yvonne Yazbeck Haddad, ed. , The Muslims of America (Oxford: Oxford University Press, 1991), 111.

(25) American Muslim Council: Our First Five Years, report by the AMC, 1996, Alam-

واشنطن استفاد المجلس من ثراء قادته وصلاتهم لإقامة علاقات هامة مع صفوة العاصمة.

في عام 1992م التقى رئيس مجلس شورى الإخوان الأمريكيين أحمد القاضي، الطبيب المصري الذي تزوج ابنة أبو سعود، ببعض كبار نشطاء الإخوان منهم محمد عاكف المرشد لجماعة الإخوان المسلمين المصريين، وذلك في فندق على حدود الاباما - تنسي. لارتيابهم بشأن التوجه الذي بدأت بعض جماعات الشبكة تنتهجه بدأ الإخوان يتخوفون من فقدان تأثيرهم. فقد تحدث بعض قادة الإخوان في الولايات المتحدة عن هواجسهم نحو الجمعية الإسلامية لأمريكا الشمالية وتوجهاتها. حيث جاء بإحدى المذكرات الداخلية لمجلس الشورى في عام 1991م ما نصه: «لقد حققت الجمعية تطوراً كبيراً بفضل قيادة الإخوان المسلمين لأعمالها خلال عقد الثمانينات. ولكن أعمالها بدأت تشهد تدهوراً مريعاً بسبب غياب تلك القيادة»[26]. بناء عليه صدر قرار بإنشاء «جمعية المسلمين الأمريكيين» (MAS)، كمنظمة جديدة تمثل بشكل مباشر فكر الإخوان المسلمين[27].

---

oundi's resume, introduced as evidence in U. S. v. Abdulrahman Muhammad Alamoudi, U. S. D. C. of Eastern Virginia, Case 03-1009M, September 30,2003.

(26) Muslim Brotherhood Shura Council, "Shura Council Report on the Future of the Group," Government Exhibit 003-003 in United States v. Holy Land Foundation.

(27) مقابلة مع يوسف ندا، كامبيون ديتاليا، 14 يوليو 2008م في:

Ahmed-Ullah, Roe, and Cohen, "A Rare Look at Secretive Brotherhood in America," http://www. masnet. org/aboutmas. asp (accessed April 6, 2009).

شهادة ستيفن امرسون أمام لجنة الإرهاب والانتشار والتجارة المنبثقة عن لجنة الشؤون الخارجية التابعة لمجلس النواب بالولايات المتحدة، 31 يوليو 2008، صفحة 24،

Merley, The Muslim Brotherhood in the United States.

60، القاضي متزوج من إيمان أبو سعود، ابنة القيادي الإخواني محمود أبو سعود. يشار إلى أن يوسف ندا هو من

تحولت جمعية المسلمين الأمريكيين (MAS)، التي تأسست بمدينة شيكاغو ثم انتقل مقرها إلى شمال فرجينيا، بسرعة إلى منظمة قومية بثلاثة وخمسين فرعاً محلياً رغما من قلة عضويتها التي لم تتجاوز 1500 فرد[28]. تدير الجمعية برامج ثقافية كبرى، بما في ذلك جامعة في ضواحي ديترويت يشغل القرضاوي منصباً في مجلس أمنائها[29]. كما تنشط الجمعية في بعض الأعمال السياسية القاعدية حيث تسخر طاقات أعضائها القليلين في تعبئة المسلمين لأغراض سياسية. ففي فرجينيا، على سبيل المثال، أعلنت الجمعية عن قيادتها للحملة الانتخابية في عام 2006م لصالح مرشح مجلس الشيوخ عن الحزب الديموقراطي جيم ويب ضد المرشح جورج الن. حيث أعلن متطوعوها الـ 230 عن تمكنهم من حشد 65،000 صوت من مسلمي شمال فرجينيا لصالح السناتور. وحسب الجمعية فإن أصوات المسلمين التي أدلوا بها لصالح ويب كانت عنصرا مهماً في حسم نتيجة الانتخابات التي حسمت بأقل من 8،000 صوت[30].

إن كلاً من «المعهد العالمي للفكر الإسلامي» (IIIT)، «الحلقة الإسلامية لأمريكا الشمالية» (ICNA)، «الجمعية الإسلامية لأمريكا

رتب لتلك الزيجة.

(28) MAS articles of incorporation, filed in Illinois, June 11, 1993 (file number 5735-189-6), Ahmed-Ullah, Roe, and Cohen, "A Rare Look at Secretive Brotherhood in America,"

(29) http://www. masnet. org/university. asp (accessed April 1,2009).

(30) "MAS Freedom Foundation Outlines Successful 2006 Election Strategy to Washington, DC Press Corps," MAS press release, November 14,2006, Audrey Hudson, "Muslim Group Touts Local Political Clout," Washington Times, October 1,2007, Abdus Sattar Ghazali, "American Muslims in 2006 Elections," Al Jazeera, November 16,2006.

الشمالية « (ISNA)، «جمعية الطلبة المسلمين» (MSA) و«سار» (SAAR) (التي حلت جميعها وأخضعت لتحقيقات قاسية من قبل السلطات الأمريكية حول دعمها المالي للإرهاب)، إضافة إلى «جمعية المسلمين الأمريكيين» (MAS) و«المجلس الإسلامي الأمريكي» (AMC) وكثير من الجماعات والمنظمات الأخرى التي انشقت عنها، قد شكلت حزمة من المنظمات لكل منها صحيفتها الخاصة وموقعها على الانترنت ومؤتمرها السنوي وأقسامها المختلفة وفروعها الإقليمية، وقد تجلت عناصر وحدتها في مصادر التمويل المشتركة، مجالس الإدارات المتشابكة والمشاركة معا في بعض المبادرات[31]. كما أن النفر القليل الذين يمثلون قيادة تلك المنظمات شكلوا من جانبهم شبكة اجتماعية صغيرة تجمعهم روابط عائلية وأعمال تجارية، والأهم، وحدة فكرية. هذه الفئة من ذوي التعليم العالي والعلم الوافر والحافز للعمل هم عصبة يزداد نفوذها ويقل تابعوها. فعلى الرغم من تمكنهم من التأثير في صانعي القرار الأمريكيين فإن عضوية منظماتهم ظلت محدودة ولا تتجاوز بضعة آلاف. وقد أثبتت دراسة أجريت في عام 2006م، على سبيل المثال، بأن أغلبية المسلمين الأمريكيين لا ينتمون لأية منظمة دينية، وأنه من 2،500 منظمة إسلامية مسجلة بالولايات المتحدة فإن عدداً قليلاً منها فقط ينتمي إلى «الجمعية الإسلامية لأمريكا الشمالية» (ISNA)[32].

(31) مثال لتلك العضويات المتشابكة سيد سعيد الذي يحمل درجة الدكتوراة في علم اللغويات الاجتماعية من جامعة إنديانا، فقد كان سيد رئيساً لـ«جمعية الطلبة المسلمين» (MSA)، أميناً عاماً لـ «الاتحاد الإسلامي العالمي للمنظمات الطلابية والشبابية» (IIFSO)، مؤسساً وأميناً عاماً لـ «الجمعية الإسلامية لأمريكا الشمالية» (ISNA)، رئيساً لتحرير «American Journal of Islamic Social Sciences»، عضواً بمجلس مستشاري «كير»، ومديراً أكاديمياً لـ«المعهد العالمي للفكر الإسلامي» (IIIT)

(32) Ilyas Ba-Yunus and Kassim Kone, Muslims in the United States, 49.

لقد احتدم النقاش حول الرابط بين تلك المنظمات وجماعة الإخوان المسلمين مثلما جرى في أوروبا. ففي عام 2007م، وبعد إدراج الجمعية الإسلامية لأمريكا الشمالية ضمن قائمة المتهمين بالتآمر غير المدانين التي أصدرتها وزارة العدل الأمريكية أثناء محاكمة «مؤسسة الحرمين» (HLF)، وما جاء بمذكرة أكرم التي أشارت إلى الجمعية كمشارك في «العملية الحضارية الجهادية»، والتي قدمت دليل اتهام أثناء المحاكمة، أصدرت الجمعية بيانا أعلنت فيه أنها لم تكن أبدا «خاضعة لسيطرة» الإخوان المسلمين[33]. في الماضي كان قادة الجمعية أكثر مجاهرة بشأن صلاتهم بجماعة الإخوان المسلمين. لقد وصف ستيف أ. جونسون (المعروف بفاروق عبد الله)، المحرر السابق بمجلة «إسلاميك هورايزون»، الصحيفة الرسمية للجمعية، الانتخابات الداخلية للجمعية في عام 1986م:

«لقد برز الخلاف بين جماعات الإخوان الذين تتألف منهم الجمعية أثناء انتخابات 1986م. فقد ادعى بعض أعضاء الجمعية أن عملية الترشيح قد تأجلت عدة مرات حتى تمكن «المعهد العالمي للفكر الإسلامي» (IIIT) من الحصول على المزيد من الدعم لصالح مرشحه أحمد زكي (أحد أعضاء جماعة الإخوان المصرية). كما أن بعضاً من الحرس القديم بالجناح «المتشدد» من الجماعة قد أعلن مناصرته لشوقي زهران المنافس لأحمد زكي. أما السودانيون والتونسيون وأحزاب الإخوان

(33) "ISNA Statement of Position: Who We Are and What We Believe," http://www.isna. net/Documents/ISNAHQ/ISNA-Statement-of-position-Who-we-Are-and-What-We-Beleive. pdf (accessed April 6,2009).

الليبرالية الأخرىف قد قاموا بدعم الرئيس السابق للجمعية قطبي المهدي. وبينما انشق الطلاب الماليزيون عن منظمتهم الإخوانية «جماعة الدراسات الإسلامية الماليزية» (MISG) وأعلنوا تأييدهم لبطلهم زكي، فإن أعضاء «حركة الشباب الإسلامي الماليزي» (ABIM)، الذين تجرعوا مرارات شق صفوف الطلاب الماليزيين في أمريكا التي قادها أحمد زكي، قد أعلنوا تأييدهم لقطبي المهدي. لقد قام السودانيون بعدة محاولات لحشد العديد من الجماعات، بمن فيهم المسلمون الأمريكيون، حول قطبي المهدي، ولكنهم تأخروا كثيراً حيث سبقهم التيار الآخر للإخوان بتدشين حملة انتخابية عن طريق الهاتف والخطابات لتعريف أعضاء جماعة الإخوان المسلمين كيف يصوتون»(34).

يعترف شاكر السيد، أحد كبار المسؤولين بجمعية المسلمين الأمريكيين (MAS) ومدير التعليم في الجمعية الإسلامية لأمريكا الشمالية (ISNA)، في تصريحٍ له بأن حوالي 45% من نشطاء «جمعية المسلمين الأمريكيين» (MAS) هم من أعضاء جماعة الإخوان المسلمين، ولكنه في ذات الوقت يؤكد بأن الجمعية تعمل باستقلالية تامة عن الجماعة و«لا تدار من مصر» ويستطرد قائلاً «نعم لقد كان الإخوان وراء قيام الجمعية ولكنها ذهبت بعيداً عن ذلك المفهوم»(35). يتطرق السيد في شرحه للعلاقة بين الجمعية والجماعة إلى ما أسميناها منظمات الإخوان الغربيين الجدد. لقد لعب أعضاء وأنصار جماعة الإخوان المسلمين دوراً

(34) Quoted in Johnson, “Political Activity of Muslims in America,” 121.

(35) Ahmed-Ullah, Roe, and Cohen, “A Rare Look at Secretive Brotherhood in America,” for Elsayed’s affiliation to ISNA see http://islamonline. net/livedialogue/english/Guestcv. asp?/GuestID=DRJ4ej (accessed April 3,2009).

لا يمكن إنكاره في تشكيل وقيادة تلك الجماعات ولكن باستقلالية تامة بعيداً عن أية سلطة مركزية في القاهرة أو أية مدينة شرق أوسطية أخرى. ومع مرور السنوات أضحت تلك المنظمات جزءاً من الواقع الذي نشأت فيه وابتعدت رويداً رويدا عما يدور في الشرق الأوسط حتى انعدمت العلاقة أو كادت في الوقت الحالي مع أية منظمة أو جهة بتلك المناطق. حيث يقول النعمان قائد الإخوان المسلمين الأمريكيين في محاضرة له بمدينة كنساس «إننا بحق نرى بأن مناهجنا وأساليبنا تختلف عن تلك المتبعة في الشرق. فنحن لا نأخذ أو نستعير وسائل أو مناهج من الشرق إلا إذا كانت ملائمة تماماً لواقع الحركة الإسلامية هنا»[36]. فمثل نظيراتها الأوربيات فإن المنظمات الأمريكية المنشأ التي تدين بنشأتها للإخوان المسلمين قد انطلقت في حركة مستقلة عنهم تشاركهم فقط في الفلسفة العامة وتفسير الإسلام ولكنها تتكيف مع بيئتها بوسائلها الخاصة.

لقاء فيلادلفيا وولادة «كير»

في مذكرته في عام 1991م أطلق أكرم نظريته التي تقول بأن «نجاح الحركة في أمريكا في إقامة قاعدة إسلامية شديدة التقيد بالفكر الإسلامي وذات نفوذ وفاعلية سوف يكون أكبر معين للمشروع الكوني للحركة»[37]. وتؤكد هذه المقولة ما كتبه القرضاوي قبل سنة حول «الأولويات» بأن: على الحركة الإسلامية الاستفادة من وضعيتها في الغرب

(36) "Ikhwan in America," Government Exhibit 003-0089 in United States v. Holy Land Foundation.

(37) "An Explanatory Memorandum on the Strategic Goals for the Group in North America," Ikhwan in America," Government Exhibit 003-0085 in United States v. Holy Land Foundation.

للتأثير على السياسات والنقاشات العامة في تلك «المجتمعات التي تؤثر على السياسة الدولية»، كما أن وجود حركة إسلامية قوية منظمة بالغرب أمر «مطلوب للدفاع عن مصالح الأمة الإسلامية والبلاد المسلمة في وجه الهجمة والحملات التضليلية التي تشنها القوى المناهضة للإسلام»[38]. وقد فهم أكرم بأنه لا توجد دولة غربية مؤثرة مثل الولايات المتحدة، خاصة مع ارتباطها العميق بالعالم الإسلامي.

بالنظر إلى المصادر الهائلة التي كُشف عنها أثناء محاكمة أعضاء «مؤسسة الحرمين» (HLF)، لم تغب محاولات الإخوان المسلمين للتأثير في صانعي القرار والرأي العام حول قضية فلسطين. ففي الأشهر القليلة من عام 1987م التي أعقبت قيام حركة حماس، الجناح الفلسطيني لحركة الإخوان المسلمين، عملت فروع الجماعة بكل دول العالم على مساعدة ودعم تلك المنظمة الناشئة[39]. وحسب الوثائق التي كشفت عنها تلك المحاكمات، في عام 1988م، قام رئيس الجناح الفلسطيني لجماعة الإخوان المسلمين بالشرق الأوسط بالسفر إلى الولايات المتحدة للقاء الإخوان هناك طلبا للعون[40]. حيث أسفر ذلك اللقاء عن تشكيل «لجنة فلسطين للإخوان المسلمين في أمريكا» كمنظمة تابعة لحركة الإخوان الأمريكيين تتألف أغلبية عضويتها من ذوي الأصول الفلسطينية.

(38) Yusuf al Qaradawi, Priorities of the Islamic Movement in the Coming Phase (Swansea, UK: Awakening Publications, 2000).

(39) Interview with former Muslim Brotherhood member, Boston, November 2008, Government's Trial Brief in United States v. Holy Land Foundation.

(40) Government Exhibit 1B33-0003188 in United States v. Holy Land Foundation.

على هدي الهيكل التنظيمي الهرمي لمنظمات الإخوان المسلمين تشكلت اللجنة من ثلاث منظمات أمريكية المنشأ أقيمت أصلاً لدعم الحركة الإسلامية في فلسطين وهي: «جمعية فلسطين الإسلامية» (IAP) ذات الأغراض العامة، الذراع المالي الذي يمثله «صندوق الأرض المحتلة» (الذي تحول فيما بعد إلى «مؤسسة الحرمين»)، و«الجمعية المتحدة للدراسات والأبحاث» (UASR) معهد السياسة الذي تربع أكرم على مجلس إدارته. ترأس الجمعية موسى أبو مرزوق، أحد أبناء غزة والحاصل على درجة الدكتوراه في الهندسة الصناعية من جامعة لويزيانا الذي يشغل حاليا منصب نائب رئيس المكتب السياسي لحركة حماس ومقره دمشق.

وقد شرحت مذكرة داخلية صادرة في أكتوبر 1992م رؤية الإخوان حول النزاع العربي الإسرائيلي:

«إن فلسطين لهو البلد الذي حشد الإخوان المسلمون الجيوش من أجله - جيوشاً استنفرت كل الأطفال المسلمين من الدول العربية وكافة الأمة الإسلامية لتحرير الأرض من دنس اليهود. لقد ضحى هؤلاء بأرواحهم وسقوا تلك الأرض المقدسة بدمائهم الطاهرة رافعين راية الجهاد التي لن تسقط حتى تقوم الساعة وشعار أطفالنا «جهاد حتى النصر أو الشهادة»[41].

كما طالبت تلك المذكرة اللجنة بضرورة «زيادة الدعم المالي والمعنوي لحركة حماس لمقاومة الحلول الاستسلامية» وتأجيج المشاعر

(41) Government Exhibit 1B64-0000377 in United States v. Holy Land Foundation.

ضد «وحشية اليهود». وحيث إن حماس في ذلك الوقت لم تكن قد أدرجت ضمن القائمة الأمريكية للمنظمات الإرهابية، وهو الإجراء الذي اتخذ في عام 1995م، فإن اللجنة ومنظماتها استمروا في العمل بشكل قانوني داخل الولايات المتحدة، يجمعون المال ويستخدمون كل وسائل الإعلام المتاحة لدعم ومناصرة حماس. ولكن الأمور بدأت تتغير منذ أغسطس 1993م عندما وقع الزعيم الفلسطيني ياسر عرفات ورئيس الوزراء الإسرائيلي إسحاق رابين «اتفاقية أوسلو». لقد ارتجت لهذه الاتفاقية أركان لجنة فلسطين وسارعت لإعلان رفضها لتوقيع أية اتفاقية سلام مع الدولة اليهودية، ولم تخف خشيتها من أن تصبح حماس هدفاً لإجراءات مضادة من قبل السلطات الأمريكية.

لقد رصد عملاء مكتب التحقيقات الفدرالي، الذين كانوا يراقبون ما يدور داخل لجنة فلسطين، بعض الأحاديث التحذيرية بين أعضائها[42]. مدركين تداعيات اتفاقية أوسلو ليس فقط على النزاع الإسرائيلي الفلسطيني بل على نشاطاتهم داخل الولايات المتحدة، قرر أعضاء اللجنة عقد اجتماع طارئ يمتد لثلاثة أيام في فيلادلفيا. وقد انعقد الاجتماع المغلق بفندق ماريوت بجوار مطار المدينة بحضور بضع وعشرين من أعلى قيادات شبكة دعم حماس بالولايات المتحدة. ومن دون علم المشاركين قام مكتب التحقيقات الفدرالي بزرع أجهزة تنصت داخل الفندق حيث سجلوا جل الأحاديث التي دارت بين المجتمعين خلف الأبواب المغلقة. وقد قدمت مقاطع من تلك الأحاديث كأدلة اتهام أثناء محاكمات

(42) Interview with former FBI official, Washington, DC, June 2009.

«مؤسسة الحرمين» (HLF)[43].

حضر ذلك الاجتماع ممثلون عن المنظمات الثلاث التي تتشكل منها اللجنة. وحسب ما عهدنا في مثل تلك المنظمات كانت تربط بين أولئك الأعضاء صلات رحم ويعيشون في مجتمعات مترابطة بالمدن الأمريكية الثلاث التي اشتهرت بإيوائها لمناصري حماس: شيكاغو، دالاس، وواشنطن. فقد حضر عن «جمعية فلسطين الإسلامية» (IAP) رئيسها عمر أحمد، ومدير العلاقات العامة نهاد عوض، ومدير مكتبها في واشنطن أكرم خروبي، الذي أصبح فيما بعد ممثلاً لمؤسسة الأرض في رام الله، إضافة إلى مؤسس مؤسسة الأرض ورئيسها شكري أبو بكر، الذي كان شقيقه جمال رئيسا لمكتب حماس في السودان ثم في اليمن، كما حضر الاجتماع أمين المال في دالاس غسان العشي الذي تزوج مرزوق من ابنة عمه[44].

الاجتماع الذي نظم بطريقة تشبه اجتماعات مجلس إدارة كبريات الشركات، ابتدأ بتعليمات بخصوص النواحي الأمنية، وطُلِب من المجتمعين الإشارة إلى حماس بعبارة «سماح»، أي معكوس اسمها، أو بعبارة «الحركة» خلال الاجتماع وفي أية محادثات هاتفية تجري بين الأعضاء[45]. ثم بدأ

(43) تم تقديم الأشرطة المسجلة لاجتماع فيلادلفيا كأدلة جنائية في محاكمة مؤسسة الحرمين (HLF) ضمن كميات مهولة من الوثائق تتوفر جميعها بالموقع:
http://www.nefafoundation.org/hlfdocs.html
وللمزيد من التفاصيل حول محتوى تلك الأشرطة، أنظر
Josh Lefkowitz, "The 1993 Philadelphia Meeting: A Roadmap for Future Muslim Brotherhood Actions in the U.S.," NEFA Foundation report, November 15,2007.

(44) Superseding Indictment in United States v. Holy Land Foundation.

(45) Government Exhibit 016-0049 in United States v. Holy Land Foundation.

الحاضرون في شجب اتفاقية أوسلو التي عدها عمر أحمد معاهدة «بين كفار وكفار»[46]. لم يكن اتخاذ موقف موحد من الاتفاقية أمراً صعباً، وقد ناقش المجتمعون كيفية مناهضة تلك الاتفاقية. ولإدراكهم للظروف المحيطة في الولايات المتحدة رأى معظم الحضور أن تتم معارضة الاتفاقية بطرق مقبولة للشعب الأمريكي.

وقد عبر عن ذلك الموقف شكري أبو بكر بقوله «لن يفيدني أن أقول للشعب الأمريكي أنني ضد الاتفاقية لأنني أكره أبو عمار (ياسر عرفات) وأكره المنظمة (منظمة التحرير الفلسطينية). وبدلا عن مهاجمة منظمة التحرير بطريق شخصية ومباشرة فإن على اللجنة وفروعها التحدث عن الديموقراطية وحرية التعبير التي يتعشقها الشعب الأمريكي»[47] وقد وافقه عمر أحمد بقوله أن علينا أن «نجعل الناس ينظرون إلى السلطة (الوطنية الفلسطينية) على أنها تتعاون مع المحتل ضد شعبها» واستطرد عمر موضحاً «إنها السلطة التي لا تهتم بمصالح شعبها وحقوقهم الوطنية»[48]. وأضاف أحد الحضور، الذي لم تتحدد هويته، بأن على أعضاء اللجنة «اللعب على وتر حساس لدى المواطن الأمريكي العادي وهو الديموقراطية أو تمثيل الشعب. أن تقول لمواطن أمريكي بأن هذا الشخص الذي يجلس على سدة السلطة ليس منتخباً. أي أنه مغتصب للسلطة وأن حكمه ديكتاتوري.... مع تذكير هذا الأمريكي بصدام حسين»[49].

(46) Government Exhibit 016-0071 in United States v. Holy Land Foundation.
(47) Government Exhibit 016-0087 in United States v. Holy Land Foundation.
(48) Government Exhibit 016-0051 in United States v. Holy Land Foundation.
(49) Government Exhibit 016-0087 in United States v. Holy Land Foundation.

كما ناقش المشاركون في الاجتماع نشاطاتهم المستقبلية وهم يدركون أنه سوف لن يكون بإمكانهم الحديث علناً عن دعمهم لحماس. ففي هذه الحالة سوف تقوم الحكومة الأمريكية بحظر نشاط الجماعة، كما أن وقوفهم علناً مع المنظمة التي تنادي برفض اتفاقية السلام التي رعتها الولايات المتحدة واللجوء لاستخدام العنف سيكون، من منظور العلاقات العامة، ضرباً من الانتحار. ولكن أبو بكر أكد أنه عند مخاطبة الأمريكيين يجب على أعضاء الجماعة «ألا يقولوا إننا مع حماس» لأنك «إذا كنت ضد السلام فهذا يعني بأنك إرهابي»[50]. وقال أحد الحاضرين أن على اللجنة «التعبير عن موقف الفلسطينيين والمسلمين في أمريكا لدعم المقاومة... وهذه نفسها إشكالية. ولكن على الجانب الآخر فإن تجنب الوقوع تحت طائلة الاتهام بالإرهاب وأولئك الذين يدعمون الإرهاب (حسب المفهوم الأمريكي) يمثل إشكالية أخرى»[51].

لقد تجادل المجتمعون كثيراً حول الكيفية التي يمكن بها حث المسلمين الأمريكيين على دعم حماس وتكتيكاتها وفي ذات الوقت المحافظة على علاقة هادئة بالسلطات وأجهزة الإعلام الأمريكية. وقد لخص أحمد تلك الحيرة بقوله «إذا تحدثت إلى الأمريكيين فإنك ستخسر المسلمين، وإذا خاطبت المسلمين فإن ذلك يعني أنك لا تستطيع نقل ذلك الخطاب إلى الأمريكيين»[52]. وأضاف «إذا سألك أحدهم هل تريد تدمير دولة إسرائيل فبماذا ستجيب على شاشات التلفزيون؟ فإذا أجبت بطريقة

---

(50) Government Exhibit 016-0087 in United States v. Holy Land Foundation.
(51) Government Exhibit 016-0051 in United States v. Holy Land Foundation.
(52) Government Exhibit 016-0069 in United States v. Holy Land Foundation.

محايدة مثل رفض الإجابة عن السؤال فإن أحدهم سوف يأتيك ويقول لك بأنك قد تنازلت عن مبادئك»[53].

كمخرج من تلك الحيرة اتفق الحاضرون على نهج سياسة ذات حدين تميز بين استراتيجيتها الداخلية والخارجية. داخل المجتمعات المسلمة تحافظ الجمعية على دعمها لحماس والعمل على تقديم العون لها. حيث قال أحد المتحدثين «إن أهم شيء يمكننا تقديمه في المرحلة القادمة هو دعم الجهاد في فلسطين. واعتقد بأن تلك هي الطريقة الوحيدة لإفشال مخططات معاهدة أوسلو»[54] كما تم التوصل إلى أن جمع التبرعات داخل المجتمعات المسلمة يظل أحد أهم نشاطات الجماعة. فمؤسسة الحرمين حديثة التكوين كانت تجمع الأموال لصالح حماس بينما تتظاهر بأنها ترسل بتلك الأموال إلى الأطفال الأيتام والمحتاجين. يقول أبو بكر شارحاً الطريقة التي تتبعها المؤسسة للتظاهر أمام السلطات الأمريكية بأنها منظمة خيرية لتجنب التحقيق معها من جانب تلك السلطات «نعطي للإسلاميين 100،000 دولار وللآخرين 5،000 دولار». فالمؤسسة تحتاج «للمحافظة على بعض التوازن» تجنباً للفت الانتباه «لتبقى ضمن مسارها الشرعي كمنظمة خيرية من دون أن تنجرف خلف العواطف التي قد تعصف بوضعها القانوني»[55]. فقد أعلنت السلطات الأمريكية أثناء المحاكمة أن مسؤولي المؤسسة، باستخدامهم لتلك الحيل والذرائع، قد تمكنوا من توفير أكثر من 12 مليون دولار لدعم حركة حماس حتى تم

(53) Government Exhibit 016-0069 in United States v. Holy Land Foundation.
(54) Government Exhibit 016-0063 in United States v. Holy Land Foundation.
(55) Government Exhibit 016-0057 in United States v. Holy Land Foundation.

إغلاق المنظمة في ديسمبر 2001م[56].

في ذات الوقت قرر المشاركون في الاجتماع بأن تتولى الجمعية مهمة توعية المسلمين الأمريكيين بأن اتفاقية السلام قد أضرت بالفلسطينيين وأن حماس هي القوة الوحيدة في الساحة الفلسطينية التي تستحق أن تدعم. وقد دعم كثير من المجتمعين هذا التوجه وأن على اللجنة أن تسعى بكل جهدها لنشر هذه الرسالة وسط الشباب. حيث قال أحد المتحدثين «إننا لا نريد لأطفالنا (المسلمين الأمريكيين) الذين تربوا هنا ويدرسون بالمدارس الإسلامية وغير الإسلامية أن ينشأوا وهم مستسلمون لفكرة السلام مع اليهود. أعني، إننا لا نريد أن نرى في السنوات العشر القادمة أن هذا الجيل الناشئ قد استنام على فكرة السلام مع اليهود. ومن ثم يجب أن تكون هناك مناهج ومواد تعليمية في مدارسنا تنأى بأبنائنا عن ذلك النوع من التفكير»[57]. متحدث آخر قال إن على اللجنة استغلال المؤتمرات السنوية وشبكة المدارس الإسلامية التي تديرها المنظمات الصديقة مثل: «الحلقة الإسلامية لأمريكا الشمالية» (ICNA)، «الجمعية الإسلامية لأمريكا الشمالية» (ISNA)، «جمعية المسلمين الأمريكيين» (MAS) لتوزيع الكتب وتقديم المتحدثين الذين يوعون الناس حول ضرورة دعم حركة حماس.

بينما استهدفت الاستراتيجية الداخلية للجنة تعبئة المجتمعات

---

(56) Department of Justice press release on the sentencing of HLF leaders, May 27,2009, http://www. usdoj. gov/opa/pr/2009/May/09-nsd-519. html (accessed June 9,2009).

(57) Government Exhibit 016-0067 in United States v. Holy Land Foundation.

المسلمة في أمريكا لدعم حركة حماس، فقد تفهم المشاركون في ذلك الاجتماع بأنه يمكنهم أيضا لعب دور مهم في التأثير في الرأي العام الأمريكي وصانعي القرار. فقد أشار أحمد بشكل خاص إلى الحاجة لزيادة «تأثير اللجنة في الكونغرس» مشيرا إلى أنه «يمكن تحقيق ذلك عن طريق اختراق أجهزة الإعلام والجامعات ومراكز البحث في أمريكا» وأضاف «كما يمكن تحقيق ذلك من خلال العمل مع المنظمات السياسية الإسلامية والمتعاطفة مثل «تحالف مسلمي أمريكا» و «المسلمون المتحدون في أمريكا»، «مجلس الشؤون العامة للمسلمين» (MPAC)... وإذا شارك المسلمون في النشاط السياسي في أمريكا وأصبحوا مهتمين بشؤون الكونغرس والعلاقات العامة يصبح باستطاعتنا الضغط على الكونغرس وصناع القرار في أمريكا»[58].

يعد تطوير استراتيجية إعلامية تدافع عن حماس وفي الوقت نفسه لا تعطي انطباعاً بدعم العنف واحداً من أهم عناصر حملة العلاقات العامة للجنة. يتناول أحمد في هذا السياق مسألة «نقل وجهة النظر الإسلامية عبر أجهزة الإعلام في الولايات المتحدة» ويضيف «عندما ظهر نهاد على شاشة سي إن إن وتحدث بالطريقة التي تحدث بها فإن ذلك قد قلل كثيراً من حدة اتهامنا بالتطرف»[59]. يشير أحمد هنا إلى ظهور مدير العلاقات العامة في «جمعية فلسطين الإسلامية» (IAP) نهاد عوض ضيفاً على برنامج سي إن إن «كروسفاير» حيث دافع عن موقف

(58) Government Exhibit 016-0075 in United States v. Holy Land Foundation.
(59) Government Exhibit 016-0075 in United States v. Holy Land Foundation.

حماس بكلمات مستساغة للجمهور الأمريكي[60]. خلال الاجتماع تابع عوض ما قاله أحمد بتقديم عرض حول الاستراتيجية الإعلامية يركز فيه على ضرورة « تدريب وتأهيل الأفراد بالفروع والجماعات لممارسة النشاط الإعلامي وذلك بخضوعهم لدورات خاصة في الإعلام» كما أشار إلى أهمية الكتابة بالصحف الأمريكية[61]. هذه الخطة هي ما اتبعه ناشطو حماس العائدون من الولايات المتحدة. خير مثال على ذلك رئيس اللجنة الأمريكية الفلسطينية موسى أبو مرزوق ومدير «الجمعية المتحدة للدراسات والأبحاث» (UASR) السابق أحمد يوسف، المستشار السياسي لرئيس الوزراء الفلسطيني الحالي إسماعيل هنية، اللذان قاما بنشر كثير من المقالات بأبرز الصحف الأمريكية مثل «واشنطن بوست»، «نيويورك تايمز»، و «لوس انجلوس تايمز» مستخدمين نبرة تختلف تماماً عن تلك المستخدمة في الصحف العربية[62].

لقد توصلت النقاشات التي دارت في ذلك الاجتماع إلى أن على جميع المشاركين عند التعامل مع الجمهور وصانعي السياسة أن يتخذوا موقفاً أقل وضوحاً وأكثر ضبابية. يوضح عمر أحمد الأمر بقوله «نحن، كمنظمات أمريكية، لا يمكن أن نعلن بأننا نمثل «سماح» (أي حماس)، فهل يمكنني أن أذهب إلى أحد أعضاء الكونغرس وأقول له أنا عمر يحى (أحمد)، رئيس جمعية فلسطين الإسلامية، ياسر عرفات لا يمثلني، بل

(60) CNN Crossfire, September 10,1993.

(61) Government Exhibit 016-0069 in United States v. Holy Land Foundation.

(62) Ahmed Yousef, "Engage with Hamas: We Earned Our Support," Washington Post, June 20, 2007, Ahmed Yousef, "Pause for Peace," New York Times, November 1,2006, Mousa Abu Marzook, "Hamas' Stand," Los Angeles Times, July 10, 2007.

يمثلني الشيخ أحمد ياسين (الزعيم الروحي لحماس)؟» وقد وافقه بقية المشاركين في أن إخفاء التوجه الحقيقي للجمعية وأهدافها عند التعامل مع الأمريكيين يعد تكتيكاً ضرورياً. يقول أبو بكر «أقسم بالله أن الحرب خدعة. إننا نحارب عدونا بحنو... يجب أن تخادع وتناور، تتظاهر بأنك ذاهب في طريق بينما أنت تمضي في عكس الاتجاه. اخدع عدوك» ويوافقه أحمد القول «إنني أوافقك القول، فالسياسة مكملة للحرب» ذاكرا مقولة لكلوزفيتش. وقد استرسل أحمد في توضيح وجهة نظر أبو بكر مقارنا الخداع الذي يجب أن تستخدمه الجماعة بخدعة الرأس التي يستعملها لاعبو كرة السلة فاللاعب «يجعل الخصم يعتقد بأنه يريد فعل حركة معينة ولكنه يأتي بخلاف ذلك»[63].

لقد تنادى بقية المشاركين بنفس الفكرة، التخفي والتظاهر، المكر والخداع. يقول أحدهم: «في رأيي، يجب أن نبحث عن شكل تنظيمي جديد لنشاطنا يكون أكثر حيادية لأننا في وضع حرج، نعم لقد حصرنا في زاوية ضيقة، لقد عرف الجميع من نحن، لقد أصبح وضعنا مكشوفاً، فيجب إذن أن نقيم تنظيماً جديداً أكثر حيادية يلعب على الحبلين كما يقولون»[64]. مشارك آخر غير معروف أدلى بدلوه في نفس المنحى، إيجاد تنظيم جديد يكون «غطاءً أمريكياً رسمياً يمثل المجتمع المسلم» ويكون كذلك «بديلاً للمنظمات القائمة حالياً إذا ما اتخذ قرارٌ بحلها»[65]. أثنى أحمد على الفكرة وقال يجب أن تشرع الجماعة على الفور في إيجاد المنظمات

---

(63) Rob Dreher, "CAIR and Hamas," Dallas Morning News, August 8,2007.

(64) Government Exhibit 016-0067 in United States v. Holy Land Foundation.

(65) Government Exhibit 016-0059 in United States v. Holy Land Foundation.

البديلة، على ألا يكون لونها الإسلامي فاقعاً[66].

لقد خشي أبو بكر من أن تفرض السلطات الأمريكية عقوباتها على حركة حماس وكل المنظمات التي تدعمها داخل الولايات المتحدة، ومن ثم فهو يرجع فكرة إخفاء هوية التنظيم الجديد الذي قرر المجتمعون إنشاءه. يقول أبو بكر «دعونا لا نرفع رايات إسلامية رفرافة ولا نكثر من العبارات الفظة في أحاديثنا. سنكون في الواجهة إذا حدث ذاك الشيء (فرض الحكومة الأمريكية الحظر على حماس)، يجب أن نستفيد مما يجري بدلا عن تعريض جميع تنظيماتنا للانكشاف ومن ثم التصنيف ضمن قوائم الإرهاب» «لقد تحدثت مع أخي أبو الحسن (عبد الحليم أشقر) حول منظمة الأقصى» يضيف أبو بكر مشدداً على ضرورة تجنب الأسماء العربية التي تثير حساسية خاصة لدى الجمهور «لماذا أسميتها الأقصى التعليمية؟ فعندما تذهب إلى أكسفورد سوف يسألونك: سيدي ما الأقصى؟ فلتسمها «أكاديمية التعليم العام الفلسطينية»، اجعل لنفسك اسماً كبيراً على ذاك النحو واعطه زخماً إعلامياً، فلا داعي،إذن، لتلك الأسماء الحساسة: الأقصى، القدس، الصخرة وما على شاكلتها»[67].

لقد اتفق الحاضرون كلهم على أنه، ولضمان استمرار نشاطهم بالولايات المتحدة، يجب عليهم إقامة كيان تنظيمي ليست لديه صلات واضحة بحركة حماس ويعمل بطريقة تجعله يبدو معتدلاً. وقد أشارت التعديلات التي أجريت على لوائح اللجنة الفلسطينية في عام 1991م إلى

(66) Government Exhibit 016-0067 in United States v. Holy Land Foundation.
(67) Government Exhibit 016-0067 in United States v. Holy Land Foundation.

الرغبة في تأسيس منظمة أخرى في المستقبل. «نأمل في أن تكون منظمة رسمية للعمل السياسي مقرها واشنطن، إن شاء الله..... وأن تمثل الجانب السياسي لدعم قضايانا السياسية على الجبهة الأمريكية»[68].

أعلنت السلطات الأمريكية، بناءً على أدلة كافية، بأن تلك المنظمة المعنية هي «مجلس العلاقات الإسلامية الأمريكية» (كير) التي أقامتها الجماعة في العاصمة واشنطن بعد أشهر قليلة من لقاء فيلادلفيا[69]. ومن ناحية أخرى فإن كلاً من رئيس «جمعية فلسطين الإسلامية» (IAP) عمر أحمد ومدير العلاقات العامة نهاد عوض، وكلاهما عضو بجمعية فلسطين، قد أصبحا،على التوالي، الرئيس الفخري والمدير التنفيذي لـ «كير»، كما أصبح رفيق جبار، الذي كان رئيساً لجمعية فلسطين، أحد المديرين المؤسسين لـ «كير»، بينما تولى عضو الجمعية إبراهيم هوبر منصب مدير الاتصالات[70]. وأصبح غسان العشي، أمين المال في مؤسسة الحرمين أحد أعضاء مجلس المؤسسين لفرع «كير» في تكساس. وكما جاء بأدلة الاتهام التي عرضتها محكمة دالاس، فقد ثبت بأن المؤسسة قد حولت أموالاً إلى «كير» تحت بند «خدمات استشارية»[71]. وفي مذكرة

---

(68) Government Exhibit 1B64-0000377 in United States v. Holy Land Foundation.

(69) FBI Special Agent Laura Burns testimony in the HLF trial, quoted in Jason Trahan, "FBI: CAIR Is a Front Group, and Holy Land Foundation Tapped Hamas Clerics for Fundraisers," Dallas Morning News, October 7,2008.

(70) Text from Lawsuit Response in Council on American-Islamic Relations, Inc. v. Andrew Whitehead, no. CL04-926, Virginia: In the Circuit Court for the City of Virginia Beach, April 30,2004.

(71) صك مصرفي من مؤسسة الحرمين إلى «كير» قدم كأحد الأدلة الجنائية في قضية «الولايات المتحدة ضد مؤسسة الحرمين»، شهادة ماثيو ابشتين أمام لجنة الإرهاب والتكنولوجيا والأمن الوطني المنبثقة عن لجنة العدل التابعة لمجلس الشيوخ الأمريكي في 10 سبتمبر 2003م، متوفرة بالموقع:
http://www.cair.com/PDF/urbanlegends.pdf (accessed April 8, 2009).

داخلية صادرة عن اللجنة الفلسطينية في يوليو 1994م أشير إلى أن «كير»، «جمعية فلسطين الإسلامية»، «الجمعية المتحدة للدراسات و الأبحاث» (UASR)، و «مؤسسة الحرمين» (HLF) تمثل جزءا من اللجنة[72].

خلال سنوات قليلة من تأسيسها حققت «كير» نجاحاً ملحوظاً. فهي توظف الآن بضعاً وسبعين موظفاً بدوام كامل بمقرها العملاق الذي يقع على بعد خطوات من كابيتول هيل. ، ولديها ثلاثون مكتباً في تسع عشرة ولاية، وتمد نفوذها داخل أكبر منظمات حقوق الإنسان الأمريكية ورسالتها «تعزيز فهم الإسلام، تشجيع الحوار بين الأديان، حماية الحريات المدنية، دعم المسلمين الأمريكيين، وبناء تحالفات لنشر العدل وتحقيق التفاهم المتبادل»[73]. وبفضل النشاط الذي لا يفتر والمظهر العام المعتدل وتوفر المال أصبحت «كير» وبلا منازع الممثل الحقيقي للمسلمين الأمريكيين يرجع إليها الإعلاميون وصناع القرار في أية مسألة تتعلق بالإسلام والمسلمين.

يقول عمر أحمد في لقاء أجرته معه إحدى الصحف السعودية في عام 1999م:

«لقد أصبحت «كير» مركزاً للمعلومات لكبار المسؤولين في الولايات المتحدة. مثال ذلك، إذا أراد الرئيس الأمريكي مقابلة أحد المسلمين في

(72) Government Exhibit 1B64-0000412 in United States v. Holy Land Foundation.
(73) http://www.cair.com / AboutUs / VisionMissionCorePrinciples.aspx (accessed March 24, 2009), "25 Facts about CAIR,"
http://www.cair.com/AboutUs/25FactsAboutCAIR.aspx (accessed April 1,2009)

فوينكس، أريزونا فإن «كير» هي التي تمد البيت الأبيض بقائمة ببعض الأسماء بالمدينة. وقد حدث هذا عدة مرات. وفي حالة أخرى اتصل بنا «المجلس الاستشاري الرئاسي حول العدالة والتنوع» ليدعونا لحضور حفل إفطار رمضاني بالبيت الأبيض. ونحن من دعونا الذين يمكن أن يمثلوا المسلمين خير تمثيل في مثل تلك الدعوات»(74).

على الرغم من أن هذا التصريح قد بني على رغبة السيد أحمد في إبراز الوجه المشرق لمنظمته أمام المانحين المحتملين، فإن الحقيقة تؤيد مقولته بأن «كير» قد أصبحت بالفعل من أهم الممثلين للمجتمع المسلم أمام الحكومة الأمريكية. فقد وجد موظفوها طريقهم إلى البيت الأبيض، وزارة الخارجية، الكونغرس، ووزارة العدل. كما أن «كير» أصبحت المنظمة الإسلامية الوحيدة التي تقدم دورات تدريبية حول الإسلام لمختلف المؤسسات العامة، من مكتب التحقيقات الفدرالي إلى إدارة أمن المواصلات إلى إدارة الأمن الداخلي، وحتى فيالق البحرية الأمريكية. لقد طرحت «كير» نفسها أمام البيت الأبيض وكل مؤسسات السلطة التي تليه كمنظمة إسلامية نموذجية معتدلة يمكن أن تكون شريكاً للحكومة الأمريكية.

على نفس الوتيرة، أصبح كثير من المنظمات التي تنتمي إلى شبكة الإخوان المسلمين الأمريكيين، التي ورد ذكرها بمذكرة أكرم، منظمات عامة استوعبتها المؤسسات الأمريكية السياسية والدينية والثقافية. حيث يظهر أعضاؤها على شاشات التلفزيون ناطقين رسميين باسم المجتمع

(74) مقابلة مع عمر أحمد، «عكاظ» الأسبوعية، 19 يناير 1999م، 20-21.

المسلم في أمريكا يتحدثون باسمهم لأعضاء الكونغرس وموظفيه. بعضهم يحاضرون بأكبر الجامعات الأمريكية ويحضرون الاجتماعات الكبرى يحذرون مما جرت تسميته «فوبيا الإسلام» ويقدمون المواعظ حول أهمية التسامح والحوار بين الأديان. لقد ألفوا شراكات مع كل أنواع المنظمات، من الاتحاد الأمريكي للحريات المدنية إلى الجماعات المسيحية المحافظة، من المنظمات اليهودية إلى الحركات المناهضة للحرب.

على الرغم من كل هذا القبول الذي حازته المنظمة فإن العديد من الأصوات من داخل وخارج الولايات المتحدة لم تفتأ توجه نقداً لاذعاً لـ«كير» وكل منظمات الإخوان المسلمين الغربيين في أمريكا. إن تعدد الآراء يقود إلى وضع يمكن وصفه بالشيزوفرانيا. فعضو مجلس الشيوخ جون د. دينجيل، على سبيل المثال، أطرى علنا على المنظمة بقوله «كير وأنا لدينا تاريخ طويل من التعاون وأبواب مكتبي مشرعة دائماً لأصدقائي وأنا مستعد دائما لتقديم المساعدة لهم في أية قضية يطرحونها»[75] بينما وصف السناتور ريتشارد دوربن «كير» بأنها «غير عادية في خطابها المتطرف وارتباطها بجماعات مريبة»[76]. وعلى الجانب الآخر يرتفع صوت عضو مجلس الشيوخ بوب فيلنر قائلا « في كثير من الأحيان نغفل عن الأعمال والإنجازات العظيمة لبعض المنظمات مثل «كير». أما السناتور تشوك تشومر فإنه يتهم الجماعة بـ «الارتباط بالإرهاب» و «علاقتها الحميمة

(75) "What They Say About CAIR," CAIR Pennsylvania, http://pa. cair. com/index. php?Page=whattheysay&Side=about (accessed June 16,2009).

(76) U. S. Senate Subcommittee on Terrorism, Technology and Homeland Security, Terrorism: Two Years After 9/11, Connecting the Dots, September 10, 2003.

بحركة حماس»[77].

تلك التصريحات المتباينة تثير تساؤلاً: كيف يتوصل أربعة من أعضاء الكونغرس، جميعهم ديمقراطيون وكلهم مطلعون على نفس المعلومات، إلى استنتاجات متناقضة بشكل دراماتيكي حول طبيعة وأهداف «كير»؟ الإجابة ليست بالسهلة، والمسألة لا تقتصر فقط على «كير» وأولئك البرلمانيين الديمقراطيين. فكلا الطرفين على جانبي الطيف السياسي في أمريكا وجميع إدارات ووكالات الحكومة الفيدرالية لم يتمكنوا من التوصل إلى اتفاق حول طبيعة «كير» وكل منظمات الإخوان في الولايات المتحدة، ما أوجد حالة من الارتباك والضيق في بعض الحالات.

واحدة من الحوادث المؤسفة التي جرت فصولها في وزارة العدل تعكس تلك المشكلة بشكل واضح. ففي بداية أغسطس 2007م، وعند نظر المدعين الفيدراليين في قضية مؤسسة الحرمين أشاروا إلى «الجمعية الإسلامية لأمريكا الشمالية» (ISNA) كمشارك غير مدان في المؤامرة، وذلك بناءً على دليل ارتباطها الواضح بالإخوان المسلمين (مستندين على مذكرة أكرم التي صنفت الجمعية على أنها تمثل أولى منظمات الإخوان في أمريكا). في ذات الوقت استدعت إدارة الحقوق المدنية التابعة للوزارة أحد كبار مسؤولي الجمعية لإجراء محادثات عالية المستوى مع النائب العام اللاحق البرتو جونزاليز في واشنطن، وبعدها بأيام، قام السيد البرتو برعاية المؤتمر السنوي للجمعية في شيكاغو وأرسل ممثلين عنه

(77) "What They Say About CAIR," Subcommittee on Terrorism, Terrorism: Two Years After 9/11.

للمشاركة في أحد الأجنحة»[78].

تلك الأفعال المتناقضة إذن تكشف حالة الحيرة وفقدان التوافق الاستراتيجي لدى المسؤولين الأمريكيين[79]. إن الإشارة إلى الجمعية كمشارك غير مدان في التآمر يجعل مهمة إدارة الحقوق المدنية للوصول إلى حقيقة المنظمة أمراً بالغ الصعوبة. وفي الوقت نفسه فإن إضفاء الشرعية على الجمعية بالمشاركة في رعاية فعالياتها في الوقت الذي تحاول فيه جهة أخرى تابعة لنفس الوزارة ربط المنظمة بأكبر قضية تمويل للإرهاب في تاريخ الولايات المتحدة يدحض الحجج التي أوردتها هيئة الادعاء[80]. إذن، السؤال المطروح هو: ما موقف وزارة العدل من «الجمعية الإسلامية لأمريكا الشمالية» (ISNA)؟ هل تراها جزءاً من الشبكة الأمريكية للإخوان المسلمين التي تشارك في «العملية الحضارية الجهادية» وجزءاً من حلقة معقدة لتمويل الإرهاب؟ أم أنها منظمة إسلامية شرعية معتدلة لا يخشى منها؟

لغز مكافحة الإرهاب

إن الحيرة التي رافقت تقييم وتصنيف منظمات الإخوان المسلمين

---

(78) Michael Isikoff and Mark Hosenball, "An Unwelcome Guest," Newsweek, August 8,2007, Justice Denied: Waste and Mismanagement at the Department of Justice, report by the officer of Senator Tom Coburn (R-MD), October 2008, "US Sponsors Islamic Convention," Washington Times, August 27,2007.

(79) Interview with Jeffrey Breinholt, Deputy Chief of the Counterterrorism Section, U. S. Department of Justice, Washington, D. C. , June 2009.

(80) أنظر ، كمثال ، الخطاب الذي بعث به عضوا مجلس الشيوخ بيت هويكسترا وسو مايريك إلى المدعي العام البرتو جونزاليس حول الموضوع في 28 أغسطس 2007.

الغربيين الجدد لهي مشكلة تؤرق مضاجع كل المؤسسات الحكومية الأمريكية. ومن الضروري في هذا المقام التطرق لما واجهه مكتب التحقيقات الفدرالي في ذاك الشأن. فقبل وبعد الحادي عشر من سبتمبر أجرى المكتب العديد من التحقيقات مع أعضاء بشبكة الإخوان المسلمين في أمريكا، وقد جمع كماً هائلاً من المعلومات استندت في أغلبها على مئات الوثائق التي قدمت كأدلة اتهام في محاكمة مؤسسة الحرمين. بناءً على تلك المعلومات صرح موظفو مكتب التحقيقات علنا بشكوكهم حول «كير» والمنظمات الأخرى المرتبطة بها. حيث قال ستيفن بوميرانتز، نائب المدير السابق والرئيس السابق لقسم مكافحة الإرهاب التابع لمكتب التحقيقات الفدرالي، دون مواربة:

«يبدو واضحاً من تصريحات ونشاطات «كير» أن واحدًا من أهدافها هو توسيع أجندة الجماعات الإسلامية الإرهابية المتطرفة من خلال تقديم الدعم السياسي. متخفية تحت مظهر منظمة علاقات عامة معتدلة تحاول «كير» تضليل الجماهير حول التوجهات الإرهابية لمليشيات الحركة الإسلامية، وحماس بشكل خاص.. وللأسف فإن «كير» ما هي إلا جيل جديد من الجماعات التي ظهرت مؤخراً بالولايات المتحدة ملتحفة بغطاء «الحقوق المدنية» أو «الأوضاع الأكاديمية» ولكنها في حقيقة الأمر تضمر الإرهاب وتدعمه. إن درجة تمكن هذه الجماعات من خداع الرأي العام الأمريكي وتخويف الكتاب ومناهضي الإرهاب سوف يكون العنصر الأهم في تحديد مدى تعرض البلاد إلى المزيد من الإرهاب في السنوات القادمة»[81].

(81) Steven Pomerantz, "Counterterrorism in a Free Society," Journal of Counterter-

هذا التقييم الذي صدر في 1998م والتحقيقات التي أجريت حول نشاطات منظمات الإخوان الغربيين الجدد لم يمنع من أن يكون لمكتب التحقيقات الفيدرالي علاقات طيبة مع «كير» حتى بعد أحداث الحادي عشر من سبتمبر. فمنذ 2001م ظلت «كير» الشريك الأهم لمكتب التحقيقات داخل المجتمعات المسلمة، بل كانت المنظمة تحصل على تعامل خاص من المكتب. فبجانب اللقاءات الروتينية التي كان مكتب التحقيقات يجريها مع كل أنواع المنظمات الإسلامية، فإن «كير» قد قامت بتنظيم دورات تدريبية حساسة حول الإسلام للضباط الميدانيين لمكتب التحقيقات، كما قام المكتب من ناحيته بحضور فعاليات «كير» التي كانت تقام لجني أموال التبرعات مما يعني مباركته لتلك الجهود. وعلى الرغم من قيام كثير من ضباط مكتب التحقيقات الميدانيين بإجراء تحقيقات مكثفة استهدفت مسؤولين في «كير» والمنظمات التابعة لها، إلا أن مسؤولي المكتب قد عبروا علنا عن شكرهم وتقديرهم للدور الذي تقوم به «كير» في «حفظ الأمن القومي» كما أشادوا بـ «التزامها بتشجيع الحوار الذي يقود إلى تبادل الأفكار على أسس من الأمانة والصراحة»(82). إن عدم الانسجام بين تقييمات مكتب التحقيقات الفيدرالي وسلوك مسؤوليه هو نتاج لتضافر عدة عوامل يجب فحص كل واحد منها على حدة(83).

---

rorism & Security International (Spring 1998).

(82) Carl Whitehead, Special Agent in Charge, FBI Tampa Field Office, speaking at the CAIR 2006 Tempa Banquet, John Miller, FBI Public Affairs Assistant Director, interviewed in "FBI Official and Imam Discuss Homegrown Terror," NPR, May 16,2007, "What They Say About CAIR," http://www. cair. com/AboutUs/WhatTheSayAbutCAIR. aspx (accessed April 4,2009).

(83) مقابلات وحوارات مع عملاء مكتب التحقيقات الفيدرالي السابقين والحاليين ما بين عامي 2004 و 2009.

النظرة المتفائلة

شأنه شأن أية مؤسسة غربية في تعاملها مع منظمات الإخوان الغربيين الجدد فإن مكتب التحقيق الفيدرالي يتألف من أناس، على شاكلة بوميرانتز، يحملون آراءً سلبية حول الحركة. وآخرون يحملون نظرة متفائلة. فمع عدم وجود سياسة تقييم موحدة وخطاب مركزي فإن تصرفات مختلف قطاعات مكتب التحقيقات الفيدرالي ومكاتبه الميدانية أصبحت تتأثر بمن يحتل مراكز المسؤولية فيها. فعلى سبيل المثال، قسم مكافحة الإرهاب بالمكتب الميداني لمكتب التحقيقات الفيدرالي في واشنطن، وخلال الفترة من 2002 إلى 2005م كان يقوده العميل الخاص المتقاعد مايكل رولنس، وهو من كبار المدافعين عن «كير» والمنظمات التابعة لها. يقول رولنس في لقاء أجرته معه صحيفة «نيويورك تايمز» في مارس 2007م قبل شهور قليلة من الكشف عن وثائق محاكمة مؤسسة الحرمين[(84)] «من كل الجماعات الإسلامية الناشطة في البلاد تتركز أغلب الشكوك في «كير»، ولكنك عندما تسأل أحدهم عن الحقائق المجردة التي تنبني عليها شكوكه فإنك ستجده يحملق في وجهك من دون رد. » كما لا يستغرب أن يبعث هذا المكتب الميداني في واشنطن برسالة إطراء يمدحون فيها «إخلاصها (كير) في تمثيل قلب المجتمع الأمريكي المسلم»[(85)].

---

(84) Neil MacFarquhar, "Scrutiny Increases for a Group Advocating for Muslims in the U. S. " New York Times, March 14,2007.

(85) "What They Say About CAIR," http://www. cair. com/AboutUs/WhatTheSayAbut-CAIR. aspx (accessed April 4,2009).

المعرفة / توفر المعلومات

على الرغم من حصول مكتب التحقيقات الفدرالي على معلومات استخباراتية هائلة حول منظمات شبكة الإخوان المسلمين في أمريكا، كما أظهرت محاكمات مؤسسة الحرمين، فإن تلك المعلومات ظلت حبيسة أضابير المكتب ولم يفرج عنها إلا بعد ردح من الزمن. وهكذا فإن كثيرين من العملاء والمحللين وحتى المديرين الذين لم تكن لهم صلة مباشرة بقضايا الجماعة ظلوا جاهلين تماماً بأمور اجتماع فيلادلفيا، مذكرة أكرم، أو أية معلومة أخرى حول نشاطات وأجندة تلك الجماعات. فمكتب التحقيقات الفدرالي لم يقدم لأيٍ من ضباطه، الذين كانوا مشغولين بالجرائم الكبرى وقضايا الإرهاب وليس لديهم إلا القليل من المعرفة حول الإسلام والإسلاموية، أية دروس أو توجيهات حول كيفية تقييم منظمات الإخوان ونشاطاتها التي ظل أمر فك طلاسمها عصياً على هؤلاء المسؤولين.

في بعض الحالات أدى هذا الغياب التام لاستراتيجية مركزية موحدة إلى اتخاذ قرارات خطيرة كانت مصدراً لتندر بعض ضباط مكتب التحقيقات الفيدرالي في مجالسهم الخاصة. ففي مقابلة أجراها مؤلف هذا الكتاب بعد أشهر قليلة من نشر وثائق محاكمة مؤسسة الحرمين مع أحد كبار ضباط مكتب التحقيقات الفيدرالي المسؤول عن مكافحة الإرهاب بالمكتب الميداني بأحد المراكز، قال هذا المسؤول «قد سمعت عنها» ولكني لم أرها قط. وبعد اطلاعه عليها قال إنه لم تكن لديه «أدنى فكرة» عن أن لدى «كير» تاريخاً مثل هذا، وأضاف أنه لو كان يعلم بذلك لما

تواصل مع تلك المنظمة[86].

شجب الإرهاب

قبل أحداث الحادي عشر من سبتمبر كانت المنظمات الأمريكية التي تعود أصولها إلى حركة الإخوان المسلمين تتخذ موقفاً هلامياً حيال الجماعات الإسلامية المتورطة في الأفعال التي تسميها الولايات المتحدة إرهابا. وبينما كانت تلك المنظمات تشجب وتدين أعمال العنف بشكل عام فإنها لم تفتأ تشيد بالعمليات التي تقوم بها حماس وحزب الله، وتؤيد مواقف المنظمات التي تسمها الولايات المتحدة بالتطرف. نقرأ في مقال نشرته «إسلاميك هورايزون»، المطبوعة الرسمية للجمعية الإسلامية لأمريكا الشمالية (ISNA) في عددها الصادر في مارس/أبريل 1996م «على أطفال المسلمين أن يعرفوا ويتشرفوا ليس فقط بأولئك الشهداء الذين يضحون بحياتهم في الجزائر والبوسنة والشيشان وكشمير وفلسطين ومندناو، بل أيضا أولئك الذين يستشهدون في سبيل إرساء كلمة الله على الأرض التي تخضع لأهواء الطغاة»[87]. وفي يوليو 1999م، بعد سنة واحدة من تفجير تنظيم القاعدة لسفارتين أمريكيتين في شرق أفريقيا، أشارت «الطالب»، الصحيفة التي يصدرها «اتحاد الطلاب المسلمين» (MSA) بجامعة كاليفورنيا – لوس انجلوس، إلى أسامة بن لادن على أنه «مجاهد عظيم (الذي يجاهد في سبيل الله)» ودعت الصحيفة القراء إلى «الدفاع عن أخينا» أسامة بن لادن و«الإشارة إليه كمناضل من أجل الحرية، وهو

---

(86) مقابلة مع أحد مسئولي مكتب التحقيقات الفدرالي، واشنطون دي سي، ديسمبر 2007م.
(87) Islamic Horizons (March/April 1996).

الذي تخلى عن الثروة والجاه من أجل الجهاد في سبيل الله ومجاهدة الطغاة»[88].

ولكن على الرغم من ذلك فقد شاركت كل من «كير» والجمعية الإسلامية لأمريكا الشمالية (ISNA) والمنظمات التابعة لها، بعد أحداث الحادي عشر من سبتمبر، في حملة لإدانة الإرهاب وخاصة ما يقوم به تنظيم القاعدة. وبعد خمسة أيام من الهجوم حجزت «كير» صفحة كاملة بصحيفة «واشنطن بوست» لنشر إعلان يشجب تلك الهجمات[89]. كما أطلقت «كير» مبادرة أسمتها «ليس باسم الإسلام»، وهي عبارة عن عريضة جرى نشرها على الإنترنت تشجب وتدين كل الأعمال الإرهابية، وقد جمعت أكثر من 700،000 توقيع على تلك العريضة[90]. كما أصدر «المجلس الفقهي لشمال أمريكا»، الهيئة الشرعية للشبكة، «فتوى» تدين الإرهاب بل وتجيز للمسلمين الأمريكيين أن يقاتلوا مع الجيش الأمريكي في أفغانستان[91]. كما شدد مسؤولو الجمعية الإسلامية لأمريكا الشمالية (ISNA) أن على المسلمين مسؤولية إدانة «العنف السياسي الذي يرتكب باسم الإسلام» بل وأضافت حماس وحزب الله إلى الجماعات التي يجب ألا تقبل العمليات التي تقوم بتنفيذها[92]. وفي نهاية الأمر أعربت كل

---

(88) Al Talib (July 1999).

(89) "CAIR's Anti-Terrorism Campaigns," http://www. cair. com/AmericanMuslims/AntiTerrorism. aspx (accessed April 4, 2009).

(90) " http://www. cair. com/AboutUs/25FactsAboutCAIR. aspx (accessed March 30,2009)

(91) http://www. fiqhcouncil. org/FatwaBank/tabid/176/ctl/Detail/mid/600/xmid/25/xmfid/3/Default. aspx (accessed March 30, 2009).

(92) Ingrid Mattson, "My Islam: Freedom and Responsibility," Islamica Magazine 20 (2007): 52, http://www. isna. net/articles/Press-Release/ISNA-STATEMENT-OF-PO-

المنظمات بالشبكة عن رغبتها في مساعدة السلطات بأية طريقة ممكنة لمنع الهجمات الإرهابية ومكافحة التطرف داخل المجتمع الأمريكي المسلم.

من جهتهم أعلن ناقدو تلك المنظمات أن ما صدر عنها من بيانات شجب وإدانة ما هو إلا نوع من التظاهر والتكتيكات الذكية التي فرضتها أجواء ما بعد الحادي عشر من سبتمبر. ففي رأيهم أنه مع الحملات التي يشنها مكتب التحقيقات الفيدرالي وكل أجهزة السلطة الأمريكية لملاحقة الإرهابيين، يبقى أمام الإخوان المسلمين الأمريكيين الجدد خياران: إما أن يكونوا جزءاً من المشكلة وإما أن يكونوا جزءاً من الحل. وإذا اختاروا الثانية، أي أن يصبحوا قوة معتدلة قد تعترض على بعض السياسات الأمريكية الخارجية ولكنها ترفض الإرهاب جملةً وتفصيلا، فإن ذلك سيعزز موقفهم ويزيد من نفوذهم لدى الحكومة الأمريكية ومؤسساتها، عندها فقط يصبحون ممثلين حقيقيين لمسلمي أمريكا.

وفي هذا الصدد يشير الناقدون إلى عدة تناقضات في مواقف الإخوان الأمريكيين بما يدعو إلى المزيد من الشك. ففي بعض الحالات، كُشف عن أفراد من منظمات الشبكة التي أعلنت إدانتها للإرهاب عند مخاطبتها للأمريكيين وهم يعلنون خلاف ذلك في مجالسهم الخاصة أو عندما يجولون في دول الشرق الأوسط. فحالة عبد الرحمن العمودي رئيس «المجلس الإسلامي الأمريكي» (AMC) الذي يقضي الآن عقوبة بالسجن لمدة ثلاثة وعشرين عاما لمشاركته في عمليات القاعدة، خير

SITION-Who-we-are-and-what-we-beleive. aspx (accessed March 30, 2009).

دليل على تلك الدراما إن لم تكن الحالة الوحيدة. ويتخذ الناقدون من قضية صلاح سلطان مثالاً آخر للطبيعة المزدوجة للإخوان الأمريكيين الجدد. فسلطان، المقيم في كولومبوس - أوهايو، عضو بمجلس أمناء جمعية المسلمين الأمريكيين (MAS) وعضو بالمجلس الأوربي للإفتاء والبحوث، وأحد الموقعين على فتوى مجلس الفقه لأمريكا الشمالية التي تدين الإرهاب[93]. وفي مايو 2006م، وبعد أقل من عام من توقيعه على تلك الفتوى، ظهر على قناة «الرسالة» التلفزيونية السعودية وتحدث بالعربية قائلاً إنه لا يعتقد أن القاعدة وراء هجمات الحادي عشر من سبتمبر وقال «إن العملية كبيرة ولا أستبعد أن تكون قد دبرت داخل الولايات المتحدة بهدف تمكينها من السيطرة على كل العالم وترهيبه، ولإقناع الشعب الأمريكي للموافقة على إعلان الحرب على الإرهاب الذي لم يجدوا له تعريفاً حتى الآن»[94].

على الرغم من أن حالات مثل حالة العمودي وسلطان تعكس المواقف المزدوجة للإخوان المسلمين الأمريكيين حيال الإرهاب، فإنها ليست الوحيدة. ومن ناحية أخرى يقول المتشائمون إن الإدانات المتكررة من قبل هذه الجماعات لكل الإجراءات القانونية التي تتخذها السلطات

(93) Fiqh Council of North America Issues Fatwa Against Terrorism, http://www. theamericanmuslim. org/tam. php/features/articles/fiqh_council_of_north_america_issues_fatwa_against_terrorism/ (accessed April 8, 2009), Sultan's biography, http://www. islamonline. net/livedialogue/english/Guestcv. asp?hGuestID=kf1572 (accessed April 8,2009), Salah Sultan's personal Web site, http://www. salahsoltan. com/main/index. php?_5nm (accessed May 28, 2009)

(94) "Columbus, Ohio Muslim Leader Says 9/11 Planned by Americans, Praises the Wanted Al-Qaeda-Linked Yemenite Sheikh Al-Zindani," MEMRI Special Dispatch 1168, May 19,2006.

بعد أحداث الحادي عشر من سبتمبر لا تمثل فقط دليلاً آخر على تلون مواقف تلك الجماعات بل تشكل أيضا عائقا لجهود مكافحة الإرهاب. فمنظمة «كير» على وجه التحديد ظلت وباستمرار تتشكك في قانونية الاعتقالات التي كانت تتم لناشطي القاعدة داخل الولايات المتحدة وتعزو تلك الإجراءات الحكومية إلى العنصرية، الممارسات القذرة للشرطة الأمريكية، و«سياسة عامة تستهدف المسلمين لأنهم مسلمون»[95]. وفي حالات كثيرة، خاصةً عندما تستهدف إجراءات مكافحة الإرهاب أشخاصاً أو منظمات داخل الولايات المتحدة يرتبطون بحماس، يردد مسؤولو «كير» أن الحكومة الأمريكية لا تمارس «حرباً على الإرهاب» بل «حرباً على الإسلام». ويرى كثيرون أن مثل هذا التمييز سوف يكون له أثر مدمر في مشاعر المسلمين داخل الولايات المتحدة وخارجها[96].

(95) Dan Mihalopoulos, "Abuse of Post-9/11 Detainees Detailed," Chicago Tribune, July 22,2003.

(96) في 4 ديسمبر 2001م، وبعد تجميد أموال مؤسسة الحرمين، أعلنت «كير»: «ندعو الرئيس بوش بوقف تلك الإجراءات التي نعتبرها غير عادلة وسوف تؤثر على مصداقية أمريكا لدى المسلمين في هذا البلد وبكل أنحاء العالم وتعطي انطباعا بأن أمريكا قد انتقلت من الحرب على الإرهاب إلى الحرب على الإسلام. » أنظر النشرة الإعلامية التي وزعتها «كير» في 4 ديسمبر 2001م تحت عنوان «احتجاج مسلمي الولايات المتحدة على تجميد أموال الجماعة»، وذلك على الموقع:

http://lists.madimc.org / pipermail / mapc-discuss / 2001-December / 000370.html (accessed April 8,2009).

في ديسمبر 2002، وبعد اعتقال أربعة أشخاص في دالاس اتهمتهم السلطات الأمريكية بتمويل حماس، أصدرت «كير» في دالاس نشرة صحفية جاء فيها: «نعتقد بأن تلك الإجراءات تأتي ضمن سياق الإجراءات التعسفية التي اتخذتها وزارة العدل. ونحن، مسلمو أمريكا أصبحنا في موقف صعب لا يمكننا من الدفاع عن السياسة الخارجية لحكومتنا ولا عن سياستها الداعية لمحاربة الإرهاب ونحن نواجه ذات الحرب علينا من قبل مؤسساتنا المناطة بحفظ الأمن وتطبيق القانون»، أنظر:

"DFW Muslim Leaders Issue Statement Regarding Elashi Family Arrests," CAIR-Dallas press release, December 19,2002, http://www.faithfreedom.org / forum2 / viewtopic.php?t=2810&sid=271e44f238356ca4d63c67a56824f933 (accessed April 8, 2009).

على الرغم من عدم رضاهم عن مثل تلك التصريحات، فإن مسؤولي مكتب التحقيقات الفيدرالي، خاصةً من هم على قمة الجهاز، لا يتجاهلون أهمية أن تأتي الإدانة لتنظيم القاعدة من قيادات المسلمين الأمريكيين. حيث يقول أحد كبار ضباط مكتب التحقيقات الفدرالي السابقين «قد تدين «كير» الإرهاب لأغراض ذاتية مثل أن يجدوا قبولاً لدى مكتب التحقيقات الفدرالي والحكومة الأمريكية وأجهزة الإعلام، ولكنه على كل حال أفضل من ألا يفعلوا. » ويمضي قائلاً «هب أنهم بعد أحداث الحادي عشر من سبتمبر لم ينبسوا ببنت شفة، أو أنهم، فعلوا ما هو أسوأ، وأعلنوا دعمهم للقاعدة»(97). إن إدانة الإرهاب علناً، أكان تكتيكياً أم من القلب، هو أمرٌ يساعد مكتب التحقيقات الفيدرالي في إنجاز مهمته المتمثلة في دحر الإرهاب ومنع أية هجمات إرهابية. يعينه على ذلك دعوة الإخوان لمسلمي أمريكا لرفض العنف.

القناعة

لفهم العلاقة الحميمة بين مكتب التحقيقات الفيدرالي و «كير» والجماعات التابعة لها فلا بد من فهم الوضعية التي وجد المكتب نفسه عليها بعد أحداث الحادي عشر من سبتمبر. مع حدوث الهجمات نقل المكتب جل اهتماماته وموارده إلى محاولة القبض على أعضاء خلايا الإرهاب الذين يتخفون داخل مجتمعات لا يعرف المكتب عنها كثيراً. فكما حدث عندما حاول الدخول إلى عالم المافيا الإيطالية، بدأ المكتب في جمع المعلومات وتحديد مصادرها لتكوين معرفة حول طبيعة ذلك

---

(97) مقابلة مع أحد مسئولي مكتب التحقيقات الفدرالي السابقين ، واشنطون دي سي، يونيو 2008.

المجتمع (مجتمع عرقي كما في حالة المافيا وديني كما في حالة المجتمع المسلم) لتأسيس شراكة وليس عداوة معه. لقد أصبحت إجراءات تطبيق القانون بطريقة وحشية هي السمة السائدة بعد أحداث الحادي عشر من سبتمبر ولكن الشراكة مع المجتمع، التي تقوم على المصالح المشتركة بينه وبين سلطات حفظ الأمن لمنع حدوث أعمال عنف وما يتوقع من ردود أفعال معادية للمسلمين، أصبحت عنصراً ضرورياً في استراتيجية مكافحة الإرهاب[98].

لقد واجه مكتب التحقيقات الفيدرالي، ومنذ البداية، إضافة إلى الصعوبات الجمة التي اعترضت تكوينه لمعرفة مؤسسية حول الإسلام والإسلاموية، تحدياً حقيقياً في كسب ود المجتمعات المسلمة. فكشأن معظم المسلمين المهاجرين في أوروبا، جاء المهاجرون المسلمون إلى أمريكا من دول اشتهرت مؤسساتها القانونية والأمنية بالفساد والوحشية وفقدان الثقة بينها وبين شعوبها. تلك الصور جعلت هؤلاء المهاجرين يعانون الخوف من أية جهة أمنية أو استخباراتية ما جعل التأسيس لعلاقة تعاون بين الأجهزة الأمنية الغربية والمجتمعات الإسلامية المحلية أمراً بالغ الصعوبة. ومن ناحية أخرى كان الانطباع السائد حول مكتب التحقيقات الفدرالي وفي أوساط المجتمعات المسلمة أنه جهاز شديد النفوذ والسطوة وأن همه الرئيسي هو «إخراج المسلمين». وقد ساهم في خلق هذه الصورة لمكتب التحقيقات الفيدرالي بعض أفلام هوليود وبعض الأساطير والحكايات التي تروى هنا وهناك بالمناطق الحضرية من دون إدراك لقدرات وأهداف هذا الجهاز الحقيقية، وقد شكل ذلك تحدياً آخر

(98) مقابلة مع بعض مسؤولي مكتب التحقيقات الفدرالي السابقين ، واشنطون دي سي، يونيو وأكتوبر 2008.

للمكتب في محاولاته لكسب ود المجتمعات المسلمة.

أصبح الحل الوحيد المتاح لمكتب التحقيقات الفيدرالي هو إيجاد شخصيات نافذة بتلك المجتمعات المسلمة لمساعدته في مساعيه. ولكن تلك أيضاً لم تكن بالمهمة السهلة. فالمسلمون في أمريكا كُثُر ويعيشون مشتتين بكل الولايات والغالبية العظمى منهم لا يجمعهم أي تنظيم ديني موحد. باستثناءات قليلة، فإن الجماعات الوحيدة التي لها طابع قومي وقادرة على إدارة مكاتب رسمية لها في واشنطن وفروع أخرى بمختلف الولايات كانت تلك التي تنتمي لتنظيم الإخوان المسلمين الأمريكيين الجدد. فهؤلاء الإخوان الجدد كانوا هم الجماعة الوحيدة التي لديها الوسائل والحوافز لخلق تنظيمات قومية عالية التنظيم. فعلى الرغم من قلة عضويتها - أعلنت «كير» في عام 2006م أن أعضاءها لا يجاوز عددهم 1،700 عضو، على الرغم من ادعائها سابقا لأرقام أكبر من ذلك- وأن هؤلاء الأعضاء على قلتهم لا يمثلون قطاعات واسعة من المجتمع المسلم (مثل الإيرانيين والأمريكان الأفريقيين)، فإن تلك المنظمة كانت نسبياً أفضل من غيرها في تمثيل المجتمع المسلم في أمريكا، فهي على الأقل تمتلك الهيكل التنظيمي الذي يجعلها تدعي ذلك[99].

مع إدراكها لكل تلك الصعوبات قررت قيادة مكتب التحقيقات الفيدرالي أن عليها -على الأقل في الوقت الحالي-الاعتماد على «كير» ومنظماتها لكونه الخيار الوحيد المتاح في ظل الغياب الكامل لأية صلات

(99) Audrey Hudson, "CAIR Concedes Membership Down," Washington Times, August 22, 2007.

أخرى مع المجتمع المسلم. فقد صرح المدير المساعد للشؤون العامة بمكتب التحقيقات الفيدرالي جون ميللر في لقاء مع راديو ناشونال ببليك بقوله «أعتقد أن المجتمع ينظر إلى الجماعات الكبيرة - مثل الجمعية الإسلامية لأمريكا الشمالية (ISNA)، ومجلس الشؤون العامة للمسلمين (MPAC)، أو أية جماعات أخرى مثل لجنة العرب الأمريكيين لمكافحة التمييز (AADC) كوكلاء موثوقين» ومضى إلى القول «إن حقيقة أنهم يتحدثون إلينا ونتحدث إليهم سوف يتيح لمكتب التحقيقات الفيدرالي الدخول إلى تلك المجتمعات. ولكن علينا أن نعترف بوجود بعض الريبة وعدم الاطمئنان خلال تلك المحادثات»(100). فعلى الرغم من احتدام النقاش داخل مكتب التحقيقات الفدرالي حول تلك المسألة فإن الإدارة العليا للمكتب اتخذت قرارها بدعم تلك الشراكة التي عدتها ذات قيمة كبيرة في استراتيجيتها لمكافحة الإرهاب. فقد جاء على لسان ميللر خلال إدلائه بشهادته أمام إحدى لجان الكونغرس «لدينا الآن شركاء وسط العرب الأمريكيين والمجتمعات المسلمة. بعضهم أصبحوا حلفاء يدعمون علناً جهودنا لمكافحة الإرهاب. لقد صاروا لنا جسراً إلى أولئك الذين ينظرون إلى مكتب التحقيقات الفيدرالي باحتقارٍ وازدراء أو في أسوأ الأحوال، بخوف»(101).

وعلى الجانب الآخر اغتنمت منظمات الإخوان الأمريكيين الفرصة وطرحوا أنفسهم على أنهم الشركاء المثاليون الذين تبحث عنهم الحكومة.

---

(100) Interviewed on NPR, May 16, 2007.

(101) "Countering Radicalization," FBI Web site, http://www. fbi. gov/page2/may07/radicalization051007. htm (accessed April 2, 2009).

يقول السيد لؤي صافي في هذا الصدد «يمكن للمسلمين الأمريكيين تقديم كثير من العون في مكافحة الإرهاب والتطرف، وفي تضييق الهوة بين الولايات المتحدة والعالم الإسلامي. فالمسلمون الأمريكيون لديهم فهم عميق للثقافتين الأمريكية والإسلامية وبالتالي فهم قادرون أكثر من غيرهم على تحقيق التآلف بين الإسلام والغرب»[102]. وقد وجد هذا الطرح قبولاً كبيراً لدى المسؤولين الأمريكيين الذين ظلوا يحاولون نقل صورة مشرقة عن بلادهم إلى المسلمين في أمريكا وفي كل أنحاء العالم. ولكن صافي الذي عمل مدير أبحاث لدى «المعهد العالمي للفكر الإسلامي» (IIIT) ومديراً تنفيذياً لمركز تطوير القيادة لدى «الجمعية الإسلامية لأمريكا الشمالية» (ISNA) ورئيساً لجمعية علماء الاجتماع المسلمين (AMSS) كان يعلم بأنه ليس كل المسلمين في أمريكا ينتمون إلى هياكل تنظيمية مما يجعلهم شركاء نظاميين للحكومة الأمريكية، فهذه الميزة متوفرة فقط لدى الإخوان المسلمين الجدد في أمريكا[103].

حيث إنه لم تصدر توجيهات رسمية من مقر مكتب التحقيقات الفيدرالي في ذاك الخصوص فإن الأمر قد ترك للمكاتب الميدانية الستة والخمسين لتحديد كيفية التعاطي مع المجتمعات المسلمة المحلية[104]. ففي بعض الحالات تمكنت المكاتب الميدانية من الوصول إلى قطاع عريض

(102) Louay Safi, Blaming Islam: Examining the Religion Building Enterprise, report for the Institute for Social Policy and Understanding, 2006, 5.

(103) Louay Safi's personal Web site: http://louaysafi. com/content/view/9/37/ (accessed April 8, 2009).

(104) Interview with FBI Officials, Washington, D. C. , October 2008 and June 2009, Marisa Tylor, "FBI Struggles to Win Trust of Muslim, Arab Communities," McClatchy Newspapers, November 21, 2006.

من المحادثين شملت منظمات الإخوان الجدد وأصوات أخرى من أئمة المساجد إلى ممثلي الجماعات العرقية. مكاتب ميدانية أخرى اعتمدت بشكل كبير على تنظيمات الإخوان القائمة. وعلى المستوى الفيدرالي اتبعت سياسة مشابهة تركزت في جماعة الإخوان الوحيدين الذين لديهم تنظيمات راسخة على المستوى القومي.

أحد أهم العوامل التي تحدد قرارات مكتب التحقيقات الفيدرالي حول التعامل مع تنظيمات الإخوان المسلمين الأمريكيين الجدد هو التفويض الممنوح للمكتب من السلطات التشريعية. فالتوجيهات الصادرة من النائب العام تحدد رسالة مكتب التحقيقات الفيدرالي في التحقيق بشأن خرق القوانين الفدرالية واستخدام كل الوسائل التي يتيحها القانون لمنع الهجمات الإرهابية وجمع المعلومات الاستخباراتية حول أية نشاطات إرهابية محتملة[105]. فمكتب التحقيقات الفيدرالي، إذن، ليس كمثل أجهزة الاستخبارات الأوروبية، تتركز مهمته فقط في جانب التطرف والعنف والنشاطات التي قد تقود إلى أفعال إجرامية. عليه فإن نشاطات شبكات الإخوان المسلمين التي لا تهدف إلى استخدام العنف داخل الولايات المتحدة لا تقع ضمن التفويض الممنوح لمكتب التحقيقات الفيدرالي. ضمن هذا الإطار قد يحقق مكتب التحقيقات الفيدرالي مع أية جماعة داخل شبكة الإخوان يشتبه في جمعهم لتبرعات لمنظمة إرهابية، كما في حالة مؤسسة الحرمين (HLF)، أو أن يشارك أعضاؤها في نشاطات إجرامية، مثل حالة عبد الرحمن العمودي. ولكن بشكل عام

(105) The Attorney General's Guidelines for Domestic FBI Operations, http://www. justice. gov/ag/readingroom/guidelines. pdf (accessed June 16, 2009).

فإن جماعات الإخوان الذين لا يشكلون تهديداً لأمن الولايات المتحدة لا يشكلون هدفا لعمليات مكتب التحقيقات الفيدرالي[106].

من ناحية أخرى، وكما ثبت من جملة من التحقيقات الحكومية، فإن مكتب التحقيقات الفيدرالي تعوزه القدرات التحليلية التي تمكنه من التوصل إلى تقييمات استراتيجية حول شؤون الأمن القومي[107]. فعلى الرغم من توظيفه كوادر تحليلية ذات كفاءات عالية فإن الجهاز بطبيعته وتقاليده ظل مجرد مؤسسة «بنادق وسيارات» تنحصر مهمته في اعتقال المجرمين والإرهابيين بدلاً من النظر بعمق إلى المتجهات المستقبلية والتهديدات المحتملة ذات الطبيعة السياسية. وقد تجلى ذلك في جلسات الاستماع التي عقدها مجلس الشيوخ في سبتمبر 2007م لبحث تعاون الحكومة مع «كير» والجمعية الإسلامية لأمريكا الشمالية (ISNA) بعد تصنيفهم كمتآمرين غير مدانين وبعد الإفراج عن وثائق محاكمة مؤسسة الحرمين. فقبل أيام من انعقاد جلسة الاستماع قام محلل هيئة الأركان في البنتاغون ستيفن كوغلين الذي دبج تحليلاته بناءً على تلك الوثائق بتوزيع مذكرة رسمية على الدوائر الحكومية حول محاكمة مؤسسة الحرمين تصنف المنظمات التي ثبت تورطها على أنها «مصادر تهديد» مشاركة في عمليات تخريب داخلي. كما حذر كوغلين، الذي أثار تقريره جدلاً حامياً، من أن التعاون مع مثل تلك المنظمات «قد يؤدي بأولئك الذين يتولونه إلى

---

(106) مقابلة مع رتشارد ماركيز ، أحد كبار عملاء مكتب التحقيقات الفدرالي السابقين، بوسطن ، مارس 2009.

(107) أنظر، كمثال، تقرير اللجنة حول القدرات الاستخباراتية للولايات المتحدة الأمريكية بخصوص أسلحة الدمار الشامل ، 31 مارس 2005، حيث جاء بالصفحة 454 من التقرير أن «مكتب التحقيقات الفدرالي لا يزال بعيدا عن امتلاك قدرات تحليلية تكفي للقيام بدوره في حفظ الأمن الداخلي. فعلى الرغم من أن التحليلات التكتيكية للمكتب قد أحرزت تقدما ملحوظاً فلا تزال القدرات الإستراتيجية للمكتب متخلفة في عن التوصل إلى تحليلات حول القضايا الأمنية المستقبلية. »

الاستنامة إلى تلك العلاقة مع هذه المنظمات ما يجعلهم يفقدون السيطرة على الأحداث المحيطة بل ويفقدون الرؤية كلياً»[108].

في مداخلته أمام لجنة مجلس الشيوخ حول تلك المسألة رد مدير مكتب التحقيقات الفيدرالي روبرت مويلر بأن المكتب لا يخوض حرب أفكار وأن العلاقة مع منظمات مثل «كير» تمثل جزءاً مهماً من استراتيجيتنا لمكافحة الإرهاب. وعند سؤاله عما إذا كان ضمن مسئوليات مكتب التحقيقات الفيدرالي التحقق من الخلفية الفكرية للمنظمات التي يتعامل معها ومخاطر التعاون مع مثل تلك المنظمات أجاب «إجابتي هي: لا، فليس من اختصاصنا (عند التعامل مع جماعة من أي خلفية دينية) أن نقحم أنفسنا في صراع أفكار مع تلك الجماعات.» إن مسؤولية مكتب التحقيقات الفيدرالي تنحصر في أن «نوضح للجميع بأنه متى تجاوز أحدهم الخط الأحمر، فإننا لا ندرج ذلك ضمن حرب الأفكار بل ضمن الجرائم الجنائية فنتخذ الإجراءات اللازمة حياله.... ونستعين في ذلك بأية جماعة دينية قد تساعدنا في التحقيق مع من تجاوزوا الخط الأحمر وإدانتهم»[109]. لقد أوضح مويلر أن أولوية مكتب التحقيقات الفدرالي هي إقامة علاقات جيدة مع المجتمع المسلم بغرض جمع المعلومات حول أية نشاطات إرهابية محتملة. أما مضاعفات تلك العلاقة وما قد تجره من مشكلات بمنح الشرعية والقوة لتلك المنظمات الإسلامية، فإن ذلك أمر خارج الصلاحيات المفوضة لمكتب التحقيقات الفيدرالي.

---

(108) "Inside the Ring," Washington Times, September 14, 2007.

(109) المرجع السابق.

إن التركيز الضيق لمكتب التحقيقات الفيدرالي في موضوع الإرهاب هو، في أغلب الظن، نتاج لماضي هذا الجهاز. فخلال عقود الخمسينات والستينات من القرن العشرين قام الجهاز باتباع تكتيكات صارمة وشديدة الوطء، بل ومخالفة للقانون في بعض الأحيان وذلك لمراقبة ومكافحة الحركات التي تعتبر «مناوئة لأمريكا» من المنظمات الشيوعية (أو المشتبه في كونها شيوعية) إلى النشطاء الأمريكيين من ذوي الأصول الأفريقية بمن فيهم مارتن لوثر كنج. وفي العقود التالية قامت عدد من لجان الكونغرس، بمن فيها لجنة الكنائس الشهيرة، بالتحقيق في مخالفات مكتب التحقيقات الفيدرالي، ونجم عن ذلك التحقيق صدور قوانين تشريعية للحد من قدرة الجهاز على ملاحقة ما أسماها الجماعات «الهدامة». ومنذ ذلك التاريخ أصبح عمل مكتب التحقيقات الفيدرالي محدداً بقيود قانونية صارمة وتسوده ثقافة مؤسسية تمنعه من التركيز في أية قضية خارج الأفعال الإجرامية وما يتهدد الأمن القومي. ومن ناحية أخرى، ففي حالة شبكات الإخوان، فأية محاولة لتقييم أفكارهم سوف تحتم اتخاذ موقف حول قضايا بالغة الحساسية بخصوص أقليات دينية أو عرقية، وهذه ورطة سياسية يحاول مكتب التحقيقات الفيدرالي تجنب الخوض فيها.

الأهداف الشخصية

كما هو الحال في أية مؤسسة أخرى، يحاول موظفو مكتب التحقيقات الفيدرالي اتباع أساليب تحقق أهداف الجهاز وفي الوقت نفسه تحقق أهدافهم الشخصية في الترقي الوظيفي. ففي سياق تعاطيه مع

القضايا الجنائية، يولي مكتب التحقيقات الفيدرالي اهتماماً كبيراً لتقييم أداء عملائه بحساب عدد الاعتقالات والإدانات التي حققوها. يتجلى ذلك فيما كشفت عنه محاكمات مؤسسة الحرمين وذلك الكم الهائل من القضايا التي حيكت حول المنظمات المرتبطة بجماعة الإخوان المسلمين التي كان مصدرها مكتب التحقيقات الفيدرالي منذ أحداث الحادي عشر من سبتمبر. ولكن عملاء الجهاز يعلمون أن تقدمهم الوظيفي وحصولهم على معدلات أداء أفضل يكون من خلال توليهم التحقيق في قضايا أخرى تهدد الأمن القومي بصورة مباشرة، ليست معقدة، ولا تستهلك وقتاً طويلاً لإكمال التحقيقات حولها وأقل حساسية سياسية. ففي منظمة تقيم أعمال موظفيها بناءً على تحقيقهم للإدانات والبقاء بعيداً عن القضايا الفكرية الشائكة فإن التحقيق بشأن شبكة الإخوان المسلمين لا يحقق لهؤلاء العملاء ترقياً سريعاً في عملهم كما جاء في كلمات أحد العملاء السابقين «التحقيق مع المجاهدين يجلب لك الترقية، التحقيق مع الإخوان يجلب لك الصداع»[110].

إن أولويات كبار المسؤولين عن العلاقات مع المنظمات والجماعات بمكتب التحقيقات الفيدرالي هي الأخرى مختلفة تماما. فالضباط المسؤولون عن إقامة علاقات مع المجتمع المسلم أو أية جماعة دينية أو عرقية أخرى يتم تقييمهم بناءً على عدد اللقاءات التي عقدوها في كل عام مع أفراد تلك الجماعات. وعلى الرغم من ضرورة فحص من يتم اتخاذهم شركاء في تلك المجتمعات فإن لدى ضباط العلاقات الكثير من الحوافز البيروقراطية لجمع أكبر عدد من المدعوين من دون الاهتمام بجانب

---

(110) مقابلة مع أحد المسؤولين السابقين بمكتب التحقيقات الفدرالي، واشنطون دي سي ، يونيو 2009.

الفحص لتلك العناصر. إن عبارة «القناعة» تلخص طريقة عمل هؤلاء الضباط، فبمجرد توصلهم من خلال التحقيقات إلى أن هؤلاء المدعوين ليسوا بمجرمين أو إرهابيين فإنهم لا يكونون راغبين في طرح أسئلة عميقة حول طبيعة المنظمة التي ينتمون إليها أو التداعيات المستقبلية لجهودهم مع تلك التنظيمات. إن التوتر بين قسم الحقوق المدنية التابع لوزارة العدل وإدارة مكافحة الإرهاب بعد تصنيف «كير» والجمعية الإسلامية لأمريكا الشمالية (ISNA) كمتآمرين غير مدانين أثناء محاكمة مؤسسة الحرمين، يقف مثالاً حياً لتلك الظاهرة[111]. وكثير من أمثلة تلك الممارسات ما زالت تحكم عمل مكتب التحقيقات الفيدرالي.

التغييرات؟

في نوفمبر 2008م توصل أحد قضاة دالاس إلى أن كل المتهمين في قضية مؤسسة الحرمين مذنبون بتقديمهم لمساعدات مادية إلى منظمة أجنبية متهمة بالإرهاب، ثم أحيلت القضية إلى القاضي الفيدرالي الذي اتخذ بحق هذه المجموعة أحكاماً قضائية قاسية – شملت الحكم على شكري أبو بكر وغسان العشي بالسجن لمدة خمسة وستين عاماً[112]. ولكن تداعيات تلك المحاكمة كانت أكبر من ذلك. ففي خريف 2008م قطع مكتب التحقيقات الفيدرالي علاقاته كلياً مع «كير»، حيث أرسل خطابات رسمية إلى مكاتبه الميدانية يأمرهم بوقف أية لقاءات مع جميع قطاعات

---

(111) مقابلة مع جيفري برينهوت، نائب رئيس قسم مكافحة الإرهاب بوزارة العدل الأمريكية، واشنطن دي سي، يونيو 2009.

(112) نشرة صحفية صادرة عن وزارة العدل الأمريكية حول الأحكام الصادرة بحق قيادات مؤسسة الحرمين، 27 مايو 2009، بالموقع:

http://www. usdoj. gov/opa/pr/2009/May/09-nsd-519. html (accessed June 9, 2009).

المنظمة «لحين معالجة بعض الأمور من قبل الإدارة العامة لـ «كير»[113]. وفي خطاب أرسله إلى أعضاء الكونغرس برر مكتب التحقيقات الفيدرالي قراراته تلك بالأدلة التي كشفت عنها محاكمة مؤسسة الحرمين، مشيرين إلى أنه «لحين التأكد من استمرار صلات «كير» أو مسؤوليها بحركة حماس، فإن مكتب التحقيقات الفيدرالي لا يعتبر «كير» شريك اتصال ملائماً»[114]. وقد لاقى القرار ترحيبا من بعض أعضاء الكونغرس الذين قالوا إن هكذا قرار يجب أن يتخذ كسياسة عامة من قبل الحكومة[115]. أما منظمات «كير» فقد كان رد فعلها عنيفاً واتهمت مكتب التحقيقات الفيدرالي باتباع «تكتيكات مكارثية» وهددوا بقطع علاقاتهم بالجهاز[116]. الجمعية الإسلامية لأمريكا الشمالية (ISNA) من ناحيتها أصدرت بياناً صحفياً جاء فيه أن قرار مكتب التحقيقات الفيدرالي بقطع علاقاته مع «كير»، التي وصفها البيان بـ «المنظمة الشقيقة المحترمة»، سوف يؤدي إلى «تهميش المنظمات الإسلامية الرئيسية. »[117] لقد أثير كثير من الشكوك حول قرار مكتب التحقيقات الفيدرالي، الذي كان مطلعاً على معلومات محاكمة مؤسسة الحرمين منذ منتصف التسعينات، فلماذا اتخذ الجهاز قراره ذلك بعد انتهاء المحاكمات وصدور الأحكام. إن الإبقاء على هذا القرار

---

(113) Joseph Abrams, "FBI Cuts Ties with CAIR Following Terror Financing Trial," Fox News, January 30,2009.

(114) رسالة من رتشارد سي باورز ،مساعد مدير مكتب التحقيقات الفدرالي ، مكتب شئون الكونغرس ، إلى عضو مجلس الشيوخ جون كيل ، 28 أبريل 2009.

(115) أنظر ، كمثال، خطاب كتبه أعضاء مجلس الشيوخ تشومر (عن الحزب الديمقراطي – نيويورك) وكيل (عن الحزب الجمهوري – أريزونا) إلى مكتب التحقيقات الفيدرالي يعلنون فيه عن تضامنهم مع قرار المكتب.

(116) http://www. icna. org/index. php?option=com_content&view=article&id=80 (accessed March 30, 2009).

(117) "A Call for FBI Accountability," http://www. isna. net/articles/News/A-Call-for-FBI-Accountability. aspx (accessed March 31, 2009).

وتحوله إلى سياسة تنتهجها الحكومة الأمريكية في تعاملها مع منظمات الإخوان الأمريكيين الجدد أمرٌ لا يمكن البت فيه. لقد تبنت الولايات المتحدة،جزئيا بسبب جهازها البيروقراطي المتشابك، استراتيجيات تقييم وارتباط شديدة الغرابة، راوحت بين شراكات متحمسة مع منظمات الإخوان وتطبيق صارم لقانون ملاحقة زعماء الإخوان. وهكذا يصعب التنبؤ بالاتجاه الذي سوف يسير فيه كلٌ من أجهزتها المتشعبة في المرات القادمة.

في ذات السياق، يصعب التنبؤ باتجاه سير منظمات الإخوان الأمريكيين الجدد. ففي عقد التسعينات أطلق زعماء الشبكة آراء مشابهة لتلك التي عبر عنها أكرم. يقول إحسان باغبي، مدير قسم التربية في الجمعية الإسلامية لأمريكا الشمالية (ISNA) وعضو مجلس إدارة «كير»: «في نهاية الأمر لن نكون أبداً مواطنين يتمتعون بكامل حقوق المواطنة في هذا البلد. وذلك لأننا لن نستطع أبداً أن نلتزم الولاء لمؤسساته. يمكن أن نكون مواطنين فقط في محاولاتنا للتأثير في السياسية الأمريكية»[118].

أما اليوم فإن المواقف المعلنة لزعماء هذه المنظمات تختلف عن آراء التسعينات. فبينما هم يجاهدون من أجل المحافظة على الهوية الإسلامية للمجتمعات المسلمة في أمريكا فإنهم يتحدثون علناً عن «أمركة الإسلام» والحاجة لأن يصبح المسلمون مواطنين ناشطين وموالين لوطنهم. كما أن المنظمات المرتبطة بالشبكة أصبحت تكيل المدح لمؤسسات النظام الأمريكي حيث الناس من كل دروب الحياة يتعايشون

(118) Quoted in Johnson, "Political Activity of Muslims in America," 115.

في سلام يمارسون شعائرهم الدينية بحرية تسود بينهم قيم العدالة والمساواة. ومن جهتهم بذل مفكرو الإخوان الجدد جهوداً جبارة لتحقيق التوافق بين القيم الإسلامية ومبادئ الديمقراطية والتعددية وهم يقطعون عهداً بالولاء الكامل لأمريكا(119).

هذا التغيير في الخطاب أشعل الجدل المحتدم أصلاً بين المتشائمين والمتفائلين. لا يفوتنا هنا أن نشير إلى أن جيلاً من النشطاء الذين ولدوا في أمريكا قد بدأ يحل محل جيل المهاجرين من مؤسسي الشبكة وهم يحملون قيماً ومبادئ تختلف قطعاً عن أسلافهم. فمن غير المعقول اعتبار إنجريد ماتسون الكندية المولد، تلك السيدة اللطيفة التي صارت في عام 2006م أول عنصر نسائي يتولى رئاسة الجمعية الإسلامية لأمريكا الشمالية (ISNA) جزءاً من «العملية الحضارية الجهادية» التي أطلقها أكرم قبل عشرين عاماً. ولكن في نفس الوقت لم تخل الساحة بعد من الزعماء المؤسسين بمن فيهم من حضروا اجتماع فيلادلفيا من أنصار التدليس والخداع للمجتمع الأمريكي، فهؤلاء مازالوا ينشطون، وليس من المستبعد أن يكون ذاك الخطاب الجميل لإنجريد ماتسون هو جزء من تلك الاستراتيجية. عليه، فإن الحكومة الأمريكية، مثل نظيراتها الأوروبيات، لم تزل غير قادرة على تبين خط سير حركة الإخوان المسلمين الغربيين.

---

(119) Qamar-ul Huda, "Conflict Prevention and Peace-Building Efforts by American Muslim Organizations Following September 11," Journal of Muslim Minority Affairs 26, no. 2 (August 2006), 188.

الفصل الثامن

الإخوان والإرهاب

أيطفئون الحرائق أم يشعلونها عمداً؟

أصبحت الاعتبارات الأمنية والإرهاب منذ الحادي عشر من سبتمبر عام 2001م بمثابة المنظور الذي لا مناص عنه للاطلاع على القضايا المتعلقة بالجاليات الإسلامية في الغرب، عند التطرق إلى تلك القضايا، تحليلاً وبحثاً واستقصاءً، ذلك أن صانعي القرار السياسي انصرف اهتمامهم في أثناء الأشهر التي أعقبت الهجمات، ولأسباب مفهومة، إلى التركيز في اكتشاف الشبكات الإرهابية وتفكيكها، مخافة وقوع المزيد من الهجمات الوشيكة. إلا أنه خلال السنوات القليلة الماضية، وبصفة خاصة بعد تفجيرات مدريد ولندن، واعتقال المئات من المسلمين الأوروبيين والأمريكيين على خلفية تلك التفجيرات بدعاوى أو دواعي التورط في أنشطة إرهابية، أدرك عدد من الحكومات أن الاكتفاء بتفكيك الشبكات الإرهابية فقط من دون منع تجنيد المزيد من الراديكاليين، أشبه ما يكون بلعبة «ضرب حيوانات الخلْد (Whack-a-mole)» التي لا نهاية لها: مجرد تمرين سياسي من شأنه تحقيق فوائد مرحلية ولكنه لا ينفذ إلى جذور

المشكلة.

على ضوء الاعتبارات المتقدم ذكرها، بدأت السلطات، على ساحلي الأطلسي، تفكر في تبني سياسات أكثر شمولاً ووفاءً بالمطلوب، لأجل التصدي للأنشطة الإرهابية ومكافحة الإرهاب. ومع المضي قدماً في تكريس الموارد الضخمة والمطلوبة بشدة لكبح جماح الإرهاب ولجمه، تنظر السلطات أيضاً في تجفيف منابع التطرف في أوساط الجاليات الإسلامية، ضمن المقومات الضرورية لاستراتيجية أمنيّة تهدف إلى تحقيق نتائج على المدى البعيد. وعليه فقد أطلقت الكثير من الحكومات الغربية برامج لمكافحة الراديكالية والتطرف، وهي برامج ذات خصائص ودرجات تعقيد متفاوتة بصورة ملحوظة بين دولة وأخرى؛ ومع ذلك فإن جميع تلك الدول ترى في المشاركة الفعالة للقيادات والتنظيمات الإسلامية عنصراً أساسياً بالغ الأهمية ولا مندوحة عنه في إضفاء ما يلزم من شرعية وجاذبية على مبادرات تلك الحكومات.

كانت تلك الفكرة هدفاً لانتقادات بعض المعلقين. فقد اعترض كنان مالك (Kenan Malik) -على سبيل المثال- على الاعتقاد السائد بأن «المسلمين يمثلون مجتمعاً متميزاً له رؤاه ومعتقداته الخاصة به» وأن القادة الإسلاميين فقط هم الذين يمكنهم المشاركة في مكافحة التطرف ودحر المتطرفين[1]. فضلاً عن تلك الانتقادات، فإن البحث عن شركاء في مجال الأمن اتصف بالتعقيد وإثارة الجدل على نحو يفوق ما اتصف به

(1) Kenan Malik, From Fatwa to Jihad: The Rushdie Affair and Its Legacy(London: Atlantic Books, 2009), 121.

البحث عن أي شركاء في أي مساعٍ ومجالات أخرى، وهو ما حظي باهتمام غير مسبوق من قبل أجهزة الإعلام، وأفضى إلى سجال وتوتر داخل الحكومات. وبصفة خاصة ما فتئ صانعو السياسات والخبراء منهمكين في جدال لا ينقطع حول الدور الذي ينبغي أن تضطلع به تنظيمات الإخوان الغربيين في الاستراتيجيات الشاملة لمكافحة الإرهاب، عطفاً على حضورهم القوي في أوساط الجالية الإسلامية، وقربهم الأيديولوجي من المتطرفين ودعاة العنف. هل يمكن إتاحة المشاركة للإسلاميين الذين لا يتبنون العنف، واعتماد أوراقهم شركاء في الحرب ضد التطرف والعنف؟ هل يمكنهم تقديم البديل المغاير لجاذبية الجهاديين؟ وابتداءً، هل هم جزء من المشكلة، أم من الحل؟

الإخوان: هل هم الجدار المانع لانتشار الحريق؟

يرى عدد من العلماء والمثقفين وصانعي القرار السياسي، بمن فيهم بعض الذين لا يتبنون وجهة النظر المتفائلة، أن الإخوان يمكنهم أن يضطلعوا بدور حاسم في تقويض أركان شرعية تنظيم القاعدة والمجموعات الإسلامية التي تتبنى العنف، وتبديد جاذبيتها في أوساط الشباب المسلم في العالمين الإسلامي والغربي على حد سواء. يحتج مؤيدو هذا الموقف بأن الإسلام السياسي بات واقعاً حقيقياً، وأضحى معروفاً على نطاق واسع، وبأن هذه حقيقة واقعية ينبغي الإقرار بها، وبانتشارها واسع النطاق[2]. يمثل الإسلام السياسي في يوم الناس هذا استراتيجية

(2) Fareed Zakaria, "Radical Islam Is a Fact of Life; How to Live with It ,"Newsweek, March 9, 2009.

عالمية تستقطب ملايين المسلمين، بشتى صورها المتعددة، وصيغها المتنوعة. ويجادل مؤيدو الانخراط والمشاركة بأن تحليلاً بالغ الدقة ينبغي إجراؤه للتمييز بين المجموعات الإسلامية المتورطة في العنف، وتلك التي تنبذه، مع الترويج لجاذبية المجموعات التي لا تتبنى العنف على حساب المجموعات التي تتخذه ديدناً لها. قد لا يوافق صانعو القرار السياسي في الغرب على العديد من مواقف المجموعات غير العنيفة، ولكن ينبغي عليهم الإقرار بأن تلك المجموعات لا تشكل أي تهديد للغرب؛ كما ينبغي عليهم اغتنام الإدانة التي أصدرها الإسلاميون المسالمون (الذين ينبذون العنف) بحق تنظيم القاعدة، من خلال تأسيس صيغ متعددة ومتنوعة للتعاون ضد عدو مشترك.

يعتقد العلماء والمحللون المذكورون أعلاه أن الحركة من شأنها أن تكون جدار الحماية، أو حائط الصد، أو الدرع الواقي وصمّام الأمان ضد الراديكالية، التي تأتي على طريقة القاعدة[3]. وعلى افتراض النظر إلى قضية الراديكالية والغلو والتطرف بحسبانها سلسلة متصلة سوف تتواصل حلقاتها، وتتقرر محصلتها النهائية، أو محطتها الأخيرة من خلال تبني مواقف تنظيم القاعدة، من حيث أساليب العنف والنظرة إلى العالم، يعرف العلماء والمحللون المذكورون آنفاً الإخوان كقوة بمقدورها قطع الطريق أمام التشدد والتعصب. وفقاً لما ورد بمقال رصين، نشره كل من روبرت ليكن (Robert Leiken)، وستيفن بروك (Steven Brooke) في

(3) Remarks of Prof. Marc Lynch, George Washington University, May 12,2008; reiterated on Prof. Lynch's blog, http://abuaardvark. typepad. com/abuaardvark/2008/05/assessing-the-m. html

«فورين أفيرز (Foreign Affairs)» في عام 2007م، فإن الإخوان «يسعون إلى ثني المسلمين عن العنف، ونصحهم بالعدول عنه، وتوجيههم عوضاً عن ذلك إلى العمل عبر قنوات السياسة، وأنشطة العمل الخيري»[4]. إن الإخوان يتبنون بالفعل مواقف تعد، في حالات معينة، عدائية تماماً تجاه الغرب، ويمكن وصفها بأنها «راديكالية»؛ بيد أنهم لا يؤيدون ممارسة العنف ضد الغرب، كما أنهم يشجبون ويستهجنون ويدينون بشدة من يؤيدون العنف أو يمارسونه. وينبغي لصانعي القرار السياسي في الغرب أن يكونوا واقعيين وعمليين «براغماتيين»، وأن يسعوا إلى استغلال هذا الموقف. أما حقيقة أن السلفيين ينتقدون الإخوان بقسوة وبقوة، وأن بعض قيادات الجهاديين، بمن فيهم الدكتور أيمن الظواهري، يذهبون إلى حد اتهامهم بالردة لنكوصهم عن الجهاد وقعودهم عن النهوض بأعبائه ودعمهم الديمقراطية، فهي في نظر مؤيدي المشاركة والانخراط إنما تمثل دليلاً إضافياً على وجود الأرضية المشتركة التي يمكن أن تجمع الغرب مع الحركة[5].

يرى بعض العلماء أن دور الإخوان - كحائط صد - يعد فعالاً بصفة خاصة بسبب المشروعية التي تحظى بها الحركة على مستوى القواعد والفروع، وفي أوساط الشرائح الأكثر محافظة في العالم الإسلامي. وحدهم الإخوان هم الذين يتخذون موقفاً يمكنهم من تمهيد الطريق أمام المشاركة الفكرية والثقافية للشباب المستشيط غضباً، المستجيش

(4) Robert S. Leiken and Steven Brooke, “The Moderate Muslim Brotherhood,” Foreign Affairs (March/April2007):112.

(5) المرجع السابق، انظر، على سبيل المثال، كتابات الباحث الجهادي السوري المؤثر أبو بصير الطرطوسي الذي وصف القرضاوي مراراً بالمرتد.

ضراوةً، والحيلولة دون انجرافهم في دوامة العنف التي لا تبقي ولا تذر. ففي هذا السياق، يجادل ريويل مارك جيريشت (Reuel Marc Gerecht) المسئول السابق بوكالة الاستخبارات المركزية الأمريكية قائلاً: «إن المسلمين المعتدلين لا يستطيعون إلحاق الهزيمة بأنصار ابن لادن لا سيّما وأنهم لا يخاطبون الشريحة نفسها من المتلقين باللغة نفسها وذات العاطفة والمشاعر نفسيهما»[6]. أما قادة الإخوان المسلمين، فإنهم يقرون علناً بقولهم: «نستطيع أن نتصرف مع قوى التطرف والغلو والتعصب بشكل أفضل في أجواء المواجهات الفكرية لا الأمنيّة» وفقاً لرئيس جبهة العمل الإسلامي، الذراع الأردني لحركة الإخوان المسلمين، في مقابلة أجراها معه ليكن وبروك[7].

لقد استهوت فكرة التعاون مع الإخوان عدداً من صانعي القرار السياسي في الغرب، وبصفة خاصة عقب نازلة الحادي عشر من سبتمبر، على الرغم من أنه لم تتم بلورتها إطلاقاً كسياسة مقررة من قبل أي حكومة غربية. وقد ظلت الصعوبة تكتنف فرضية الانخراط والمشاركة من قبل الإسلاميين، الذين ينبذون العنف في العالم الإسلامي، في ظل المعارضة من قبل الأنظمة المحلية. أما الحكومات الغربية، فقد واجهت مشكلات أقل حدّة فيما يتعلق بتأسيس صيغ مختلفة من التواصل، الذي تحكمه دواعي التركيز على الاعتبارات الأمنية مع مجموعات الإخوان المسلمين، التي تتخذ من الغرب مقراً لها. لقد كانت أغلب مبادرات

(6) Interview with Reuel March Gerecht, American Enterprise Institute, http://www.aei.org/publications/pubID.21739/pub_detail. asp December 16,2004.

(7) Leiken and Brooke, "The Moderate Muslim Brotherhood,"112.

التواصل عبارة عن مساع خجولة، وليست عالية المستوى، فضلاً عن كونها لا تندرج ضمن أي استراتيجية واضحة ومحددة المعالم؛ ومع ذلك فهي تمثل تطبيقاً عملياً لنموذج «حائط الصد أو جدار الحماية» على غرار ما يحظى بتأييد علماء ومثقفين، من أمثال ليكن وبروك وجيريتش.

كدأب الرابطة الإسلامية في بريطانيا (MAB) ومجلس العلاقات الإسلامية الأمريكية (CAIR) في الولايات المتحدة وما في حكمهما، درجت تنظيمات الإخوان الغربيين على إصدار البيانات العامة تارة تلو الأخرى، منذ الحادي عشر من سبتمبر، لشجب ما يقوم به تنظيم القاعدة وإدانته واستنكاره، مع مناشدة المسلمين والإهابة بهم وحضّهم على نبذ أساليب العنف، التي تنتهجها القاعدة، مع الدعوة إلى التزام الهدوء والسكينة وضبط النفس في العديد من الأزمات التي وقعت على المستويين المحلي والعالمي. وقد حظيت هذه بالمواقف بالإشادة والإطراء علناً من قبل العديد من صانعي القرار السياسي في الغرب، مثمنين تلك المواقف ومقرِّين بأهميتها القصوى في نزع فتيل التوتر وتخفيف غلوائه. أما حقيقة أن تلك التنظيمات بمقدورها الوصول إلى شرائح واسعة وقطاعات عريضة من الجاليات الإسلامية في الغرب، واكتساب مستويات عالية من المشروعية في أوساط بعض الشرائح الأكثر محافظةً، لأجل تبني المواقف المنوه عنها أعلاه، فهي مما لا سبيل لإنكاره ولا مجال لتجاهله من قبل الحكومات الغربية. سواء كانت طبيعة تلك الحركة ووسائلها تبدو بشكل عام إيجابية أم سلبية، فإن موقفها العام إزاء اللجوء إلى العنف في الغرب يجعل منها حليفاً نافعاً ومفيداً لأي حكومة تسعى إلى الاستجابة للدواعي الأمنية الملحّة.

أفضت الاعتبارات المتقدم ذكرها إلى قيام بعض الحكومات الغربية بتأسيس صيغ محدودة للتعاون مع تفريعات تنظيمات الإخوان الغربيين الجدد. ولعل أحد أبرز الأمثلة في هذا الخصوص هو الاضطلاع بأمر مسجد فينسبيري بارك / مسجد حديقة «فينسبيري بارك» المركزي شمال مسجد لندن. لقد أنشئ هذا المسجد أصلاً مسجداً للمسلمين المعتدلين المندمجين مع مجتمعهم مستهدفاً الجالية الإسلامية الكبيرة في شمالي لندن. وقد تم الاستحواذ على حديقة «فينسبيري بارك» من قبل المصري الشهير «أبي حمزة المصري» ومجموعة صغيرة من أتباعه ومريديه في منتصف تسعينات القرن الفائت[8]. وإثر إكراه وتهديد فعلي للقائمين على أمر المسجد والمؤتمنين عليه، أقدم «أبو حمزة المصري» على تحويل المكان إلى ما عدته وكالات الاستخبارات في مختلف الدول المركز الرئيس، الذي لا نزاع حوله للأنشطة الجهادية في أوروبا، ذلك أن كماً لا حصر له من الأفراد المرتبطين بالقاعدة، من ريتشارد ريد الذي حاول إخفاء المتفجرات في حذائه، إلى زكريا موسوي الذي أطلق عليه اسم العضو العشرين في المجموعة المتّهمة بتنفيذ تفجيرات الحادي عشر من سبتمبر، قد مروا عبر بوابة المسجد المذكور، فيما قام أبو حمزة المصري بتجنيد المئات في الداخل لخوض غمار الحرب، أو التدرب مع القاعدة في أماكن مثل أفغانستان والشيشان. أخضعت السلطات البريطانية المسجد للرصد والمراقبة لعدة سنوات، ولكن لم تتوصل السلطات البريطانية إلى قرار إغلاقه إلا بعد غارة شنتها السلطات

(8) The history of Finsbury Park's take over is told in Sean O'Neill and Daniel McGroy's book The Suicide Factory : Abu Hamza and the Finsbury Park Mosque (London: HarperCollins, 2006), 34-52.

ليلاً لتميط اللثام عن مضبوطات اشتملت على كتيبات عسكرية، وبنادق يدوية، وملابس قتالية، ومئات المستندات المسروقة والمزورة، بل وثلاثة أطقم للوقاية من الحرب النووية والكيميائية والبيولوجية في الطابق تحت الأرضي بالمسجد؛ وكان ذلك في شهر يناير 2003م بعدما أضحى واضحاً أنه قد تم استغلاله من قبل خلية من شمالي أفريقيا للتخطيط لتنفيذ هجوم في بريطانيا، إذ صدر إثر ذلك القرار باقتحام حديقة «فينسبيري بارك»[9].

لم يكن القرار معروفاً لدى الجالية الإسلامية المحلية، ما عزز من مناصرة كبيرة، ومساندة أكيدة حظي بهما أبو حمزة المصري، الذي مضى قدماً في إلقاء خطبة الجمعة أسبوعياً في منتصف الشارع المقابل للمسجد. وحتى بعد أن ألقي القبض عليه وتم اعتقاله في مايو 2004م ظل مؤيدوه في حراك مستمر دعماً له في المنطقة المحيطة بالمسجد، ما أدى إلى إحداث أوضاع ملتهبة، وظهور بؤر توتر في محيط المنطقة المجاورة بأكملها. عندها لم يجد المسؤولون البريطانيون بداً من فتح أبواب المسجد مجدداً، حيث توصل المسؤولون إلى قناعة بإعادة افتتاحه وتسليمه إلى شخص يكون مقبولاً لدى الجالية الإسلامية[10]. ولأجل هذا فقد تواصل مسؤولون من شرطة سكتلانديارد والهيئة الخيرية ومجلس إيزلينغتون (Islington) مع كمال الهلباوي وقيادات الرابطة الإسلامية في بريطانيا (MAB). وبعد مشاورات مكثفة ومداولات مستفيضة وافقت تلك

(9) Ibid., 253-64

(10) المعلومات عن احتلال جامع فنسبيري بارك مقدمة من كمال الهلباوي، ومحمد كزبر، ومسؤولون بوزارة الداخلية وسكوتلنديار خلال مقابلات مختلفة في لندن في يناير 2007 وديسمبر 2008.

القيادات على عرض المسؤولين البريطانيين بخصوص تسلم المسجد. ذات صبيحة في صقيع شتاء قارس وتحديداً في اليوم الخامس من شهر فبراير 2005م وصل نحو (70) إلى (80) ناشطاً من الاتحاد إلى المسجد بينما وقف ضباط الشرطة وأفرادها على أهبة الاستعداد على مقربة من المسجد. اندلعت مواجهة محدودة مع مناصري أبي حمزة المصري، ولكن بعد ساعات قليلة سادها التوتر وبعض الحالات الطفيفة من الاشتباك بالأيدي، تمكن الناشطون بالرابطة الإسلامية في بريطانيا من تأمين المسجد.

أسرفت السلطات البريطانية في الإطراء على عملية تسلم مسجد «فينسبيري بارك» من قبل الرابطة الإسلامية في بريطانيا، واصفةً إياها بأنها إنجاز كبير. لم يعد لدى مؤيدي أبي حمزة المصري ومناصريه أي مقر أو قاعدة تذكر؛ كما أن ما كان بمثابة «مصنع للانتحاريين» على حد وصف كتاب تم تأليفه عن المسجد، أصبح مركزاً اجتماعياً مزدهراً يضج حركةً ويموج نشاطاً. ففي عهد أبي حمزة المصري، كان عشرات من الناس، أغلبهم من التابعين الخلصاء للعالم المتشدد، هم من يحرصون على حضور شعائر صلاة الجمعة في المسجد من كل أسبوع. أما في يوم الناس هذا فإن المسجد يستقبل أكثر من ألف من المصلّين أسبوعياً. وفوق هذا وذاك تمكنت القيادة الجديدة في «فينسبيري بارك» من إقامة علاقات ممتازة مع المجتمع المحلي، فضلاً عن مشاركتها في المنتديات والمحافل التي تقام لإثراء حوار الأديان. أبدى المسلمون وغير المسلمين على حد سواء من سكان المنطقة المحيطة بالمسجد حماساً، واضحاً إزاء التغيير، فيما تنفست شرطة تطبيق القانون وفرض النظام الصعداء

بعدما أصبح بمقدورهم توفير الموارد البشرية والمالية والمادية اللازمة لمراقبة مناصري أبي حمزة المصري، لتسخيرها وتصريفها في مجالات أخرى. لا مراء البتة في أن السلطات البريطانية أزالت مركزاً رئيساً لتجنيد الإرهابيين والإعداد لشن الهجمات على التراب البريطاني، من خلال نقل «فينسبيري بارك» إلى عهدة الرابطة الإسلامية في بريطانيا وبذا أنهت وضعاً إشكالياً شائكاً بوضعه تحت الرقابة والسيطرة. في سياق ظروف استثنائية على غرار ما تقدم ترى السلطات أن منظمة إخوانية غربية جوهرية مثل الرابطة الإسلامية في بريطانيا هي فقط التي تحظى بالمشروعية والصدقية في الشارع، بحيث تكون مقبولة لدى الجالية الإسلامية المحلية.

لئن كان تشكيل صيغ متنوعة من الشراكة مع الإسلاميين الذين ينبذون العنف، لأجل اجتثاث العنف واستئصال شأفة الغلو والتطرف، لا يرقى بأي حال إلى مستوى السياسة مكتملة الأركان، ولم يصل البتة إلى هذا المستوى، فإن من المؤكد بلا مراء أنه يحظى بتأييد الحكومة البريطانية بمختلف أفرعها وأذرعها. ولعل التجسيد الأمثل لهذا الخط الفكري، أو هذا النمط من التفكير، إنما يتمثل في مذكرة داخلية صدرت عام 2005م من وزارة الخارجية بشأن زيارة الشيخ يوسف القرضاوي. بينما تقر وزارة الخارجية بأن تأييد القرضاوي المعلن الصريح للتفجيرات الانتحارية في العراق أمر إشكالي مثير للقلق، فهي تقر أيضاً بأنها «ليست أمراً غير معهود، أو أمراً استثنائياً في أوساط المسلمين» في الشرق الأوسط والمملكة المتحدة على حد سواء. وافقت وزارة الخارجية على زيارة العالم المرموق ممتدحةً دوره في «الترويج لوسطية الإسلام، أو الاتجاه السائد في

الإسلام (mainstream Islam)»، وأوصت بأن «وجود أناس مثل القرضاوي بين ظهرانينا وفي جانبنا ينبغي أن يكون هدفنا المنشود»[11].

لقد أفضى هذا الاستدلال، وبصفة خاصة منذ 7/7، إلى إقدام السلطات البريطانية على إقامة صيغ متنوعة من الشراكة مع الأفراد والتنظيمات، من المنتمين إلى شبكة المودودي أو فروع التنظيمات الإخوانية داخل البلاد مع رفد بعض أنشطتهم بالدعم اللازم. ففي عام 2005م على سبيل المثال، عكفت وزارتا الداخلية والخارجية على إعداد «ذي راديكال مديل واي (The Radical Middle Way)» وهي عبارة عن سلسلة من المحاضرات العامة والحلقات الدراسية والسمنارات وورش العمل، التي تقام في مواقع مختلفة، وتستهدف المسلمين البريطانيين الشباب على وجه التحديد أينما كانوا. اشتمل البرنامج المذكور على تشكيلة متنوعة من المحاضرين، يشملون الإخوان الغربيين الذين يضطلعون بدور رئيس بارز في البرنامج[12] وفي حالات أخرى تلقت المنظمات المرتبطة بمسجد شرقي لندن تمويلاً مباشراً لبرامج مناهضة الراديكالية.

ولأغراض أمنية بحتة، أقدمت فرنسا على تجريب الشراكات مع الإسلاميين الذين ينبذون العنف، شأنها في ذلك شأن بريطانيا سواءً بسواء. ففي أوائل تسعينات القرن الفائت انتاب السلطات الفرنسية قلق

---

(11) مذكرة داخلية لوزارة الخارجية البريطانية عن يوسف القرضاوي بتاريخ 14 يوليو 2005، يمكن الإطلاع على المذكرة في

Appendix of Martin Bright, When Progressives Treat with Reactionaries: The British State's Flirtation with Radical Islam, report published by the Policy Exchange, 2006.

(12) لقائمة المحاضرين، انظر الموقع التالي:

http://www. radicalmiddleway. co. uk/scholars. php.

بالغ من جراء الارتفاع الشديد في وتيرة النشاط الجنائي والاندياح الواسع لدائرة الجريمة والبطالة، وبالجملة الشعور العام بالاحتقان والحرمان من الحقوق الأساسية، وهو الشعور الذي جاء مصاحباً، وظل ملازماً لتنفيذ مشاريع الإسكان في الضواحي والأحزمة السكنية المحيطة بمعظم المدن الفرنسية. أما التوترات التي تجلت بمزيد من الوضوح في أثناء موجات الاضطراب المدني وعدم الاستقرار، والتي تخللها إقدام الرعاع والغوغاء وعصابات الإجرام على إضرام النار في السيارات ومهاجمتهم قوات الشرطة، فقد كانت وتيرتها مرتفعة بصفة خاصة في أوساط المسلمين بالبلاد، الذين يمثلون أكبر جالية إسلامية في أوروبا.

ظل مسجد باريس الكبير / الجامع الكبير في باريس (Grande Mosquée de Paris) منذ إنشائه في عام 1922م[13] يقوم مقام الشريك التقليدي للحكومة الفرنسية، فيما يتعلق بالشؤون والموضوعات الإسلامية؛ إذ يعد هذا المسجد الذي تديره الحكومة الجزائرية، مثالاً بارزاً تتجسد فيه سفارة الإسلام والترويج للاعتدال والعلمانية، فضلاً عن كونه على علاقة جيدة مع الحكومة الفرنسية[14]. بيد أن تلك الحكومة سرعان ما تحققت من أن المسجد الكبير ليس له أتباع حقيقيون في الضواحي والأحزمة السكنية المحيطة بمدينة باريس، حيث يرى معظم المسلمين هناك أن إدارة المسجد منفصمة تماماً عن حقيقة واقعهم، ومنفصلة

(13) موقع جامع باريس على الشبكة العنكبوتية:
http://www. mosquee-de-paris. org/s[ip. php?article66.

(14) Jonathan Laurance and Justin Vaisse, Integrating Islam: Political and Religious Challenges in Contemporary France (Washington, DC: Brookings Institution Press, 2006), 101-104; Dalil Boubakeur and Virginie Malabard, Non, lÍslam nest pas une Politique (Paris: Desclee De Brouwer, 2003), 78-84.

عنه، وبعيدة عنه كل البعد[15]. وعلى النقيض من ذلك، فإن منظمات مثل اتحاد التنظيمات الإسلامية في فرنسا (UOIF) الفرع الفرنسي للإخوان الغربيين الجدد، تمكن من تحقيق حضور قوي وراسخ على مستوى القواعد، إذ ظل يضطلع بتنفيذ برامج مكثفة للدعوة / الخدمات الاجتماعية والمشاركة والانخراط في المبادرات الرامية إلى منع انحراف الشباب المسلم، والحيلولة دون انجرافهم في مستنقع الجريمة وأتون تعاطي المخدرات/. وقد أفضت هذه الملاحظات إلى إقدام السلطات الفرنسية على إحداث نقلة تمثل انعطافة في سياستها حيث بدأت تستوعب وتدرك أن العمل الذي يقوم به اتحاد التنظيمات الإسلامية في فرنسا عمل بناء، لجهة أنه مفيد في حل المشكلات التي تحدث في الضواحي والأحياء السكنية المحيطة بالمدن[16].

كانت دنيا بوزار (Dounia Bouzar)، وهي باحثة في الأنثروبولوجيا ومستشارة لدى الحكومة في شؤون الإدماج، واحدة من أبرز مؤيدي هذا المنحى الجديد للحكومة الفرنسية. وقد أوردت دنيا بوزار عصارة مرافعتها في هذا الخصوص، بصورة مركزة، في كتاب نشرته عام 2001م، تحت عنوان «إسلام الضواحي (L'Islam des Banlieues)»[17]. كان اختيار هذا العنوان في حد ذاته معبراً وله مدلولاته؛ ذلك أنه قصد منه أن يأتي في مقابلة عنوان الكتاب الشهير الذي قوبل بحفاوة بالغة وترحاب

(15) Nicolas Sarkozy, La Republique, les Religions, lÉsperance(Paris: Editions du Cerf, 2004),69; Frank Peter, "Leading the Community of the Middle Way: A study of the Muslim Field in France, "The Muslim World 96 (October 2006):714.

(16) Peter, "Leading the Community of the Middle Way,",707-36.

(17) Dounia Bouzar, LÍslam des Banlieues : Les Predicateurs Musulmans: Nouveaux Travailleurs Sociaux? (Paris: Syros la Deçouverte, 2001).

شديد، عندما تم نشره في عام 1987م، وهو كتاب «ضواحي الإسلام (Les Banlieues de l'Islam)» الذي ألّفه العالم الفرنسي جيل كيبل (Gilles Kepel)[18]، واصفاً فيه كيف أن اتحاد التنظيمات الإسلامية في فرنسا والمنظمات الأخرى القريبة من الإخوان من الناحية الأيديولوجية، استغلت الشعور بالإحباط لدى المسلمين الشباب في ضواحي المدن الفرنسية، وإحساس هؤلاء الشباب بالحرمان من حقوقهم الاجتماعية والاقتصادية الأساسية، وكيف أنها استثمرت ذلك في «أسلمتهم» بتبديل هوية إسلامية قوية بروح المواطنة الفرنسية لديهم. أما دنيا بوزار، فهي تدفع بالحجة المقابلة في كتابها لدحض ما ذهب إليه كيبل. ولعل مما يمكن أن يستشفه المرء من العنوان الفرعي بالكتاب، «الوعاظ المسلمون: هل هم مرشدون اجتماعيون جدد؟ (Islamic Preachers: New Social Workers?)»، أن دنيا بوزار تنظر إلى أنشطة العمل التي اضطلعت بها فروع الإخوان ومنظمات الدعوة الأخرى من منظور إيجابي.

في كتابها الذي صدر في غمرة التوترات، التي كانت في أوج تصاعدها واحتدامها بين الشباب الإسلامي وقوات الشرطة في مدينة ليل (Lille) الشمالية، التي اندلعت في أعقاب مقتل شاب مسلم بالمدينة في عام 2000م، تذهب بوزار إلى أن المرشدين الاجتماعيين التقليديين، الذين يتقاضون رواتبهم من الحكومة ليس لديهم الخلفية الضرورية التي تمكنهم من العمل بكفاءة واقتدار داخل الضواحي والمناطق المجاورة، التي تقطنها قطاعات كبيرة من المسلمين. وبكل حال فإن الوعاظ الإسلاميين يعيشون وسط تلك القطاعات ولديهم إلمام واسع

(18) Gilles Kepel, Les Banlieues de l'Islam(Paris: Editions du Seuil, 1987)

بالقوى والعوامل الاجتماعية المحركة والدافعة للحراك الاجتماعي، كما أنهم على دراية عميقة بالخلفيات الثقافية للمسلمين المقيمين معهم. وبالتالي فهم في وضع مثالي لممارسة نفوذ قوي للتأثير الإيجابي، ذلك أن تجديد روح التدين والتقوى والورع سيكون أمراً من شأنه أن يمثل عاملاً فعالاً للإسهام في الإدماج- بما يمكن المسلمين الشباب من الاعتزاز والاعتداد بهويتهم الإسلامية والعيش في الوقت نفسه في وئام وانسجام مع المجتمع الفرنسي. وبناءً عليه فإن الوعاظ المسلمين هم «المرشدون الاجتماعيون الجدد» المثاليون، الذين يمتلكون ناصية اللغة، ويتمتعون بالمشروعية، ولديهم الدافع القوي لمنع الشباب من الانجراف والتمرغ في أوحال الجريمة والمخدرات، وحثهم وحفزهم على العيش في آفاق التدين الرحبة، والاستعصام بالتقوى، مع استلهام روح المواطنة الصالحة ذات المشاركة الفاعلة.

تجادل دنيا بوزار بأن المسجد «لا يسمح بممارسة التدين فحسب، وإنما يطرح نفسه أيضاً مركزاً حيوياً يسمح بتنظيم العمل العام، وإنشاء شبكات التضامن والتكافل الاجتماعي»[19]. إنه مكان تطمئن فيه الأسر إلى أن أطفالها في أيد أمينة وحصينة، تكفيهم شرور الوقوع في براثن الجريمة وأتون المخدرات، حيث يوجد الخطباء والوعاظ، الذين يصبحون بمثابة «القدوة الحسنة، والمثال الذي يحتذى، والصديق المؤتمن» لهؤلاء الأطفال، فيوجهونهم ويأخذون بأيديهم إلى سبيل الهداية والرشاد، ويهدونهم الصراط المستقيم[20]. أما منظمات الإخوان الغربيين الجدد

---

(19) Bouzar, Líslam des Banlieues, 110

(20) Bouzar, Líslam des Banlieues, 110

مثل اتحاد التنظيمات الإسلامية في فرنسا، التي يعد هيكل الوحدات الموازية المساندة لأنشطة المسجد (paramosque structure) بها شديد الشبه بما تصورته دنيا بوزار في الرؤية التي ضمنتها في كتابها آنف الذكر، فهي سرعان ما التقطت الإشارة وأوضحت أن العمل الذي تقوم به، من شأنه مساعدة المؤسسات العامة وأجهزة الدولة في محاربة الإفرازات الاجتماعية السلبية، ومكافحة العوادي والأمراض الاجتماعية في الضواحي التي يقطنها المسلمون[21]. صار هذا النمط الفكري أو الأسلوب التفكيري يحظى بقبول واسع، وعلى نطاق عريض. كما أن الأنشطة الدعوية التي يضطلع بها «المرشدون الاجتماعيون الجدد» أصبحت هي الحل الأمثل للمشكلات التي تعصف بالمناطق المضطربة المحيطة بالمدن[22]. إن المفهوم الذي بمؤداه يتم النظر إلى أن التنظيمات الإسلامية، التي تنبذ العنف يمكن أن تنجح فيما أخفقت فيه الدولة، وباءت فيه جهودها بالفشل الذريع قد دفع عدداً من صانعي القرار السياسي في فرنسا، لا سيما من يعملون على المستويات المحلية، إلى تقديم الدعم المالي والسياسي لتلك التنظيمات.

تسترجع الناشطة المناهضة للتمييز العنصري نادية أميري شريط ذكرياتها قائلةً: «فجأة وبلا مقدمات أصبح كافياً أن تضيف كلمة «مسلم/ إسلامي» إلى اسم أي اتحاد أو تنظيم، لتستفيد من الدعم»[23]. إلى جانب

---

(21) Marie-France Etchegoin and Serge Raffy, “La Verite’sur lÍslam en France,”Les Nouvel Observateur, February 2, 2006.

(22) مقابلة مع مسؤول فرنسي في باريس في فبراير 2007. مقابلة مع مسؤول فرنسي في ليون في يونيو 2006..

(23) Caroline Fourest, Brother Tariq: The Doublespeak of Tariq Ramadan (New York: Encounter, 2008), 192.

هذه الناشطة التي تتخذ من باريس مقراً لها، هنالك آخرون كثر انتقدوا هذا الأسلوب، مشيرين إلى أن فروعاً عديدة من الحكومة الفرنسية نفسها أعربت عن مخاوفها وعما يساورها من قلق إزاء طبيعة اتحاد التنظيمات الإسلامية في فرنسا، والأجندة التي يحملها ذلك الاتحاد. على سبيل المثال، يلاحظ أن الهيئة الاستشارية للدولة (Conseil d'État)، وهي أعلى محكمة إدارية في البلاد، أشارت إلى التنظيم بأنه «اتحاد تندرج تحت عباءته كثير من الحركات المتطرفة، التي ترفض القيم الأساسية للمجتمع الفرنسي»[24]. ومن ناحية تقليدية، درجت وكالات الاستخبارات الفرنسية على تبني رؤية مماثلة عن التنظيم[25].

بيد أن هذه الشراكة القائمة على أساس أمني، جرى تنفيذها على قدم وساق وعلى نطاق واسع على الرغم من أن ذلك لم يتم إطلاقاً على أساس أنه سياسة رسمية، كما أنه لم يكن بأي حال مطبقاً على جميع المستويات وقد حظي بالدعم بصفة خاصة بعد الحادي عشر من سبتمبر[26]. وإذا كان بعض صانعي القرار السياسي في فرنسا ينظرون إلى الناشطين المنضوين تحت راية اتحاد التنظيمات الإسلامية في فرنسا في حقبة التسعينات من القرن الماضي بحسبانهم «دعاة السلم الاجتماعي»، الذين ينهضون بأعباء حفظ النظام وتحقيق الاستقرار في الضواحي التي يقطنها المسلمون، فإن ظهور الإرهاب والراديكالية على

(24) قرار الهيئة الاستشارية للدولة الفرنسية في 7 يونيو 1999 كما ورد في مؤلف
Fiammetta Venner, OPA sur lÍslam de France: Les Ambitions de IUOIF(Paris: Calmann-Levy, 2005), 15.

(25) مقابلة مع مسؤولين فرنسيين في فبراير 2007 ومايو 2009.

(26) Gilles Kepel, The War for Muslim Minds: Islam and the West(Cambridge, MA, Harvard University Press, 2004),273-74.

قائمة الأولويات الحكومية قد أضاف مسؤولية جديدة إلى قائمة الأعباء التي ينهض بها الناشطون المنتمون إلى الاتحاد.[27] وقد ألف نيكولا ساركوزي - الذي كان وقتها وزيراً للداخلية - كتابه «الجمهورية والأديان والأمل (La République, les Religions, l'Espérence)»[28]. الذي قال فيه ما مفاده: «في الحقيقة يؤدي اتحاد التنظيمات الإسلامية في فرنسا، على الأرض، عملاً مفيداً ضد أخطر أعداء الجمهورية: «السلفيين» إن تصريح ساركوزي يؤكد حقيقة آرائه البراغماتية. ومع إقراره بأن الاتحاد في بعض الحالات لا يتفق مع المثل الفرنسية، فيما يتعلق بالاندماج، فهو يرى أن الاتحاد يحترم القيم الأساسية للدولة، مثل اللائكية (laïcité) (مفهوم المجتمع العلماني) كما يعده شريكاً مهماً[29]. في ظل محدودية نفوذ الجامع الكبير، وقصور تأثيره، فإن اتحاد التنظيمات الإسلامية في فرنسا يمثل القوة المقابلة الوحيدة للثقافة الإجرامية والأيديولوجية السلفية، التي ترى السلطات الفرنسية أنها كانت هي التي ستسود في الضواحي التي يقطنها المسلمون لولا وجود اتحاد التنظيمات الإسلامية في فرنسا.

بلغت تلك الشراكة أوجها في خريف عام 2005م عندما أصبحت الضواحي الفرنسية مسرحاً لصدامات مستمرة ومناوشات متواصلة بين الشباب والشرطة. حتى ولو أن المجموعات الإسلامية، سواء كانت مجموعات الإخوان المسلمين أو مجموعات السلفيين بعيدة كل البعد عن

(27) Vincent Geisser and Aziz Zemouri, Marianne et Allah: Les Politiques Francias face a La"Question Musulmane"(Paris: La Decouverte, 2007), 117.

(28) Sarkozy, La Republique, les Religions, lÉsperance, 100

(29) Sarkozy, La Republique, les Religions, lÉsperance, 83

أحداث الشغب والاضطرابات، فإن المسلمين كانوا يمثلون نسبة كبيرة من المتورطين، أو المنخرطين في تلك الأحداث(30). ففي اليوم السادس من شهر نوفمبر أصدر اتحاد التنظيمات الإسلامية فتوى عامة تدين العنف، وتدعو المسلمين إلى الرجوع إلى التزام الهدوء والسكينة(31). ولكن على الرغم من أن تأثير تلك الفتوى في مجريات الأحداث كان بين ضئيل ومعدوم بتاتاً، إذ ظلت أحداث الشغب مستمرة لعدة أسابيع فيما بعد، إلا أن السلطات الفرنسية (وبصفة خاصة ساركوزي الذي أسهمت تعليقاته العنيفة في إذكاء نار العنف وتأجيجها وفقاً لكثير من النقاد) لم يكن بوسعها أن تتجاهل حقيقة أن اتحاد التنظيمات الإسلامية كان يسعى إلى تقديم نفسه وطرحها شريكاً موثوقاً فيه، ويمكن الركون إليه والاعتماد عليه، وهو شريك أضحى مطلوباً في الوقت الحالي أكثر منه في أي وقت مضى، وأضحت الحاجة إليه ملحّة بصفة خاصة في الضواحي التي تقطنها أغلبية مسلمة. لقد كان هذا المشهد شهادة اعتماد، ونقطة انطلاق لإستراتيجية عمرها 15 عاماً من طرف قيادة المجموعة – وهي استراتيجية بدأت بعدما قررت كوادر الاتحاد، التي تتخذ من بوردو مقراً لها التخلي عن أسلوب المواجهات الذي كان ديدناً لمؤسسي اتحاد التنظيمات الإسلامية في فرنسا لكي يصبح التنظيم شريكاً محتملاً للدولة الفرنسية(32).

(30) Leiken and Brooke,"The Moderate Muslim Brotherhood,"118.

(31) Gilles Kepel, Beyond Terror and Martyrdom(Cambridge, MA: Harvard University Press, 2008), 248-54.

(32) Interview with UOIF president Lhaj Thami Breze, La Courneuve, May 2009; Vincent Geisser, "LÚOIF, La Tension Clienteliste dune Grande Federation Islamique,"in Amel Boubekeur and Abderrahim Lamchichi, eds. , Musulmans de France, Confluences Mediterranee 57(Spring 2006):83-101; Vincent Geisser,"Notre

أم أنهم الثعالب التي تحرس قفص الدجاج ؟

كانت الفتوى التي أصدرها اتحاد التنظيمات الإسلامية في فرنسا في عام 2005م موضوع انتقاد من قبل من قارنوها بالمراسيم الدينية، التي أصدرها العلماء المصريون والسعوديون بأمر من حكوماتهم على سبيل الممالأة أو الاسترضاء لتلك الحكومات؛ وهي مقارنة مثيرة للجدل بصورة خاصة في دولة تعد اللائكية، أو العلمانية من مقوماتها الأساسية، وأركانها الركينة[33]. وبصفة أعم أثيرت انتقادات ساركوزي ضد جميع الحكومات الغربية التي كانت تراودها فكرة إقامة شراكات مع الإسلاميين المناهضين للعنف، لدواعي الأغراض الأمنية البحتة، وإن كان ذلك بدرجات متفاوتة. ويجادل المنتقدون بأنه حتى على افتراض أن الإسلاميين النابذين العنف يمكنهم، بحق وحقيقة، تحسين مواقف بعض الشباب المسلم بتحصينهم ضد القيام بأي أنشطة إرهابية، أو الانزلاق في مهاوي الجريمة، فإن مثل هذه المكاسب قصيرة الأمد في مجال الأمن تعادلها في المقابل التداعيات والانعكاسات بعيدة الأمد لأي شراكة من هذا القبيل. ويستطرد المنتقدون قائلين، إن الإسلاميين الذين لا يتخذون العنف أسلوباً ومع معارضتهم الأعمال الإرهابية التي تقع في الغرب، فإن لديهم من الأهداف والمقاصد والآراء ما يتعارض مع الأهداف والمقاصد والآراء في المجتمعات العلمانية متعددة الأديان في أوروبا الحديثة. وعلى هذا فإن المنتقدين يرونهم جزءاً من المشكلة أكثر من كونهم جزءاً من الحل، وبالتالي ينبغي للحكومات الغربية ألا تضفي عليهم أي مشروعية أو

Ami Sarkozy,'UOIF-UMP, Histoire dún PACS Avorte,"Oumma. com, November 30, 2006, http://oumma. com/Notre=ami-Sarkozy-UOIF-UMP.

(33) Geisser and Zemouri, Marianne et Allah, 119-20

صفة قانونية. إن انعكاسات هذا النوع من الانخراط والمشاركة وإفرازاته على المدى البعيد وتأثيراته في تماسك النسيج الاجتماعي والاندماج المجتمعي ستكون وخيمة العواقب على المدى البعيد، على نحو يفوق كثيراً ما يمكن تحقيقه من مكاسب على المدى القريب، فيما يتعلق بمكافحة الإرهاب، وهي بكل حال مكاسب ما فتئت تفتقر إلى إقامة الحجة والبرهان والدليل، وتحتاج إلى الإثبات على حد رأي المنتقدين.

إن بعض أوائل من انتقدوا هذا الأسلوب بقسوة وقوة هم من كانوا يعملون في حقل الإرشاد الاجتماعي في فرنسا، التي كانت من أوائل الدول التي خاضت تجارب الشراكة مع تنظيمات الإخوان الغربيين الجدد حيث يسهل الوقوف بوضوح على التأثير بعيد الأمد طويل المدى لتلك الشراكة. يشير كثيرون إلى حقيقة عدم انحسار الجريمة، وعدم اختفاء روح الإحباط والشعور بالحرمان، التي رزئت بها ضواحي فرنسا. والأهم من ذلك كله، يشير آخرون إلى التطورات الاجتماعية السلبية الناجمة عن تأثير الإخوان ونفوذهم. ولعل أحد الأصوات العالية بصفة خاصة في هذا الخصوص هو صوت الاتحاد النسائي المتمثل في منظمة «لا عاهرات ولا خاضعات (Ni Putes Ni Soumises)» وهي مجموعة نسوية ترتبط تقليدياً باليسار الفرنسي. تسترجع إحدى الناشطات في تلك المنظمة شريط ذكرياتها قائلةً: «في ثمانينات القرن الفائت كانت هنالك حالات زواج مختلط وممارسات نشاط جنسي (في ضواحي فرنسا) تم التعامل معها بطريقة تمددت فيها مساحات التعصب، وتقلصت مساحات الاحتمال والتسامح إلى أبعد الحدود». تردف الناشطة بقولها: «وقتها، ومع بدء تنظيمات الإخوان في مزاولة أنشطتها المدعومة من قبل الحكومة تغير المناخ الاجتماعي

بصورة ملحوظة». وفي يوم الناس هذا، تستطرد الناشطة، لم يعد هنالك حب ولا إحساس بالحياة لم يعد هنالك سوى التحريم والحرمان[34].

أما الأب كريستيان ديلورم (Father Christian Delorme)، الذي يمثل حلقة الوصل بين الجالية الإسلامية وأبرشية / أسقفية ليون، والذي عمل لعشرات السنين في بعض أشد ضواحي المدينة اضطراباً، وأكثرها إثارة للمتاعب والمشكلات، فهو يحمل وجهة نظر مطابقة. منذ ثمانينات القرن الماضي كان الأب ديلورم ناشطاً في تنظيم الاحتجاجات والاصطفافات وحشد المسيرات العامة ضد التمييز الذي عاناه القادمون من شمال أفريقيا في فرنسا، كما أنه كان واحداً من أكبر المؤيدين الصريحين للدعم الحكومي لأنشطة التنظيمات الإسلامية في ضواحي فرنسا، مجادلاً بأن من شأن زيادة جرعات التقوى والتدين أن تعود بعموم الفائدة وعميم النفع[35]. إلا أنه وبنهاية تسعينات القرن الفائت أصبح على قناعة بأن تنظيمات المسلمين ليست جميعها سواءً. يتحدث رجل الدين المسيحي قائلا في مقابلة أجرتها معه صحيفة لوموند (Le Monde) في عام 2001م: «هنالك الإسلام العائلي / إسلام العوائل الذي يتمثل في أغلبه الأعم في إسلام البر والتقوى وحسن الضيافة» موضحاً أن الإسلام الفرنسي في الغالب الأعم «ليس جامداً ولاسائداً (neither static (not dominating»[36].

(34) Qouted Fourest, Brother Tariq, 191

(35) Philippe Bernard and Xavier Ternisien, "IlFaut Reconnaitre la Sur-Delinquance des Jeunes Issus de lImmigration,"Le Monde, December 4,2001.

(36) المرجع السابق

إن ما انتقده هو العمل الرامي إلى تعزيز الهوية الدينية من قبل بعض التنظيمات، التي لها مصلحة في إضعاف الإسلام الشعبي؛ إنني أفكر تحديداً في تيار الإخوان... لقد بتّ على قناعة وإدراك بخطورتهم عندما رأيت أنهم يعملون على فصم عرى الارتباط بين الشباب وعوائلهم مشيرين إلى الشباب بأن آباءهم لا يدينون بدين الإسلام الحق، ولا يمارسون الإسلام على حقيقته، وأنهم ليسوا على سواء السبيل. أصبحت على إدراك أيضاً بأن تيار الإخوان بدأ يتسلل خلسة إلى المؤسسات، مستغلاً العلمانية، مستعملاً مفرداتها، مستفيداً منها، ومستخدماً إياها فقط وسيلة أو ذريعة - ذلك أن التيار في الأساس يقف ضد الاندماج كما أن الهوية التي يسعى إلى تأكيدها وتأييدها هي هوية الجالية الإسلامية التي تعيش بصورة مستقلة ولها كينونتها الذاتية في الجمهورية؛ قوّة موازية فعالة شديدة التأثير[37].

تقدم شهادات وإفادات من قبيل ما تقدم الحجة والحصانة، وتضع ذخيرة في جعبة من يحتجون بأن المشكلة الرئيسة تكمن في برنامج الهندسة الاجتماعية، الذي يخطط له الإخوان والذي ينطوي على ما يستتبع رفض كثير من القيم الغربية الجوهرية. أما كبار المسؤولين الأمنيين في مختلف الدول الغربية فهم يتبنون وجهة النظر التي مفادها أن تحديد المشكلة وحصرها في أنها تتمثل في المجموعات التي تتبنى العنف إنما ينطوي على خداع للذات. فها هو ذا ألن جيرجنارد (Alain Grignard) نائب رئيس وحدة مكافحة الإرهاب بالشرطة البلجيكية وأستاذ الدراسات الإسلامية بجامعة بروكسل الحرة (Brussels Free University)، يصف

(37) Quoted in Fourest, Brother Tariq, 191.

تنظيم القاعدة بأنه «ظاهرة ثانوية مصاحبة (epiphenomenon)» تمثل الجانب الأوضح في تهديد أكبر يتمثل في الإسلام السياسي (Political Islam)[38]. وأما ألين تشوي (Alain Chouet) الرئيس السابق للإدارة العامة للأمن الخارجي (GDSE)، وكالة الاستخبارات الخارجية الفرنسية، فهو يتفق في الرأي مع جيرجنارد ويرى أن «القاعدة هي مجرد لقطة خاطفة وسريعة ووجيزة، وحيلة أو وسيلة في مشهد حضور الإخوان وظهورهم على مسرح الحياة العامة على امتداد فترة زمنية قدرها مئة عام. إن الخطر الحقيقي يتمثل في توسع الإخوان المسلمين وانتشارهم وزيادة عدد المستمعين إليهم والمتلقين عنهم. فالذئب يعرف كيف يتنكر في هيئة شاة»[39].

وفقاً لوجهة النظر التي جرى بسطها آنفاً فإن للإسلام السياسي جناحين، كشأن أي حركة شمولية استبدادية أخرى، أحدهما تمثله مجموعات مثل القاعدة الأقل صبراً والأكثر ميلاً للنشاط الحركي، مع اتخاذ العنف سبيلا لبلوغ غاياتها، وتحقيق أهدافها، بينما يتمثل الجناح الآخر في الإخوان، الذين لا يستبعدون استخدام العنف كلياً ولا يسقطونه من حساباتهم تماماً وإنما يستهدفون اتباع الاستراتيجية المناسبة في المكان المناسب في الوقت المناسب. توجد بطبيعة الحال اختلافات في الرأي بين الجناحين، وهي في الغالب اختلافات تظل خفيضة الصوت، خافتة النغمة، ولكن ينبغي النظر إليها بأنها انشقاق في أوساط من يتبنون

(38) As quoted in Sylvain Besson, La Conquete de lOccident(Paris: Seuil, 2005), 40.

(39) As quoted in Fourest, Brother Tariq, 103

وجهات نظر متطابقة، ويسعون إلى تحقيق أهداف مشابهة، ولكنهم يختلفون حول الأساليب التي يبنغي اتباعها.

لقد ظل الإسلاميون، الذين ينبذون العنف بوصفهم مفكرين استراتيجيين، متمرسين وضليعين يسعون منذ الحادي عشر من سبتمبر إلى الاستفادة مما يعرف في نظرية الحراك الاجتماعي باسم «التأثير الإيجابي للأجنحة المتطرفة (positive radical flank effect)»[40]. وفقاً للنظرية المتقدم ذكرها، يتحسن الموقف التفاوضي للأجنحة الأكثر اعتدالاً في حركة سياسية ما عند انبثاق جناح أكثر تطرفاً. على ضوء التأثير الإيجابي للجناح المتطرف يمكن تفسير لماذا أفضى ظهور القاعدة والمجموعات الجهادية الأخرى إلى دفع الحكومات الغربية للنظر إلى الإسلاميين الذين لا يتبنون العنف باعتبارهم أقل خطورة وأكثر سلامة، بل والنظر في إقامة شراكات معهم. يقول النقاد إن التهديد الإرهابي الخطير والممتد لفترة زمنية طويلة هو الذي دفع بعض الحكومات الغربية إلى تخفيض سقفها حيال ما هو مقبول، وإلى قبول وإقرار التنظيمات المتطرفة مادام أنها ظلت مناهضة ورافضة للعنف في الغرب. تطرق إيان جونسون (Ian Johnson) المحرر بصحيفة «وول ستريت جورنال (Wall Street Journal)» إلى هذا الموضوع قائلاً: «إن القاعدة كانت أفضل ما حدث لتلك المجموعات. لقد أصبح سقف مطالبنا منخفضاً في يوم الناس

(40) Doug McAdam, "Studying Social Movements: A Conceptual Tour of the Field," "Program on Nonviolent Sanctions and Cultural Survival, "Weatherhead Center for International Affairs, Harvard University, 1992; Herbert H. Haines,"Black Radicalization and the Funding of Civil Right: 1957-1970,"in Doug McAdam and David A. Snow, Social Movements(Los Angeles: Roxbury, 1997), 440-41.

هذا، لدرجة أننا نكون سعيدين ومغتبطين لمجرد أن المجموعات ليست من القاعدة. وإذا لم تكن تؤيد الإرهاب علناً وتدعمه بلا مواربة فإننا نعتقد أنها على ما يرام. إننا لا نتوقف عن التفكير من أين جاء الأرهاب وأين تسبح الأسماك»[41].

لم يتوان الإخوان الغربيون الجدد في اغتنام هذه الفرصة غير المسبوقة، لتقديم أنفسهم كأعداء ألدّاء للجهاديين، وشركاء أوفياء للدولة في اجتثاث جذور التطرف والعنف واستئصال أسباب الاضطراب الاجتماعي. بيد أن المنتقدين يذهبون إلى أن الهدف الحقيقي للإخوان يتمثل في استغلال الدعم المالي والشرعية السياسية، لمجرد توسيع نطاق أجندتهم الخاصة. إن حصيلة معرفة الإخوان الغربيين الجدد حق المعرفة بالعالم السلفي، أو الوجه الآخر للجهاديين الغربيين جد ضئيلة. وكم ضئيل وقليل هو الاهتمام بما يقوله الإخوان من قبل الجيل الثاني من مجموعات الجهاديين، الذين نشأوا وترعرعوا في البلاد، ممن يمثلون أكبر مهدد أمني للغرب، فهم يدينون الإخوان ويستنكرونهم وينعتونهم بأنهم «خونة أو سلع معروضة للبيع». فضلاً عما تقدم، حتى ولو افترضنا أن بعض النتائج يمكن تحقيقها على المدى القريب ضد الجناح المتطرف من خلال الشراكة مع الجناح المعتدل، فإنه لا يمكن إيجاد حلفاء دائمين أو عقد تحالفات مستدامة إذا كانت أهداف الحركة على المدى البعيد غير متطابقة مع أهداف الدولة. وعلى نقيض ذلك هنالك مخاطرة بأن الجناح المعتدل سوف يستفيد من دون وجه حق من دعم الدولة ويوسع من نطاق

(41) الإخوان المسلمون في أوروبا، شهادة إيان جونسون أمام تجمع الكونغرس حول حقوق الإنسان، 9 فبراير 2006.

حضوره وانتشاره على مستوى الجالية الإسلامية العريضة على نحو يفوق ما كان يمكن أن يصل إليه من تلقاء نفسه وبوسائله الخاصة.

لقد استخدم الإخوان هذه الاستراتيجية في الماضي، مقنعين قادة الدول في الشرق الأوسط بدعمهم بديلاً للقوى المعادية الأخرى في أكثر من حالة. ففي سبعينات القرن الماضي على سبيل المثال خفف أنور السادات من قبضة السياسات القمعية التقليدية التي درجت الحكومة المصرية على اتباعها في التعامل مع الإخوان المسلمين، معتقداً أنهم يمكن أن يمثلوا البديل المقابل لجاذبية التنظيمات اليسارية وقتها، إذ كان السادات يرى أن اليساريين يمثلون خصومه الرئيسيين[42]. وفي المملكة العربية السعودية ظلت العائلة المالكة تقدم الدعم المالي لتنظيم الإخوان المسلمين لعشرات السنين بحسبانهم حلفاء مفيدين ضد الأنظمة العلمانية، وضد مساعي إيران لتصدير التفسير الثوري للتشيع، وذلك على الرغم من أن العائلة المالكة لم تسمح إطلاقاً بتأسيس فرع رسمي لتنظيم الإخوان المسلمين على أرض المملكة. بل وحتى الحكومة الإسرائيلية تسامحت في الثمانينات من القرن المنصرم واحتملت نمو حركة حماس، الفرع الفلسطيني للإخوان المسلمين بل وقدمت دعماً غير مباشر للحركة لأجل إضعاف موقف منظمة التحرير الفلسطينية التي كان

---

(42) كاري روزفسكي وويكهام: التعبئة الإسلامية: النشاط والدين والتغيير السياسي في مصر، نيو يورك، مطبعة جامعة كولومبيا 2002، ص96، جيل كيبل: التطرف الإسلامي في مصر، بيركلي ولوس انجلوس، مطبعة جامعة كاليفورنيا 1986، ص134-35.

Carrie Rosefsky and Wickham, Mobilizing Islam: Religion, Activism, and Political Change in Egypt(New York: Columbia University Press, 2002),96; Gilles Kepel, Muslim Extremism in Egypt (Berkly and Los Angeles: University of California Press, 1986),134-35.

يرأسها عرفات[43]

في جميع الحالات المتقدم ذكرها ندمت أنظمة الحكم في الشرق الأوسط، أيّما ندم، على قرارها عندما وجدت نفسها وجهاً لوجه في غمار حرب ضروس لا هوادة فيها مع ذات القوى التي سبق وأن أطلقت لها العنان ذات يوم. ففي عام 2002م تحدث الأمير نايف بن عبدالعزيز وزير الداخلية السعودي قائلاً: «إن الإخوان المسلمين هم مصدر جميع مشكلاتنا. لقد دعمنا هذه المجموعة أكثر مما ينبغي. لقد حطم الإخوان المسلمين العالم العربي»[44]. في يوم الناس هذا، تخاطر الحكومات الغربية كما يقول النقاد بارتكاب الخطأ نفسه بالاعتماد على الإخوان، لأجل تحقيق نتائج أمنيّة قصيرة المدى وتجاهل ما يترتب على تقويتهم ودعمهم من آثار وبيلة وخيمة العواقب، وعقابيل أخطر بكثير على المدى البعيد.

الإخوان والعنف

خلال السنوات القليلة الماضية، وتحديداً منذ الحادي عشر من سبتمبر، ظل الإخوان الجدد في العالم الإسلامي والغرب على حد سواء في اتساق وانسجام في إدانة الإرهاب واستنكاره. فقد عكف كبار العلماء في الحركة على إصدار الفتاوى وتدبيج التصريحات وتوقيع البيانات والإفصاح علناً، وعلى رؤوس الأشهاد عن أن الإرهاب والعنف والتفجيرات الانتحارية أعمال وحشية وهمجية، تتعارض جملة وتفصيلاً مع التعاليم

---

(43) مقابلة مع مسؤولين إسرائيليين في القدس وهرزليا، يوليو 2008.

(44) كما ورد في مؤلف روبرت باير بعنوان «النوم مع الشيطان»:
Robert Baer, Sleeping with the Devil(Washington, DC:Three River Press, 2003), 180

الإسلامية. وقد نالت هذه الإدانة الصريحة جداً إطراء كثيرين من الغربيين، وحازت على رضاهم واستحسانهم، وقوبلت بالإشادة من قبلهم معربين، عن سرورهم بوجود أرضية مشتركة مع العلماء المسلمين بشأن مثل هذه الموضوعات المهمة.

بيد أن تحليلاً يتسم بمزيد من العمق لتلك الإدانات سوف يسفر عن وجود أسباب تدعو للتروي والتريث، ذلك أنه ومع عدم وجود تعريف متعارف عليه، أو معترفٍ به عالمياً للإرهاب، فإن الأغلبية يدرجون سفك دماء المدنيين لأسباب سياسية تحت عباءة هذا المصطلح، إلا أن الإخوان المسلمين لديهم تفسير مختلف تماماً. ففي اجتماع المجلس الأوروبي للإفتاء والبحوث، الذي انعقد في يوليو 2003م بمدينة استوكهولم، طرح القرضاوي خمس فئات، أو خمسة أنماط للإرهاب بما فيها ذلك الذي يبيحه الشرع الإسلامي و«العمليات الاستشهادية». بعد أن أصدر القرضاوي حكماً بأن المجتمع الإسرائيلي بأكمله يمكن تعريفه بأنه مجموعة من «الغزاة»، وبالتالي فإن استهدافه يعد أمراً مشروعاً، صرّح بأن «من يعارضون العمليات الاستشهادية، ويزعمون أنها انتحارية إنما يرتكبون خطأً فادحاً وجسيماً»[45]. وقد امتد نطاق هذا الحكم في نقطة أثيرت خلال حلقة من البرنامج الشهير الذي تبثه قناة الجزيرة الفضائية، وهو برنامج الشريعة والحياة الذي درج على استضافة القرضاوي، حيث أشار القرضاوي في تلك الحلقة إلى أنه لا يوجد أي شيء اسمه إسرائيلي مدني، وبالتالي فإن أي هدف في إسرائيل، سواء كان رجلاً أو امرأة أو

(45) تحدث القرضاوي منوهاً بالعمليات الاستشهادية في مؤتمر إسلامي بالسويد(ميمري) رسالة خاصة رقم 542، 24 يوليو 2003.

طفلاً يعد هدفاً مشروعاً. وفوق هذا وذاك أشاد القرضاوي باستخدام الأطفال في التفجيرات الانتحارية، مصرحاً بقوله «إن إسرائيل قد يكون لديها قنابل نووية ولكن نحن لدينا قنابل بشرية.. قنابل من الأطفال»(46).

أما الاستدلال السببي الذي استبطنته تلك التصريحات فهو أن الأعمال التي يقوم بها من يقاومون الاحتلال، أياً كانت أهدافهم، تعد أعمالاً مبررة ولها مسوغاتها الأخلاقية والدينية على حد سواء. تنطبق هذه الحجة ليس على الفلسطينيين فحسب وإنما أيضاً على جميع الأراضي الإسلامية التي ترزح تحت نير الاحتلال، بما فيها الشيشان وكشمير والعراق. وقد أصدر مولوي فتوى تنص على أنه لا يجوز للدول العربية أن تتعاون مع الولايات المتحدة في ما أسمته «الحرب على الإرهاب» مشيراً إلى أن معظم الأعمال التي تصفها واشنطن بأنها إرهابية هي في حقيقة الأمر «جهاد وحق مشروع» مثل عمليات المقاومة في فلسطين، والعراق، وأفغانستان(47). وبالمثل أصدر القرضاوي فتوى في عام 2004م تسوغ شن الهجمات على جميع الأمريكيين في العراق – بمن فيهم المدنيون – مشيراً إلى أنه «ليس هنالك فرق بين العسكريين والمدنيين الأمريكيين في العراق، مادام أنهم جميعاً قدموا لغزو البلاد واحتلالها» ومادام أن «المدنيين في حقيقة الأمر إنما قدموا إلى البلاد لخدمة القوات المحتلة»(48). وعليه فإن إقرار الإخوان الجدد لقتل المقاولين الأمريكيين

---

(46) الدين والحياة، قناة الجزيرة، 28 إبريل 2002.

(47) علاء أبو العينين، باحث بارز، إسلام أونلاين، 30 مايو 2003 انظر الموقع:
http://www. islam-online. net/English/News/2003-5/31/article7. shtml.

(48) جيهان شاهين، عنوان المقال: معركة الفتوى، الأهرام ويكلي ،(أسبوعية، مصر) 708 (16-22 سبتمبر 2004).

في العراق، أو الأطفال الإسرائيليين لا يخل بإدانتهم العلنية للإرهاب لأن ما أقروه يعد من أعمال المقاومة المشروعة.

تتبنى الغالبية العظمى من الإخوان الغربيين الجدد مواقف القرضاوي ومولوي، اللذين يرأسان الاتحاد الأوروبي للإفتاء والبحوث؛ وهم في بعض الحالات يبررون العنف بالحجج التشريعية والقانونية، موضحين أن القانون الدولي يكفل للناس حقهم في تقرير مصيرهم. وفي حالات أخرى يعمدون إلى مقارنة أعمال مقاتلي حماس مع أعمال نيلسون مانديلا الذي وصف أيضاً ذات مرة بأنه إرهابي؛[49] وذلك لأجل استمالة الغربيين على المستوى العاطفي. أما الموقف الأشهر والأوسع انتشاراً للإخوان الغربيين الجدد فقد عبر عنه أحمد الراوي رئيس اتحاد المنظمات / التنظيمات الإسلامية في أوروبا (FIOE) والذي يتخذ من بروكسل مقراً له، ويمثل مظلة لتنظيمات الإخوان في أوروبا، عندما صرح لصحيفة وول ستريت جورنال قائلاً: إن التفجيرات الانتحارية في العراق وإسرائيل مبررة لأن المسلمين «من حقهم أن يدافعوا عن أنفسهم»[50].

وبكل حال فإن الدعم المفتوح من قبل الإخوان للعنف، إنما يقتصر على الصراعات التي يجاهد فيها المسلمون لتحرير الأراضي التي يعتبرونها ملكاً لهم بتطهيرها من دنس الاحتلال، وبالتالي يمكن تحليل ذلك على ضوء الجدل الذي لا ينقطع البتة حول أن «إرهاب زيد يعني حرية

(49) المقارنة قام بها عدة زعماء إخوان مسلمين في مناسبات مختلفة جمعتهم بالمؤلف.

(50) مقال لإيان جونسون في صحيفة وول ستريت جورنال الأمريكية بعنوان:
How Islamic Group's Ties Reveal Europe's Challenge, December 29,2005.

عمرو»[51]. يحتج مؤيدو المشاركة والانخراط بأن الإخوان إنما يقرون جهاد المدافعة فقط، وقد دأبوا بصفة مستمرة على إدانة هجمات الحادي عشر من سبتمبر، وتفجيرات لندن، ومدريد، ومعظم الهجمات الأخرى التي تحمل بصمات القاعدة والمجموعات الفرعية التابعة لها، خلال السنوات القليلة الماضية. أما المتشائمون فإنهم يصرون على أن إدانة الإخوان العنف لا تصدر بصورة انتقائية فحسب، وإنما تتم أيضاً لأسباب تكتيكية بحتة – ذلك أن الإخوان كمفكرين استراتيجيين من الطراز الأول – يدركون تماماً عدم جدوى الأساليب والتكتيكات المتبعة من قبل القاعدة، على الأقل في الوقت الحاضر. فالغرب لن ينهار بسبب هجمات إرهابية جزافية تقع خبط عشواء، كما أن ميزان القوى حالياً تميل كفته على نحو لا تسفر معه مثل تلك الهجمات عن أي شيء سوى الآثار العكسية. يحتج المتشائمون بأن إدانة الإخوان العنف تميل إلى الحسابات الباردة بخصوص الكيفية المثلى لبلوغ مقاصد الحركة وتحقيق أهدافها أكثر من كونها إدانة لأساليب العنف من منطلق مبدئي راسخ.

في واقع الأمر يجادل المتشائمون بأن فكرة عدم استخدام العنف، إلا عندما يكون هو الأسلوب الأنجع، إنما تعود إلى تعاليم حسن البنّا. فقد كان معظم تركيز مؤسس جماعة الإخوان المسلمين منصبّاً على ما أسماه «جهاد القلم والصوت» وفيه يحض المسلمين على استخدام الوسائل السلمية لتحقيق أهدافهم. حتى وإن كانت كلمة «جهاد» تجعل بعض الغربيين يرتجفون وترتعد فرائصهم فهي في هذه الحالة تعني مجرد سعي إلى إرضاء الرب ونشر رسالة الإخوان باللسان والقلم. بيد أن البنّا

(51) Leiken and Brooke, “The Moderate Muslim Brotherhood,” 116

كان واضحاً هو الآخر في الإعلان عن أن الكلمات باللسان واليراع إذا لم تكن كافية عندها سيكون اللجوء إلى العنف ضرورياً. فقد قال في هذا الخصوص: «إن الإخوان المسلمين سوف لن يستخدموا القوة إلا عندما لا يكون هنالك سبيل آخر مفتوح أو متاح أمامهم»[52]. وهو يعلن بذات الدرجة من الوضوح أن جميع الجهود الأخرى ضرورية ومطلوبة وحقيقة بالثناء لكن «الجهاد المسلح في سبيل الله هو أعلى مراتب الجهاد، الذي يمثل خطوة لا بد للمسلمين من اتخاذها والقيام بها، لتحقيق أمر الإسلام إذا قصرت الوسائل الأخرى دون تحقيق هذه الغاية»[53]. لم يحدد البنّا أي مبدأ شمولي لاستخدام العنف، وربما يعزى ذلك إلى تغييبه المبكر عن المشهد بالموت، ولكنه يبدو واضحاً في إقرار استخدام العنف لتحقيق مقاصد الحركة، ولكن كملاذ أخير أو خيار لا مندوحة عنه إذا تقطعت السبل بالخيارات الأخرى، والأهم من هذا كله أن يتم اللجوء إلى العنف عندما تكون الحركة قد أعدت العدة لذلك وأصبحت على أهبة الاستعداد له. وقد أعرب كبار المفكرين الآخرين في حركة الإخوان المسلمين عن أفكار وآراء مماثلة، حيث كتب سعيد حوى، أحد كبار القياديين لحركة الإخوان المسلمين في سورية قائلاً في ثمانينات القرن الفائت: «إن الإخوان المسلمين سوف يستخدمون القوة حتماً، ولكن فقط عندما لا يكون هنالك سبيل آخر أمامهم وعندما يقتنعون تماماً بأنهم أعدّوا أنفسهم الإعداد اللازم، وتزوّدوا بالتقوى وقوة العقيدة الصحيحة والوحدة والتنظيم»[54].

---

(52) سعيد حوى، الأخ المسلم(مدينة الكويت، الاتحاد الإسلامي العالمي للمنظمات الطلابية/ مطبعة الفيصل الإسلامية 1985) ص 119.

(53) Olivier Carre' and Gerard Micaud, Les Freres Musulmans(Paris :Gallmirad, 1983), 44

(54) سعيد حوى، الأخ المسلم، ص 123

في ظل هذه التصريحات تظل الانعطافة التي تستهدف التكيف مع الواقع، والتي حدثت في سبعينات القرن الماضي بمثابة تحول أملاه وعي الحركة بضعفها العسكري أمام أنظمة الحكم التي ناصبتها العداء.

ومهما يكن من أمر فإن بعض المتفائلين يجادلون بأن حركة الإخوان مشهود لها بالمرونة، وعدم التحجر، وانعدام الجمود في المواقف – ذلك أن مواقف البنا وكبار أعضاء الجماعة الآخرين، ومع أنه يتم النظر إليها بطريقة مختلفة- لا تكون بالضرورة مقبولة لدى الأجيال الجديدة، التي أكدت مراراً وتكراراً حقها في الإسهام في تطوير الفكر الحركي للجماعة. ومع هذا فإن تحليلاً لخطب قيادات الإخوان الجدد وكتاباتهم سوف يسفر عن تطابق يكاد يكون كاملاً وتاماً في رفض العنف ونبذه، استناداً على محض تقييم ميزان القوة، أو توازن القوى وقت إجراء التحليل. ومن بين عدد من المصادر التي تؤيد هذا الموقف وتؤكده، يمكن الإشارة بوجه خاص إلى كتابات القرضاوي، التي تكتسب أهمية خاصة لجهة اكتمالها ووفائها بالمطلوب، فضلاً عن كونها جديرة بالثقة والاعتبار. ففي كتابه «الصحوة الإسلامية بين الجحود والتطرف (Islamic Awakening Between Rejection and Extremism)» الذي ألفه في عام 1987م، والذي تمت ترجمته إلى اللغة الإنجليزية من قبل المعهد العالمي للفكر الإسلامي (IIIT)، وكثيراً ما تتم الإشارة إليه بالبنان، والإشادة به دليلاً على وسطية الحركة الإسلامية واعتدالها[55]. تم تخصيص أجزاء

(55) . انظر على سبيل المثال مؤلف جويس دافيس: بين الجهاد والسلام: ملامح عامة في الإسلام:
Joyce M. Davis, Between Jihad and Salaam: Profiles in Islam (New York:St. Martin's Press, 1997) 219-33

معتبرة من الكتاب لشجب واستنكار التطرف الديني والعنف، اللذين رزئ بهما قطاع كبير من شباب المسلمين كما يقول الشيخ القرضاوي، منتقداً الشباب الذين كانوا متحررين أكثر مما ينبغي في التكفير، ومتحجرين أكثر مما يجب في التفكير، مجادلاً بأن الاعتدال والوسطية والتسامح والمرونة من الخصائص الأصيلة بالغة الأهمية، التي ينبغي أن يتصف بها المسلم الصالح، وأن يتحلى بها.

ولكن في أجزاء أخرى من الكتاب يستخدم القرضاوي كلمات أخف وطأة وأقل صرامة تجاه «الشباب المتطرفين»، محتجاً بأن «نواياهم سليمة وأنهم مخلصون» تجاه ربهم[56]. منحياً باللائمة على عوامل أخرى فيما يتعلق بالأعمال التي درجوا على اقترافها. يقول في هذا الصدد: «ما نحتاج إليه بالفعل هو التحلي بالشجاعة التي لا تعرف إلى الخور سبيلاً، والجرأة بالإقرار بأن شبابنا قد أرغموا إرغاماً ودفعوا دفعاً لما نطلق عليه «التطرف الديني (religious extremism)» بسبب صنيعنا نحن وأفعالنا الأثيمة»[57]. إن «(الأفعال الأثيمة)» التي دفعت شباب المسلمين إلى العنف تتمثل في عدم قدرة الأجيال القديمة على إقامة الدولة الإسلامية. فالذين يستخدمون العنف أرواحهم طيبة ويهدفون إلى الأعمال الصالحة. الخطأ الوحيد الذي وقعوا فيه بسبب صغر سنهم وطراوة عودهم وحداثة تجربتهم، هو أنهم كانوا عجلين أكثر مما ينبغي، فاختاروا الأساليب الخاطئة[58]. ما كان لمثل هذه المشكلة أن تقع لو أن الأجيال الكبيرة

---

(56) يوسف القرضاوي، الصحوة الإسلامية بين الرفض والتطرف، مطبوعات المعهد الدولي للفكر الإسلامي 1991، ص 149

(57) المرجع السابق، ص 15

(58) يوسف القرضاوي، الصحوة الإسلامية بين الجحود والتطرف، ص149

تمكنت من إقامة الدولة الإسلامية. ومع أن الحركة قد أخطأت فإن علة ذلك الإخفاق «يمكن أن تعزى بشكل أساسي إلى فرض العلمانية على المجتمعات المسلمة. ذلك التوجه الدخيل الذي يقف على طرفي نقيض مع كل ما هو إسلامي»[59]. يقول هذا العالم إن «الصليبيين المعاصرين الجدد» تسللوا خلسة إلى العالم الإسلامي؛ لنشر الماركسية والعلمانية؛ لأجل منع انتشار الإسلام وإخضاع المسلمين ليعيشوا في ذلة وخنوع. ويستطرد القرضاوي قائلاً: إن شباب المسلمين على وعي أيضاً بأن جميع هذه المواقف السلبية تجاه القضايا الإسلامية – محلياً وعالمياً – صادرة من قوى أجنبية وينفذها بعض الحكام المسلمين، الذين يتلاعب بهم الصهاينة أو الصليبيون أو قوى الإلحاد والبغي والعدوان»[60].

يقدم القرضاوي في كتابه عن الصحوة الإسلامية تبريراً مبطناً مقنّعاً للعنف. فقد كان القرضاوي أكثر وضوحاً في كتابه الذي صدر عام 2000م تحت عنوان «أولويات الحركة الإسلامية في المرحلة المقبلة» فيما يتعلق بالطبيعة التكتيكية الصرفة لنبذه العنف ضد الغرب والحكام العلمانيين بالعالم الإسلامي[61]. ينتقد القرضاوي فكر الشهيد سيد قطب والمفكرين والمنظرين الآخرين، الذين يسعون إلى استخدام العنف في مواجهة من يعارضون قيام الدولة الإسلامية والحركة الإسلامية بشكل أعم[62]. إن انتقاده ليس قائماً على أساس أن أسلوب القطبيين ليس

---

(59) يوسف القرضاوي، الصحوة الإسلامية بين الجحود والتطرف، ص 85

(60) يوسف القرضاوي، الصحوة الإسلامية بين الرفض والتطرف،ص88-89

(61) يوسف القرضاوي:أولويات الحركة الإسلامية في المرحلة المقبلة، مطبوعات الصحوة، سوانسي، المملكة المتحدة، 2000.

(62) انتقاد القرضاوي لسيد قطب يعود للثمانينيات، انظر حسام تمام «يوسف القرضاوي والإخوان المسلمين: طبيعة العلاقة الخاصة» وكذلك في مؤلف بيتنا غراف وجاكوب سكوففارد بيترسين بعنوان: المفتي العالمي: ظاهرة

إسلامياً، وإنما لأنه يكبل الحركة الإسلامية ويقعدها عن أن تخطو قيد أنملة. يتطرق القرضاوي إلى هذا الأمر متسائلاً: «ما معنى أن نتحدث عن الهجوم لإخضاع العالم لرسالتنا، ونحن لا نملك من السلاح إلا ما ملكوه لنا، وسمحوا ببيعه إيانا؟»[63]. فالمواجهات الهجومية العنيفة مرفوضة إذاً، ليس لأنها خاطئة أو غير أخلاقية أو لأنها ضد تفسيره النصوص الإسلامية، وإنما ببساطة لأنها غير فعالة في الوقت الحالي؛ فهي واجب أخلاقي - وفقاً لتفسير القرضاوي للأحداث وقراءته للواقع - في المناطق التي تشهد تعرض المسلمين للهجوم المباشر مثل فلسطين وكشمير والعراق. في هذه الحالات يكون إقراره للجهاد صريحاً ومفتوحاً ومستمراً لأجله يناشد جميع المسلمين في جميع أرجاء المعمورة بأن يساعدوا إخوانهم ويشدوا من أزرهم. أما في المواضع الأخرى، على سبيل المثال ضد الحكام العلمانيين في العالم الإسلامي، فالجهاد غير فعال ويمثل ذريعة لتدخل القوات الأجنبية. يجادل القرضاوي بأن الحركة الإسلامية ينبغي لها أن تكون أكثر ميلاً للتفكير الاستراتيجي والنظرة إلى الأمور من منظور استراتيجي، وتفادي اللجوء إلى العنف في مواجهة الحكام العلمانيين في الدول الإسلامية وضد الغرب إلى أن يقوى عود الحركة الإسلامية وتكون قوتها مضاهية لقوة أعدائها.

توفر مواقف القرضاوي ذخيرة لمن يرون أن الإخوان بوعي منهم أم بدونه إنما يطبقون المبدأ الذي يؤيده الفيلسوف الماركسي الإيطالي أنطونيو جرامسكي (Antonio Gramsci)، الذي كتب في حقبة العشرينات

يوسف القرضاوي، مطبعة جامعة كولومبيا 1992، 233-238.

(63) المرجع السابق.

والثلاثينات من القرن الفائت معرباً عن اعتقاده أن الناشطين المناوئين للرأسمالية ينبغي لهم تطبيق استراتيجية ذات شقين[64]. أولاً: ينبغي أن يشنوا «حرب مواقف (war of position)» يلتزمون فيها عدم اللجوء إلى العنف إلى أن يصبح صوتهم هو الأعلى وهو المهيمن على المشهد في وسائل الإعلام، وفي التعليم وفي الشارع. من خلال هذا الموقف المنطوي على الهيمنة الثقافية سوف تتمكن طلائع الثورة من غرس المبادئ الثورية في روع الجموع الجماهيرية، واضعين بذلك حجر الأساس، ومعبدين الطريق أمام الشق الثاني من الاستراتيجية المتمثل في شن «حرب مناورات (war of maneuver)» وهذا ما يستوجب التمرد المسلح ضد الطبقات الحاكمة. يجادل المتشائمون بأن الإخوان في يوم الناس هذا إنما يطبقون ذات الخطة التدريجية من منطلق إدراكهم، لأن استراتيجية المواجهة التي تتبناها القاعدة مثيرة للإعجاب ولكنها سابقة لأوانها[65]. لقد أمر الله تعالى في القرآن الكريم نبيَّنا محمداً عليه أفضل الصلوات وأتم التسليم والسابقين من صحبه الأبرار الأخيار بألا يشنوا الحرب على أهل مكة إلى أن تصبح قوتهم في مستوى قوة أعدائهم ومن ثم يجادل الإخوان اليوم بأن المسلمين الذين يودون إقامة نظام إسلامي يجب عليهم أن ينهضوا بأعباء إعداد القوة بصبر وروية وبصورة متأنية، قبل أن يشرعوا في الدخول في أي مواجهة[66].

---

(64) Antonio Gramsci, Prison Notebooks(New York: Columbia University Press, 1992), 233-38.

(65) لتطبيق مفاهيم غرامتشي على أفعال وتصرفات الحركات الإسلامية، خصوصاً حركة حماس أنظر:
Massimo Introvigne, Hamas: Fondamentalismo Islamicon e Terrorismo Suicida in Palestina(Turin:Elledici, 2003).

(66) مقابلة مع أخ مسلم سابق في مدينة زيورخ، يوليو 2008.

وعلى الرغم من أن كتب القرضاوي والعلماء الآخرين، الذين يؤيدون العنف صراحةً مثل فتحي يكن، أو مولوي قد تمت ترجمتها وتم توزيعها عبر شبكاتهم، فإن معظم الإخوان الغربيين الجدد يميلون إلى تفادي المناقشة العلنية للمسائل المتعلقة بالعنف، حاصرين إفاداتهم في إدانات عامة ولكنها صارمة حازمة ضد جميع أعمال الإرهاب. ومع هذا فقد رشح في بعض المستندات والحوارات الخاصة حول الموضوع ما يؤكد هواجس المتشائمين ويؤيد مخاوفهم ويعزز شكوكهم. ولعل المثال الجدير بالملاحظة والذكر في هذا المقام هو عبد الرحمن العمودي القيادي الإسلامي الأمريكي، الذي تم اعتقاله في عام 2003م. ففي مكالمة هاتفية تم اعتراضها سراً من قبل السلطات الأمريكية قبل اعتقاله وكان معه على الطرف الآخر زميل له، أعرب العمودي عن شعوره تجاه تفجيرات القاعدة للسفارتين الأمريكيتين في كينيا وتنزانيا عام 1998م:

«أعتقد أن الهجمات التي نفذها ابن لادن والمجموعات الإسلامية الأخرى كانت خاطئة بصفة خاصة، لاستهدافها للمدنيين، على سبيل المثال تفجير السفارة الأمريكية في كينيا الذي أزهق أرواح كثير من المسلمين الأفارقة لم يمت فيه ولو أمريكي واحد. لقد قتلتم خمسمائة أفريقي وبلغت الإصابات 5000 وبعد ذلك تقولون إنكم فجرتم سفارة أمريكية! هذا ليس جيداً وهو يعطي صورة سيئة عن المسلمين والعرب حتى داخل أمريكا نفسها. ما النتيجة التي تحققونها من تدمير سفارة في بلد أفريقي؟ إنني أفضل ضرب هدف صهيوني في أمريكا أو أوروبا أو أي مكان آخر ولكن ليس كما حدث في السفارة في كينيا. بأمانة، أفضِّل مثل

ما حدث في الأرجنتين»[67].

عندما سأله محاوره عمّا يعني بقوله « ما حدث في الأرجنتين» طفق العمودي يخلع عبارات الإطراء والإشادة والثناء على تفجير 1994م لمركز الجالية اليهودية في بيونس آيريس الذي وصفه بأنه «عملية جديرة بالثناء» وأردف يقول: «عليك أن تنتقي الهدف بعناية حتى لا تضع المسلمين في وضع غير مريح. لا ينبغي لنا أن نلجأ إلى الخيار العسكري إلا إذا كنا مرغمين على ذلك. »

لقد تجلى التفكير التكتيكي للعمودي بخصوص استخدام العنف بصورة أكثر وضوحاً في خطبة ألقاها في مؤتمر للاتحاد الإسلامي لفلسطين في شيكاغو في عام 1996م، ولم يكن وقتها يدرك أن كلامه قد تم رصده وتسجيله:

«أعتقد أن موقفنا تجاه أمريكا ينبغي أن يتغير. أمامنا فرصة في أمريكا لكي نصبح القادة الأخلاقيين لأمريكا. والمشكلة هي متى سوف يحدث هذا الأمر؟. لا يساورني شك في مخيلتي بأن المسلمين سوف يتسنمون القيادة الأخلاقية لأمريكا عاجلاً أم آجلاً. يتوقف هذا الأمر علينا، أنا وأنت، إما نقوم بذلك في الحال وعلى الفور،وإما نقوم به بعد مائة عام، ولكن هذه الدولة سوف تصبح دولة إسلامية. و(أعتقد) أننا إذا كنا خارج هذه البلاد كان بإمكاننا القول: «اللهم دمِّر أمريكا» ولكن

(67) كما جاء في إفادة برت غينتروب، عميل دائرة الهجرة والجمارك الأمريكية، في قضية الولايات المتحدة ضد عبد الرحمن العمودي بمحكمة إيست فرجينيان القضية رقم03-1009 أم، 30 سبتمبر 2003.

طالما أننا هنا فإن رسالتنا في هذه البلاد هي أن نقوم بتغييرها. وقد أخبرنا النبي صلى الله عليه وسلّم بأن هنالك ثلاث طرق لتغيير الأشياء، إما باليد أو باللسان أو بالقلب ويمكننا أن نقوم بالتغيير باليد وباللسان ولكن بطريقة إيجابية. ما من سبيل أمام المسلمين البتّة لكي يصبحوا عنيفين في أمريكا ولا في أي موقع آخر. لدينا وسائل أخرى لتحقيق ذلك. يمكنك أن تكون عنيفاً في أي مكان آخر ما عدا أمريكا»[68].

يقول المتشائمون إن التركيز في عبارة «وسائل أخرى لتحقيق ذلك» يمثل تلخيصاً دقيقاً لموقف العمودي والإخوان الغربيين الجدد؛ فالعنف حتى ولو كان ضد المدنيين مقبول تماماً ما دام أنه لا يعود على الحركة بتداعيات وانعكاسات وأصداء سلبية؛ إلا أنه بالنسبة إلى الوقت الحالي فإن استخدام العنف في الغرب ليس مجدياً ولا يفضي إلى أي نتيجة إيجابية، وبالتالي يتعين على الحركة أن تستغل الانخراط والمشاركة السياسية لتحقيق أهدافها.

العوامل الحاسمة

ومع أنه لا توجد دولة يمكن القول إنها اعتمدت سياسة متماسكة وحازمة محددة المعالم، وأن الجدل ما فتئ محتدماً داخل أروقة كل حكومة غربية، فإن من الواضح أن قرار الشراكة مع المسلمين الذين لا يتبنون العنف مرتبط ارتباطاً مباشراً بتعريفات التطرف والراديكالية التي تبنتها السلطات بصورة رسمية أو غير رسمية. أما السلطات التي تميل

(68) التسجيل الصوتي موجود على الموقع:
http://www.investigativeproject.org / 261 / alamoudi-you-can-be-violent-anywhere-else.

إلى ربط هذه المفاهيم بصورة وثيقة باستخدام العنف، فمن الأرجح أن تكون منفتحة على إقامة نوع من الشراكة مع الإسلاميين، الذين لا يتبنون العنف. هذا هو الشأن في بريطانيا العظمى حيث يتمثل الهدف الأولي للمنع، برنامج الحكومة لمكافحة التطرف الذي تم طرحه في عام 2003م، في «منع الناس من أن يصبحوا مساندين للإرهابيين أو المتطرفين الذين يتبنون العنف»[69]. نتيجة لذلك كانت مختلف التنظيمات الإسلامية الرافضة للعنف داخل البلاد منخرطة في شراكات لعدة سنوات تلقت خلالها تمويلاً من الحكومة البريطانية.

تتبنى دول أخرى تفسيراً فضفاضاً لما يمثل التطرف، وبالتالي الهدف الذي ينبغي أن تحققه برامجها لمكافحة التطرف، فعلى سبيل المثال تعرف السلطات الهولندية الراديكالية بأنها «الاستعداد المتنامي للرغبة في التغييرات الجذرية أو تأييد ذلك... في المجتمع وهي التي لا تتناسب مع نظام القانون الديمقراطي لدينا»[70]. تشير خدمات الأمن الداخلي في هولندا «AIVD» بصفة خاصة إلى أن العنف ليس بالضرورة جزءاً من التطرف الذي يتولون رصده في أوساط شرائح الجالية الإسلامية الهولندية. ففي هذا السياق يشير تقرير صدر في عام 2007م عن خدمات الأمن الداخلي إلى أنه «ليس هنالك تهديد بالعنف هنا ولا بهجوم وشيك على النظام الهولندي أو الغربي، ولكن هذه عملية بطيئة من شأنها الإضرار التدريجي بتماسك النسيج الاجتماعي والتضامن، وتهديد بعض الحقوق

(69) إستراتجية الوقاية : دليل الشركاء المحليين في انجلترا، حكومة صاحبة الجلالة، يونيو 2008، ص 4.
(70) أمستردام ضد التطرف، بلدية أمستردام، 15 نوفمبر 2007.

الإنسانية الأساسية المعيَّنة»[71]. وبالتالي فإن السلطات الهولندية أكثر تردداً من نظيرتها البريطانية فيما يتعلق بالشراكة مع الإسلاميين، الذين ينبذون العنف، ولكنها لم تستبعد كليّاً احتمال القيام بذلك في الظروف الاستثنائية[72].

يتبلور تعريف التطرف وبالتالي استراتيجية مكافحة الراديكالية بتضافر عوامل مختلفة. أما العامل الأهم فيتمثل في التهديد الأمني الذي يواجه البلاد، فالحكومات التي تتعامل مع راديكالية على مستوى عال نسبياً (بشكل عام نسبياً) في أوساط سكانها المسلمين، وتهديد خطير لهجوم إرهابي، من الأرجح أن تركز ببساطة في الراديكالية العنيفة أكثر من تركيزها في التهديدات الأقل وضوحاً على تماسك النسيج الاجتماعي. وفي غمرة حماسها لاستخدام أي وسيلة من شأنها منع وقوع الهجوم فإن من الوارد أن تكون أكثر انفتاحاً على فكرة الشراكة مع الإسلاميين، الذين ينبذون العنف. وبعبارة أخرى كلما ازدادت احتمالات وقوع التهديد الإرهابي انخفض تبعاً لذلك مستوى سقف مقبولية الشراكة.

تبدو بريطانيا العظمى حالة مناسبة في هذا الخصوص، ذلك أنه منذ الحادي عشر من سبتمبر ظلت بريطانيا تمثل هدفاً لعدة هجمات إرهابية، ينفذها منتسبون إلى القاعدة أو مؤيدون لها. وبفضل مزيج من الحظ مع مهارات السلطات البريطانية تمكن الإرهابيون من تسديد ضرباتهم بنجاح مرة واحدة فقط، لكن التهديد له أبعاد لا نظير لها في

---

(71) . تقرير المخابرات الداخلية الهولندية بعنوان «الدعوة المتطرفة في المرحلة الانتقالية».
The Radical Dawa in Transition

(72) مقابلة مع مسؤولي وكالة المخابرات الداخلية الهولندية في لاهاي، مايو 208.

أي دولة أوروبية أخرى. ففي عام 2008م، على سبيل المثال بلغت تقديرات خدمات الأمن البريطانية نحو (2000) فرد معظمهم من المواطنين أو المقيمين في بريطانيا، ممن شاركوا في أنشطة إرهابية متأثرة بنفوذ القاعدة، وادعت السلطات أنها رصدت حوالي 30 مؤامرة خطيرة في لحظة معينة[73] ليس من قبيل المصادفة إذاً أن تؤسس السلطات البريطانية، التي تواجه أكبر تهديد إرهابي على نحو يفوق ما تواجهه أي دولة أوروبية أخرى، الصيغ الأكثر كثافة وتركيزاً للشراكة مع التنظيمات الإسلامية التي لا تتبنى العنف[74]. وفي حين أن المسؤولين البريطانيين لا يرون الشراكة مع الإسلاميين، الذين ينبذون العنف، شراكة قائمة على أسس سياسة راسخة، فإن عقد الصفقات على أساس كل حالة على حدة، مع شركاء من المعترف به أنهم أقل من مثاليين إنما هو أمر يتم النظر إليه بحسبانه تحركاً لا مندوحة عنه، وهو من قبيل سياسة الأمر الواقع الذي أملته ضرورات التهديدات الطارئة الخطيرة[75].

أما معظم الدول الأوروبية الأخرى، التي لا تواجه تهديداً إرهابياً بذات الحجم، فهي تتخذ موقفا يتصف بمزيد من الحصافة. فعلى سبيل المثال تشير تقديرات وكالات الاستخبارات الهولندية إلى أن عدد الأفراد المنخرطين في أنشطة إرهابية في البلاد لا يتجاوز عدة عشرات، ويبدو أن تلك الوكالات تتصدى إلى الموضوع من خلال التمييز الواضح بين

---

(73) إستراتيجية الوقاية : دليل الشركاء المحليين. مقال جيمس كيركب في الديلي تلغراف» أكثر من 20 مخطط إرهابي ضد بريطانيا تم الإعداد لها في باكستان»، 15 ديسمبر 2008.

(74) ورقة مقدمة من جوناثان باريس في اجتماع جمعية هنري جاكسون في 2 يوليو 2008 بعنوان إستراتيجية المملكة المتحدة لمكافحة الإرهاب: من الاحتواء إلى المواجهة . مقابلة مع جوناثان باريس في نيو يورك ، يونيو 2009.

(75) مقابلة مع كبار المسؤولين في وزارة الداخلية البريطانية في لندن ، ديسمبر 2008.

الانخراط والتورط. ينبغي إشراك جميع الأصوات مادامت لا تؤيد العنف، لا سيما أن حشر الإسلاميين، الذين لا يتبنون العنف في الزاوية ووضعهم على الهامش إنما يمثل أمراً من شأنه أن يفضي إلى انعكاسات سلبية. ومع هذا فإن السلطات تشعر بأنها لا تستطيع أن تعد الإسلاميين شركاء مستديمين، عطفا على أن هذه المجموعات تتبنى رسالة تتصادم مع أفكار الحكومة الهولندية عن الديمقراطية والإندماج والتماسك الاجتماعي(76).

هنالك عامل آخر يؤثر في اختيار الشراكة مع الإسلاميين من عدمها، وهو الالتزام المؤسسي أو التنظيمي للجهة التي تتخذ القرار، ذلك أن المؤسسات التي يناط بها واجب ينحصر في مجرد منع أعمال العنف سوف تميل بطبيعة الحال إلى التركيز في التطرف والعنف، وبالتالي سوف تكتفي بالمكاسب الأمنية قريبة المدى،التي يمكن تحقيقها من خلال شراكات من قبيل ما تقدم. أما المؤسسات التي تهدف إلى الحفاظ على التناغم والانسجام والتماسك في المجتمع فهي سوف تتوخى المزيد من الحرص والحذر بخصوص الآثار المترتبة على ذلك التعاون على المدى البعيد، إذ تدرك تلك المؤسسات أن التعاون العرَضي المؤقت قد يكون ضرورياً في الحالات الطارئة، بيد أنها تخشى من أن ما يترتب على شراكة حكومية مستديمة من اكتساب للشرعية، وحصول على الدعم المالي، من شأنه أن يفضي دونما ضرورة إلى تقوية مواقف التنظيمات التي تعد أجندتها سلبية.

إن السجال الدائر في أوساط السلطات البريطانية يدل تحديداً

---

(76) مقابلة مع كبار المسؤولين الهولنديين في لاهاي ، مايو 2008.

على هذه الديناميكيات والعوامل المؤثرة. يجادل روبرت لامبيرت (Robert Lambert) الرئيس السابق لوحدة التواصل مع المسلمين (MCU)، وهي وحدة في شرطة مدينة لندن تضطلع بأعباء انخراط الجالية الإسلامية في المدينة، بأن القادة الإسلاميين المطيعين المثاليين (-ideal yes saying Muslim leaders) يفتقرون إلى الصدقية في جالياتهم كما أن ليس لديهم معرفة بالراديكالية[77]. ويرى لامبيرت، الذي كان أحد العقول المدبرة لتسليم مسجد فينسبيرى بارك إلى الرابطة الإسلامية في بريطانيا (MAB)، أن مجموعات مثل الرابطة الإسلامية في بريطانيا وحتى المجموعات السلفية التي لا تتبنى العنف، هي وحدها التي تحظى بالصدقية في الشارع على الوجه الذي يمكنها من التصدي للتحدي الذي يمثله خطاب القاعدة، والتأثير في المسلمين الشباب. وبناءً عليه فهو يؤيد «مفاوضات الشرطة المفضية إلى الشراكة مع المجموعات الإسلامية التي جرت العادة على عدها مدمرة للديموقراطية»[78].

إذا كانت وحدة التواصل مع المسلمين تسعى، ولأسباب مفهومة، إلى التماس جميع السبل الممكنة للوفاء بالتزاماتها المؤسسية أو التنظيمية المتمثلة في منع أعمال العنف، فإن المؤسسات العامة الأخرى ذات الالتزامات المؤسسية المختلفة تتحرى المزيد من الحرص، وتتوخى المزيد من الحذر. مع إقرار كبار المسؤولين في وزارة الداخلية ووزارة شؤون الجاليات والحكم المحلي (DCLG) بأن الاستيلاء على مسجد

---

(77) مقابلة مع روبرت لامبيرت في لندن، ديسمبر 2008.

(78) Robert Lambert, "Empowering Salafis and Islamists Against Al-Qaeda: A London Counterterrorism Case Study," Political Science and Politics 41(2008):31-35.

فينسبيري بارك يعد نجاحاً في ظل الظروف التي كانت سائدة، فإنهم يجادلون بأن مقاصد الحكومة البريطانية ينبغي أن تتمثل، ليس فقط في مجرد استهداف «المتطرفين العنيفين»، وإنما جميع أشكال الراديكالية وأطيافها(79). وقد صرح كبار الساسة في حزب العمل وغيره علناً بأنه لا يكفي أن يكون المرء مناوئاً للقاعدة حيث يصر هؤلاء الساسة على ألا يتم التعامل مع التنظيمات الإسلامية كشركاء، إلا إذا تقيدوا بالقيم البريطانية «غير القابلة للنقاش». وما برح مسؤولون حكوميون، من أمثال روث كيلي (Ruth Kelly) وهازل بليرز (Hazel Blears) وجاكي سميث (Jacqui Smith)، يكررون تارة تلو أخرى أن المجموعات التي تدين عنف القاعدة- في حين أنها تطري على أفعال مجموعات أخرى تدرجها الحكومة البريطانية تحت فئة المجموعات الإرهابية، وتتبنى القيم التي تشكل تهديداً لتماسك النسيج الاجتماعي- هي أيضاً جزء من المشكلة. يقول سميث عن تلك المجموعات إنها: «قد لا تروج للعنف صراحةً، ولكنها يمكن أن تؤدي إلى إيجاد مناخ من الخوف وعدم الثقة، ما يفتح الباب على مصراعيه أمام احتمالات وقوع العنف»(80). لعل هذا النمط من التفكير كما ورد في الفصل الخامس من هذا الكتاب هو الذي أصبح سائداً كما يبدو أيضاً أن السلطات البريطانية تزيد من تركيزها وتوسع من نطاقه تدريجياً على «التطرف والعنف» وتذهب إلى تعريف أوسع للظاهرة.

إن المواقف المتخذة من قبل صانعي القرار السياسي حول طبيعة

(79) مقابلة مع مسؤولي وزارة الداخلية ووزارة شئون الجاليات والحكومة المحلية في لندن، ديسمبر 2008.
(80) الن ترافيس» حان الوقت للتصدي للمتطرفين غير العنيفين، كما يقول سميثز» صحيفة الفارديان، 11 ديسمبر 2008.

الإخوان الغربيين الجدد تلعب كذلك دوراً رئيساً في بلورة القرارات. يميل المتفائلون إلى تفضيل العمل والتعامل مع الإخوان للأغراض الأمنية المحضة البحتة، في حين أن عدداً من المتشائمين، مع إدراكهم للمزالق المحتملة، يجادلون أيضاً ببعض صيغ التعاون. ثمة عامل إضافي من شأنه التأثير في عملية اتخاذ القرار، وهو يتمثل في تحليل عملية الراديكالية. ومع كثرة الدراسات هذه إلا أنه ليس هنالك إجماع أو توافق في أوساط الخبراء وصناع القرار السياسي، حول كيفية حدوث الراديكالية والدواعي الموجبة لحدوثها. يجادل المحللون على سبيل المثال عما إذا كان للاندماج وغيابه أي علاقة بالراديكالية. أما مكتب حماية الدستور في ألمانيا فهو يجادل بثقة بأن «الدمج الناجح يعد عاملاً رئيساً للإسهام في منع التطرف والإرهاب»[81]. يشير آخرون إلى انعدام الدليل التجريبي أو البرهان العملي للارتباط الأكيد بين غياب الدمج والراديكالية والعنف[82].

ويحظى دور التنظيمات الإسلامية التي لا تتبنى العنف فيما يتعلق بعملية الراديكالية بذات القدر من الجدال والسجال. هل تقوم هذه المجموعات وأمثالها مقام حاجز الصد ضد الراديكالية والعنف، أم أنها تعمل كسيور ناقلة للمجموعات الأكثر تطرفاً؟ يحتج مسؤولو الإخوان المسلمين بأن تلك المجموعات تعمل بوصفها الجدار المنيع ضد التطرف والعنف، حيث تحدث أحد كبار قادة الإخوان المسلمين المصريين إلى

---

(81) تقرير المكتب الفيدرالي الألماني لحماية الدستور بعنوان« الاندماج وسيلة لمنع التطرف والإرهاب: تصنيف التطرف الإسلامي والتجنيد، في يناير 2007، ص 7.

(82) أنظر، على سبيل المثال، تقرير معهد (The Change Institute) إلى المفوضية الأوربية في يوليو 2008 بعنوان« دراسة عن أفضل الممارسات في التعاون بين السلطات والمجتمع المدني لمنع التطرف والرد عليه»، ص 35.

ليكن وبروك قائلاً: «لو لا الإخوان المسلمون لاختار معظم شباب هذا العهد طريق العنف واتخذوه سبيلاً. لقد أصبح الإخوان صمام الأمان لوسطية الإسلام»[83]. أما خدمات الأمن الدنماركية (PET) فهي ترى- في بعض الحالات- أن الإسلاميين الذين لا يتبنون العنف يعملون بحق وحقيقة بوصفهم الجدار المانع لانتشار الحريق. فقد ورد في تقرير أصدرته خدمات الأمن في الدنمارك في عام 2008م أن «هؤلاء الأفراد - باختصار- هم الذين يمتلكون أفضل فرصة للتأثير في مواقف الشباب في عملية تحول إلى الراديكالية في اتجاه خال من العنف»[84].

أما خدمات الأمن الألمانية فهي لا توافق على الطرح آنف الذكر، وتعلن صراحة وبلا مواربة، في تقاريرها السنوية، أن التنظيمات الإسلامية التي لا تتبنى العنف «لا تقوم بأنشطة التجنيد لأغراض الحرب المقدسة العنيفة (الجهاد) وتدعي بدلاً عن ذلك تحصين الشباب المسلم ضد آراء «الجهاديين» من خلال تقديم العرض البديل لهؤلاء الشباب، لأجل تحقيق هويتهم الإسلامية»، بيد أنه يجمل بالمرء أن يسأل منتقداً أو أن ينتقد سائلاً عما إذا كانت أنشطتهم- الموجهة بقوة نحو الحفاظ على الهوية الإسلامية- تؤدي إلى تكثيف عدم الاندماج وتسهم في تطوير مجتمعات إسلامية موازية»[85]. فضلاً عما تقدم هنالك خطورة «أن هذه الأوساط قد تفضي أيضاً إلى تهيئة الأرض الخصبة للمزيد من الراديكالية» ما

---

(83) Leiken and Brooke, “The Moderate Brotherhood,” 112.

(84) وزارة شئون اللاجئين والهجرة والاندماج الدنماركية: نحو مستقبل مشترك و آمن: خطة عمل لمنع وجهات النظر المتطرفة والتطرف بين الشباب» يونيو 2008، ص 36.

(85) الاندماج وسيلة لمنع التطرف ، ص 5.

يشكّل الخلفية للمشهد الأيديولوجي للمجموعات التي تتبنى العنف[86].

إن الرؤى المتباينة هي نتاج طبيعي للمصاعب التي تكتنف التقرير الشامل لتأثير الإخوان المسلمين في عملية التحول إلى الراديكالية والبيئة الأمنية، عطفاً على انعدام الدليل العملي الملموس. لا مراء في أن الإخوان يعملون بالفعل بمنزلة «وحدات مكافحة حرائق» بصفة عارضة أو مؤقتة، عاقدة العزم والتصميم على إطفاء ألسنة اللهب المندلعة عن التوتر في أوساط الشباب المسلم[87]. ففي واقع الأمر ظل الإخوان الغربيون الجدد على موقف متماسك في إدانتهم لأعمال القاعدة، وفي الدعوة إلى الهدوء في كثير من المناسبات عندما كانت التوترات مستعرة الأوار في أوساط الجالية الإسلامية. يمكن الجدال إذاً كما يرى ليكن وبروك، بأن الإخوان يعملون مثل صمام أمان لتوظيف طاقات بعض الشباب المسلم، وتوجيه إحباطاتهم نحو تيار وقنوات النشاط السياسي، وإلا لكان هؤلاء الشباب جنداً في جيش الإرهاب. في بعض الحالات حققت الشراكة معهم نتائج طيبة كما هو الشأن في حالة مسجد فينسبيري بارك، وهذا ما تقر به الغالبية العظمى من صناع القرار السياسي في بريطانيا، بمن فيهم أشد المنتقدين للإخوان المسلمين بحسبانه قصة نجاح. هنالك أسباب للشك في أن الإخوان الغربيين الجدد قد اتخذوا المواقف سالفة الذكر في الأغلب الأعم لأغراض تكتيكية لأجل كسب المشروعية في عيون الصفوة الغربية ما يفضي إلى زيادة نطاق نفوذهم. حتى على افتراض صحة ما تقدم فإنه لا تستطيع أي حكومة غربية أن تجرؤ على تجاهل الفوائد التي

---

(86) التقرير السنوي للمكتب الفيدرالي الألماني لحماية الدستور، 2005، ص 190.

(87) مقابلة مع عبد الواحد بيدرسن، كوبنهاجن، نوفمبر 2008.

تحققها بعض أعمالهم على المدى القريب.

إذا كان الإخوان مكافحي حرائق بصفة عرضية مؤقتة قصيرة الأمد، فإنه يمكن الاحتجاج بأنهم في الوقت نفسه مشعلو حرائق عمداً على المدى البعيد. صحيح أن عدد الأعضاء النشيطين في تنظيمات الإخوان الغربيين الجدد ممن انخرطوا في عمليات التحول إلى الراديكالية والتورط في الأنشطة الإرهابية قليل جداً، ولكن الصحيح أيضاً هو أن الإخوان يوفرون الأرضية الأيديولوجية لمزيد من التحول نحو الراديكالية، ما يؤدي إلى خلق ذهنية الشعور المشترك بالحصار والاضطهاد والقهر وهذا من شأنه أن يمثل بوابة المرور إلى العنف. لقد جعلت تنظيمات الإخوان المسلمين من مسيرة الاندماج سيرةً للشعور بالاستهداف، ما أدى إلى خلق بيئة خصبة للإسلاميين الذين يتبنون العنف، الذين ما عليهم إلا أن يقنعوا من يستهدفونهم للتجنيد بصحة طرحهم وصدق مسارهم الذي اختطوه. إن مؤسسة جويليام (The Guilliam Foundation) وهي مجموعة أبحاث فكرية تتخذ من لندن مقراً لها، أنشئت في عام 2008م من قبل أعضاء سابقين في حزب التحرير وشبكة المودودي، ممن رفضوا الإسلام السياسي قد صرحت في مستهل بياناتها التمهيدية التي دشّنت لانطلاقها بأن الإسلاميين الذين لا يتبنون العنف، مع أنهم يدينون الإرهاب، إلا أنهم «يؤيدون الأفكار الانفصالية التي تدعو إلى المواجهات التي يفضي اتباعها حسب استنتاجهم المنطقي إلى العنف لا محالة»، ويضيف البيان قائلاً: «على أقل تقدير فإن نشاطهم الخطابي «يقوم مقام المؤثرات الصوتية للأوتار التي يرقص التفجيريون الانتحاريون على أنغامها»[88].

(88) الوقوف معاً في صف واحد لهزيمة الإرهاب، مؤسسة كويليام، إبريل 2008.

لئن كان الإخوان يدينون العنف في الغرب، فإنهم يروجون للمفاهيم التي تفضي إلى تهيئة التربة الخصبة المثالية للعنف. فمن خلال الإدعاء بلا انقطاع بأن المسلمين الغربيين والإسلام نفسه تحت نيران الهجوم في الغرب، إنما يؤدون إلى خلق ذهنية الشعور المشترك بالحصار والاضطهاد والقهر التي غالباً ما تمثل الخطوة الأولى نحو التحول إلى الراديكالية[89]. إن توافر النصوص التي تمجد الجهاد العسكري، وتعدد مناقبه في مكتباتهم، وانتشار تلك النصوص على نطاق واسع على مواقعهم الالكترونية على الإنترنت فضلاً عن الإدانة الانتقائية لأعمال العنف والمقيدة بقيود الجغرافيا، من شأنها أيضاً أن تنطوي على الإشكاليات والاستشكالات. إذا كان من حق المسلمين في فلسطين وكشمير والعراق أن يدافعوا عن أنفسهم، لماذا لا ينطبق المنطق نفسه على المسلمين في الغرب؟ الذين يرزحون أيضاً تحت نير الهجوم كما يقول الإخوان المسلمون الجدد؟ إن الإخوان لا يدافعون عن الهجوم ضد الغرب ولا يؤيدونه، ولكن حال خروج مارد الجهاد من قمقمه فإن السيطرة عليه سوف تكون صعبة[90].

---

(89) كثير من وكالات المخابرات والمحللين يعتقدون أن الهجوم الغربي لفترة طويلة ضد الإسلام كان عامل رئيس في عملية التطرف، انظر، على سبيل المثال، تقرير المخابرات الكندية بعنوان التطرف والجهاد في الغرب، يونيو 2006، وكذلك تقرير المخابرات الداخلية الهولندية بعنوان: التجنيد للجهاد في هولندا. من حادثة إلى اتجاه، ديسمبر 2002 و بيتر نيومان» الالتحاق بصفوف القاعدة: تجنيد الجهاديين في أوربا، المعهد الدولي للدراسات الإستراتيجية، لندن، ص 46.

(90) إيد حسين : الإسلامية، لندن، الناشر بنغوين 2007، ص 119-20.

Ed Husain, The Islamist (London: Penguin, 2007) 119-20

خاتمة

الخطوات المقبلة

إن الصعوبات التي واجهتها معظم الحكومات الغربية في تقييم تنظيمات الإخوان الغربيين الجدد، وإتاحة الفرصة أمام تلك التنظيمات؛ للانخراط والمشاركة، إنما تمثل أصداء وانعكاسات للتحديات الناجمة عن التعامل مع حركة على درجة عالية من التعقيد مثل حركة الإخوان. فقد ثبت بما لا يدع مجالاً للشك أن بلورة المفاهيم والتصورات بشأن حركة تجمع بين السياسة والدين أمر شائك وبالغ الصعوبة، لا سيما إذا كان الدين ديناً مجهولاً لدى معظم صناع القرار السياسي، الذين لا يعرفون عنه إلا قليلاً – ذلك أن أفعال الإخوان- في بعض الأحيان- تبدو معبرةً كاشفةً عن موقف تتجسد فيه مقتضيات العصرانية والعصرية، وتأييد الاندماج في تيار المجتمع العام – وهو ما تسعى إليه الحكومات بكل ما أوتيت من قوة، وتنشده في محاوريها من المسلمين. وفي أحيان أخرى تبدو مواقفهم، وهي تنطوي على أجندة وتحمل مضامين قيم، تتناقض تماماً مع قيم الديمقراطية الغربية الليبرالية. ولأجل هذا فإن صناع القرار السياسي، الذين يتطلعون بلهفة وشغف إلى إيجاد حلول للمشكلات الملحّة، التي تكون الجالية الإسلامية طرفاً فيها يجدون أنفسهم في مأزق وورطة.

يدعو كثير من المتشائمين إلى انتهاج سياسات من شأنها إقصاء الإخوان الغربيين الجدد، واستبعادهم تماماً من أي مشاركة بأي صيغة كانت. ولما كان الإخوان الغربيون الجدد في نظر منتقديهم مجرد ممثلين مخادعين مخاتلين، يسعون إلى تقويض الحريات نفسها التي هيأت لهم أسباب القوة والازدهار، فإن هؤلاء المنتقدين يجادلون في أن تنظيمات الإخوان ينبغي تهميشها، بل حظرها بحرمانها من الحماية القانونية، بحسبانها تنظيمات هدامة تمثل الجناح السياسي لعصيان عالمي للإسلاميين. ومع ضرورة إلقاء الضوء على الجوانب العاصفة والمزعجة والمثيرة للمتاعب والقلاقل في طبيعة الإخوان الغربيين وأجندتهم، التي لا مراء في أنها في حاجة إلى أن يتم التطرق إليها وتعهدها بما يلزمها، فإن هذا الموقف غير واقعي، وربما محفوف بالمخاطر.

ومع أن الصفة التمثيلية المزعومة من قبل تنظيمات الإخوان الغربيين الجدد تأتي في الغالب بصيغة مبالغ فيها، فإن تلك التنظيمات تمثل بالفعل مقطعاً مستعرضاً يعكس عينة شريحة واسعة لجميع مكونات الجالية الإسلامية. وعليه إذا كان هدف الحكومة هو سماع جميع الأصوات، فإنه لا معنى لاستبعاد صوت مهم – ذلك أنه يصعب وصف اكتفاء الحكومة بالتحدث إلى القادة الإسلاميين، الذين تتطابق مواقفهم مع مواقفها، وادعاء أنه لا توجد أصوات أكثر ميلاً للمواجهة بأنه سياسة بناءة. عندما تغرد تلك الأصوات خارج السرب المفرّد في إطار القانون، وتجترح تنظيمات الإخوان الغربيين الجدد مخالفة قانونية، كأن تقوم مثلاً بتقديم الدعم المالي لمجموعات مصنفة بأنها إرهابية، يجدر، بل يجب عندئذ محاكمتها. ولكن طالما أن معظم أنشطة الإسلاميين، الذين لا يتبنون

العنف تقع في إطار القانون، فإن هؤلاء الإسلاميين يصبحون حقيقة لا سبيل لإنكارها، ولا مجال لتجاهلها، وبالتالي ينبغي إتاحة الفرصة أمامهم للانخراط والمشاركة. وفوق هذا وذاك فإن التهميش من شأنه أن يدفع المهمَّشين إلى التحول إلى حركة راديكالية بالغة الخطورة، ما يحملها على تبني مواقف أكثر تطرفاً، بل وربما اللجوء إلى العنف.

أما الأسلوب المقابل لذلك بمعنى الكلمة، الذي ينافح عنه بعض المتفائلين فهو الذي يقوم على أساس أن الإخوان الغربيين الجدد يمثلون شريكاً جديراً، بالثقة ويمكن التعويل عليه، ومن ثم ينبغي للدولة أن تسعى إلى إتاحة الفرصة أمامه للانخراط والمشاركة، لأجل تحقيق الاندماج، واستئصال شأفة الراديكالية في أوساط شباب المسلمين. وحدهم الإخوان هم الذين يمتلكون إمكانية الوصول إلى القواعد، ويتمتعون بالصدقية، على النحو الذي يمكنهم من التأثير في قطاعات عريضة من الجالية الإسلامية كما يؤكد بعضهم. وعلى هذا الأساس فإن الإخوان- مع سعيهم الحثيث إلى الحفاظ على الهوية الإسلامية للمسلمين الغربيين- إنما يحملون أيضاً من الرؤى والأفكار والأهداف ما يتطابق مع ما تحمله الحكومات الغربية.

إن هذا الأسلوب أيضاً محفوف بالمشكلات. فقد ورد في الفصول السابقة من هذا الكتاب كم كبير من الأدلة والبراهين، التي تثبت أن أهداف الإخوان الغربيين الجدد ومقاصدهم لا تتطابق بالضرورة مع الأهداف والمقاصد المعلنة، والمعبر عنها صراحةً في جولات حوارهم مع مؤسسات الحكم الغربية. لذا يبدو ضرباً من السذاجة أن يوكل أمر احتكار السيطرة على الجالية إلى حفنة من القياديين، الذين لم ينتخبهم

أحد، ممن عينوا أنفسهم بأنفسهم، ولهم أهداف هي في أحسن أحوالها غير واضحة، لأن هذا من شأنه تعزيز موقف الحركة في أوساط الجاليات الإسلامية الغربية دعماً لجهودها الرامية إلى أن يصبح تفسيرها للإسلام هو التيار السائد. هنالك مخاطرة تتمثل في أن تتمكن أقلية عالية الصوت، بفضل الدعم الحكومي، من تهميش القوى المنافسة لها، وممارسة نفوذ غير مستحق وغير ضروري على جالية - في أغلبها الأعم - لا تتبنى طرح الإخوان المتمثل في النسخة المحافظة والمسيسة للإسلام. إن التداعيات المحتملة لهذه النقلة الافتراضية للتماسك الاجتماعي والأمني مثار جدال ومدار نقاش، ولكن تقديم شيك مفتوح (شيك على بياض) للإخوان الغربيين الجدد يبدو إفراطاً وإسرافاً في التفاؤل.

لقد قادت تجارب السنوات القليلة الماضية بعض صناع القرار السياسي في الغرب، إلى النظر في خيار ثالث يستوجب توفير الفرص أمام تنظيمات الإخوان الغربيين الجدد، للانخراط والمشاركة، مع وجوب توخي ما يلزم من الحيطة والحذر. ففي الوقت الحالي تقوم معظم الحكومات بتفنيد الأسلوب الاحتكاري. ومع تزايد وعي تلك الحكومات يوماً بعد يوم بالتنوع الشديد في الجاليات الإسلامية الغربية، تسعى الحكومات المذكورة إلى الحوار مع المزيد من الأصوات المطروحة على الساحة، التي تتخذ زمام المبادرة للتواصل مع المجموعات، التي جرت العادة على أن ألا يكون تمثيلها على المستوى المطلوب من ناحية تقليدية. ظل صناع القرار السياسي يسعون شيئاً فشيئاً إلى توسيع دائرة المتحاورين مع الحكومة، من مختلف الأطياف، من خلال النظر إلى ما وراء «الملتحين»، الذين

غالباً ما يحتكرون مهمة التواصل مع المؤسسات المعنية بالشأن العام[1]. صحيح أن تنظيمات الإخوان الغربيين الجدد تمثل بالفعل قطاعاً من الجالية، ولكن لا ينبغي إساءة فهم نشاطهم الحركي وظهورهم وحضورهم على واجهة الأحداث بأنه يمنحهم الصفة التمثيلية الشاملة الكاملة.

علاوةً على ما تقدم، هنالك إدراك متزايد للحاجة إلى أسلوب يتصف بمزيد من التنقيح والتمحيص. هنالك في واقع الأمر فوائد ملحوظة لعدم عزل الإخوان الغربيين الجدد، النتائج الجيدة في مجال الأمن مثالاً. ومع أنه ما من أحد يستطيع التنبؤ -على وجه الدقة- بالتطورات ومآلات الأمر على المدى الطويل، فإنه يمكن المجادلة بأن المشاركة من شأنها أن تفضي إلى ضبط الحركة على جادة الاعتدال، كما يرى ساركوزي. وبالمقابل فإن العزل قد تكون له تداعياته وانعكاساته السلبية بدفع التنظيمات إلى المزيد من الراديكالية وتمكينهم من الظهور بمظهر «الشهداء» في أوساط الجالية الإسلامية[2]. بيد أن المشاركة ينبغي أن تقوم على أساس فهم واضح وراسخ لتاريخ الإخوان وخصائصهم واتصالاتهم وارتباطاتهم وأساليب عملهم، والأهم من ذلك كله أهدافهم

(1) جيل كيبل، المعركة من أجل عقول المسلمين: الإسلام والغرب، مطبعة جامعة هارفارد، 2004، ص 274:
Gilles Kepel, The War for Muslim Minds :Islam and the West(Cambridge, MA: Harvard University Press, 2004),274.

(2) تعليقات ساركوزي على قراره بضم اتحاد التنظيمات الإسلامية لفرنسا(UOIF) إلى المجلس الفرنسي للديانة الإسلامية(CFCM) وهو الهيئة التي أنشأتها الحكومة الفرنسية بهدف توحيد ولم شمل ممثلي أهم المنظمات الإسلامية الفرنسية توضح هذا الموقف. قال ساركوزي في حديث في عام 2005 في أكاديمية العلوم السياسية والقانونية الفرنسية أنه يرغب في أن يمثل المجلس الفرنسي للديانة الإسلامية كافة التنظيمات الإسلامية بما فيها اتحاد المنظمات الإسلامية. وأضاف ساركوزي أنه لم يندم على قرار ضم الاتحاد إلى المجلس لأن الاتحاد يحترم كلمته على الدوام. وأوضح أن عدم ضم الاتحاد إلى المجلس كان يعني تحوله إلى منظمة للشهداء وأن المجلس سيكون عبارة عن نصف كوب مملوء وأنه لم يكن يريد أن يصل الحال إلى هذا الحد وأنه يتحمل مسئولية ضم الاتحاد إلى المجلس.

ومقاصدهم. وحدها المشاركة القائمة على معلومات وافية ومعرفة كافية هي التي يمكن أن تفضي إلى علاقة واقعية وبناءة ومثمرة.

أخيراً أصبح كثيرون من صناع القرار السياسي يدركون بصورة متنامية الفرق بين الانخراط والتمكين. لئن كانت إقامة حوار مستديم وصيغ الشراكة العرضية المحدودة حسب مقتضى الحال مع تنظيمات الإخوان الغربيين الجدد، من شأنها تحقيق كثير من المردودات الإيجابية، فإن منح سلطات وصلاحيات غير ضرورية، وغير مستحقة لتلك التنظيمات، بما يمكنها من زمام الأمور في الجالية الإسلامية، يبدو خياراً لم تعد معظم الحكومات الغربية ترغب فيه. يمثل تطور العلاقة بين الحكومة البريطانية وشبكة المودودي تجسيداً لهذه الرؤية. إن تحقيق التوازن المنشود بين الانخراط والتمكين ليس بالأمر الهين، ولكنه ضروري لتفادي منح المشروعية والنفوذ لتنظيمات ذات صفة تمثيلية محدودة وأجندة ليست بالضرورة متماشية أو متماهية مع أجندة الحكومات الغربية.

إن الأمر بالغ الأهمية في تطوير السياسة في هذا السبيل يكمن في ما يستتبع ذلك من مسار تطوري مبهم لتنظيمات الإخوان الغربيين الجدد، بما يفضي إلى مآلات المجهول. إن التنظيمات التي أنشئت على أيدي الرواد الأوائل قبل نحو أربعين عاماً تخضع حالياً لتغييرات ملحوظة في سياق الانتقال التدريجي لزمام القيادة إلى جيل جديد من الناشطين المولودين في الغرب، الذين سوف يضيفون حتماً رؤيتهم، ويضفون نظرتهم إلى الأمور. ففي يوم الناس هذا ليس من غير المعقول التحدث عن تلك التنظيمات باسم «ما بعد الإخوان (post-Brotherhood)» حتى

وإن كان المدلول الحقيقي لهذا التعبير لا يزال يحتاج إلى التعريف. ترى، هل سيصبح الإخوان الجدد بمثابة «كنيسة إسلامية (Muslim church) في أوروبا، لا تمثل تهديداً للغرب، وإنما تحض على القيم الاجتماعية والأخلاقية المحافظة»، على حد رأي العالم الفرنسي أوليفيير روي (Olivier Roy)؟[3] أم أن تصريحات الجيل الجديد وبياناتهم المؤيدة للديمقراطية والمؤيدة للاندماج هي مجرد ستار دخاني كثيف، مصمم بعناية لحجب الأهداف الحقيقية للحركة عن الأنظار، وهي الأهداف المتمثلة في «عملية حضارية جهادية»، حسب توضيح أكرم وغيره من قيادات الإخوان الآخرين الأكبر سناً؟. الزمن وحده كفيل بالإجابة. وليس من غير الوارد أن تتفرق الأجنحة المختلفة في الحركة بدداً، فيذهب كل منها في اتجاه مختلف، بل ومعاكس لاتجاهات الأجنحة الأخرى. أما في الوقت الحالي حيث يظل الغموض سيد الموقف، فإن سياسة المشاركة الحذرة القائمة على معلومات وافية تبدو هي الأنسب والأفضل.

(3) اوليفر روي، الإسلام الكوني: البحث عن أمة جديدة:
Olivier Roy, Globalized Islam: The Search for a New Ummah (New York: Columbia University Press, 2004), 276

Bibliography

البيبليوجـــرافـــــيا

الكتـــب

Abdullah, Aslam and Gasser Hathout. The American Muslim Identity: Speaking for Ourselves. Pasadena, CA: Multimedia Vera International, 2003.

Abu-Amr, Ziad. Islamic Fundamentalism in the West Bank and Gaza, Bloomington and Indianapolis: Indiana University Press, 1994.

Ahsan, M. M. and A. R. Kidwai, eds. Sacrilege Versus Civility: Muslim Perspectives on the Satanic Verses Affair, Leicester: Islamic Foundation, 1993.

alQaradawi, Yusuf Islamic Awakening Between Rejection and Extremism, Herndon. VA: International Institute of Islamic Thought 1991.

Le Licite et l'Illicite en Islam. Paris: Editions al Qalam, 1992.

Priorities of the Islamic Movement in the Coming Phase. Swansea, UK: Awakening Publications, 2000.

Allison, Graham T. , Essence of Decision: Explaining the Cuban Missile Crisis. New York: HarperCollins, 1971.

Ba-Yunus, Ilyas and Kassim Kone. Muslims in the United States,

Westport, CT: Greenwood Press, 2006

Baer, Robert, Sleepin with the Devil, Washington DC: Three Rivers Press, 2003.

Baker, Raymond William. Islam without Fear: Egypt and the New Islamists. Cambridge, MA: Harvard University Press, 2003.

Besson, Sylvain, La Conquette de l'Occident, Paris:Seuil, 2005.

Boubakeur, Dalil and Virginie Malabard, Non, l'Islam n'est pas une Politique. Paris: Desclee De Brouwer, 2003.

Bouzar, Dounia. L'Islam des Banlieues:Les Predicateurs Musulmans: Nouveaux Travailleurs Sociaux? Paris: Syros la Decouverte, 2001.

Carre, Olivier and Gerard Michaud. Les Feres Musulmans. Paris: Gallimard, 1983.

Cesari, Joceline. When Islam and Democracy Meet: Muslims in Europe and in the United States. New York: Palgrave Macmillan, 2004.

Cleveland, William L. A History of the Modern Middle East. Boulder, CO: Westview, 2004.

Curtis, Edward E. Islam in Black America. Albany: State University of New York University Press, 2002

Dannin, Robert. Black Pilgrimage to Islam. New York: Oxford University Press, 2002.

Della Porta, Donatella and Mario Diani. Social Movements: An Introduction. Malden, MA: Blackwell, 1999.

Eickelman, Dale F. and James Piscatori, Muslim Politics. Princeton: Princeton University Press, 1996.

Esposito, John L. The Islamic Threat: Myth or Reality? New York and Oxford: Oxford University Press, 1999)

Esposito, John L. ed. The Oxford Encyclopedia of the Modern

Islamic World. New York/Oxford: Oxford University Press, 1995, vol. 2.

Esposito, John L. , and John O. Voll. Makers of Contemporary Islam. Oxford University Press, 2001.

Feindt-Riggers, Nils and Udo Steinbach. Islamische Organisationen in Deutschland. Hamburg:Deutsches Orient-Institut, 1997.

Feldman, Noah. The Fall and Rise of the Islamic State. Princeton and Oxford: Princeton University Press, 2008.

Fetzer, Joel S. and J. Christopher Soper. Muslims and the State in Britain, France and Germany. New York: Cambridge University Press, 2005.

Five Tracts of Hasan al-Banna(1906-1949): A Selection from the Majmu'at Rasa'il al-Imam al –Shahid Hasan al-Banna. Trans. and annotated by Charles Wendell. Berkeley: University of California Press, 1978.

Fourest, Caroline. Brother Tariq: The Doublespeak of Tariq Ramadan. New York: Encounter, 2008.

Ghanea Bassiri, Kambiz. Competing Visions of Islam in the United States. Westport, CT: Greenwood Press, 1997.

Geisser, Vincent and Aziz Zemouri. Marianne et Allah: Les Politiques Francais face a la " Question Musulmane. " Paris: La Decouverte, 2007.

Godard, Bernard and Sylvie Taussig. Les Musulmans en France. Paris: Robert Laffont, 2007.

Gove, Michael. Celsius 7/7. London: Phoenix, 2006.

Graf, Betina and Jakob Skovgaard-Petersen, eds. The Global Mufti: The Phenomenon of Yusuf Al-Qaradawi. New York: Columbia University Press, 2009.

Gramsci, Antonio. Prison Notebooks. New York: Columbia

University Press, 1992.

Habeck, Mary. Knowing the Enemy. New Haven: Yale University Press, 2006.

Hamdi, Mohamed Elhachmi. The Politicization of Islam: A Case Study of Tunisia. Boulder, CO: Westview Press, 1998.

Hansen, John and Kim Hundevadt. Provoen og Profeten: Muhammed Krisen Bag Kulisserne. Aarhus: Jyllands- Postens Forlag, 2006.

Hawwa, Sayeed. The Muslim Brotherhood. Kuwait: International Islamic Federation of Student Organizations/Al Faisal Islamic Press, 1985.

Husain, Ed. The Islamist. London: Penguin 2007.

Introvigne, Massimo. Hamas: Fondamentalismo Islamico e Terrorismo Suicida in Palestina. Turin: Elledici, 2003.

Ismail, Salwa. Rethinking Islamist Politics: Culture, the State and Islamism. London: I. B Tauris, 2003.

Kepel, Gilles. Allah in the West: Islamic Movements in America and Europe. Palo Alto: Stanford University Press, 1997.

Beyond Terror and Martyrdom. Cambridge, MA: Harvard University Press, 2008.

Jihad: The Trail of Political Islam. Cambridge, MA: Harvard University Press, 2002.

Les Banlieues de l'Islam. Paris: Le Seuil, 1987.

Muslim Extremism in Egypt. Berkeley and Los Angeles: University of California Press, 1986.

The War for Muslim Minds: Islam and the West. Cambridge, MA: Harvard University Press, 2004.

Kinzer, Stephen. Crescent and Star: Turkey Between Two Worlds. New York: Farrar, Straus & Giroux, 2001.

Klausen, Jytte. The Islamic Challenge: Politics and Religion in Western Europe. New York: Oxford University Press, 2005.

Laurence, Jonathan and Justin Vaisse. Integrating Islam: Political and Religious Challenges in Contemporary France. Washington, DC: Brookings Institution Press, 2006.

Lewis, Bernard. Islam and the West. New York and Oxford: Oxford University Press 1993.

Lewis, Philip. Islamic Britain: Religion, Politics and Identity Among British Muslims. London: I. B. Tauris, 1994.

Lia, Brynjar. The Society of the Muslim Brothers in Egypt: The Rise of an Islamic Movement, 1928-1942. Reading, UK: Ithaca Press, 1998.

Malik, Kenan. From Fatwa to Jihad: The Rushdie Affair and its Legacy. London: Atlantic Books, 2009.

Matar, Nabil. Islam in Britain, 1558-1685. Cambridge University Press, 1998.

Maududi, Sayyeed Abdul-Ala. Jihad in Islam. Lahore, Pakistan: Islamic Publications.

Marechal, Brigitte. The Muslim Brothers in Europe: Roots and Discourse. Leiden/Boston: Brill, 2008.

Marsot, Ataf Lutfi Al-Sayyid. A History of Egypt: From the Arab Conquest to the Present. Cambridge: Cambridge University Press, 1985.

McCloud, Aminah Beverly. African American Islam. New York: Routledge, 1995.

McRoy, Anthony. From Rushdie to 7/7: The Radicalization of Islam in Britain, London : Social Affairs Unit, 2006.

Mitchell, Richard P. The Society of the Muslim Brothers. New York: Oxford University Press, 1969.

Nasr, Seyyed Vali Reza. The Vanguard of the Islamic Revolution:

The Jama'at-I Islami of Pakistan. Berkeley: University of California Press,1994.

Nielsen, Jorgen. Muslims in Western Europe. Edinburgh: Edinburgh University Press, 2004.

Nimer, Mohammed. Muslim Community Life in the United States and Canada. New York: Routledge, 2002.

The North American Muslim Resource Guide: Muslim Community Life in the United States and Canada. New York: Routledge, 2002.

O'Neill, Sean and Daniel McGrory. The Suicide Factory: Abu Hamza and the Finsbury Park Mosque. London: HarperCollins, 2006.

Oberschall, Anthony R. Social Conflict and Social Movements. Englewood Cliffs, NJ: Prentice Hall, 1973.

Padmasha, Dr. Indian National Congress and the Muslims: 1928-1947. New Delhi: Rajesh, 1980.

Page, David. Prelude to Partition: The Indian Muslims and the Imperial System of Control , 1920-1932. New York: Oxford University Press, 1982.

Pedersen, Lars. Newer Islamic Movements in Western Europe. Aldershot: Ashgate, 1999.

Poston, Larry. Islamic Da'wah in the West. New York: Oxford University Press, 1992.

Qu'est-ceque l'UOIF? Paris: Editions l'Archipel, 2006.

Qutb, Sayyid. Islam: The Religion of the Future. Delhi: Markazi Maktaba Islami, 1974.

Ramadan, Tariq. Aux Sources du Renouveau Musulman. Lyon: Tawhid, 2002.

Roy,Olivier. Globalized Islam: The Search for a New Ummah. New York : Columbia University Press, 2004.

Secularism Confronts Islam. New York: Columbia University Press, 2007.

The failure of Political Islam. Cambridge, MA: Harvard University Press, 1996.

Rushdie, Salman. The Satanic Verses. New York: Viking, 1989.

Ruthven, Malise. A Satanic Affair: Salman Rushdie and the Wrath of Islam. London: Hogarth Press, 1991.

Sacks, Jonathan. The Home We Build Together: Recreating Society. London: Continuum, 2007.

Sarkozy, Nicolas. La Republique, les Religions, l'Esperance. Paris: Editions du Cerf, 2004.

Schulze, Reinhard. Islamischer Internationalismus im 20. Jahrhundert: Untersuchungen zur Geschichte der Islamischen Weltliga. Leiden: Brill, 1990.

Sen, Amartya. Identity and Violence: The Illusion of Destiny. New York: Norton, 2006.

Sfeir, Antoine. Les Reseaux d'Allah: Les Filieres Islamistes en France et en Europe. Paris: Plon, 2001.

Shafiq, Muhammad. Growth of Islamic Thought in North America. Brentwood, MD: Amana Publications, 1994.

Shakir, Moin. Khilafat to Partition: A Survey of Major Political Trends Among Indian Muslims During 1919-1947. Delhi: Ajanta, 1983.

Shankland, David. Islam and Society in Turkey. Huntingdon: Eothen Press, 1999.

Sivan, Emmauel. Radical Islam: Medieval Theology and Modern Politics. New Haven: Yale University Press, 1985.

Stenberg, Leif. The Islamization of Science: Four Muslim Positions Developing an Islamic Modernity. New York: Coronet Books, 1996.

Sullivan, Dennis J. and Sana Abed-Kotob. Islam in Contemporary Egypt: Civil Society vs. the State. Boulder, CO: Lynne Rienner, 1999.

Tamimi, Azzam. Hamas: A History from Within. Northampton, MA: Olive Branch Press, 2007.

Rachid Ghannouchi: A Democrat Within Islamism. New York: Oxford University Press, 2001.

Tarrow, Sidney. The New Transnational Activism. Cambridge: Cambridge University Press, 2005

Ternisien, Xavier. Les Freres Musulmans. Paris: Fayard, 2005.

Tibi, Bassam. The Challenge of Fundamentalism: Political Islam and the New World Disorder. Berkeley: University of California Press, 1998.

Islamische Zuwanderung, Die gescheiterte Integration. Munich: DVA, 2002.

Timmerman, Kenneth R. Preachers of Hate: Islam and the War on America. New York: Crown Forum, 2003.

Ulfkotte, Udo. Der Krieg in unseren Staedten. Frankfurt: Eichborn Publishing, 2003.

2005.

Yavuz, M. Hakan. Islamic Political Identity in Turkey. New York: Oxford University Press, 2003.

Yousef, Ahmed. American Muslims: A Community Under Siege. Springfield, VA: UASR Publishing Group, 2004.

Wickham, Carrie Rosefsky. Mobilizing Islam: Religion, Activism, and Political Change in Egypt. New York: Columbia University Press, 2002.

Wiktorowicz, Quintan, ed. , Islamic Activism: A Social Movement Theory Approach. Bloomington: Indiana University Press, 2004.

Wright, Lawrence. The Looming Tower: Al Qaeda and the Road to 9/11. New York: Knopf, 2006.

Zollner, Barbara. The Muslim Brotherhood: Hasan Al-Hudaybi and Ideology. London: Routledge, 2008.

Government Reports and Documents

التقارير و الوثائق الحكومية

Affidavit of U. S. Immigration and Customs Enforcement Special Agent Brett Gentrup in U. S. v. Abdurahman Muhammad Alamoudi. U. S. D. C. of Eastern Virginia, Case 03-1009M. September 30, 2003.

Akram, Mohammed. " An Explanatory Memorandum on the Strategic Goals for the Group in North America. " Government Exhibit 003-0085 in United States v. Holy Land Foundation et al. , 3:04-cr-240 (ND, Tex.).

Algemene Inlichtingen- enVeiligheidsdienst(Netherlands). The Radical Dawa in Transition: The Rise of Islamic Neoradicalism in the Netherlands. February 2008.

https://www. aivd. nl/actueel-publicaties/aivd-publicaties/the-radical-dawa-in.

Recruitment for the Jihad in the Netherlands From Incident to Trend December 2002.

Bayerische Polizei (Bavarian Police). http://www. polizei. bayern. de/muenchen/news/presse/aktuell/index. html/89241 (accessed March 10, 2009)

Blears, Hazel. Letter to MCB Secretary General Muhammad Abdul Bari, March 13, 2009.

http://image. guardian. co. uk/sys-files/Guardian/documents/2009/03/23/blearsletter. pdf.

British Foreign Office, Internal memo on Yusuf al Qaradawi. July 14, 2005.

Canadian Security Intelligence Service (CSIS). Radicalization and Jihad in the West. June 2006.

Charity Commission for England and Wales. Central Register of Charities. Europe Trust: Registered April 2004; report accessed online July 21, 2008.

Comite Permanent de Controle des Services e Renseignements e de Securite (Comite R). Report to the Belgian Parliament. July 19, 2002. http://ww. senate. be/www/?MIval=/publications/viewPubDoc &TID=33618007&LANG=fr#2-1171/1112.

Department for Communities and Local Government(London). Preventing Violent Extremism: Next Steps for Communities. July 2008.

Emerson, Steven. Testimony before the U. S. House of Representatives Committee on Foreign Affairs, Subcommittee on Terrorism, Proliferation, and Trade. 110th Cong. , 2nd ses. , July 31, 2008.

Epstein, Matthew. Testimony before the U. S. Senate Committee on the Judiciary, Terrrorism: Two Years After 9/11, Connecting the Dots. 108th Cong. , 1st sess. , September 10, 2003.

Evidence in U. S. , v. Abdurahman Muhammad Alamoudi, U. S. D. C. of Eastern Virginia, Case 03-1009M.

Executive Committee for the Intelligence and Security Services(CESIS). 59th Report to the Italian Parliament. 2007.

Federal Bureau of Investigation. Countering Radicalization. http:// www. fbi. gov/page2/may07/radicalization051007. htm.

Federal Ministry of the Interior for the Deutsche Islam Konferenz. Muslimisches Leben in Deutschland. June 2009.

German Embassy to the United Kingdom. http://www. london. diplo. de/Vertretung/london/en/06/otherlegalmatters/

ReformGermanyscitizenshipseite. html.

German Federal Ministry of the Interior. http://www. bmi. bund. de/nn1026710/Internet/Content/Themen/DeutscheIslamKonferenz/DatenUndFakten/IslamkonferenzKurzinfoen. html.

German Federal Office for the Protection of the Constitution. Integration as a Means to Prevent Extremism and Terrorism. Typology of Islamist Radicalisation and Recruitment. January 2007.

German Islam Conference(DIK). Document provided by officials at the Federal Ministry of the Interior, Berlin. November 2008.

Government Exhibit 016-0049 in United States v. Holy Land Foundation et al. , 3:04-cr-240 (ND, Tex.).

Government Exhibit 016-0051 in United States v. Holy Land Foundation et al. , 3:04-cr-240 (ND, Tex.).

Government Exhibit 016-0057 in United States v. Holy Land Foundation et al. , 3:04-cr-240 (ND, Tex.).

Government Exhibit 016-0059 in United States v. Holy Land Foundation et al. , 3:04-cr-240 (ND, Tex.).

Government Exhibit 016-0063 in United States v. Holy Land Foundation et al. , 3:04-cr-240 (ND, Tex.).

Government Exhibit 016-0067 in United States v. Holy Land Foundation et al. , 3:04-cr-240 (ND, Tex.).

Government Exhibit 016-0069 in United States v. Holy Land Foundation et al. , 3:04-cr-240 (ND, Tex.).

Government Exhibit 016-0071 in United States v. Holy Land Foundation et al. , 3:04-cr-240 (ND, Tex.).

Government Exhibit 016-0075 in United States v. Holy Land Foundation et al. , 3:04-cr-240 (ND, Tex.).

Government Exhibit 016-0087 in United States v. Holy Land Foundation et al. , 3:04-cr-240 (ND, Tex.).

Government Exhibit 1B33/0003188 in United States v. Holy Land Foundation et al. , 3:04-cr-240 (ND, Tex.).

Government Exhibit 1B64/0000412 in United States v. Holy Land Foundation et al. , 3:04-cr-240 (ND, Tex.).

Government's Trial Brief in United States v. Holy Land Foundation et al. , 3:04-cr-240

(ND. Tex.).

Greater London Authority. Muslims in London. October 2006.

. Why the Mayor of London Will Maintain Dialogues with All of London's Faith Communities. January 2005.

HRH The Prince of Wales. Speech during visit to the Islamic Foundation, January 24, 2003.

http://www. princeofwales. gov. uk/speeches/multiracial24012003. html

"Ikhwan in America. " Government Exhibit 003-0089 in United States v. Holy Land Foundation et al. , 3:04-cr-240 (ND, Tex.)

Innenministerium, Nordrhein-Westfalen(Germany). Islamische Gemeinschaft in Deutschland. Undated. http://www. im. nrw. de/sch/580. htm.

International Islamic Bank, Annual reports, 1982-1996. Erhvervs- og Selskabsstyrelsen, Denmark.

Johnson, Ian. " The Muslim Brotherhood in Europe. " Testimony the Congressional Human Rights Caucus, 109th Cong. , 2nd sess. , February 9, 2006.

Landesamt fur Verfassungsschutz, Baden-Wurttemberg(Germany). Islamistischer Extremismus and Terrorismus. April 2006

Landesamt fur Verfassungsschutz, Hansestadt Hamburg(Germany). Annual report, 2001.

Landesamt fur Verfassungsschutz, Hessen(Germany). Islamismus.

Updated.

http://www. verfassungschutz-hessen. de/downloads/islam. pdf.

Mayor's statement at Mayor's Question Time on the visit of Dr. Al Qaradawi. City of London, July 15, 2004. http://www. london. gov. uk/viewpressrelease. jsp?releaseid=3862.

Ministry of Education, North Rhine-Westfalen(Germany). Islamistische Organisationen in Nordrhein-Westfalen. November 2008.

Ministry of Refugee, Immigration and Integration Affairs(Denmark). A Common and Safe Future: Proposal for an Action Plan to Prevent Extremist Views and Radicalisation Among Young People. June 2008.

Municipality of Amsterdam. Amsterdam Against Radicalisation. November 15, 2007.

Muslim Brotherhood Shura Council. " Shura Council Report on the Future of the Group. " Government Exhibit 003-0003 in United States v. Holy Land Foundation et al. , 3:04-cr-240 (ND, Tex.). I

Office of Senator Tom Coburn(R-MD). Justice Denied: Waste and Mismanagement at the Department of Justice. October 2008.

Partij voor de Vrijheid (Netherlands). Questions from MPs Geert Wilders and Raymond de Roon and answers from Ella Vogelaar. August 7, 2007.

http://www. pvv. nl/index. php?option=comcontent&task=view& id=737.

Powers, Richard C. , FBI Assistant Director, Office of Congressional Affairs. Letter to Senator Jon Kyl. April 28, 2009.

Report of the Commission on the Intelligence Capabilities of the United States Regarding Weapons of Mass Destruction. March 31, 2005.

http://www. gpoaccess. gov/wmd/pdf/fullwmdreport. pdf

Superseding Indictment in United States v. Holy Land Foundation et al. , 3:04-cr-240(ND, Tex.).

Text *from* Lawsuit Response *in* Council on American-Islamic Relations, Inc. v. Andrew Whitehead, no. CL04-926, Virginia: In the Circuit Court for the City of Virginia Beach, April 30, 2004.

United Kingdom. Census 2001. http://www. statistics. gov. uk/ census2001/census2001. asp

The Prevent Strategy: A Guide For Local Partners in England. June 2008.

. The United Kingdom's Strategy for Countering International Terrorism(CONTEST 2).

March 2009.

United Kingdom. Home Office. Statement regarding the BBC program Muslim First, British Second. http://news. bbc. co. uk/ panaroma/hi/frontpage/newsid7888000/7888793. stm (accessed February 16, 2009).

United Kingdom. Parliament. "Racial and Religious Hatred Bill. " June 9, 2005, Session 2005-06.

http://www. parliament. the-stationery-office. co. uk/pa/cm200506/ cmbills/011/06011. i-i. html.

U. S. Congress. House of Representatives. Committee on Foreign Affairs, Subcommittee on Terrorism, Nonproliferation, and Trade. Foreign Aid and the Fight Against Terrorism and Proliferation: Leveraging Foreign Aid to Achieve U. S. Policy Goals(hearing). 110th Cong. , 2nd sess. , July 31, 2008.

U. S. Department of Justice. The Attorney General's Guidelines for Domestic FBI Operations. Updated. http://www. justice. gov/ag/ readingroom/guidelines. pdf

Press release on the sentencing of Alamoudi. October 15, 2004.

Press release on the sentencing of HLF leaders. May 27, 2009.

http://www. usdoj. gov/opa/pr/2009/May/09-nsd-519. html (accessed June 9, 2009).

U. S. Department of State. International Religious Freedom Report. 2004.

http://www. state. gov/g/drl/rls/irf/.

U. S. Department of the Treasury. Office of Foreign Assets Control. "Recent OFAC Actions. "

November 7, 2001.

"Treasury Designates MIRA for Support to Al Qaida. " July 14, 2005.

http://www. treas. gov/press/releases/js2632. htm.

U. S. Senate. Subcommittee on Terrorism, Technology and Homeland Security. Terrorism: Two Years After 9/11, Connecting the Dots. 108th Cong. , 1st sess. , September 10, 2003.

Verfassungsschutz of the Ministry of the Interior of Bavaria. Report for the first semester of 2003.

Annual report, 2008.

Working Groups. Preventing Extremism Together. August-October 2005.

http://www. communities. gov. uk/documents/communities/ pdf/152164. pdf.

Journal Articles and Book Chapters

مقالات المجلات العلمية وفصول الكتب

Ahmad, Khurshid. "Mawdudi's Model for Islamic Revival. " In Muhammad Mumtaz Ali, ed. , Modern Islamic Movements: Models, Problems and Perspectives. Kuala Lumpur: Noordeen, 2000, 57-76.

Ahmed, Gutbi Mahdi. "Muslim Organizations in the United States. " In Yvonne Yazbeck Haddad, ed. , The Muslims of America. Oxford: Oxford University Press, 1991, 11-24.

Al Banna Hassan. " The New Renaissance. " In John J. Donahue and John L. Esposito, eds. , Islam in Transition: Muslim Perspectives New York: Oxford University Press, 1982, 78-83.

Allievi, Stefano. "Muslims and Politics. " In Brigitte Marechal, Stefano Allievi, Felice Dassaetto, and Jorgen Nielen, Muslims in the Enlarged Europe. Leiden/Boston: Brill, 2003, 183-213.

Altman, Israel Elad. : "Current Trends in the Ideology of the Egyptian Muslim Brotherhood. " Current Trends in Islamist Ideology (December 29, 2005).

http://www. hudson. org/files/publications/ IdeologyofEgyptianMuslimBrotherhood. pdf.

"AMC Hosts Interfaith Heritage Banquet. " The AMC Report 6, no. 1 (January 1996).

Amghar, Samir. "Europe Puts Islamists to the Test: The Muslim Brotherhood (France, Belgium and Switzerland). " Mediterranean Politics 13, no. 1 (March 2008): 63-77.

Amiraux, Valerie. " Turkish Political Islam and Europe: Story of an Opportunistic Intimacy. " In Stefano Allievi and Joergen S. Nielsen, eds. , Muslim Networks and Transnational Communities in and Across Europe. Leiden/Boston: Brill, 2003. 146-69.

Ammitzboll, Pernille, and Lorenzo Vidino. "After the Danish Cartoon Controversy. " Middle East Quarterly 14, no. 1 (Winter 2007):3-11.

Badawi, Jamal A. "Approaches to Muslim Reawakening: Al Banna's Approach. " In Muhammad Mumtaz Ali, ed. , Modern Islamic Movements: Models, Problems and Perspectives, Kuala Lumpur: Noordeen, 2000, 25-34.

Bale, Jeffrey M. "Hiding in Plain Sight in 'Londonistan'". In Michael Innes, ed. , *Denial of Sanctuary: Understanding Terrorist Safe* Heavens. Westport, CT: Praeger, 2007, 139-51.

Bardakoglu, Ali. " Moderate Perception of Islam" and the Turkish Model of the Diyanet: The President's Statement. " Journal of Muslim Minority Affairs 24, no. 2 (October 2004): 367-73.

Barzinji, Jamal. "History of the Islamization of Knowledge and Contributions of the International Institute of Islamic Thought. " In Amber Haque, ed. , Muslims and Islamization in North America: Problems and Prospects. Beltsville, MD: Amana Publications, 199, 13-31.

Birt, Jonathan. " Good Imam Bad Imam: Civic Religion and National Integration in Britain After 9/11. " The Muslim World 4, 96:687-705.

Boubekeur, Amel. " Political Islam in Europe: A Changing Landscape. " In Amel Boubekeur, Samir Amghar, and Michael Emerson, eds. , European Islam: The Challenges for Public Policy and Society. Brussels: CEPS/Open Society Institute, 2007, 14-37.

"Post Islamist Culture: A New *Form of Mobilization?*" History *of* Religious 47, no. 1 (2007):75-94.

Caeiro, Alexandre and Mahmoud al-Saify. "Qaradawi in Europe, Europe in Qaradawi? The Global Mufti's European Politics. " In Bettina Graf and Jakob Skovgaard-Petersen, eds. , The Global Mufti: The Phenomenon of Yusuf Al-Qaradawi. New York: Columbia University Press, 2009, 109-48.

Cesari, Jocelyne. "Islam in France: The Shaping of a Religious Minority. " In Yvonne Yazbeck Haddad, ed. , Muslims in the West: From Sojourners to Citizens. Oxford: Oxford University Press, 2001, 36-51.

Christidis, Yorgos. " The Muslim Minority in Greece. " In Gerd Nonneman, Tim Niblock, and Bogdan Szajkowski, eds. , Muslim Communities in the New Europe. Berkshire, UK: Ithaca Press, 1996, 153-63.

Commins, David. "Hassan al-Banna, 1906-1949. " In Ali Rahnema, ed. , Pioneers of Islamic Revival. London: Zed Books, 1994, 125-53.

Duran, Khalid. "Jihadism in Europe. " The Journal of Counterterrorism and Security International (Fall 2000):1-5.

Eade, John and David Garbin. " Changing Narratives of Violence, Struggle and Resistance: Bangladeshis and the Competition for Resources in the Global City. " Oxford Development Studies 30, no. 2 (2002): 137-49.

Edwards, Bob and John D. McCarthy. "Resources and Social Movement Mobilization. " In David A. Snow, Sarah A. Soule, and Hanspeter Kriesi, eds. , The Black well Companion to Social Movements. Oxford: Blackwell, 2004, 116-52.

El Fadl, Khaled Abou. "Striking a Balance: Islamic Legal Disclosure on Muslim Minorities. " In Yvonne Yazbeck Haddad and John L. Esposito, eds. , Muslims on the Americanization Path? New York: Oxford University Press, 2000, 58-63.

El-Helbawy, Kamal. "Cementing Relations Between Muslim Citizens and Governments in the West: The United Kingdom as a Case Study. " Islamism Digest 3, no. 9 (September 2008):4-7.

Esposito, John L. "Practice and Theory. " Boston Review(April/May 2003).

http://www. bostonreview. net/BR28. 2/esposito. html.

Ferrari, Silvio. " The Secularity of the State and the Shaping of Muslim Representative Organizations in Western Europe. " In Jocelyne Cesari and Sean McLoughlin, eds. , European Muslims and the Secular State. Aldershot: Ashgate, 2005, 11-21.

Fradkin, Hillel. "The History and Unwritten Future of Salafism. " Current Trends in Islamist Ideology (November 25, 2007):5-19.

Fregosi, Franck. "Les Filieres Nationales de Formation des Imams en France. " In Franck Fregosi, ed. , La Formation des Cadres Religieux Musulmans en France. Paris:L'Harmattan, 1998, 101-39.

Fuess, Albrecht. "Islamic Religious Education in Western Europe: Models of Integration and the German Approach. " Journal of Muslim Minority Affairs 27, no. 2 (August 2007): 215-39.

Geisser, Vincent. "L'UOIF, la Tension Clienteliste d'une Grande Federation Islamique. " In Amel Boubekeur and Abderrahim Lamchichi, eds. , Musulmans de France, Confluences Mediterranee 57 (Spring 2006):83-101.

Graf, Bettina. "IslamOnline. net: Independent , Interactive, Popular. " Arab Media and Society 4 (Winter 2008). http://www. arabmediasociety. com/?article=576.

. "The Concept of Wasatiya in the Work of Yusuf al-Qaradawi. " In Bettina Graf and Jakob Skovgaard-Petersen, eds. , The Global Mufti: The Phenomenon of Yusuf Al-Qaradawi. New York: Columbia University Press, 2009.

Haines, Herbert H. "Black Radicalization and the Funding of Civil Rights: 1957-1970. " In Doug McAdam and David A. Snow, Social Movements. Los Angeles: Roxbury, 1997, 440-49.

Haqqani, Husain and Hillel Fradkin. " Islamist Parties: Going Back to the Origins. " Journal of Democracy 19, no. 3 (July 2008): 13-18.

Huda, Qamar-ul. " Conflict Prevention and Peace-Building Efforts by American Muslim Organizations Following September 11. " Journal of Muslim Minority Affairs 26, no. 2 (August 2006):187-204.

Hussain, Dilwar. " The Holy Grail of Muslims in Western Europe. " In John L. Esposito and Francois Burgat, eds. , Modernizing Islam: Religion in the Public Sphere in Europe and the Middle East. New Brunswick: Rutgers University Press, 2003, 215-50.

"Islam and Europe: Ibrahim El-Zayyat Discusses the Future. " Islamism Digest3, no. 2 (February 2008):16-18.

"Islam and Muslims in Germany: An Overview by Ibrahim El-Zayyat. " Islamism Digest 3, no. 1 (January 2008):13-15.

Johnson, Ian. "The Brotherhood's Westward Expansion. " Current Trends in Islamist Ideology(February 5, 2008):71-84.

Johnson, Steve A. " Political Activity of Muslims in America. " In Yvonne Yazbeck Haddad, ed. , The Muslims of America. Oxford: Oxford University Press, 1991, 111-24.

. " The Muslims of Indianapolis. " In Yvonne Yazbeck Haddad and Jane Idleman Smith, eds. , Muslim Communities in North America. Albany: State University of New York Press,

1994, 259-77.

Karakasouglu, Yasemin and Gerd Nonneman. "Muslims in Germany. " In Gerd Nonneman, Tim Niblock, and Bogdan Szajkowski, eds. , Muslim Communities in the New Europe. Reading: Ithaca Press Paperbacks, 2006, 241-67.

Kettani, M. Ali. " The Problems of Muslim Minorities and Their Solutions. " In Muslim Communities in Non-Muslim States. London: Islamic Council of Europe, 1980, 91-107.

Khalil, Magdi. "Egypt's Muslim Brotherhood and Political Power: Would Democracy Survive?" Middle East Review of International Affairs Journal 10, no. 3 (March 2006):44-52.

Koenig, Matthias. " Incorporating Muslim Migrants in Western

Nation States: A Comparison of the United Kingdom, France and Germany. " Journal of International Migration and Integration 6, no. 2: 219-234.

Kramer, Gudrun. "Drawing Boundaries: Yusuf al-Qaradawi on Apostasy. " In Gudrun Kramer and Sabine Schmidtke, Speaking for Islam: Religious Authorities in Muslim Societies, Leiden:Brill, 2006, 181-217.

Lambert, Robert. "Empowering Salafis and Islamists Against Al-Qaeda: A London Counterterrorism Case Study. " Political Science and Politics 41(2008):31-35.

Leiken, Robert S. and Steven Brooke. "The Moderate Muslim Brotherhood. " Foreign Affairs (March/April 2007).

Leonard, Karen. "South Asian Leadership of American Muslims. " In Yvonne Yazbeck Haddad, Muslims in the West: From Sojourners to Citizens Oxford: Oxford Unversity Press, 2001, 233-49.

Lewis, Philip. " The Bradford Council for Mosques and the Search for Muslim Unity. " In Steven Vertovec and Ceri Peach, eds. , Islam in Europe: The Politics of Religion and Community. London: MacMillan, 1997, 103-28.

Marechal, Brigitte. "Institutionalisation of Islam and Representative Organisations for Dealing with European States. " In Brigitte Marechal, Stefano Allievi, Felice Dassetto, and Jorgen Nielen, Muslims in the Enlarged Europe. Leiden/Boston: Brill, 2003, 151-82.

. "The Question of Belonging. " In Brigitte Marechal, Stefano Allievi, Felice Dassetto, and Jorgen Nielen, eds. , Muslims in the Enlarged Europe. Leiden/Boston: Brill, 2003, 5-18.

McCarthy, John D. and Mayer N. Zaid. " Resource Mobilization and Social Movements: A Partial Theory. " The American Journal of Sociology 82, no. 6 (May 1977);1212-41.

Murad, Khurram. "Islamic Movement in the West: Reflections on Some Issues. " In Muhammad Mumtaz Ali, ed. , Modern

Islamic Movements: Models, Problems and Perspectives. Kuala Lumpur:Noordeen, 2000.

Neumann, Peter R. Joining Al-Qaeda: Jihadist Recruitment in Europe. Adelphi Paper 339. London: International Institute for Strategic Studies.

Nielsen Jorgen S. " Transnational Islam and the Integration of Islam and Europe. " In Stefano Allievi and Jorgen S. Nielsen, Muslim Networks and Transnational Communities in and Across Europe. Leiden: Brill, 2003, 28-51.

Nimer, Mohammed. "Muslims in American Public Life. " In Yvonne Yazbeck Haddad ed. , Muslims in the West: From Sojourners to Citizens. Oxford: Oxford University Press, 2001,

169-86.

Peter, Frank. "Leading the Community of the Middle Way: A Study of the Muslim Field in France. " The Muslim World 96(October 2006):707-36.

Pfaff, Steven and Anthony J. Gill. "Will a Million Muslims March?: Muslim Interest Organizations and Political Integration in Europe. " Comparative Political Studies 39 (2006):803-28.

Philips, Richard. "Standing Together: The Muslim Association of Britain and the Anti-war Movement. " Race and Class 50, no. 2 (2008):101-13.

Pomerantz, Steven. "Counterterrorism in a Free Society. " Journal of Counterterrorism and Security International (Spring 1998):26.

Rahnema, Ali. "Introduction. " In Ali Rahnema, ed. , Pioneers of Islamic Revival. London: Zed Books, 1994, ix-xxxiii.

Rath, Jan, Rinnus Pennix, Kees Groendendijk, and Astrid Meyer. "The Politics of Recognizing Religious Diversity in Europe: Social Reactions to the Institutionalization of Islam in the Netherlands, Belgium and Great Britain. " Netherlands Journal of Social Sciences 35, no. 1:53-70.

Schiffauer Werner. “From Exile to Diaspora: The Development of Transnational Islam in Europe. ” In Aziz Al-Azmeh and Effie Fokas, eds. , Islam in Europe: Diversity, Identity and Influence. Cambridge: Cambridge University Press, 2007, 68-95.

Shahid, Wasif and Sjoerd van Koningsveld. “Loyalty to a Non-Muslim Government. ” In W. A. R. Shahid and P. S. van Konignsveld, eds. , Political Participation and Identities of Muslims in Non-Muslim States. Kampen: Kok Pharos, 1996, 84-115.

“Religious Authorities of Muslims in the West: Their Views on Political Participation. ” In W. A. R. Shahid and P. S. Koningsveld, eds. , Intellectual Relations and Religious Authorities: Muslims in the European Union. Leuven: Peters, 2002, 161-84.

Skovgaard-Peterson, Jakob. “Yusuf Al-Qaradawi and Al-Azhar. ” In Bettina Graf and Jakob Skovgaard-Petersen, eds. , The Global Mufti: The Phenomenon of Yusuf Al-Qaradawi. New York: Columbia University Press, 2009, 27-54.

Sovik, Margrete. “Islamic Religious Instruction in North-Rhine-Westphalia (1979-1999): Constructing a German Muslim Identity Between Authenticity and Responsibility. ” In Stephen G. Ellis and Ann Katherine Isaacs, eds. , Citizenship in Historical Perspective. Pisa: Pisa University Press, 2006, 317-32.

Siddiqi, Shamim A. “ Islamic Movement in America: Why?” In Amber Haque, ed. , Muslims and Islamization in North America: Problems and Prospects. Beltsville, MD: Amana Publications, 1999, 355-61.

Tammam, Husan. “Yusuf Qaradawi and the Muslim Brothers: The Nature of a Special Relationship. ” In Bettina Graf and Jakob Skovgaard-Petersen. eds. , The Global Mufti: The Phenomenon of Yusuf Al-Qaradawi. New York: Columbia University Press, 2009, 55-84.

Torrekens, Corinne. “ La gestion locale de l’islam a Bruxelles. ” Cahiers de la securite P 8 5663. – (2006-07/09) n 62:139-60.

Vertovec, Steven. "Islamophobia and Muslim Recognition in Britain. " In Yvonne Yazbeck Haddad, ed. , Muslims in the West: From Sojourners to Citizens. Oxford: Oxford University Press, 2001, 19-35.

"Muslims, the State, and the Public Sphere in Britain. " In Gerd Nonneman, Tim Niblock, and Bogdan Szajkowski, eds. , Muslim Communities in the New Europe. Berkshire, UK: Ithaca Press, 1996, 167-86.

Voll, John O. "Fundamentalism in the Sunni Arab World. " In Martin E. Marty and R. Scott Appleby, eds. , Fundamentalisms Observed. Chicago: University of Chicago Press, 1991, 345-402.

"Relations Among Islamist Groups. " In John L. Esposito , ed. , Political Islam: Revolution, Radicalism, or Reform? Boulder, CO: Lynne Rienner, 1997, 231-48.

Warner, Carolyn M. and Manfred W. Wenner. " Religion and the Political Organization of Muslims in Europe. " Perspectives on Politics 4, no. 3 (September 2006): 457-79.

Whine, Michael. "The Advance of the Muslim Brotherhood in the UK. " Current Trends in Islamist Ideology 2 (September 2005):30-40.

Yaqoob, Salma. " British Islamic Political Radicalism. " In Tahir Abbas, ed. , Islamic Political Radicalism: A European Perspective. Edinburgh: Edinburgh University Press, 2007, 279-94.

Zacharias, Diana. " Access of Muslim Organizations to Religious Instructions in Public Schools: A Comment on the Decision of the Federal Administrative Court of 23 February 2005. " German Law Journal 6, no. 10:1319-34.

Zollner, Barbara. "Prison Talk: The Muslim Brotherhood's Internal Struggle During Gamal Abdel Nasser's Persecution. " International Journal of Middle Eastern Studies 39(2007):411-33.

Newspaper Articles

مقالات صحفية

Abu Marzook, Mousa. "Hamas ' Stand. " Los Angeles Times, July 10, 2007.

Ahmed-Ullah, Noreen S. , Sam Roe. And Laurie Cohen. " A Rare Look at Secretive Brotherhood in America. " Chicago Tribune, September 19, 2004.

al-Faruqi, Ismail Raji. " Islamizing the Social Sciences. " Muslim World League Journal, August 1977.

Al-Rasheed, Abdel Rahman. "Qaradawi: Moderate and Extremist. " Arab News, July 17, 2004.

Allam, Magdi. " La Moschea di Bologna e i Cedimenti di Cofferati. " Corriere della Sera, December 6, 2007.

"Angry Scenes at Anti-Israel Demo. " BBC, April 13, 2002.

Anthony, Andrew. "How One Book Ignited a Culture War. " Guardian, January 11, 2009.

Arachi, Alessandra. "Stop alla Moschea: "Chi la Finanzia? Genova Chiama Amato, Unione Divisa. "Corriere della Sera, September 25, 2007.

"Arrested Muslim Activist Helped Pick Chaplains for U. S. Military. " Washington Times, September 30, 2003.

Azam, Nadeem. "Election Analysis. " Q-News, June 1997.

Beibel, Udo. "Razzia bei Milli Gorus. " Kolner Stadt-Anzeiger,

August 26, 2008.

Bernard, Philippe and Xavier Ternisien. "Il Faut Reconnaitre la Sur-Delinquance des Jeunes Issus de l'Immigration. " Le Monde, December 4, 2001.

Bernstein, Richard. "Lessons of Islam in German Classrooms. " The New York Times, June 30, 2004.

Braude, Joseph. "Moderate Muslims and Their Radical Leaders. " The New Republic, February 27, 2006.

"Britain 'Sleepwalking to Segregation. " Guardian, September 19,2005.

Bunglawala, Inayat. "Engagement with Extremists Is Right. " Guardian, February 26, 2009.

Butt, Hassan. "My Plea to Fellow Muslims: You Must Renounce Terror. " The Observer, July 1, 2007.

Cesarani, David. "A Way out of This Dead End. " Guardian, September 16, 2005.

Chittenden, Maurice and Tom Baird. "MPs Don't Know their Sunnis from Their Shi'ites. " Sunday Times of London, January 7, 2007.

De Haas, Joost. "Moskeeen in de ban van Moslimgroep. " De Telegraaf, March 24, 2007. Dodd,Vikram. "Government Suspends Links with Muslim Council of Britain Over Gaza. " Guardian, March 23, 2009.

. "Muslim Council Ends Holocaust Memorial Day Boycott. " Guardian, December 3, 2007.

Doward,Jamie. "British Muslim Leader Urged to Quit Over Gaza. " The Observer, March 8, 2009.

Dreher, Rob. " CAIR and Hamas. " Dallas Morning News, August 8, 2007.

El Houdaiby, Ibrahim. "Why Are Western Officials Hesitant to Talk to Moderate Islamists?" Daily Star, November 7, 2007.

Etchegoin, Marie-France and Serge Raffy. "La Verite sur l'Islam en France. " Le Nouvel Observateur , February 2, 2006.

Farah, Douglas and John Mintz. " U. S. Trails Va. Muslim Money, Ties. " The Washington Post, October 7, 2002.

Ford, Richard. "Livingstone Likens Bomb Apologist to Reformer Rope John. " Times of London, September 14, 2005.

Frangenberg, Helmut. "Ermittlungen gegen Islam-Funktionare. " Kolner Stadt-Anzeiger, March 19, 2009.

Frangenberg, Helmut and Detlef Schmalenberg. " El-Zayat, der Herr der Moscheen. " Kolner Stadt-Anzeiger, March 20,2009.

Gardiner, Lisa. "American Muslim Leader Urges Faithful to Spread Islam's Message. "San Ramon Valley Herald, July 4, 1998.

Geisser, Vincent. "'Notre Ami Sarkozy', UOIF-UMP, Histoire d'un PACS Avorte. Oumma. com, November 30, 2006. http://oumma. com/Notre-ami-Sarkozy-UOIF-UMP.

Ghazali, Abdus Sattar. " American Muslims in 2006 Elections. " Al Jazeera, November 16, 2006.

Gilligan, Andrew. "Pro-Ken Muslim Group Claims Boris "Would Scrap the Koran. " The Evening Standard, April 28, 2008.

Hamzawy, Amr. "Regression in the Muslim Brotherhood's Platform?" Daily Star, November 1, 2007.

Harper, Tom. "Ministers Compared to Nazis Over Islam Stigma. " Telegraph, December 18, 2006.

Helm, Toby. "Black British Values or Lose Grants, Kelly Tells Muslim Groups. " Telegraph, October12, 2006.

"How the Government Lost the Plot. " The Economist, February 26, 2009.

Hub, Ralph. " Razzia in der Moschee in Freimann. " Abendzeitung, March 10, 2009.

Hudson, Audrey. " CAIR Concedes Membership Down. " Washington Times, August 22, 2007.

. "Muslim Group Touts Local Political Clout. " Washington Times, October 1, 2007.

"IIFSO Conference: No Proclamations, No Self-Congratulations, Just Sharing of Experience. " Impact International 12-15 August 1977.

"Inside the Ring. " Washington Times, September 14, 2007.

Interview with Mohammed Akef, Asharq Al-Awsat, December 11, 2005.

Interview with Youssuf Nada, al Misri al Yawm, May 25-30, 2008.

Isikoff, Michael and Mark Hosenball. " "An Unwelcome Guest. " Newsweek, August 8, 2007.

"Islamic Council of Europe : 'Foundations Well Laid'", Impact International, May 26-June 8, 1978.

"Islamic Council of Europe :Progress and Plans. " Impact International, September 10-23, 1976.

Jaffe, Harry. "Unmasking the Mysterious Mohamed Hadid. " The Business of Washington, March 1988.

Johnson, Ian. "The Beachhead: How a Mosque for Ex-Nazis Became Center of Radical Islam. " The Wall Street Journal, July 12, 2005.

. "The Brotherhood's Westward Expansion. " Current Trends in Islamist Ideology, February 5, 2008.

"How Islamic Group's Ties Reveal Europe's Challenge. " Wall Street Journal, December 29, 2005.

Kabbani, Rana. "Dislocation and Neglect in Muslim Britain's Ghettos. " Guardian, June 17, 2002.

Kerbaj, Richard. "Government Moves to Isolate Muslim Council of

Britain with Cash for Mosques. " Times of London, March 30, 2009.

"Muslim Population 'Rising 10 Times Faster than Rest of Society. " Times of London, January 30, 2009.

Kirkup, James. "More Than 20 Serious Terrorist Plots Against Britain Are Being Planned in Pakistan. " Daily Telegraph, December 15, 2008.

Kovacs, Stephane. "L'islam, premiere religion a Bruxelles dans vingi ans. " Le Figaro, March 21, 2008.

Kristianasen, Wendy. "A Row in the Family. " Le Monde Diplomatique, April 2000.

Law, Bill. "Clerics Urge a New Jihad Over Gaza. " BBC News, February 17, 2009.

Lawton, John. "Muslims in Europe: The Presence. " Saudi Aramco World, January/February 1979, 3-8.

"London Conference of Islamic Centres and Bodies in Europe. " Impact International, May 25-June 7, 1973.

Lloyd, Anthony. "Tomb of the Unknown Assassin Reveals Mission to Kill Rushdie. " Times of London, June 8, 2005.

MacFarquhar, Neil. "Scrutiny Increases for a Group Advocating for Muslims in the U. S. " The New York Times, March 14, 2007.

Malik, Kenan. " The Islamophobia Myth. " The Spectator, February 2005

. "What Muslims Want. " Channel 4, August 7, 2006.

"Marokkaanse jongeren willen soepeler geloof. EenVandaag, September 29, 2008.

Mattson, Ingrid. "My Islam: Freedom and Responsibility. " Islamica Magazine 20 (2007).

"Mayor Culpa. " Private Eye, March 21, 2008.

Michael, Maggie. "Egypt's Brotherhood Party Details Platform Akin to That of Iran. " Associated Press, October 11, 2007.

Mihalopoulos, Dan. "Abuse of Post-9/11 Detainees Detailed. " Chicago Tribune, July 22, 2003.

Mintz, John and Douglas Farah. "In Search of Friends Among the Foes: U. S. Hopes to Work with Diverse Group. " The Washington Post, September 11, 2004.

Mohammed, Faraz. "MCB: Dad's Muslim Army. " Q-News, April 1998.

"Muslim Leader Sues Blears on Gaza. " BBC News, April 4, 2009.

"Muslim Student's Associations Hold Annual Convention. " Muslim World League Journal, November/December 1965.

Naughton, Phillipe. "Funding Cut-off Threat by Minister Angers Muslim Groups. "Times of London, October 11, 2006.

"News from the Muslim World League. " Muslim World League Journal, July 1974.

Nilsson, Kirsten. "Imamers indflydelse er begraenset. " Politiken, March 12, 2007.

O'Brien, Mike. "Labour and British Muslims: Can we Dream the Same Dream?" Muslim Weekly 58 (2004).

"Official Recognition of Islam in Germany?" Der Spiegel, April 16, 2007.

Palmer, Alasdair. "Muslim Apostates Threatened Over Christianity. " Sunday Telegraph, December 11, 2007.

. "Not in Their Name?" Sunday Telegraph, July 8, 2007.

. "Top Job Fighting Extremism for Muslims Who Praised Christianity. " Telegraph,

August 20, 2005.

"Pangs and Process of Self-Discovery. " Impact International, October 14-27, 1983.

"People" Section. Impact International, October 28-November 10, 1977.

Pistacchi, Diego. "Ronchi: No alla Moschea degli Intolleranti. " Il Giornale, February 3, 2009.

Powers, Carla. "New Imams. " Newsweek, January 17, 2006.

Rasche, Uta. "Spinne im Netz der Muslimein Deutschland: Die Macht des Ibrahim El Zayat. " Frankfurter Allgemeine Zeitung,May 11 2007.

Rushdie, Salman. "Bring on the Islamic Reformation. " The Washington Post, August 8, 2005.

Sacranie, Iqbal. "Why You Should Exercise Your Vote. " QNews, March 1997.

Sakr, Ahmad Hussain. " The Future of Islam in North America. " Muslim World League Journal, April 1975.

Schomaker, Gilbert. "Senat Will Islamkunde on Schulen mit Neuen Argumenten Stoppen. " Berlinger Zeitung, July 29, 2000.

Shahine, Gihan. "Fatwa Fight. " Al Ahram Weekly 708(16-22 September 2004).

Siddiqui, Asim. "Not in Our Name. " Guardian, July 3, 2007.

Sollich, Rainer. "Dialogue with Extremists?" Deutsche Welle, July 21, 2006.

"Spectrum: A Roll Call of UK Islamic Groups- Islam and Britain. " Times of London, August 17, 1987.

Speiwak, Martin and Wolfgang Ochatius. "Mit Koran und Grundgesetz. " Die Zeit, February 4, 1999.

Stein, Jeff. " Can You Tell a Sunni from a Shiite?" The New York Times, October 18, 2006.

"Democrats' New Intelligence Chairman Needs a Crash Course on al Qaeda. " Congressional Quarterly, December 8, 2006.

Stephens, Bret. "Benedict's Opposite. " Wall Street Journal, September 26,2006.

Taylor, Marisa. "FBI Struggles to Win Trust of Muslim, Arab Communities. " McClatchy Newspapers, November 21, 2006.

Temko, Ned. "Beckett Rejects Link Between Foreign Policy and Terrorism. " Observer, August 13, 2006.

Ternisien, Xavier. "' Priere Nationale Muulmane a La Courneuve pour Concilier Solidarite et Revendication du Voile. " Le Monde, September 5, 2004.

"The Fuss About Fatwa Evades the Real Issue: Sacrilege. " Impact International, March 12-April 8,1993.

Thomson, Alice. "British Should Try Arranged Marriages. " Telegraph, June 10, 2006.

Totonji, Ahmed. "World Assembly of Muslim Youth. " Impact International, October 22-November 11, 1976.

Trahan, Jason. "FBI: CAIR Is a Front Group, and Holy Land Foundation Tapped Hamas Clerics for Fundraisers. " Dallas Morning News, October 7, 2008.

Travis, Alan. "Muslims Abandon Labour Over Iraq War. " Guardian, March 15, 2004.

. "Time to Tackle the Non-Violent Extremists, Says Smith. " Guardian, December 11, 2008.

"Two Unamalgamated Worlds. " The Economist, April 3, 2008.

"UK Muslims Act Against Infamous Book. " Saudi Gazette, December 15, 1988.

"US Sponsors Islamic Convention. " Washington Times, August 27, 2007.

Venner, Fiammetta and Caroline Fourest. “Le retournement incertain de Dounia Bouzar. “ Pro Choix, January 5, 2005.

Yousef, Ahmed. “Engage with Hamas: We Earned Our Support. ” The Washington Post, June 20, 2007.

“Pause for Peace. ” The New York Times, November 1, 2006.

Wehner, Markus. “Am Tisch mit Islamisten und Orthodoxen. ” Frankfurter Allgemeine Zeitung, March 12, 2008.

“Wie Friedlich Sind Muslime?” Die Welt, September 7, 2008.

Wilson, Graeme. “ Cameron Attacks Muslim Hardliners. “ Telegraph, January 31, 2007.

Zakaria, Fareed. “Radical Islam Is a Fact of Life; How to Live with It. ” Newsweek, March 9, 2009.

Other Documents

وثائـــق أخـــــــرى

A Question of Leadership. BBC August 21, 2005.

Abrams,Joseph. "FBI Cuts Ties with CAIR Following Terror Financing Trial. " Fox News, January 30, 2009

Abu Elnin, Alaa. "Tipping U. S. on Baathists Prohibited: Prominent Scholar. " May 30, 2003.

http://www. islam-online. net/english/News/2003-05/31/article07. shtml

Aclimandos, Tewfiq. Officiers et Freres Musulmans. Centre d'etudes et de documentation economiques, juridiques et socials, Etudes et documents, n1/2, 2001.

Al-Alwani, Taha Jaber. " The Participation of Muslims in the American Political System. "

http://www. islamonline. net/english/Politics/2000/1/Article7. shtml (accessed January 22, 2009).

Al-Chobaki, Amr. "Future of Muslim Brotherhood. " Ikhwanweb, June 13, 2007.

http://www. ikhwanweb. com/article. php?i=814&ref=search. php (accessed January 11, 2010)

Al-Qaradawi, Yusuf, "Apostasy: Major and Minor. "

http://www. islamonline. net/English/contmeporary/2006/04/ article01c. shtml (accessed July 24, 2008)

"Al-Qaradhawi Speaks in Favor of Suicide Operations at an Islamic Conference in Sweden. " Middle East Media and Research Institute(MEMRI), Special Dispatch#542, July 24, 2003.

Al-Qumni, Sayed Mahmoud. " The Muslim Brotherhood's Initiative as a Reform Program: A Critical Review. " Paper presented at the conference on Islamic reform, Brookings Institution, Washington, D. C. , October 5-6, 2004.

Alam, Anwar. "Muslim Minority, Multiculturalism and Liberal State: A Comparison on India and Europe. " Paper released by the University Paris1 – Pantheon-Sorbonne.

Alamoudi, Abdurahman. Speech.

http://www. investigativeproject. org/article/218 (accessed October 14, 2008).

Altman, Israel Elad. Strategies of the Muslim Brotherhood Movement, 1928-2007. Monograph released by the Hudson Institute, January 2009.

"American Anti-War Movement Leader Meets with Radical Anti-Zionists in Cairo. " December 29, 2003. http://www. adl. org/Israel/ramseyclark. asp (accessed March 3, 2009).

American Muslim Council. American Muslim Council: Our First Five Years. 1996.

An Uncertain Road: Muslims and the Future of Europe, Washington, D. C. , Pew Research Center, 2005.

"Attitudes to Living in Britain: A Survey of Muslim Opinion. " Channel 4 Dispatches. August 7, 2006. http://www. imaginate. uk. com/MCC01SURVEY/Site%20Download. pdf.

Boubekeur, Amel. Political Islam in Algeria. Center for European Policy Studies working document 268, May 2007.

Bright, Martin. When Progressives Treat with Reactionaries: The British State's Flirtation with Radical Islam. Report published by the Policy Exchange, 2006.

Brown, Nathan J. and Amr Hamzawy. The Draft Party Platform of the Egyptian Muslim Brotherhood: Foray Into Political Integration or Retreat Into Old Positions? Carnegie Papers, Middle East Series, Number 89, January 2008.

Caeiro, Alexandre. "The European Council for Fatwa and Research. " Presentation at the Fourth Mediterranean Social and Political Research Meeting, European University Institute, Montecatini Terme, March 19-23, 2003.

Council on American-Islamic Relations.

http://www. cair. com/PDF/urbanlegends. pdf (accessed April 8, 2009).

"CAIR's Anti-Terrorism Campaigns. "

http://www. cair. com/AmericanMuslims/AntiTerrorism. aspx (accessed April 9, 2009)

. "25 Facts about CAIR. "

http://www. cair. com/AboutUs/25FactsAboutCAIR. aspx (accessed April 1, 2009).

Western Muslim Minorities: Integration and Disenfranchisement. CAIR Policy Bulletin, April 2006.

CAIR Pennsylvania. "What They Say About CAIR. "

http://pa. cair. com/index. php?Page=whattheysay&Side=about.

Cairo Declaration. Signed at summit convened by the Egyptian Popular Campaign to Confront U. S Aggression, December 27, 2002. http://www. counterpunch. org/cairo1227. html.

"Century Witness. " Al Jazeera August 4-September 29, 2002.

Cesari, Jocelyne. Securitization and Religious Divides in Europe: Muslims in Western Europe After 9/11.

http://euro-islam. info/ei/wp-includes/pdf/ securitizationandreligiousdividesineurope. pdf (accessed February

14, 2009).

Chouet, Alain. "The Association of Muslim Brothers: Chronicle of a Barbarism Foretold. "

http://alain. chouet. free. fr/documents/MB. htm (accessed July 21, 2008).

CNN Crossfire. September 10, 1993.

"Columbus, Ohio Muslim Leader Says 9/11 Planned by Americans, Praises the Wanted Al-Qaeda-Linked Yemenite Sheikh Al-Zindani. " Middle East Media and Research Institute(MEMRI) Special Dispatch 1168, May 19, 2006.

Conservatory Party (United Kingdom). National and International Security Policy Group. Uniting the Country. Interim report on national obsession. January 2007.

Cordoba University. http://www. siss. edu/Newsletter/ FirstMAMCAConference8-8-00. htm.

Dahoah-Halevi, Jonathan. The Muslim Brotherhood: A Moderate Islamic Alternative to al-Qaeda or a Partner in Global Jihad? Jerusalem Center for Public Affairs, November 1, 2007, No. 558.

Erhvervs-og Selskabsstyrelsen (Danish Commerce and Companies Agency). Filings on the Islamic Bank International of Denmark. April 7, 1983.

European Council for Fatwa and Research. Final Statement of the Fifteenth Ordinary Session. Istanbul, June 29- July 3, 2005.

Faruqi, M. H. "Les Freres Musulmanes: Politique de 'Rabbaniyya,'les Prieres avant le Pouvoir. "

http://www. cige. org/historique. htm (accessed January 21, 2005).

"FBI Official and Imam Discuss Homegrown Terror. " NPR, May 16, 2007.

Federation of Islamic Organizations in Europe.

http://www. eu-islam. com/en/templates/Indexen. asp.

. Power, Development and Prosperity. 2007.

First Collectionof Fatwas. Trans. Anas Osama Altikriti. European Council for Fatwa and Research, n. d.

Forum of European Muslim Youth and Student Organizations.

http://www. femyso. net/about. html.

Good Practice Guide for Mosques and Imams in Britain. Mosques and Imams National Advisory Board, 2006.

History of the Islamische Gemeinschaft Deutschland.

http://ww. i-g-d. com/uber%2ounss2. htm.

"Holocaust Memorial Ceremony – MCB Regrets Exclusion of Palestinian Tragedy. " MCB press release, January 26, 2001. http:// web. archive. org/web/20050314235755/

http://www. mcb. org. uk/news260101. html

"Homosexuality Is a Major Sin. " Fatwa session with Sheik Yusuf al Qaradawi.

http://www. islamonline. net/servlet/Satellite?pagename=IslamO nlineEnglish-AskScholar/FatwaE/FatwaE&cid=1119503543878 (accessed September 21, 2009).

"How Islam Views Pluralism and Democracy. " July 30, 2002.

http://www. islamonline. net/servlet/Satellite?c=FatwaE &cid=1119503545626&pagename=IslamOnline-English-AskScholar%2FASELayout.

Hussain, Delwar. "Bangladeshis in East London: from Secular Politics to Islam. "

Open Democracy, July 6, 2006.

Hussein, Fiaz. " Dawah: Our Purpose, Our Goal. " Speech at the 2003 annual conference of the UK Islamic Mission National Dawah

Committee.

http://ukim. org/dawah/dawah%20our%20purpose%20our%20goal. PDF

"Ibrahim El Zayat Says He is not a Member of the Muslim Brotherhood. " May 6, 2007.

http://www. ikhwanweb. com/Article. asp?ID=752&SectionID =78.

Institute Europeen des Sciences Humaines.

http://www. iesh. org/index. php?option=comcontent&task=view&id =50&Itemid=102&lang=en

International Crisis Group, Islam and Identity in Germany. March 14, 2007.

. La France Face a ses Musulmans: Emeutes, Jihadisme et Depolitisation. March 9, 2006.

International Institute of Islamic Thought.

http://www. iiit. org/AboutUS/AboutIIIT/tabid/66/Default. aspx.

International Union of Muslim Scholars.

http://www. iumsonline. org/english/index. shtml.

Interview with Dr. Kamal Helbawy. Al-Masry al-Youm, February 2, 2009.

http://www. almasry. alyoum. com/printerfriendly. aspx?ArticleID=197210.

Interview with MB Deputy Chairman Mohammed Habib in al Ahrar Daily, as reported by the Muslim Brotherhood's official Web site. June 16, 2008.

http://www. ikhwanweb. com/Article. asp?ID=17267&LevelID=1&S ectionID=0.

Interview with Mohammed Akef, Januar 14, 2004.

http://www. alwihdah. com/view. asp?cat=3&id=50.

Islam Expo 2006. http://islamexpo. info/index. php?option=comfron tpage&Itemid.

Islamic Cultural Center of Ireland. http://www. islamireland. ie/ enter-the-icci/about-us/.

Islamic Federation of Berlin, Islamische Foderation in Berlin: Die Kinder sind unsere Zukunft. Undated.

Islamic Finance and Trade Conference, 2006 program.

2008 program.

Islamic Human Rights Commission. http://www. ihrc. org. uk/show. php?id=294.

Islamic Society of North America. "A Call for FBI Accountability. " http://www. isna. net/articles/News/A-Call-for-FBI-Accountability. aspx (accessed March 31, 2009).

ISNA Recognizes IIIT VP Dr. Jamal Barzinji for Pioneering Service. " September 8, 2008.

http://www. iiit. org/NewsEvents/News/tabid/63/articleType/ ArticleView/articled/90/Default. aspx

. ISNA Statement of Position: Who We Are and What We Believe. September 12, 2007.

http://www. isna. net/Documents/ISNAHQ/ISNA-Statement-of-Position-Who-we-Are-and-What-We-Believe. pdf (accessed April 6, 2009).

Islamische Gemeinschaft in Deutschland. http://www. igd-online. de/

Filing at the Munich Amtsgericht. February 28, 2002.

Islamische Gemeinschaft Milli Gorus. http://www. igmg. de/ verband/islamic-community-milli-goerues/historical-development-of-the-igmg. html?L=. html. html. html.

Islamische Gemeinschaft in Suddeutschland. Annual filings. Amtsgericht, Munich, 1983.

"IslamOnline Opens Washington Office. " December 27, 2008.

http://www. islamonline. net/servlet/Satellite?c=ArticleC&cid=1230121266417&pagename=Zone. English-News/NWELayout.

"*Islam's Stance on Homosexual Organizations.* " *Fatwa session* with Taha Jabir al Alawani, May 17, 2004. http://www. islamonline. net/servlet/Satellite?pagename=IslamOnline-English-AskScholar/FatwaE/FatwaE&cid=1119503545314.

Jamaat-e-Islami Pakistan. http://www. jamaat. org/leadership/pka. html.

Kelly, Jane and Karen O'Toole. "Alliances and Coalitions in Britain: 'Stop the War' and 'Respect'. " International Socialist Group Political Committee, April 2005. http://www. internationalviewpoint. org/spip. php?article672.

"Kriistina Kohler gewinnt Verfahren gegen El Zayat. " Press release, November 16, 2005.

http://www. kristina-koehler. de/presse/mitteilungen/2005/kristina-koehler-gewint-verfa/.

Laurence, Jonathan. "Integrating Islam: A New Chapter in 'Church-State' Relations. " Report for the Transatlantic Task Force on Immigration and Integration. October 2007.

"Islam and Citizenship in Germany. " Transatlantic Dialogue on Terrorism, Center for Strategic and International Studies, Washington, DC, September 2007.

"Leading Sunni Sheikh Yousef al-Qaradhawi and Other Sheikhs Herald the Coming Conquest of Rome. " Middle East Media and Research Institute(MEMRI), Special Dispatch # 447, December 6, 2002.

Lefkowitz, Josh. "The 1993 Philadelphia Meeting: A Roadmap for Future Muslim Brotherhood Actions in the U. S. " Nine Eleven

Finding Answers Foundation report. November 15, 2007.

"Living Islam in the West: An Interview with Shaykh Faisal Mawlawi. " Palestinian Times, no. 98. Undated. http://www.palestinetimes. net/issue98/articles. html#7 (accessed March 21, 2006).

Louay Safi. http://louasafi. com/content/view/9/37/.

Maher, Shiraz and Martyn Frampton. Choosing Our Friends Wisely: Criteria for Engagement with Muslim Groups, Report issued by the Policy Exchange. March2009.

"MAS Freedom Foundation Outlines Successful 2006 Election Strategy to Washington, DC Press Corps. " MAS press release, November 14, 2006.

Maussen, Marcel. The Governance of Islam in Western Europe: A State of the Art Report. International Migration, Integration and Social Cohesion, Europe working paper No. 16. December 2006.

Mayor Livingstone and Sheikh Qaradawi: A Response by a Coalition of Many of London's Diverse Communities. Document in possession of the author.

McAdam, Doug. "Studying Social Movements: A Conceptual Tour of the Field. " Program on Nonviolent Sanctions and Cultural Survival, Weatherhead Center for International Affairs, Harvard University, 1992.

McLoughlin, Sean. "Islam, Citizenship and Civil Society: 'New' Muslim Leadership in the UK. " Presentation at the European Muslims and the Secular State in a Comparative Perspective conference, European Commission/Network of Comparative Research on Islam and Muslims in Europe, June 30-July 1, 2003.

Merley, Steven. The Muslim Brotherhood in the United States. Research monograph for the Hudson Institute. April 2009.

Mirza, Munira. Abi Senthilkumaran, and Zein Ja'far. Living Apart Together: British Muslims and the Paradox of Multiculturalism. Report for the Policy Exchange. 2007.

Moscheebau Kommission. Filing at the Munich Amtsgericht. March 29, 1960.

Mosquee de Paris. http://www. mosquee-de-paris. org/spip. php?article66.

Muslim American Society. http://masnet. org/university. asp.

. Articles of incorporation. Filed in Illinois, June 11, 1993 (file number 5735-189-6).

Muslim Americans: Middle Class and Mostly Mainstream. Pew Research Center. May 22, 2007.

Muslim Association of Britain. http://www. mabonline. info/english/ modules. php?name=About.

"Muslim Brotherhood Supreme Guide: Bin Laden is a Jihad Fighter. "Middle East Media and Research Institute (MEMRI), Special Dispatch#2001, July 25, 2008.

Muslim Council of Britain. http://www. mcb. org. uk/downloads/ MCBacheivments. pdf.

. MCB Community Guidelines to Imams and British Muslim Organizations. " March 31, 2004.

http://www. mcb. org. uk/media/presstext. php?annid=80.

MCB Decries Character Assassination of Dr. Al-Qaradawi. " July 7, 2004.

http://www. mcb. org. uk/media/presstext. php?annid=80.

MCB Hosts Luncheon Meeting with Jack Straw. " December 2, 1998.

http://www. mcb. org. uk/media/archive/news021298. html.

MCB Rejects Hazel Blears' Baseless Accusations. " MCB press release, March 26, 2009.

. Representing the Muslims, Serving the Nation. 2006/07 activity report.

. 10 Years of Working for the Common Good. 1997-2007.

Muslim Students Association. http://msanational. org/about/history/.

"A Little Taste of History. " http://web. archive. org/ web/20060118061004/

http://www. msa-national. org/about/history. html (accessed October 29, 2007).

Muslims for Ken. http://www. muslimsforken. blogspot. com/.

"Muslims Participating in US Local Councils. " Fatwa session with Muzammil Siddiqi. October 1, 2003. http://www. islamonline. net/ servlet/Satellite?pagename=IslamOnline-English-AskScholar/ FatwaE/FatwaE&cid=1119503544898.

"New Muslim Brotherhood Leader: Resistance in Iraq and Palestine is Legitimate: America is Satan, Islam Will Invade America and Europe. " Middle East Media and Research Institute(MEMRI) Special Dispatch No. 655, February 4, 2004.

North American Islamic Trust. http://www. nait. net/.

"Open Letter: Give Ken a Third Term. " Guardian, January 3, 2008.

Paris, Jonathan. "Discussion Paper on Approaches to Anti-Radicalization and Community Policing in the Transatlantic Space. " Paper prepared for the Wesdenfeld Institute conference, Washington, D. C. , June 2007.

"UK Counter-Radicalisation Strategy: Accommodation to Confrontation?"Paper presented at the Henry Jackson Society, London, July 2, 2008.

"Qaradawi: 'MB Asked Me to Be a Chairman. " September 5, 2006. http://www. ikhwanweb. net/Article. asp?ID=3537&SectionID=0.

Quilliam Foundation. Pulling Together to Defeat Terror. April 2008.

Radical Middle Way. http://www. radicalmiddleway. co. uk/scholars. php.

Ramadan, Tariq. "Une Vie Entiere. " http://membres. lycos. fr/oasislam/personnages/tariq/tariq. html.

Resolutions and Fatwas (Second Collection). Ed. Anas Osama Altikriti and Mohammed Adam Howard. European Council for Fatwa and Research. n. d.

Rich, David. " The Muslim Brotherhood in Great Britain. " Unpublished paper.

"Round-up of Friday Sermons. " BBC Monitoring International Reports, Near/Middle East. June 4, 2004 (published June 7, 2004)

Runnymede Trust. Islamophobia: A Challenge for Us All. 1997.

Safi, Louay. Blaming Islam: Examining the Religion Building Enterprise. Report for the Institute for Social Policy and Understanding. 2006.

Schauble, Wolfgang, Minister of the Interior. Remarks at the u of DIK last plenary session, June 25, 2009.

"Sheikh Yousuf Al-Qaradhawi: Allah Imposed Hitler On the Jews to Punish Them—"Allah Willing, the Next Time Will Be at the Hand of the Believers. "

Middle East Media and Research Institute(MEMRI), Special Dispatch #2224. February 3, 2009.

The Change Institute for the European Commission. Study on the Best Practices in Cooperation Between Authorities and Civil Society with a View to the Prevention and Response to Violent Radicalisation, July 2008.

The Covenant of the Islamic Resistance Movement(Hamas). August 18, 1988. Available in English at : http://avalon. law. yale. edu/20thcentury/hamas. asp.

"The Muslim Brotherhood in Europe and a Course of Reviews, UK

an Example. " August 12, 2008.

http://ikhwanweb. com/Article. asp?ID=17575&SectionID=67.

UK Islamic Mission. Annual report 2004/2005. Copy in possession of the author.

"Verfassungsschutz NRW raumt Verbreitung von Unwahrheiten. " Milli Gorus press release, December 17, 2005. http://www. igmg. de/verband/presserklaerungen/newsdetails-presse/ verfassungsschutz-nrw-raumt-verbreitung-von-unwahrheiten-ein/3. html.

Wickham, Carry. "Democratization and Islamists—Auto-Reform. " June 15, 2006

http://www. ikhwanweb. com/Article. asp?ID=4112&SectionID=81.

Young Muslims UK. http://www. ymuk. net/.

Zentralrat. http://zentralrat. de/2593. php#beauftragte.

Zwischen Halbmond und Hakenkreuz. ARD documentary. July 19, 2006.

الفهـــــــرس

-ت-

توتنجي، أحمد: 86

-ح-

-خ-

-د-

-ص-

-ض-

-ط-

-ظ-

-ع-

-غ-

-ف-

-ن-

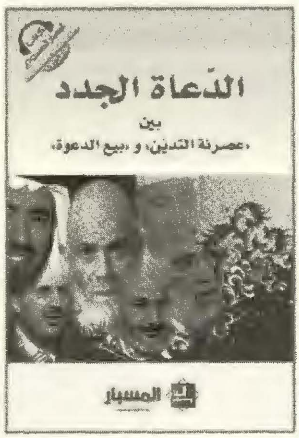
-ي-


إسلام بلا دماء
تيار اللاعنف الإسلامي
المسبار


الحركة الإسلاميّة
في كردستان
المسبار


الشعائر الدمويّة
جبهة الإنقاذ الجزائرية
من التأسيس إلى النكبة
الجزائر
المسبار


الصفويّة
التاريخ والصراع والرواسب
المسبار


الدّعاة الجدد
بين
«عصرنة التدين» و «بيع الدعوة»
المسبار


الحوثيون
سلاح الطائفة وولاءات السياسة
المسبار


السلفيّة الجهاديّة
دار الإسلام ودار الكفر
المسبار


الإسلام الأوروبي
صراع الهويّة والاندماج
المسبار


الطائفيّة
صحوة الفتنة النائمة
المسبار

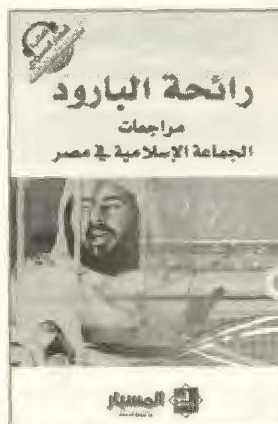
مركز المسبار للدراسات والبحوث

Al Mesbar Studies & Research Centre



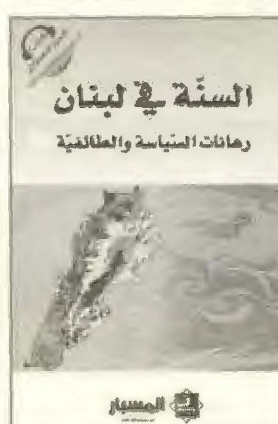
















السيرة الذاتية

- أكاديمي وخبير أمني.
- متخصص في الإسلاموية والعنف السياسي في أوروبا وأمريكا الشمالية.
- تقلّد مراكز عدة في مؤسسة راند ومركز بلفر للعلوم والشؤون الدولية، وكلية كنيدي للحكم، وجامعة هارفرد، والمعهد الأمريكي للسلام، وكلية فلتشر للحقوق والدبلوماسية.
- درّس بجامعة تافتس، وجامعة مريلاند وجامعة الدفاع الوطني.

من مؤلفاته:

- تنظيم القاعدة في أوروبا: ساحة المعركة الجديدة لحركة الجهاد الدولي، 2005م.
- الإخوان المسلمون الجدد في الغرب، 2010م.

إلى جانب مقالات نُشرت في العديد من الصحف البارزة، مثل:
The Wall Street Journal, The Washington Post, The Boston Globe...).

- يعمل كمستشار للحكومات، وشركات القانون، ومؤسسات الفكر والرأي والإعلام في العديد من الدول.

الإخوان المسلمون الجدد في الغرب

سرعان ما تطورت الشبكات التي تعود جذورها إلى الإخوان المسلمين والحركات الإسلامية الأخرى في أوروبا وأمريكا الشمالية إلى تنظيمات متعددة المهام وفيرة التمويل تتنافس لتصبح الممثل الرئيس للجاليات الإسلامية في الغرب والمحاور الأساسي باسم تلك الجاليات أمام الحكومات. وفيما يرى بعض المحللين وصناع القرار السياسي أن في هذه التنظيمات قوى إيجابية من شأنها التشجيع على الاندماج فإن البعض الآخر يخلع عليهم الوصف بأنهم بمثابة حصان طروادة المعاصر حيث يتخفون تحت عباءة العصرانية بينما يعملون بلا هوادة على غرس الراديكالية في أوساط المسلمين في الغرب.

أما لورينزو فيدينو (Lorenzo Vidino)، فهو ينطلق من بحث استغرق أكثر من عشر سنوات حول الإسلام السياسي في الغرب ليخرج منه مروِّجاً لرؤية ثالثة تستند على معلومات أوفى حيث يعكف بحرص وعناية على تحليل حركة مثيرة للجدل لا تزال مجهولة نسبياً. ذلك أن فيدينو أجرى لقاءات متأنية ومتعمقة في أربع قارات واعتمد على مصادر ومراجع ومستندات مكتوبة بعشر لغات حيث اضطلع بتبادل المعلومات والرؤى والأفكار حول تاريخ الإخوان الغربيين وتطورهم الذي يعد ظاهرة في حد ذاته فضلاً عن أساليبهم ومواقفهم وأهدافهم وغاياتهم. بعد ذلك يعكس لورينزو المنظور بفحص الاستجابة لتلك المجموعات من قبل الحكومات الغربية وتحديداً حكومات بريطانيا العظمى وألمانيا والولايات المتحدة. إن البحث الذي أجراه فيدينو زاخر بالمعلومات الوافية فضلاً عن صياغته المتقنة وهو يلقي الضوء على مفصل بالغ الأهمية في العلاقات بين المسلمين والغرب.

«الإخوان المسلمون الجدد في الغرب» يلقي أضواء كاشفة على ظاهرة لم تجد حظها من الفهم الكافي ويجب الإشادة بالسيد فيدينو على تقديم نبذة عامة شاملة ووافية من الوارد تماماً أن تصبح بمثابة النص القياسي في هذا الخصوص.

بروس هوفمان

مؤلف «داخل الإرهاب»، جامعة جورج تاون

«إن بيئة أمن القرن الحادي والعشرين قد شهدت تحولاً جذرياً من حيث التحديات التي تواجهها الديموقراطيات في يوم الناس هذا. يجب أن يقرأ هذا من قبل من أنيطت بهم مهمة منع أحداث مستقبلية مثل السابع من يوليو أو الحادي عشر من سبتمبر أو ربما الأسوأ من ذلك»

ريتشارد شولتز

مدرسة فلتشر بجامعة تفتس مؤلف مشارك في كتاب «المتمردون والإرهابيون والمليشيات: محاربو الكفاح المعاصر»

«إن كتاب لورينزو فيدينو يقدم تحليلاً متوازناً ومتأنياً وقائماً على معلومات وافية وفكر ثاقب للتحديات التي تواجهها الحكومات الغربية في سعيها لإدماج مواطنيها المسلمين».

ستيفن ميلر

كلية جون كينيدي للدراسات الحكومية
جامعة هارفارد

يحتوي «الإخوان المسلمون الجدد في الغرب» على معلومات مثالية ومفيدة في آن معاً وهي قائمة على الوقائع والحقائق وكذلك يحتوي الكتاب على تحليل متوازن وقائم على معلومات وافية للمشاكل التي تواجهها الحكومات الغربية عند التعامل مع التنظيمات المرتبطة بالإخوان المسلمين. وهذا الموضوع المهم جداً يجب أن يحظى بالاهتمام الذي يستحقه. لعل كتاب لورينزو فيدينو يسد هذه الثغرة ويملأ هذا الفراغ.

جفري بيل

معهد الدارسات النقدية العالمية

لورينزو فيدينو زميل لدى المبادرة حول الدين والشؤون الدولية ببرنامج الأمن الدولي بمركز بلفر بكلية كنيدي للدراسات الحكومية بجامعة هارفارد. وهو أيضاً عالم في شؤون السلم بمعهد الولايات المتحدة للسلام ومؤلف أول كتاب حول القاعدة في أوروبا وهو كتاب «القاعدة في أوروبا: أرض المعركة الجديدة للجهاد العالمي». يحمل فيدينو درجة في القانون من كلية القانون في جامعة ميلان ودكتوراه من مدرسة فلتشر للقانون والدبلوماسية.

ISBN 978-9948-443-64-3

9 789948 443643 >

المسبار

www.almesbar.net